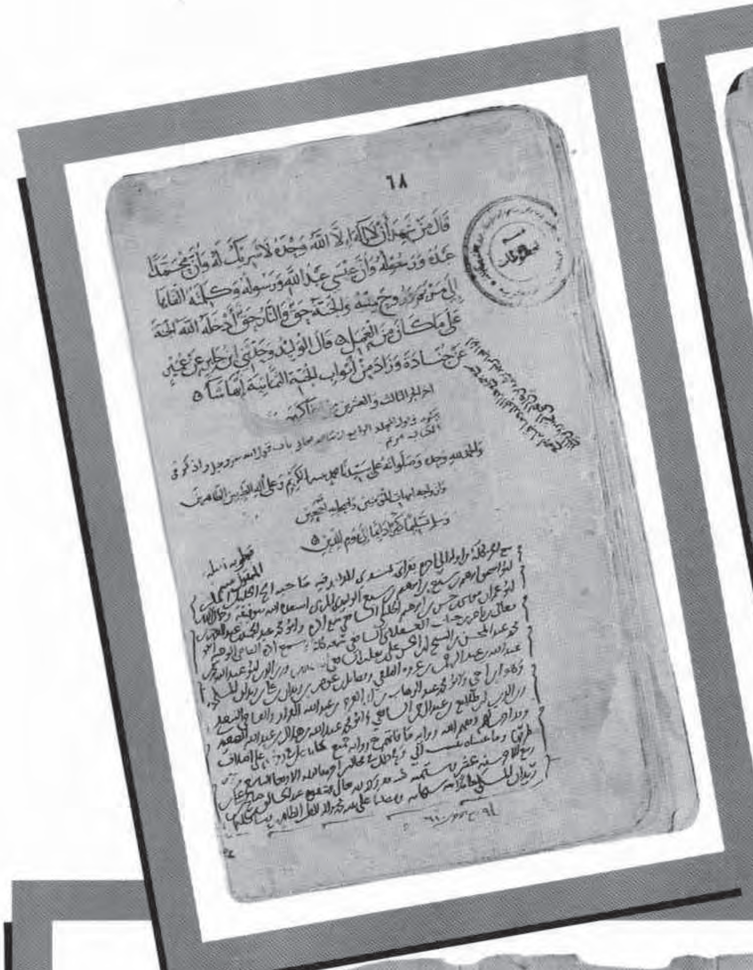
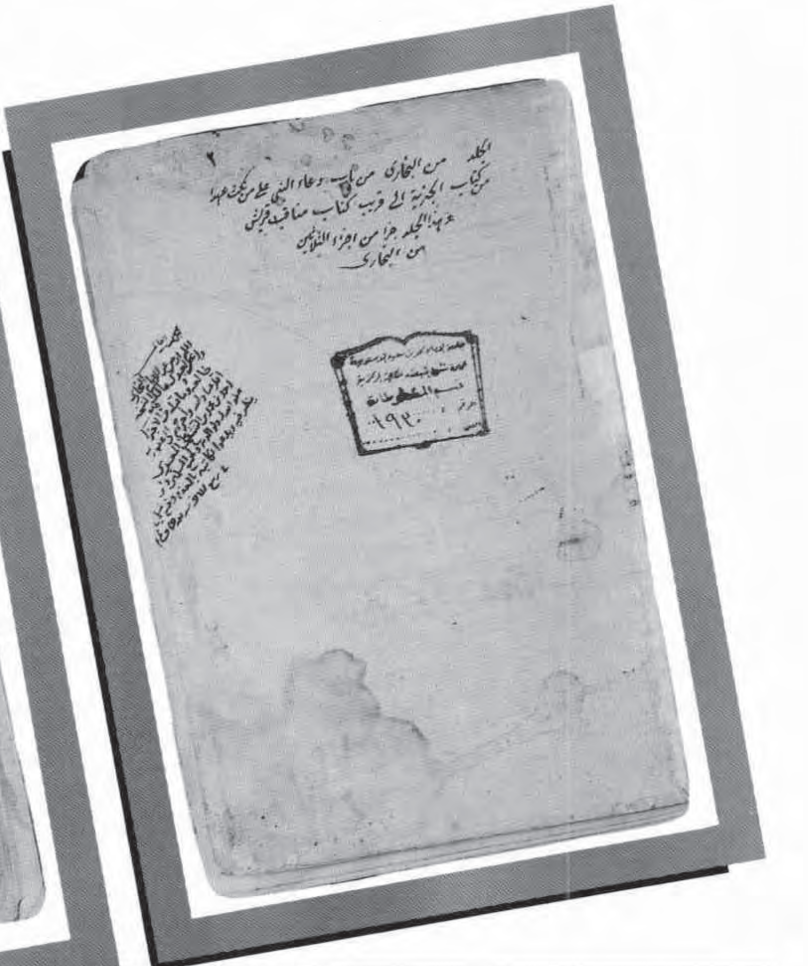
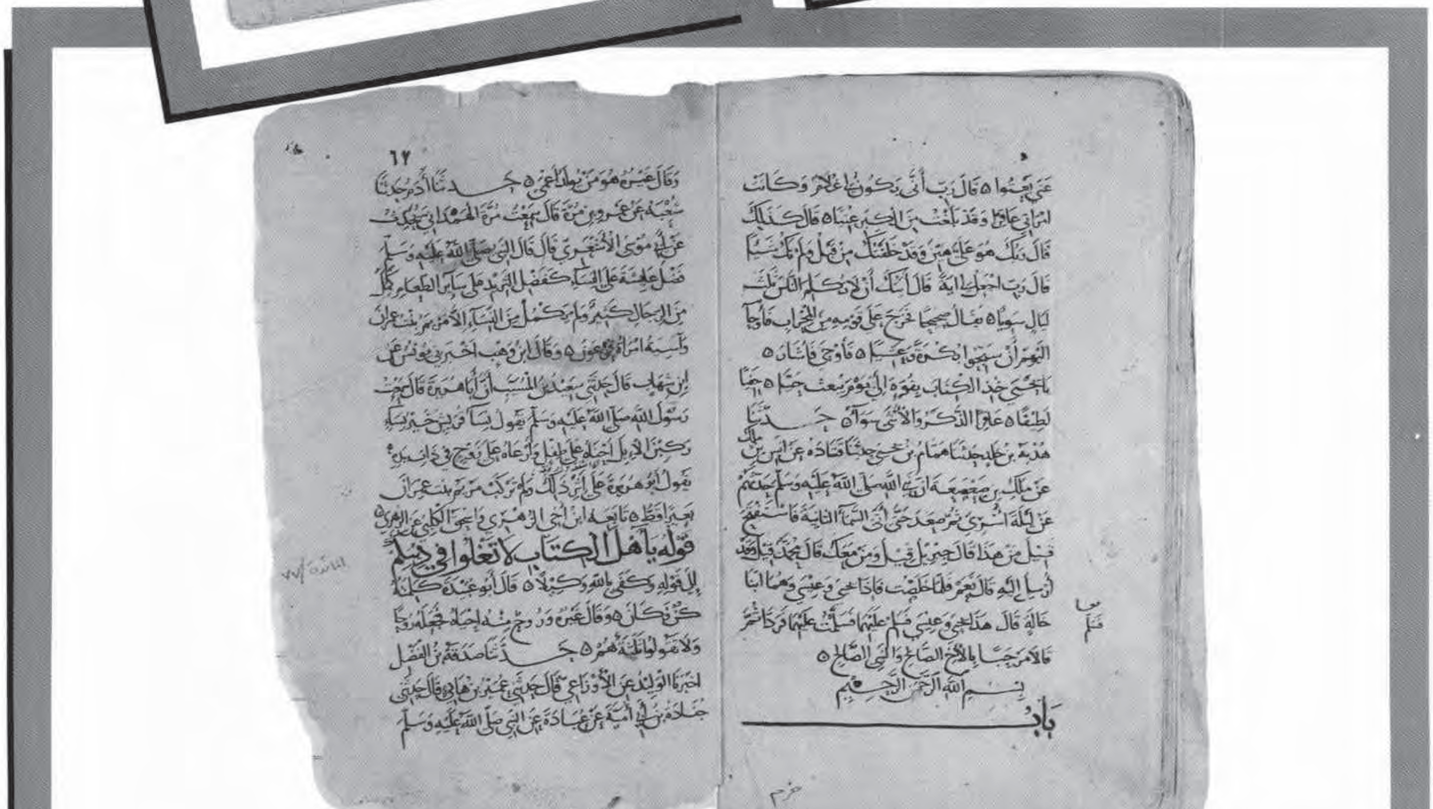

غير مخصص للبيع
الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد (٢١٠) - ذو الحجة ١٤١٤هـ - (مايو/يونيو) ١٩٩٤م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE (210) MAY/JUN 1994
الحج
عند المسلمين شعائر..
وعند اليهود "سياسة"!
إنهم يُروّضون البرق!
الأكشاك الخَشَبيّة في الدُّور الحلبيّة
قطع غيار من جسم الإنسان







الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر
عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
د. زيد بن عبد المحسن الحسين

مجلة الفيصل العدد (٢١٠) ـ ذو الحجة ١٤١٤هـ ـ السنة (١٨) ـ مايو (آيار) يونيو (حزيران) ١٩٩٤م

في هذا العدد

ملاحظات عامة

□ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

□ ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

□ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

□ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

□ الموضوعات المنشورة في هذه المجلّة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

ص. ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

الأسعار:
السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسا ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسًا ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٢٥ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٣ جنيهات ـ المغرب ٦ دراهم ـ تونس ٦٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٢٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنكًا ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد

الاشتراكات السنوية: للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الاعلانات: يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

إطلالة

اضطرابُ المفاهيم والأزمـةُ الفِكريّة

يعد عدم دقة المفاهيم والمصطلحات التي نتداولها في ساحة العمل الفكري من أوضح ملامح أزمة عالمنا العربي والإسلامي الفكرية، وقد أدى ذلك إلى الخلط بين المفاهيم الإسلامية الأصيلة والمفاهيم والمصطلحات الدخيلة الوافدة من غرب وشرق. ويأتي غياب الدقة في تحديد المفاهيم والمصطلحات عند بعضنا نتيجة للانبهار بالحضارة الغازية، والاعتقاد بأن استخدام مفاهيمها ومصطلحاتها يعني في المقام الأول اتباع طرائق تفكيرها، وصولاً إلى ما هي عليه من تقدم ورقي ماديين. وفي ظل هذا الانبهار يحدث التغييب الكامل للتراث الفكري للأمة عند هؤلاء، بل يتعدى ذلك إلى النظر إليه على أنه قيد يكبلنا، ويقعد بنا عن الإبداع واللحاق بركب الحضارة العصرية.

ويقوم آخرون بإسقاط المصطلحات الغربية على المفاهيم الإسلامية، مدعين أن ذلك دليل على عصرية الفكر الإسلامي وشموليته وقدرته على احتواء المفاهيم والمصطلحات التي تستجد، وهؤلاء يمثلون فئتين؛ الفئة الأولى منهما هي تلك التي تتمزق بين انتمائها الفكري لحضارة «الآخر» - الذي جاء عبر مناهج التعليم التغريبية ووسائل الإعلام التي تروج للفكر الغازي بوعي ودون وعي - وبين انتمائها الوجداني لفكر الأمة، وهذا التمزق يدفعها دفعًا إلى ممارسة هذا العمل على أنه توفيق، وفي الوقت نفسه توكيد لمرونة الفكر الإسلامي. أما الفئة الثانية فهي تنتمي قلبًا وقالبًا للفكر المادي العلماني، وتنسلخ تمامًا عن فكر الأمة، وإرثها الحضاري، وقد تلجأ عن عمد إلى ممارسة التلفيق كحيلة ذكية لتمرير أفكار مرفوضة من وجهة نظر الإسلام، مثل القول بأن ديمقراطية الغرب هي شورى الإسلام، وأن الرأسمالية تعني في الإسلام مبدأ إقرار الملكية، وأن الاشتراكية هي العدالة الاجتماعية. وأشاع هؤلاء مصطلحات «اليسار الإسلامي»، و«الاشتراكية الإسلامية». بل ذهبوا إلى ماهو أبعد من ذلك، فصنّفوا الصحابة رضوان الله عليهم إلى رأسماليين واشتراكيين، فالخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه - من وجهة نظرهم - يقود لواء الرأسمالية، بينما عمر بن الخطاب وأبو ذر الغفاري - رضي الله عنهما - اشتراكيان. وهم في ذلك يلتقون مع المستشرقين الذين يرى بعضهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية، وأنه ما قام بدعوته إلا لوضع حد للظلم الاجتماعي الذي ساد مجتمع قريش، أي إن الإسلام في ظنهم - ساء ما ظنوا - ليس إلا دعوة للإصلاح الاجتماعي. وهنا مربط الفرس، فالخلط بين المفاهيم الإسلامية والمصطلحات الغربية هدفه الرئيس التشكيك في العقيدة الإسلامية وأصولها، ونزع القدسية عن القرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة، وتصوير القرآن الكريم على أنه من وضع الرسول صلى الله عليه وسلم، مما جعلهم يطلقون مصطلح "Mohammedanism" - أي المحمدية - على الإسلام، وإطلاق مصطلح «المحمديين» على المسلمين. وتوالت الافتراءات، حتى إن كتابا صادرا عن اليونسكو - المؤسسة الدولية المعنية بالتربية والثقافة والعلوم - يُعرّف الإسلام أنه تركيب ملفق من اليهودية والمسيحية والوثنية، فلا عجب بعد ذلك أن يقول مستشرق إن التصور الإسلامي للحياة أقل قيمة من نظريات الهندوس.

وقد بنى كثير من المستشرقين آراءهم عن الإسلام وهم يجهلون أغوار اللغة العربية العميقة التي يحتاج سبرها إلى حصيلة لغوية ثرة، ومعرفة وافية بثقافة الأمة التي تتكلمها، فالإلمام باللغة ليس كافيا للحكم على ما كُتب بها، وإنما لابد من فهم الإطار الثقافي الجامع لهذه اللغة وإدراكه، للوصول إلى أحكام موضوعية دقيقة، وهذا يحتاج إلى بحث جاد، وعناء لسبر أغوار اللغة والثقافة معًا. ولكن الاستشراق المتدثر بأثواب العلمية والمنهجية لم يكن يهدف أبدًا إلى تجلية الحقائق، بقدر ما كان يرمي إلى إصدار أحكام جاهزة مسبقًا، بغية تنفير أبناء الغرب من الإسلام، بإلصاق تهم الوحشية والعنف والبربرية به، مما يبني جدارًا بين أوروبا والإسلام.

وقد نجح هذا الصنف من المستشرقين نجاحًا منقطع النظير، إذ استطاعوا أن يضربوا عصفورين بحجر واحد - كما يقولون -، فهم من جهة حققوا نفور أبنائهم من الإسلام لفترة من الزمن، ونشطت معهم الصهيونية في تحقيق هذا الهدف، إذ يهمهم قطع سبل التلاقي بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي، ومن جهة أخرى أوجدوا بلبلة فكرية في العالم العربي والإسلامي، باستقطاب عدد من أبنائه لتبني رؤاهم واتجاهاتهم للحكم على الإسلام ونتاجه الفكري في كل مجالات الحياة، وإيهامهم بأن هذا النوع من النقد - الأحكام المبنية على النمطية والفهم الخاطئ للإسلام - هو السبيل للتقدم الحضاري، وعلى أساس هذه النمطية والمقارنة الخاطئة يسوقون مثالاً على ذلك ما فعلته أوروبا حين تحررت من سيطرة الكنيسة ووصايتها، ومن ثم حققت انطلاقها الحضاري الحالي.

ولا يشك منصف في أن هجوم المستشرقين على الإسلام والتشكيك في العقيدة الإسلامية ونسب القرآن إلى الرسول الكريم كان تمهيدًا وتشجيعًا لأبناء المسلمين للسير في الطريق نفسه، والنظر إلى كل ما هو

موروث - من الناحية الزمنية - على أنه تراث يمكن إخضاعه لمثل هذا النقد والتمحيص بلا خوف ولا وجل، مستخدمين تلك المناهج الغربية والأساليب في الحكم والاستنباط، دون أي التفات لما بين تراثنا وتراثهم من فوارق واسعة وبون شاسع، متجاهلين خصائص هذا التراث وتفرده.

وقد كان طبيعيا أن تلاقي هذه الدعاوى والافتراءات بعض الآذان الصاغية في عالمنا العربي والإسلامي في وقت أُوجدت له فيه بنيته السياسية ومناخه الفكري ومن ثم زُرعت بذور إضعافه والهيمنة عليه بفكر مقلَّد، لأنه عندما يكون الفكر الإسلامي في حالة أُفول - كما وضَّح ذلك مالك بن نبي رحمه الله - فإنه يغرق في التصوف، وفي المبهم، وفي عدم الدقة، وفي النزعة إلى التقليد الأعمى، وفي الإعجاب بما عند الغرب، الأمر الذي يسعى إليه أعداء الأمة جاهدين في تقديم الإسلام الذي يرغبون والنهج الذي يرتضون، من أجل تحقيق مآربهم وطموحاتهم.

وقد أدت سيطرة استخدام تلك الأساليب البعيدة عن فكرنا وغير الملائمة له في الحكم على التراث، إلى بروز اضطراب في مفهومه ومدلوله، وجدل واسع شمل مفاهيم ومصطلحات أخرى مرادفة كالأصالة، ومفاهيم أخرى مقابلة كالمعاصرة والحداثة والتجديد.

إن المناهج التي يتم من خلالها النظر إلى الفكر الإسلامي - سواء كان قديما أو حديثا - يجب أن تنبع من ذاته، مستقلة عن أي مناهج أخرى، لأن للفكر الإسلامي مفاهيم لها ذاتية واستقلال، قابلة لمواكبة تطور الحياة، في حين تظل مضامينها بمنأى عن أي تعديل وتبديل.

وتفرُّدُ المفاهيم الإسلامية وذاتيتُها ينبعان من كون جل الفكر الإسلامي مستمداًمن مصدرين جوهريين هما: القرآن الكريم معجزة الله الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وسُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى. وهذا ما يُعطي الفكر النابع من هذين المصدرين عصمة ليست لغيره، كما أنه ممتد عبر الأزمان، بحيث لا يمكن أن نعده تراثا من الماضي، نأخذ منه وندع حسب ما نشاء.

أما تراث الأجداد المتمثل في اجتهاداتهم وأساليب تفكيرهم ووسائل تأقلمهم مع ظروفهم البيئية، وما أبدعوه في إطار الرؤية الإسلامية للحياة، فهو الذي يمكن إخضاعه للتقويم والانتقاء، على أن يتم هذا التقويم والانتقاء وفق مناهج إسلامية أصيلة، ملائمة ومنسجمة مع الهدف، لا مناهج غربية أو شرقية أُسست على مبادئ معينة، ورُسمت من أجل وضع ومحتوى مختلفين، غير قابلة للمقارنة أو الموازنة بما لدينا على الإطلاق.

إن الجدل الذي يُثار حول مفهومي الأصالة والمعاصرة جدل محسوم من المنظور الإسلامي، إذ يكفي أن نعلم أن الإسلام قد أقر ممارسات كانت في الجاهلية حين وجدها تتفق وجوهر دعوته إلى محاسن الأخلاق.فالمنهج الإسلامي لا يرفض كل ما عند الآخرين، وإنما يخضعه للفحص والتمحيص بناء على أسسه ومنهجه، للحكم على مدى اتفاقه واختلافه مع قيم الإسلام وشمولية نظرته للكون، وهذا المنهج هو الذي صاغ به المسلمون حضارتهم التي أضاءت صفحات التاريخ، وحفظت عطاءات الحضارة الإنسانية على اختلاف روافدها من الانزواء والاندثار، حيث لم يستنكف المسلمون الأخذ من حضارات الإغريق والروم والفرس وغيرهم، مما يعني أن هذا المنهج قادر على استيعاب نتاج الحضارة المعاصرة، وإخضاعه لمضامين العقيدة الإسلامية وقيمها الإنسانية العالية.

وهذا الجدل العقيم الذي انشغلنا به يمثل عائقًا من عوائق تقدمنا، ويقعد بنا عن اتخاذ الوسائل الكفيلة باستخلاص المفيد من تجارب الأمم.

فالترجمة - مثلا - التي تعد قناة للتواصل مع الثقافات الأخرى أُهملت في عصرنا هذا إهمالاً واضحًا، واكتفت المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي بتخريج أجيال تأخذ بأطراف بعض اللغات الأجنبية، دون الغوص في أعماق الثقافات التي تعبر عنها هذه اللغات، ذلك على الرغم من سعة الإمكانات المتاحة في وقتنا الحاضر، مقارنة بما كان متاحًا لأسلافنا الذين قطعوا الفيافي وركبوا البحار بحثًا عن المعرفة.

ولايفوتنا أن الترجمة كانت إحدى وسائل الغرب في اختراق ديار المسلمين، فقد عكف المستشرقون والمنصِّرون على دراسة اللغة العربية، ولم يقتصر أمرهم - كما يقول الأستاذ محمود محمد شاكر - على تعلم اللسان العربي، بل انطلقوا يتعلمون كل لسان كان في دار الإسلام، كالتركي والفارسي، وغيرهما من لغات كانت للمسلمين منظومة، أو في القراطيس مكتوبة.

إن حديثي عن الأزمة الفكرية، وربطها باضطراب المفاهيم التي نتداولها، والجدل القائم حول مصطلحات التراث والتجديد والأصالة والمعاصرة، وغياب دور الترجمة في إثراء ثقافتنا الإسلامية؛ يأتي في ضوء الموضوعات التي يطالعها قارئ «الفيصل» في هذا العدد. وإذا كان القارئ قد لمس قتامة في تصوير واقعنا الثقافي مما يثير شجونا في النفوس، فإن الحديث عن الحج وما يمثله من معانٍ وحكم يسمو بالنفوس، ويبعث على التفاؤل والأمل. فالحج، هذا المؤتمر الإسلامي السنوي الجامع، تتجسد فيه قيم الأخوة الإسلامية الخالصة والمحبة في الله، كما تتمثل فيه معاني الجهاد في سبيل الله.فكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «جهاد الكبير والضعيف والمرأة، الحج» رواه النسائي بإسناد حسن، فالحج إذًا دين وشريعة وعبادة وجهاد، يهذب النفس ويسمو بها حتى ينعكس ذلك على السلوك والمعاملة، وهذا الربط بين العبادة والسلوك هو ما يميز المنهج الإسلامي الذي تتكامل نظرته للحياة، مما يوجب على الأمة تمثله وتطبيقه على أرض الواقع، دون أن يُهجَّن أو يُلفَّق مع غيره من المناهج. وهذا - لاشك - هو الطريق المؤدي لإزالة القتامة التي تكتنف واقعنا المعاصر.

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

طقوس "الحج" عند اليهود



بقلم: د. حسن ظاظا

الحج ـ عند البشر جميعًا ـ هو زيارة جماعية لمكان مقدس، في وقت معلوم؛ بقصد الشعور باقتراب خاص من المعبود الذي يؤمن به القوم. ويربطون هذه الزيارة بذكريات معينة موغلة في القدم، تتصل بالمكان الذي يفدون إليه. هكذا كان الحج ـ ولا يزال ـ عند البشر جميعًا. فقد قدّسوا الأشجار والغابات، والجبال، والأنهار، والآبار، وجعلوا منها أماكن يزورونها جماعات، فيشعرون بالقوة التي يبعثها في نفوسهم العدد الكثير، وبالطمأنينة لوجودهم معًا في موقف عبادة ذات شعائر خاصة، ونظام دقيق. ومن المؤكد أن الإنسان في العصور السحيقة قبل التاريخ، كان يرتاد بقاعًا من الأرض يجد لها رهبة، أو راحة نفسية، أو شفافية روحانية، يحلّق بها في آفاق أسمى من المطالب المادية التي تحاصره. ثم تبلور هذا الشعور في العصور التاريخية القديمة: فالمصريون القدماء كانوا يعتقدون أن آلهتهم الفرعونية تجتمع في معبد «أوزيريس» بمدينة «أبيدوس» في عيد هذا المعبود؛ فكانوا يحجون إليه بهذه المناسبة. وكان الهنود يحجون إلى المعابد الضخمة بجبال الهملايا أو على ضفاف نهر «الكنج»، في «جُمْنَا»، أو «برِنْدابان» أو في مدينة «بَنَارِس» الجليلة القدر عندهم. وفي الصين كانت الجبال المقدسة التي يَـؤمّونها للحج كثيرة، وبخاصة جبال «تاي ـ تشان». وفي اليابان، حيث تلتقي عبادة أرواح الأسلاف بالطقوس البوذية، في تعايش سلمي منسجم، تقوم معابد (الشِنْتُو) ـ أي تقديس الأسلاف ـ مستقلة عن المعبد البوذي ومجاورة له: الأولى تسمى في لغتهم «جِنْجَا» والثانية «أوتيرا». وأماكن حجهم على الجبال العالية، لا سيما جبل «فُوجِي ياما». كما يؤمّون المعابد البوذية في مدينة «نارا» حيث أقسم أسلافهم القدماء على تحرير وطنهم من التبعية لإمبراطور الصين، فأصبح معبدها البوذي مكانا للحجّ. وفي العراق القديم، كانت كل إمارة ـ سومرية أو أكادية في الألف الرابع قبل الميلاد ـ تتخذ لها عاصمة: تل العُبَيد ـ الوَرْكاء ـ أُور ـ إريدُو ـ تل خَلَف ـ نينوى ـ بابل ـ خفاجي ـ أرْبِل ـ كِرْكوك .... إلخ، وكان تخطيط العاصمة يبدأ بمعبد مركزي؛ يمنح المدينة قدسيتها، إذ يصبح حرمًا ومكانًا للحج. وكان هذا المعبد إما مربعًا، إشارةً إلى أن الله هو المهيمن على الجهات الأربع للعالم: الشرق والغرب والشمال والجنوب، وإما بيضاويًا، يذكر بأن الله خالق للحياة، بإرادته تخرج الدجاجة من البيضة، لتنبض بدورها بمشيئته، فتستمر الحياة. وفي كل معبد برج شامخ يسمونه «زِقُّورَة» شكله مُربّع في المعابد المربّعة، ومستدير في المعابد البيضاوية، ينتهي من أعلى بشرفة يرصد منها الكهنة النجوم ـ وكانوا يعبدونها ـ ويعلنون بدايات الطقوس الدينية للحجاج. وهكذا كان الحج في إيران القديمة، وبلاد الحيثيين في آسيا الصغرى، وغيرها من بلدان العالم القديم.

وإذا كان سيدنا إبراهيم عليه السلام قد رفع القواعد من بيت الله في مكة المكرمة، فإنه لم يَرِدْ عنه، حتى في المرويات اليهودية، أنه بَنَى لله تعالى بيتا آخر في فلسطين، بل يقولون: إنه مرّ ببلدة «سالم» وهو الاسم الفلسطيني القديم للقدس فنزل ومن معه ضيوفًا على مَلْكِيصادق (ملك الفلسطينيين) «وقدّم ملكيصادق ملك (سالم) خبزا ونبيذًا؛ لأنه كان كاهنًا لله العليّ، ثم باركه وقال: مبارك أبرام من الله العليّ مالك السماوات والأرض، وتبارك الله العليّ الذي دفع أعداءك إلى يديك» التوراة ـ سفر التكوين ١٤ : ١٨ ـ ٢٠.

الحج عند الساميين

وكان الساميون على اختلاف عشائرهم يحجون إلى أماكن معينة في أوقات معلومة. وكان أهم هذه البقاع المباركة عندهم، الجبال والأشجار والآبار وعيون الماء، فنقرأ مثلاً في التوراة: «وهذه هي الرسوم والأحكام التي أعطاك الرب إله آبائك، لتملكها كل الأيام التي تحيونها على الأرض؛ تقوّضون جميع المواضع التي كانت الأمم التي ترثونها تعبد فيها آلهتها: على الجبال الشامخة، والتلال، وتحت كل شجرة وارفة، وتُهَدِّمون مذابحهم، وتكسّرون أنصابهم وتحرّقون غاباتهم بالنار، وتحطّمون زخارفهم لآلهتم، وتمحون أسماءهم من ذلك الموضع، حتى لا تصنعوا هكذا نحو الرب إلهكم. بَلْ الموضع الذي يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم، ليحلّ فيه اسمه ويسكن فيه، فَتَؤُمّونَه، وإلى هناك تسيرون، حاملين إليه محرقاتكم وذبائحكم وأعشاركم وتقدمات أيديكم ونذوركم ونوافلكم وبكور بقركم وغَنَمكم. وتأكلون هناك أمام الرب إلهكم وتفرحون بجميع ما تمتد إليه أيديكم أنتم وبيوتكم، مما باركّكم فيه الرب إلهكم» (التثنية ١٢ : ١ ـ ٧). ولم ينص الرب ـ لا هنا، ولا في أي نص من كتابهم ـ على هذا الموضع! أما أورشليم فلم يكن اسمها قد أُطْلِق عليها بعد، بل كانت تحمل

اسم (سالم) الفلسطيني ـ كما قلنا ـ ثم سميت (يبوس) باسم العشيرة الفلسطينية التي كانت تسكنها، أما أورشليم فقد بدأ بناءَهَا داود، وأتمها سليمان، كل ذلك بعد موسى بخمسمائة سنة، وهما عند اليهود من الملوك وليسا من الأنبياء، ولا الكهنة!

وكان اليهود ـ أو بنو إسرائيل ـ يجعلون من الأشجار والجبال والتلال وعيون الماء والآبار مزارات يحجون إليها ويتبركون بها، ويبنون عندها معابدهم. جاء في الحديث عن سيدنا إبراهيم في التوراة: وتجلّى له الرب في سنديانة (قَمْرَا) وهو جالس بباب الخيمة، عند ارتفاع النهار. فرفع بصره وألقاه، فرأى ثلاثة رجال واقفين أمامه. فلما رآهم هَمَّ لاستقبالهم أمام باب الخيمة، وسجد إلى الأرض قائلاً: مولاي! إن كانت لي حظوة في عينيك فلا تضرب صفحًا عن عبدك! سأقدّم لكم بعض الماء فتغسلون أرجلكم، وتتكئون تحت الشجرة، وأقدّم كسرة خبز لتسندوا بها قلوبكم، ثم تنصرفون، بعد ذلك، فإنكم لذلك مررتم بعَبْدكم. قالوا: اصنعْ كما قلت! فأسرع إبراهيم إلى الخيمة، إلى سارة، وقال: هاتي ثلاثة أصواع من دقيق سميذ، فاعجنيها واصنعيها خبز مَلَّة. وبادر إبراهيم إلى البقر فأخذ عجلاً حنيذًا طيبا، ودفعه إلى الغلام، فأسرع في إعداده. ثم أخذ زبدا ولبنًا، والعِجلَ الذي كان قد هيّأه، ووضع ذلك بين أيديهم، وهو واقف أمامهم تحت الشجرة، فأكلوا. ثم قالوا: أين سارة، امرأتك؟ قال: هي في الخباء. قال: سأرجع إليك مثل الآن من العام القادم، ويكون لسارة امرأتك ابن. وكانت سارة تسمع عند باب الخباء، وهو وراءه. وكان إبراهيم وسارة شيخين طاعنين في السنّ، يستحيل أن يكون لها ما للنساء. فضحكت سارة في نفسها قائلة: أَبَعْدَ شيخوختي يكون لي تَنَعُّم؟ وبعلي شيخ كبير! فقال الرب لإبراهيم: ما بال سارة قد ضحكت قائلة: أألد وأنا عجوز؟ أهذا على الرب أمر عسير؟ في مثل هذا الوقت من قابل أعود إليك ويكون لسارة ابن (التكوين ١٨ : ١ ـ ١٤).

ولأن التجلي الالّهي، والبُشْرى بإسحْق كانتا عند هذه السنديانة، فقد قدسها بنو إسرائيل وكانوا يحجّون إليها، ويتبركون بها. وهناك أشجار كثيرة حولها أسرار وأسرار: ففي جاهلية العرب كانت العُزَّى شجرة في وادي بطن نخلة، قطعها خالد بن الوليد بأمر النبي ﷺ، كما كانت هناك شجرة أخرى يحج إليها الناس في الجاهلية، وينذرون لها النذور من العقود والحليّ ويوشّحونها بالمنسوجات الثمينة، ويسمونها «ذات الأنواط» لكثرة النذور المعلقة عليها، وقد أزال الإسلام كل تلك العادات. أما بنو إسرائيل فقد ظلوا على الوفاء لمأثورهم الجاهلي، إذ نرى «دبورة» النبيّة في بني إسرائيل، بعد موسى بأكثر من قرنين من الزمان، تتزعم حملة «التطهير العرقي» ضد الكنعانيين ــ وهم أسلاف الفلسطينيين الأُوَل ـ «وكانت دبورة النبيّة، زوجة لَفِيدُوت، متولية قضاء بني إسرائيل في ذلك الزمان. وكانت دبورة تجلس تحت (نخلة دبورة) بين الرامة وبيت إيل (في إقليم نابلس) في جبل إفرايم، وكان بنو إسرائيل يصعدون إليها لتقضي لهم» ـ (سفر القضاة ٤ : ٤، ٥). ونحن هنا أمام الجبل والنخلة والمعبد (بيت إيل) أي (بيت الله). أما العيون والآبار فمن أشهرها «قادش» الذي يدل اسمها المؤابي على تقديسها، واحتفظت به في اسمها بالعربية «عين قديس». ويتصدّر الآبار «بئر سبع» جنوب شرقي غزّة. وكان الساميون القدماء من بني إسرائيل وغيرهم يعتقدون أن هذه البئر «مسكونة» أي تقيم فيها كائنات غير منظورة من الملائكة أو الجن، وأن عددهم سبعة تسهر على عقاب الحانث في يمينه، المتعمد للكذب، فكان عليه أن يذهب مع خصمه إلى تلك البئر، ويدعو على نفسه باللعنات السبع، كأن يموت بلا عقب، وأن يفقد كل عزيز عليه، وأن يصاب في ماله، وصحته، وشرفه، وأن يضرب في الأرض شريدًا، وأن يفقد السمع والبصر والعقل... إلخ، وهذه اللعنات السبع هي التي يحملها اسم «بئر سبع» منذ هذا الزمن البعيد، وورد اسم هذه البئر مرارا في التوراة مما لا يحتاج إلى نصوص تكون أدلة على وجودها، وهي لا تزال موجودة إلى الآن، تحتلها إسرائيل. ومن هذه الآبار التي كانوا يحجون إليها أو تحج إليها عشائر ساميّة أخرى غير اليهود «بئر إيليم» أي بئر الآلهة، في أرض مؤاب (إشعيا ١٥ : ٨). ولا يفوتنا أن نذكر «بئر الحيّ الرائي» بالقرب من الخليل، وقبالة سنديانة قَمْرَا، وكثير من أتقياء اليهود يحجون إليها حتى اليوم، لما جاء في التوراة: وكان بعد موت إبراهيم أن الله بارك إسحق ابنه، وأقام إسحق عند بئر الحيّ الرائي (التكوين ٢٥ : ١١) كما سبق ذكر التبرك بهذه البئر إذ تزوج عندها إسحق من رفقة، قبل موت أبويه إبراهيم وسارة (التكوين ٢٤ : ٦٢).

أما معبد «بيت إيل» الذي أقامه يعقوب في أرض كَنْعَان، بالقرب من نابلس، فقد كان المكان الأول الذي يحج إليه بنو إسرائيل، حتى بعد أن شيد سليمان الهيكل في القدس، ولم يفقد منزلته هذه إلاّ بعد انشطار مملكة سليمان نصفين بعد وفاته: السامرة شمالاً وكانت مملكة معادية لأسرة داود وسليمان في الجنوب، وتسمي نفسها إسرائيل! واستمرت في الحج إلى بيت إيل. أما أسرة يهوذا المنحدرة من داود وسليمان فكانت تحج إلى «الهيكل» في أورشليم، وهو الاسم الذي اشتهرت به منذ سليمان.

أماكن الحج قديماً

كل هذا، ورواة النصوص الدينية عند اليهود، لم يذكروا لنا مكانًا بعينه للحج، كما وعد الله موسى. ولهذا تعددت الأماكن، وكثرت إليها رحلات الحج اليهودي. ويكاد كل موضع يبدأ اسمه بكلمة «بيت» يكون مكان حج وزيارة سابقا أو لاحقا، لله تعالى، أو للأصنام. فمثلا «بيت آون» كان بالقرب من بيت إيل، واختلفت حوله الروايات: أهو يهودي أم وثني؟. «بيت إِصِلْ» في يهوذا، يظن الباحثون أن معناه «بيت الوصول» وهو مذكور في سفر ميخا ١ : ١١. «بيت حور» أي بيت الحجارة، بالقرب من القدس. «بيت هاجَنَّ» وكان يقع بالقرب من نبع اسمه «عين جنيم» أي نبع البساتين، ويظن الباحثون أنه مدينة جنين العربية في الضفة الغربية المحتلة. «بيت لحم» حيث ولد المسيح عليه

طقوس "الحج" عند اليهود

السـلام، بـالقرب مـن القدس، ومعنى التسميـة بيت الخبـز أو المخبـز، وليس المجزر كما يتبـادر من نطق الكلمة العربيـة. «بيت هَاشِطّـة» أي بيت السَنْطة، فهذا معبـد مجاور لشجرة سَنْط مقـدسة (القضاة ٧ : ٢٢). وبيـوت كثيرة كلها وردت في النصوص اليهـودية، أعفيكم من حصرها ووصفها حتى لا يطـول بنا الحديث.

وفي هـذا المعـرض من الكـلام علينـا ألاّ ننسـى كلمـة عبريـة قـديمـة هي «جِلْجَال» وتعنـي الشكل الدائري أو الكـروي، فالجِلْجَـال عندهم هـو عَجَلة العربـة، والدائرة الهنـدسية، ودائرة الفَلَك. والجُلجُلة هـي كل جسم كروي، وتقـابل في بعض استعمالاتها الكلمـة العـربيـة «الجُمْجُمـة». وقـد استعملـوا الجلجال قديما لقطعة من الأرض يرصّون حولها دائرة من الحجارة ويدورون فيها طوافًـا، في طقوس دينية للحج. جـاءت في سفر يوشع بن نـون ٥ : ٩ وكذلك ١٢ : ٢٣. واستعملت في نصوص أخرى من كتبهم للـدلالة على دوّامات الماء أو أعـاصير التراب. ويبـدو أن وصـول بني إسرائيل إلى أمـاكن الحج كـان مصحوبًا برقص جماعي، وموسيقى إيقاعية احتفالاً بالوصول إلى المكان المقدس عندهم، بل كثيرًا ما كانوا يشربون الخمر إلى درجة السكر البَيّن. ففي معبد من تلك المعابد التي كـانوا يَغْشونها حجاجًا، كـانت امرأة من سبط إفرايم تحج مع زوجها، وكانت عـاقرا، واسمها حنّة، وكان ذهـابها للمعبد لتتوسل إلى الله أن يفتح رحمها، ويمن عليها بولد. وكانـت تقوم بهذه الرحلة كل سنة. وذات مرة دخلت «بيت الـرب» ورأت الكـاهن الأكبر، واسمـه «عـالي»، ثم مثلت أمـام الهيكل في المعبد وابتهلت، ونذرت، لو رزقها الله بولد، أن تهبه خادما للمعبد. وكانت حَنَّة تـدعو ودموعها تسيل على خديها بغزارة: «فلما أكثـرت من دعائها أمام الـرب وكان عـالي يراقـب فاها، وحَنَّـة تتكلم في سرّهـا وشفتاهـا تختلجان فقط، ولكن لا يُسمـع صـوتها، ظنهـا عـالي سَكْـرَىٰ. فقـال لها: إلى متى تسكرين؟ أفيقي من خمرك! فأجابت حنة وقـالت: كلاّ يا سيدي! ولكني امرأة مكروبـة النفس، ولم أشرب خمرًا ولا مُسْكرًا، ولكنّي أسكب نفسي أمـام الرب، فلا تُنْـزِلْ أَمتَكَ منزلة بنـات الشيطان، فأنا تكلمت إلى الآن من شـدة ما بي من الحزن والـوجـد. فأجـابها عالي قـائلاً: انطلقي بسـلام! وإلـه إسرائيل يعطيك بغيتك التي التمستِ من لـدنه. فقـالت: لِتُصِبْ أَمتُك حُظْـوةً في عينيك. ثم انصرفت المرأة لحال سبيلهـا، وأكلت، ولم يتغير وجههـا أبـدا. ثم إنهم بكّـروا صبـاحًا، وسجـدوا أمام الـرب، ورجعوا منصرفين إلى منـزلهم بالـرامة» (سفـر صمـويل الأول ١ : ١٢ ــ ١٩). وكانت هـذه بُشرى بمـولد صمـويل، آخـر القضاة، وأول الأنبياء في إسرائيل؛ لأن موسى كـان يُدعَى (رجل الله) أي رسول الله. ونـلاحظ في هذا السيـاق أن المعبد كـان مكانـا للحج، وأن تناول الطعـام وشرب الخمر كـانا من الأمور العاديـة، ولاحظنا أن (سجود الـوداع) قبل رجوع الحجاج إلى ديارهم كان من بين الطقوس الواجبة.

وإذا كانت التوراة قد حرّمت طقـوس الكفّار من تقديس الأشجار والجبال والآبار، فإن هذه البـدع قد عادت بسرعة إلى الانتشـار بين اليهود، حتى ذكرت النصوص التي بين أيديهم وصفًا لهذا الانحراف الذي وقع فيه الملوك والرعية بعد سليمان. ونجـد مثالاً لـذلك في سيرة (آحـاز بن يوثـام ملك يهوذا، في منتصف القـرن السابع قبل الميـلاد، أي بعد سليمان بنحـو قرنين، وبعـد موسى بسبعـة قرون) ــ قال الـراوي: «وكان آحاز ابن عشرين سنـة حين ملك، وحكم ست عشرة سنة في أورشليم، ولم يستقم أمام الرب إلهه مثل سَلَفه داود. بل حذا حذو ملوك إسرائيل (المملكة الشمالية المنشقة) حتى قدّم ابنه قربانا للنار، على حسب أرجـاس الأمم التي طـردهـا الـرب مـن وجـه بني إسرائيل، وذبح وبخّـر، على المرتفعات، والتـلال، وتحـت كل شجرة وارفـة!» ـ (سفر الملـوك الثاني ١٦ : ٢ ـ ٤).

وظل الفساد يستشري في اليهود، فبعد وفاة ملك صالح منهم هو «يوياداع» خلفـه ابنـه يوآش وكـان من الضـالين العصـاة «فأقبل رؤساء اليهـود وسجـدوا للملك، فأقرّهم على ذلك. ثم تركوا (بيت الرب) إله آبائهم، وعبدوا عشتروت وســائر الأصنـام؛ فحـلّ غضبٌ على يهوذا وأورشليم لأجل معصيتهم هــذه. فأرسل إليهم أنبياء ليردّوهم إلى الـرب، وأشهدوا عليهم، فلم يسمعـوا. وفاض روح الله على زكريا بن يـوياداع الكاهن، فوقف أمـام الشعب وقال لهم: هكذا قـال الله، لِمَ تتعـدّون وصـايـا الـربّ؟ إنكم لا تفلحـون؛ لأنكم تـركتم الـرب فتركـكم. فتجمّعوا عليه، ورجموه بالحجارة، بأمر الملك، وفي داخل بيت الرب» (سفر أخبار الأيام الثاني ٢٤ : ١٧ ـ ٢١).

وبيت الربّ المشار إليه هنا هـو المعبد المركزي الذي شيده سليمان بن داود في القدس. وكان داود قد حاز الأرض اللازمة لبنائه، وهمّ بالعمل فيه، ولكنه رأى الرب في المنام ينهـاه عن ذلك، ويأمره بأن ينتظر حتى يـرزق بابن محب للسلام؛ لأن داود كان محاربًـا، وكانـت يده ملطخة بـدماء البشر، كما جـاء في القصص اليهودي، أما ابنـه المنتظر فيكون عهده عهد سلام، ويلتـزم السلام مع جيرانه، ويحرص على السلام دائما؛ ولهذا سيكـون اسمه سليمان. وعمل سليمان بـوصية أبيـه، وبـدأ يفكـر في مشروع معماري ضخم جـدًا، يشمل عـاصمـة المُلك ـ أورشليم ـ بأحيـائها الثلاثـة: الحي الملكي، والحي العسكري والإداري، والحي الديني الذي يتوسطه معبد مركزي يكون قبلة لليهود، وحرمًا يحجون إليه، ومقرّا للكاهن الأعظم، وَمَن حـوله من القضـاة والعلماء ورجال الدين، أمـا الأنبياء ـ وهم كثيرون في بني إسرائيل ــ فلم يكـن لهم مكـان معين، بل كـانت السلطـة الدينية الرسميـة تتجنّبهم وتتوجس منهم خيفة، وتمنعهم من دخول الهيكل، بل تطردهم، وتقتلهم أحيانا كما جاء في كتبهم وفي القرآن الكريم. وإذا كان اليهود ــ خصوصًـا المتعصبين منهم ــ يظنون أن هيكل سليمان هـذا كـان أعجوبـة في الفخـامـة والضخـامـة، والجمال والجلال، فإن السهـولـة التي كـان يتفسّخ بها

ويتشقق، بفعل الزمن أو الجيوش، تثبت العكس. وقد زعموا أن أصل تخطيطه محفوظ في السماء مع أنموذج مجسم له أيضا! وهو كلام عاطفي جميل لا يؤيده الواقع بكل أسف. فالمخطط الهندسي قد وُضع بمشاركة حيرام الفينيقي، ملك صور، وصديق سليمان. وهو الذي كان يشحن المراكب بخشب الأرز اللازم لبناء المعبد، وينصح سليمان بالاتفاق الودي مع الأمراء الفلسطينيين الذين كانوا يسيطرون على الساحل؛ حتى يسمحوا لهذه البضاعة بالمرور عبر أراضيهم، وهو الذي أمّن للمشروع المهندسين والمزخرفين والعمال المهرة، فكانوا يأتون من لبنان بطريق البرّ، ويحدث تبادل العمال الذاهبين للراحة في لبنان والقادمين منه، في منطقة في أقصى الشمال من فلسطين عُرفت باسم (جليل هاجوييم) أي (دائرة الكفّار) ولا تزال تسمى (الجليل) إلى يومنا هذا اشتقاقا من المادة اللغوية التي جاءت منها لفظة (جلجال) التي أشرنا إليها آنفا.

وإذا صدّقنا الإحصاء الذي ورد عن عدد اليهود في (يهوذا)، والآخرين الساكنين في الشمال (إسرائيل) يتبين لنا أن المعبد صغير جدا بالنسبة لتلك الأعداد، إلاّ أن يكون الراوية قد كذب في تلك الأعداد. فقد جاء في سفر صمويل الثاني، الفصل الرابع والعشرين، وتكرر في سفر أخبار الأيام الأول، الفصل الحادي والعشرين، «أن يوآب قائد جيش داود قد كُلِّف بهذا الإحصاء، فكانت نتيجته كما يلي: في الشمال (إسرائيل) ٨٠٠,٠٠٠ رجل، وفي الجنوب (يهوذا) ٥٠٠,٠٠٠ رجل. وحسب الرواية الثانية. في الشمال (إسرائيل) ١,١٠٠,٠٠٠ رجل، وفي الجنوب (يهوذا) ٤٧٠,٠٠٠ رجل. ومنصوص على أنهم مسلحون، وقادرون جميعًا على القتال».

أما المعبد فكان طوله ثلاثين مترًا، وعرضه عشرة أمتار! وكان مقسماً إلى ثلاثة أقسام كل منها ١٠ × ١٠ م٢. فعند المدخل الفناء المكشوف، ويحتوي على مذبح الأضحيات، وحوض كبير من النحاس مرفوع على اثني عشر تمثالاً من الثيران، بعدد أسباط بني إسرائيل، وفي ركن من هذا الفناء فرن لإعداد الطعام. وأما البهو الأوسط فيغطيه سقف يقوم على أعمدة خشبية من جذوع أشجار الأرز المطلية بالذهب، وهي قاعة العامة للصلاة وسماع الوعظ وأداء مناسك الحج، وأما القاعة الثالثة الداخلية فكانت تنقسم إلى قسمين بستارة، فالقسم الأول للكهنة والوعاظ والمنشدين والعازفين بالموسيقى، ووراء الستارة (قدس الأقداس) الذي لا يدخله إلاّ الكاهن الأعظم والملك، وفيه (صندوق العهد) الذي يضم النسخة المخطوطة من التوراة المنسوبة إلى موسى، مكتوبة على صفحات من الجلد أو الرقّ، وعلى جانبيها تمثالان من الخشب على شكل إنسانٍ ملخّص جدا يَخْرُجُ من كتفي كل منهما جناحان صغيران، رمزا لما يسمونه (الكروبيم)، وهي الملائكة الحارسة. وعندما اقتحم الرومان قدس الأقداس هذا ـ وهم من بلد يتقن الفنون التشكيلية ـ كانوا يقولون إن اليهود يضعون في (قدس الأقداس) تمثالين لرأسين من رؤوس الحمير! ويبدو أن الساحة الواسعة الممتدة أمام هذا البناء الصغير كانت تمتلئ بالحجاج اليهود، فقد ذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي عاش في القرن الأول من ميلاد المسيح، في كتاب له عنوانه «حرب اليهود» (٦ : ٩) أن عدد الأضاحي التي ذبحت في حجّ عيد الفصح عام ٦٦ ميلادية بلغ ٢٥٥,٠٠٠ خروف، وكل ذبيحة أكلها عدد من الحجاج، ويفهم من هذا النص أن عدد القادمين لأداء الحج كان يتجاوز المليون بكثير.

هيكل سليمان

وابتداءً من أورشليم وسليمان وبناء الهيكل، أصبح مكان الحج الوحيد لليهود إلى الآن، وإن كان الحجّ عندهم ليس بفريضة ولا ركن من أركان العبادة كما هو في الإسلام، فهو على أكثر تقدير يشبه (العُمرة) عند المسلمين، وقبل الهيكل لم يكن للحج مكان معين، وليست له طقوس معينة، أكثر من الزيارة وبعض الأدعية. ومن هذا المنطلق اكتسبت أورشليم (القدس) أهمية خاصة، لا سيما بعد تدميرها على يد بختنصر البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد، ثم أعيد بناؤها على يد النبيَّيْن العائدَيْن من الأسر في أرض بابل نِحِمْيَا، وعزرا (العُزَيْر) ثم دمرها السلوقيون اليونان، وعمّرها هيرودس الأدومي المعاصر للمسيح، ثم دمرها الإمبراطور الروماني فسبازيان، وابنه وخليفته تيتوس عام ٧٠ ميلادية، وأتم أباطرة آخرون من بعدهما محو كل أثر لليهود في المدينة المقدسة، اشتهر منهم بخاصة الإمبراطور هدريان الذي تخصص في تأمين الإمبراطورية ضد قبائل البرابرة الزاحفة من آسيا وشرق أوربا. وفي تلك الفترة (حوالي عام ١٣٥ م) ثار اليهود في فلسطين بزعامة (بَرْكُوكْبَا) ـ أي (ابن الكوكب) باللغة الآرامية ـ فقرر هدريان أن يدمّر أي كيان يهوديّ في فلسطين، وأصدر أمره بمحو كل أثر يهودي قائم في تلك البلاد، حتى أسماء الأماكن باللغة العبرية أمر بتغييرها، ومحا أورشليم، وسوّاها بالأرض، وأحضر صنماً للإله الروماني (جوبيتر) فنصبه على أطلال الهيكل اليهودي، وأعطى البلدة اسمه الأول (إيليا) ثم اسم معبد الكابيتول في روما حيث تماثيل (جوبيتر)، فأصبح اسمها (إيليا كابيتولينا). وبعد انتشار الدين المسيحي حُذف منها اسم معبد الكابيتول، وصار اسمها الرسمي إيلياء، وهو الاسم المثبت في معاهدة تسليمها لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

هذا المعبد المركزي، الذي ارتفع فصار حَرَمًا للحج، وقبلة للصلاة منذ عهد داود وسليمان، والذي رأينا شذرات من الأحداث الجسام التي تعرض لها على مدى تاريخه الطويل، لم يبق منه إلاّ جزء من جدار، يعرف عند اليهود باسم (الجدار الغربي) وعند سائر أمم العالم باسم (حائط المبكى)، وهو جدار من سور يرجع إلى عهد هيرودس المعاصر لمولد المسيح عليه السلام، وقد كثرت فيه الحفائر والتنقيبات حتى باتت تهدد الحرم الإسلامي المجاور له، وهو المسجد الأقصى وقبة الصخرة ومسجد عمر وقبة السلسلة وساحة المسجد الأقصى، ولم يجد الآثاريون إلا بعض أحجار تحمل كتابات عبرية متأخرة جدا عن عهد سليمان، وعلينا ألاّ ننسى أن حجارة البناء قد يحدث نقلها من أماكن بعيدة لإعادة استخدامها في مبان متأخرة عنها في الزمن، ففي العراق مثلا نجد بين

طقوس "الحج" عند اليهود

وحدات الطوب المحروق (الطابوق) قطعا تحمل أختام المصانع البابلية أو الأشورية بالخط المسماري، صارت أنقاضًا فاستعملها بعض الفلاحين المعاصرين لنا نحن - لا لحمورابي أو أشوربانيبال - في بناء بيته، أو ترميم جداره. ومهما يكن من شيء فإن هذا الهيكل المقدس الذي تشرف بعناية داود وسليمان، قد تعرض على أيدي اليهود أنفسهم لألوان من الإهمال والتدنيس والتنجيس ممّا جعل هدمه على يد بختنصر أو تيتوس أو هدريان رحمة من الله به، كما يأتي الموت إلى مريض ضجّ منه أهله، وتقزز منه الناس، فيريحه ويستره.

وقد رأينا طرفا من استهتار ملك اليهود (آحاز) بالهيكل ومنزلته ومهابته. وهنا مثل آخر، في عهد ملك تقيّ اسمه (يُوشِيَاهُو) وما رآه في هذا الهيكل، ليس من شبهات، بل من جرائم! قال الراوي (سفر الملوك الثاني، الفصل الثاني والعشرون والثالث والعشرون): وكان يوشياهو ابن ثماني سنين حين صار ملِكا، وملَكَ إحدى وثلاثين سنة في أورشليم... وصنع القويم في عينَيْ الرب، وسار سيرة سلفه داود، لم ينحرف عنها يَمْنَةً ولا يَسْرَة. وفي السنة الثامنة عشرة للمَلِك يوشياهو، بعث شافان الكاتب إلى بيت الربّ قائلاً: «اصعَدْ إلى حلقيا الكاهن الأعظم ليحسب النقود التي دُفِعَتْ إلى بيت الرب، مما جمعه حُرّاس الأبواب من الشعب، ويسلّمها إلى أيدي المتولّين للعمل، الموكّلين في بيت الرب؛ فيدفعونها إلى القائمين بالعمل في بيت الربّ؛ لترميم ما تهدّم من البيت؛ إلى النجّارين والبنّائين، ورافعي الجدران، ولشراء خشب وحجارة منحوتة لترميم البيت، إلاّ أنهم لم يحاسبوهم على النقود التي تسلّموها شخصيًا، ومع ذلك فإنهم كانوا يتصرفون بأمانة. فقال حلقيا الكاهن الأعظم لشافان الكاتب: إني وجدت (سِفْر التوراة) في بيت الرب! ودفع حلقيا الكاهن السفر إلى شافان، فقرأه. وعاد شافان الكاتب إلى الملك وأنهى الأمر إلى الملك... ثم قال: وأعطاني حلقيا الكاهن سفرًا. وقرأه أمام الملك. فلما سمع الملك كلام سفر التوراة مزّق ثيابه. ثم ذهب حلقيا الكاهن وأحيقام بن شافان، وعكبور بن ميخا وشافان الكاتب وعسايا - وهو عبد الملك - إلى خُلْدَة النبيّة... فقالت لهم: كذا قال الرب إلّه إسرائيل... إنني جالبٌ شرًا على هذا المكان، وعلى سكّانه، حسب جميع كلام السفر الذي قرأه ملك يهوذا؛ من أجل أنهم تركوني وبخّروا لآلهة غريبة لأجل إسخاطي بجميع ما عملت أيديهم، فاضطرم غضبي على هذا المكان، ولن ينطفئ. أما ملك يهوذا الذي بعثكم لكي تسألوا الربّ فكذا تقولون له: هكذا قال الرب في موضوع الكلام الذي سمعته. من أجل أنه قد لان قلبك، وخشعتَ أمام الرب عند سماعك ما قُلْتُهُ على هذا المكان، وعلى سكانه، عن مآله إلى الدمار واللعنة، فمزقت ثيابك وبكيت أمامي، فأنا أيضا قد سمعتُ... وأمر الملكُ، حلقيا الكاهنَ الأعظم، وكهنة الرتبة الثانية، وحفظة الأعتاب، أن يُخرِجوا من هيكل الرب جميع الأدوات التي كانت مصنوعة للبعل ولعشتاروت ولجميع كواكب السماء. فأحرقها خارج أورشليم في أرض قدرون، وحمل رمادها إلى بيت إيل. وقتل كهنة الأصنام، الذين أقامهم ملوك يهوذا، ليبخّروا على المرتفعات في مدن يهوذا وحول أورشليم، والذين كانوا يبخّرون للبعل وللشمس والقمر والبروج ولكل كواكب السماء، وأخرج عشتاروت من بيت الرب، إلى خارج أورشليم إلى وادي قِدْرُون، فأحرقها في وادي قدرون، وسحقها غبارًا، وذرّى غبارها على قبور بني الشعب. وقوّض دُورَ المخنثين في بيت الرب، حيث كانت النساء ينسجن خيامًا لعشتاروت. وأخرج جميع الكهنة من مدن يهوذا، ونَجّسَ المشارف حيث كان الكهنة يبخّرون من جَبْع إلى بئر سبع»... وَأَقِفُ بالنص عند هذا الحدّ تجنبًا للإطالة، مع ملاحظة أن ذلك كله قد تمّ أثناء عيد الفصح اليهودي، وهو أهم موسم عندهم للحجّ. وكان اليهودي إذا هنأ صاحبه بالفصح يقول له: العام القابل في أورشليم! كأنه دعاء له بالحج وزيارة المدينة المقدسة، ولكنّ الصهيونية خلعت على هذه الأدعية التّقية ما شاءت من معنى سياسي استيطاني. أما يوشياهو فإنه كان يحرق في النار الأصنام وكهنتها ومومساتها ومخنّثيها، وما حولها من أدوات وأشياء، ثم يذرّي رمادها على قبور الشعب مرة وعلى قبور أسلافه أخرى، ليحمّل المسؤولية عن هذا الفساد لليهود جميعا، شعبًا وحكومة.

مواسم الحج

ومنذ ذاك الوقت أصبحت مواسم الحج عند اليهود موازية لأعيادهم، وهي ثلاثة:

١ - الفصح، ويقع في فصل الربيع، ومدته سبعة أيام تبدأ يوم ١٥ نيسان في التقويم اليهودي.

٢ - عيد الحصاد أو الأسابيع (شبوعوت)، ومدته يوم واحد، ٦ من شهر سيوان اليهودي، ويقع في أوائل الصيف (يونية).

٣ - عيد الظُلَل (سوكوت)، ومدته ثمانية أيام، ويأتي في الخريف (أكتوبر)، وتبدأ يوم ١٥ تشري اليهودي. ويسمون هذه المواسم «الثلاثة الاعتيادية» يستحب فيها الحج، لاقترانها بالكثير من الصدقات.

وبعد فقد رأينا أن أماكن الحج تتغير مع الزمن، فإبراهيم عليه السلام كان يقيم عند سنديانة قمرا، بالقرب من مدينة الخليل، ثم توقف يعقوب عند جبل جرزيم بالقرب من نابلس، وبنى هناك معبدًا اشتهر باسم «بيت الله» وبالعبرية (بيت إيل) فصار حرمًا له وللأسباط. وتوقف موسى عند نبع عين قديس (قادش) فصار مكان حج أيضا، وتبرك اليهود بنخلة دبورة النبية، وبجبل سعير في إقليم غزة، ثم بقبور السلف الصالح في الخليل إلى أن تمّ تشييد هيكل سليمان بالقدس. ومع ذلك ما زال اليهود يحجون إلى قبر العُزير في العراق، وقبر المتصوف اليهودي أبي حصيرة في دمنهور، وقبر فقيههم عَمْرَامْ في المغرب بالقرب من وزّان، بل قبر المتصوف بَعَلْ شِمْ طُوف في فلنيوس بليتوانيا!

الفصل والإلزام

في رحلة عباد الرحمن

محمد مرسي محمد مرسي

الحج من الأركان الخمسة التي قام عليها بناء الإسلام، التي هي في حقيقتها أسس تربوية، تحكم سلوك المسلم، وتقود تصرفاته نحو الرشد والسداد، وقد أشارت هذه الآية الكريمة:

﴿إنَّ أوَّلَ بَيتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذي ببكّةَ مُبارَكا وَهُدًى لِلعالَمِين. فيه آياتٌ بيّناتٌ مَقامُ إبراهيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِنًا وَلِلهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ البَيتِ مَنِ استطاعَ إليهِ سَبيلاً وَمَنْ كَفَر فَإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾[1]. قلتُ: أشارت هذه الآية الكريمة إلى قيمة هذه الفريضة عن طريق ما فيها من قوة الإلزام. هذه ناحية، ومن ناحية أخرى ما فصّلته الآية بشأن المكان الكريم الذي دعيت الأمة المسلمة لكي يحج مستطيعها إليه.

أما قوة الإلزام فتبدو في قوله تعالى: ﴿ولله على الناس﴾. ومعنى هذا الإشعار من أول الأمر أن الغاية العظمى من هذه العبادة هو الله، فهي سعي إليه، وهجرة إلى بيته، وطلب لمرضاته، ثم إن التعبير بقوله تعالى: ﴿على الناس﴾ يحمل أقوى درجات الإلزام، نفهم هذا من العلو من لفظ «على»، ومن الشمول من لفظ «الناس».

وإذا كان الإلزام على المستطيع وحده، فإن قيام هذه الفريضة، واستمرارها على امتداد التاريخ الإسلامي حق على المسلمين القادرين جميعا. ثم تختم هذه الآية ببيان واضح المدى لما يتورط فيه القاعدون عن هذه الفريضة مع القدرة عليها من آثار كبار، تجعلهم في صف الجاحدين لنعمة الغنيّ الكريم، وفي هذا بيان لقوة الإلزام ليس بعده بيان.

أما الجانب الآخر وهو ما فصّلته الآية الكريمة عن المكان الكريم، فقد ذكرت في شأنه جملة من الصفات، وعددًا من الخصائص نجملها فيما يلي:

أولها: إنه أوّل بيتٍ وضع للناس، وأول مكان أقيم لعبادة الله وحده، وبناؤه يمثل مرحلة مهمة في تاريخ الرسالات السماوية، إذ قبل بناء الكعبة لم يأتِ في القرآن الكريم حديث عن دُوْرٍ للعبادة أقيمت في عصور الرسالات السابقة، وهذا أمر له مغزاه الكبير ومعناه العظيم. وأولية البيت تجعل له مكانة يستحق لأجلها أن يشدّ المؤمنون رحالهم إليه مِن مشارق الأرض ومغاربها.

وهو بهذا القِبلة الأولى للمسلمين، وهو القِبلة الأخيرة أيضا، وما كان التوجه لبيت المقدس إلا لفترة محدودة، من أجل غاية مقدورة، قال تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ التي كُنتَ عَلَيها إلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتّبِعُ الرسولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾[2].

ثانيها: إنه مبارك، والبركة خير ونماء، وفضل واسع المدى، متعدد الأنحاء، فالبركة فيه وفيمن حوله، وفي كل من هو منه بسبب، وذلك أمر يختص الله به من شاء من الناس، وما شاء من الأماكن والأزمان. فمن يأوِ إلى كنفه يَجِدِ الأمنَ السابغ، والنعمة الوارفة، والخير الميسور، عاش في رحابه آلاف العلماء على امتداد التاريخ، وكتبوا في ظلاله المصنفات النافعة في علوم الدين والدنيا.

وعلى قدر هذه المكانة فإنه من ينحرفْ عن منهج الخير في رحابه، فيظلم أو يجور، أو يثير الشغب، أو يفعل ما يؤذي أو يسيء مما يتنافى مع وقار البيت وأمنه يَبُؤْ بأوزار كبار. وآثام بالغة، لقوله جل شأنه: **﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيه بإلحادٍ بِظلمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أليم﴾**[3].

ثالثها: إنه مصدر إشعاع، ومنار هداية، في ظلاله نجد التاريخ المشرق لأمة التوحيد، منذ أقامه إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، ومن حوله انطلقت دعوتهما إلى الحنيفية السمحة، والتوحيد الخالص، وقامت أمة مسلمة ترعى الدعوة، وتقوم بالرسالة، حتى إذا طال بها الأمد، انزلقت إلى الشرك واتخذت لله الشفعاء والوسطاء، وأصيبت في أخلاقها وأعرافها، وأذن الله بعودة هذه الأمة إلى الحنيفية الصادقة، وتحققت لهم دعوة أبيهم إبراهيم، فتفجرت في رحاب البيت ينابيع الرسالة الخاتمة، تُلقي على أنحاء الجزيرة العربية إشعاعاتها الهادية، ومنها إلى المشارق والمغارب.

رابعها: ما فيه من آيات بينات هي مقام إبراهيم مِن حوله، وهي مقامات صدق، ومواقف يقين والتزام، وصبر وابتلاء، وأمة تقوم، ورسالة يُهيَّأ لها قبل مجيئها بعشرات القرون.

فمقام إبراهيم موقف للمثل، ومحور للذكريات والعبر، التي من شأنها أن تدعم الإيمان، وتعزّز اليقين عندما يعايش الإنسان ما سطرته أحداث التاريخ عن النبي الخليل حول البيت من ابتلاء وفداء.

ومن هنا حث القرآن الكريم الحجاج والمعتمرين على شعيرة لا ينبغي لهم أن ينسوها، وهم يثوبون إلى البيت طائفين، قال سبحانه وتعالى: **﴿وإذْ جَعَلْنَا البيتَ مَثَابةً لِلناسِ وأَمْنًا واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبراهيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إلى إبراهيمَ وإسماعِيلَ أنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ والعَاكِفِينَ والرُّكَّعِ السُّجود﴾**(٤).

خامسها: الأمن، وهو مِن أخصّ خصائص هذا البيت، ولأجل هذه الميزة التي سعدت بها قريش دون سواها من قبائل العرب، عاتبهم الله لموقفهم من الرسالة الخاتمة، وكان الأَوْلَى لهم، وقد نعموا في رحاب بيت الله بما لم ينعم به سواهم أن يكونوا أول من آمن، فقال جل شأنه: **﴿وَقَالُوا إنْ نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِن أَرْضِنا أَوَ لَمْ نُمَكِّن لهم حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إليه ثَمَرَاتُ كُل شيءٍ رِزقًا مِنْ لَدُنَّا وَلكنّ أكثرَهُمْ لا يَعْلَمُون﴾**(٥). كما قال سبحانه وتعالى: **﴿لإيلاف قريش. إيلافهم رحلةَ الشِّتَاءِ والصَّيف. فَلْيَعْبُدُوا ربَّ هذا البيتِ. الذي أَطْعَمَهم من جوعٍ وآمَنَهُمْ مِنْ خَوف﴾**(٦).

والأمن يظل مرتبطًا بهذا البيت ما دام الناس حوله محافظين على مبادئ الدين، مستمسكين بمُثُله وقيمه، فإذا ضيّعوا وفرّطوا، ولم يرعَوا حرمة هذا البيت ضاعت منهم النعمة، وذهب عنهم الأمن. وقد حلت بقريش إبان عنادها وبَغيها سنواتٌ عِجاف كسني يوسف، وذكرهم رب العالمين فقال سبحانه وتعالى: **﴿وَضربَ اللهُ مَثَلاً قريةً كَانت آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزقُها رَغَدًا مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَها الله لِبَاسَ الجوعِ والخَوْفِ بما كَانُوا يَصْنَعونَ. وَلَقَد جاءَهُمْ رَسولٌ منهم فَكَذَّبوه فَأَخَذَهم العذابُ وَهُمْ ظَالمون﴾** (٧).

وأعود فأقول: من هذه الجوانب التي ذَكَرَتْها الآية الكريمة لهذه العبادة العظيمة، سواء من ناحية الالتزام أو من ناحية شرف المكان، تتأكد لنا حقيقة لا بد من تجليتها، هي أن هذه العبادة تتميز من سائر العبادات بأمرين:

أولهما: إنها هجرة إلى الله، تبتلي جانبًا مهمًّا من الإنسان، هو حبُّ الوطن، ومسقط الرأس، وملتقى الأهل والولد، ومستودع المال والنشب، ومثوى الذكريات ومعقد الآمال والأماني، وهذه أمور تشد الإنسان إليها بأسباب وثيقة، وتجذبه نحوها عاطفة قوية جارفة مشبوبة، ولمثلها رفع بلال صوته، وقد نالت منه حمّى يثرب، يذكر مكة ومعالمها، ويأسى على شامةٍ وطفيل، والإذخرِ والجَليل فيقول:



ألا ليتَ شِعري هل أبيتَنَّ ليلةً ... بوادٍ وحولي إذْخرٌ وجليل
وهل أرِدَنْ يومًا مياهَ مَجَنَّةٍ؟ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شامةٌ وطَفِيل(٨)

فإذا قرر المسلم السفر يبتغي بيت الله الحرام، حاجًا إليه، فمعنى هذا أنه على طريق الهجرة، هجرة يهجر فيها كل شيء لوجه الله: يترك الأرض والوطن، والأهل والولد، والمال والسلطان، يعطي ظهره لهذا المتاع الزائل كله يقبل على الله وحده، ليس له غاية سواه، ولا يرجو إلا إياه، فهي فترة ينصرف فيها المرء تماما عن دنياه، معرضًا عن بيته بأثاثه ورياشه، مقبلاً على بيت الله، خاشعًا ومنيبًا، طائعًا وضارعًا، قائمًا وساجدًا، عاكفًا فيه، ولائذًا به، يتحمل في سبيل هذه الغاية الكبيرة ما





يتحمل من جهد وعناء، ومشقة وبلاء، في طوافه وفي سعيه، وفي موقفه بعرفة، وفي إفاضته من منى، وفي تقديم الهَدْي، ورَمْي الجمار وكل ذلك محبب إليه، وعلى لسانه هذا الدعاء الذي علّمنا رسول الله ﷺ إياه: «اللهم إني اسألك في سفرنا هذا البرّ والتقوى، ومن العمل مَا ترضَى، اللهم هَوِّن عَلَينَا سَفَرَنَا هذا، واطْوِ عَنَّا بُعْدَه، اللهم إنَكَ أنتَ الصَّاحِبُ في السَّفَر، والخَلِيفَة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاءِ السَّفَر، وكآبةِ المَنْظَر وسُوءِ المُنْقَلَب في المالِ والأهل»(٩).

فماذا في الهجرة أعظم من هذا وأكرم؟!

ولأجل هذا كان ثواب هؤلاء المهاجرين كبيرًا، وأجرهم عند الله عظيمًا؛ لما تحقق في سلوكهم من الهجرة بكل صورها، سواء الهجرة بالجسم سَفَرا وارتحالا، أو رفضًا للقبائح والمنكرات وإعراضًا عنها. قال في شأنهم رب العالمين:

﴿الحجُّ أشهرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فيهِنَّ الحجَّ فلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدَالَ في الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فإنَّ خيرَ الزادِ التَّقْوَى واتَّقُون يا أولي الألباب﴾ (١٠).

أما الأمر الآخر [الثاني]: فإن هذه العبادة تتميز بمعنى التجرد، والتجرد في الحج واقع مشهود، وشعيرة مُحسَّة، وهو المدخل الكريم لهذه العبادة، شأن تكبيرة الإحرام في الصلاة، فلا حَجّ بلا إحرام. وما الإحرام؟ هو أن تتجرد تمامًا من ثياب الزينة والمتاع، وتلبس ثوبًا غير مخيط، أو غير محيط، هو أقرب إلى ثياب من استوفوا حياتهم الدنيا، وأعطوا لها ظهورهم، أعني كأكفان الموتى، الرؤوس حاسرة، والمناكب عارية، والأنفاس لاهثة، والألسنة داعية، والقلوب في شغل عن الدنيا ونعيمها.

ولو أنعمنا النظر نجد أن التجرد جاء بعد التطهر، ثم تتلوه صلاة يعلن بعدها الحاج رحلته إلى الله قائلا: «لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إنّ الحمد والنعمة لك والمُلك لا شريك لك».

ولا يكفي في هذه العبادة التجرد الظاهري، بل لا بد أن يصاحبه تجرد في العقيدة، وتجرد في السلوك. أما التجرد في العقيدة فيكون بإخلاص العبودية لله وحده، وألا تجعل في وجدانك حسابا لغيره وأنت لائذ برحاب بيته، وأن تجعل هذا التجرد مِنهاجًا لك بعد عودتك إلى وطنك، فلا تطوف حول القِباب، ولا تُقَبِّل الأعتاب، ولا تستعين إلا بمن هو آخذ بناصية المخلوقات جميعا.

ومن هنا تحرر هذه العبادة وجدان الإنسان من الذلّ والخضوع لغير الله.

وأما التجرد في السلوك فيكون بالتزام منهج الإيمان في التنائي عن اللغو، والتعفف عن بذيء القول، وسيِّئ الفعل، والابتعاد عما يؤذي الآخرين، ويُوقع الضرر بهم، أو يكون سببًا في فزعهم وترويعهم، سواء في ذلك الإنسان أو غيره من الكائنات.

اللهم أكرمنا ووفقنا إلى هذه الهجرة الكريمة وأمي الحنونة، وجميع المسلمين.. إنك على كل شيء قدير.

الهوامش:

١ ـ سورة آل عمران ٩٦ ـ ٩٧.
٢ ـ سورة البقرة/ ١٤٣.
٣ ـ سورة الحج/ ٢٥.
٤ ـ سورة البقرة/ ١٢٥.
٥ ـ سورة القصص/ ٥٧.
٦ ـ سورة قريش/ ١ ـ ٤.
٧ ـ سورة النحل/ ١١٢، ١١٣.
٨ ـ راجع تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٢٩. والإذخر نبت طيب الرائحة. وشامة وطفيل: جبلان بمكة.
٩ ـ أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
١٠ ـ سورة البقرة/ ١٩٧.

شِعْرُ الجاهِلِيَّة
مَعالِمُ رُؤيةٍ حائرةٍ لِلعالَم

المختار حسني

من الأمور المعروفة أن الشعر العربي قد مر بمراحل تطور طويلة قبل أن يستقر على هذه الصورة المستوية التي يطالعنا بها في زمان الجاهلية . ولا يملك الدارس حول هذه المراحل إلا الافتراض[١] على أساس ما وصلنا عن طريق الرواية . ولذلك فإن استواءه كان - ولا يزال - أكبر عائق في سبيل فهمه ، وتذوقه بما يليق به بوصفه رصيدا فنيا معبرا عن تطور حضاري قديم ، له أثره في تشكيل ملامح أية ولادة حضارية جديدة .

والاستواء إنما كان عائقا بسبب من طرح هذا الشعر، على مستوى الظاهر والباطن، لركام من القضايا والنتائج دون مقدمات واضحة، فأضحى البحثُ فيها، واستكناه أغوارها محفوفا بالمزالق التي تؤثر سلبا في شخصية الأمة، وهي تتفاعل مع المراحل التاريخية، إذ تعمل من جهة الفن بوسائل غير صالحة يتبع فيها الخلف السلف، وتغذيها الحركة الاستشراقية وأتباعها، فترسخ في الأذهان صورة واحدة مكرورة لهذا الشعر. وقد كانت، عموما، صورة غير مشرقة (على مستوى الدراسات) رغم هذا التأثير الذي كان له على مستوى الإبداع والممارسة .

والمتلقي القديم خبير في الغالب بمواطن الجمال والقبح، ومواطن القوة والضعف والصواب والخطأ، وما بين ذلك من درجات مفترضة في شعر حي، أو شاعر، أو في قصيدة، أو في بيت واحد. ولكنه لا يكاد يفصح عن سر إعجابه، بل وقف في كثير من الأحيان عاجزا إزاء قوة الشعر الآسرة، فلم يسعه إلا أن يصف موضع إعجابه بأحكام قيمة مغرقة في العمومية، كأن يقول عن القصيدة: هذه سمط الدهر، وعن البيت: هذا أشعر بيت قالته العرب، وعن الشاعر: أشعر الناس، أو أشعر الجن والإنس. . . إلخ، حتى إن العربي القديم بذاته تندر علىٰ نفسه حيث يصدر هذه الأحكام؛ «أُنْشِدَ مروان بن أبي حفصة يوما لجماعة من الشعراء وهو يقول في واحد بعد واحد: هذا أشعر الناس، فلما كثر ذلك، قال: الناس أشعر الناس»[٢]!

ولم يكن الشعر بعد من وسائل الترفيه والإمتاع، أو التكسب والإقناع كما صار إلى ذلك كثير منه في فترة من العصر العباسي[٣]، وإنما كان يسري في دماء القوم، وتنبض به قلوبهم نبضا، أي إنه كان ضرورة من ضروريات الحياة[٤]

ومما هو مشهور من أخبار تعامل العرب مع الشعر، احتفال القبيلة بنبوغ شاعر، واحتماؤها بشعرائها، وخوفها، وخوف الأفراد والجماعات من الهجاء: «ويبلغ من خوفهم من الهجاء، ومن شدة السب عليهم، وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب، ويسب به الأحياء والأموات؛ أنهم إذا أسروا الشاعر، أخذوا عليه المواثيق، وربما شدوا لسانه بنسعة، كما صنعوا بعبد يغوث بن وقاص الحارثي حين أسرته بنو تميم يوم الكُلاب، وهو الذي يقول: [من الطويل].

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ
أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطلِقُوا مِنْ لِسَانِيَا»[٥]

ولم يكن هذا كذلك إلا لقوة البيان والتبيين لديهم، ولقربهم من الفطرة، حيث الإدراك الوجداني والخيالي الكلي للعالم لما يزل على أشده، والشعر يومذاك لا يزال مرتبطا بالتعاويذ، والسحر، والعرافة، والجنون[٦].

هذا الاعتقاد إن صح من هذه الجهة ــ وهو صحيح إن شاء الله - فإنما يدل على أن العرب، مثلهم كمثل سائر الأمم، مروا هم أيضا بمرحلة غلب فيها الوجدان والخيال في رؤيتهم للعالم. فتعاملوا مع الشاعر عارفا؛ لأنه «يشعر ما لا يشعر غيره: أي يعلم»[٧]وأسلموا له القياد وهو فيهم ومنهم ليحكم الربط فيما بينهم، وبين النفوس وما يحيط بها، بروابط، من التفاعل والانسجام، تفضي إلى أقصى درجات الإحساس والتخيل، وأدنى درجات المنطق والتعقل، كلما توغلنا في التاريخ. وتلك سمة من سمات الشعر التي كان كل إنسان قديم ضاربا فيها بسهم، إلى أن نما العقل وتجبر، فانتهك حرمات الشعر، وأعمل مبضعه فيه يشرحه، فما كان إلا أن قتله لوقت طويل، قبل أن يكتشف حدود

○ القول بأن العرب كانوا عاجزين عن التأمل، مفككي العقول، يتناقض مع فهمهم للقرآن الكريم، وانتزاعه إعجاب مشركيهم.

مهمته[٨]ــ خاصة على مستوى القراءة ــ فكانت صورة الشعر العربي، كما قدمت لنا في كثير من القراءات القديمة والمعاصرة، صورة ناقصة، فقيل لنا إن الشعر العربي ذاتي بطبيعته، منغلق على نفسه، غنائي، يتغنى فيه الشاعر بعاطفة مفردة؛ هي بكاء، أو حزن، أو فخر، أو مدح أو هجاء[٩]. . . لا يجاوز ذلك إلى ما سواه؛ لأن قائله ـ حسب هذا الزعم ـ إنسان بدوي ساذج، لا يميل إلى التأمل والتعقيد في الأمور، وعقله لا يكاد يستقر على واحد منها، فهو ينتقل من غرض إلى آخر، في القصيدة الواحدة، دون رابط[٩]، وأنه لا يُعنى في القصيدة إلا بوحدة البيت، ولا يستعمل خياله إلا لماما، في نطاق محدود، وبكثير من السطحية، التي فرضتها عليه طبيعة بيئته الخيالية مما يلهبُ هذا الخيال، من الغابات الكثيفة، والأدغال، والجبال الشاهقة[١٠]. . .

كل ذلك بخلاف اليونان الذين تفوقوا في هذه الأمور جميعها، فتخطوا المرحلة البدائية (الغنائية)، إلى مرحلة أشمل، وأعقد، عالجوا فيها المشكلات الإنسانية الكبرى، بطريقة متقدمة، مبنية على أساس الصراع بين المتناقضات، فمن الهجاء إلى الملهاة، ومن المديح إلى المأساة، حيث تناول الشعر (المسرحي) المجتمع بالنقد، وتصويرِ الصراع بين الخير والشر في مختلف مظاهره: «إن العقلية الإغريقية منذ أن بدأت تتجلى عبر أطوار حضارتهم، عقلية درامية بالدرجة الأولى، وهذا يعني أن بذور الدراما موجودة في طريقة تفكيرهم، وأسلوب حياتهم ورؤيتهم الأشياء»[١١]، وبناء عليه، فهم أنضج من قدماء العرب تفكيرًا وإبداعا، وأوربا الحالية، الآخذة عن اليونان، أفضل من عرب اليوم الآخذين عن عرب الأمس. فلا يمكن الخلاص إذن ـ حسب هذا التحليل ـ إلا باتباع خطاها لا في الأدب فحسب، بل في سائر المجالات.

على أن اليونان لما صوروا ما صوروه من أوجه الصراع بين الإنسان والقدر، وما صاغوه حول هذا الصراع من الخوارق، وتَدخُّل الآلهة وأنصاف الآلهة[١٢]. . . ، حقيقةٌ لا ترد ولا يماري فيها أحد، إلا أنها ــ لاختلاف الشعوب في مقوماتها ـ لا تلزم أحدا بأن يتبع الطريقة نفسها في طرح الإشكال ومعالجته، لأنه من المفترض بدءا، أن طبيعة الإنسان جد معقدة، وأن استفادته من بيئته واستغلاله لعناصرها ـ مهما بدت هذه البيئة شحيحة ــ قد يكون استغلالا يفوق تصور الدارس ويخدعه؛ لبعده عنها، ولاستخدامه أدوات غير مستمدة منها، وبعبارة أخرى، تكون رؤية الدارس هنا في أحضان أدغال اليونان وجبالها أسيرة لها لا ترى ما وراءها. من هذا كان التسليم بالسطحية، وتعدد الأغراض الدال على تفكك القصيدة، وندرة الخيال. وغير هذا، أمرًا إعادةُ النظر فيه مشروعة، خاصة وأنها تتماشى ومستجدات العصر في سائر المجالات، هذه المستجدات التي تعين على فهم وتذوق الشعر العربي القديم، بعيدًا عن الاكتفاء بالأحكام القديمة القاصرة، وبعيدًا عن الانبهار المعشي للبصيرة.

فإذا كان اليونان في طرحهم لإشكال الصراع بنوع من التطور والنمو، ـ إذ صوروا في البداية قلقهم الوجودي من مسألة الحياة والموت بجعل الإنسان ضحية للقدر في مسرحيات **اسخيلوس**[١٣]، ثم تمجيده في حالتي انتصاره وانهزامه أمام هذا القدر في مسرحيات **سوفوكليس**[١٤]، ووجدوا الحل أخيرا في مسرحيات **أوريبيدس**[١٥]، بنقل هذا الصراع إلى عالم الأرض[١٦] إذا كان الأمر كذلك ـ فإن العرب ـ ونحن نفترض وجود هذا القلق في شعرهم ـ قد وقفوا عند مجرد القلق، ولم يتجاوزوه؛ فكانوا ـ كما أزعم ــ أعقل، وأرشد من اليونان، الذين حلوا مشكلات وجودية حسب هواهم، فيصير التساؤل: **ترى لماذا لم يفعل اليونان كما فعل العرب؟ ولِمَ لَمْ يخترعوا مثل أوزانهم ويصنعوا مثل أغراضهم. ؟ فوقوف العرب عند هذا الحد، المتسم بالحيرة والعجز عن التفسير ـ إلا في حالات خاصة ـ والتوق إلى إيجاد الحل السليم؛ هو الذي يفسر نزول رسالة الإسلام فيهم، إذ خاطبتهم بلسانهم لينقلوا طاقة التأمل الحائر في مسألة الحياة والموت، إلى ما هو أجدى وأنفع، وليكونوا هم حملة الرسالة الأوائل؛ لما أوتوا من قوة البيان، ونضج الكيان، وإلا فكيف يستقيم أن يشهد القرآن الكريم للعرب بالبيان**[١٧]، ويقول عاقل بعد ذلك بخلافه؟ أو كيف نوفق بين القول إن العرب كانوا سذجا، مفككي العقول والتفكير، عاجزين عن التأمل العميق، وبين قولنا إنهم فهموا القرآن الكريم، وانتزع إعجاب مشركيهم الذين عرفوا مدى خطره على مصالحهم فطفقوا يتوسلون السبل إلى اتقائه بكل ما أوتوا من مكر[١٨]؟

وعليه، فإن الاعتقاد الذي كان ـ ولا يزال ــ عند بعضهم ـ حول سذاجة شعر الجاهلية ـ اعتقاد يدل في الحقيقة على سذاجة المتلقي، وانخداعه بالأحكام الجاهزة، والأفكار المسبقة، وشيء غير قليل من التعالي والعجب، وعلى أن أحكام القدماء في هذا المجال، ودراساتهم للشعر، لا يعقل أن تتعرض لأي طعن، باعتبار أن لها ما يبررها. إذ كثيرًا ما دُرس الشعر دراسة غير شعرية؛ لأسباب وعوامل موضوعية متعددة. أولها الاستعانة به لاستنباط الأحكام من القرآن الكريم، مما جعل البحث عن الحكم والمعنى المبني على المنطق والتقصي العقلي، طاغيا على الناحية الفنية، مقصيا لجوهرها[١٩] وهنا يجب التنبيه:

ـ **أولا: إلى أنّ الشعر كشعر يمارسه العربي، ويعده من ضرورياته**. فلم يكن إذًا محتاجا لأن يسجل شيئًا يعد من نبضات قلبه من جهة، ومن جهة أخرى،

شعر الجاهلية
معالم رؤية حائرة للعالم

فإن الوسائل التي تتيح له الإطناب في توضيح أثره، خاصة في البدايات، لم تكن متوافرة لديه بعد، وإن كنا لا نعدم أقوالا موجزة نافذة حيال الشعر في تأثيره والتأثر به.

ـ ثانيا: إلى أن الشعر كوسيلة مسخرة لفهم ما هو أفضل منه في سبيل تشييد المجتمع الإسلامي، وبنائه وفق المنهج الرباني الذي ارتضاه لعباده. مع العلم أن هذا لا ينفي ذاك البتة، بقدر ما يدعمه، ويعطيه فرصة انطلاقة جديدة، بعد أن كان يدور في حلقة مفرغة، يلوك فيها الهموم نفسها.

وسنحاول، في المرحلة التالية، أن نتحدث عن بعض هذه الهموم التي أراد الإسلام من الإنسان العربي تجاوزها على مستوى الواقع، ثم على مستوى الشعر، فاستطاع في الأول ما لم يستطعه في الثاني. ولكل ذلك أسباب وعوامل ذكرها القدماء والمحدثون، فمنهم من أصاب وأنصف، ومنهم من ظلم وأجحف.

وحديثنا عن هذه الهموم، سيكون مشفوعا بنظرات في معلقة امرئ القيس، التي نعدها ـ في الوقت نفسه ـ تشكل وحدة متماسكة يصح معها الابتداء في القراءة من أي بيت كان «فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، وباينه في صحة التركيب، غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه، وتعفي معالم جماله»(٢٠) مما يجعل قراءة النص القديم قراءة أكثر انفتاحا، وأساس مشروع لقراءات مستقبلية أكثر تعقيدا ومن ثم أكثر ترسيخا للذات العربية الإسلامية الأدبية بصفة خاصة.

قال امرؤ القيس وقد وصف فرسه بأجل الصفات(٢١):

كَأَنَّ دماءَ الهادِياتِ بِنَحْرِهِ ... عُصارَةُ حِنَّاءٍ بِشيبٍ مُرَجَّلِ

وفي البيت تشبيه تمثيلي: طرفه الأول نحر الفرس المخضب بالحناء، وطرفه الثاني شيب مخضب بالحناء مرجّل. وإذا نحن وقفنا عند الغرض القديم للتشبيه، الذي هو هنا بيان حال المشبه، لقلنا مع **الزوزني**: «شبه الدم الجامد على نحره من دماء الصيد، بما جف من عصارة الحناء على شعر الأشيب، وأتى بالمرجل لإقامة القافية»(٢٢)، ووجه الشبه ـ طبعا ـ هو الحمرة. غير أن هذا في الحقيقة ليس إلا مرتبة أولى من المعنى، تتبعه معان أخرى سنحاول تقصي بعضها.

فامرؤ القيس لما صرح بالدماء، خص دماء الهاديات دون غيرها، ويذكر الهاديات في مَكان آخر:

فَأَلْحَقَه بالهادِياتِ ودونَهُ ... جَواحِرُها في صَرَّةٍ لم تَزَيَّلِ

ليُلح على قوة فرسه وقد يزيد هذه القوة إيغالا في المدهش، إمكانُ كونها محملة (أقصد الهاديات) بمعنى من القداسة. لأن بذلك ستتشرب صفاتها الإلهية، «وليس في صيد الحيوان وعبادته، أو الانتساب إليه تناقض ما في سلوك الإنسان البدائي وعقائده كما يمكن أن نتصور، فقد كان الإنسان القديم يرى أن (تناول لحم الضحية المقدسة يجعله متلقيا لحياة وصفات إلاهية، وتحل قوى هذه الآلهة في جسده، وكما في طقوس الدفن، فإن ميراث المتوفى يقتسم ليتشرب الورثة صفاته المتميزة)... وإذا كان التاريخ لم يحفظ لنا ما تركه العرب الأقدمون من شعر في مثل هذه الطقوس... فإن الشعر الذي وصلنا ما يزال محتفظا بآثار منها»(٢٣)، ولننظر كيف ارتبطت صورة الأبقار الوحشية عامة، بالصنم دوار، لنتأكد من الفكرة السابقة أكثر:

فعَنَّ لنا سِربٌ كأن نِعاجه ... عَذارى دُوارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ

والتي تعمل في اتجاه إلحاح الشاعر على القوة الكامنة في الفرس، وبشعور منه أو دون شعور، على تخيل قوة خارقة فيه، إلا أن الصورة لم تكتمل بعد، فالدماء = (علامة القوة) تشبه عصارة حناء، وليس تشبهها بأي موضع كان، وإنما حين تكون بشيب، وبشيب مرجّل بالذات. وهذا إمعان في التخصيص يقتضي منا التأمل؛ لأن **الصورة الشعرية ليست زينة لفظية وإنما انبثاق وتفتق مجسم لحالة أو رؤية ما،** والتخلص منها بالسهولة التي لاحظناها عند **الزوزني** ـ وهو معذور ـ معناه أن نلحق بالشعر أبلغ الضرر، وبالذوق أسوأ الأثر. ونسجل هنا الوقفة النادرة في التاريخ البلاغي والنقدي للإمام **عبد القاهر الجرجاني،** حين قرر أن تركيب الصورة وعناصرها كلٌّ من قبل الجذور النفسية، لا يقبل التجزيء، ولا أية صيغة من الصيغ الأخرى للتعبير عن القصد نفسه(٢٤)، وذلك إزاء بيت **النابغة** الذي توخى فيه إظهار الرهبة من **النعمان** كما يصفح عنه:

فإنَّك كالليلِ الذي هو مدركي ... وإن خلتُ أن المنتَأَى عنكَ واسع(٢٥)

أفلا يكون ذلك شأن **امرئ القيس** ـ مع اختلاف المقام ـ في بيته السَّابق:

كَأَنَّ دِماءَ الهاديات بنحره ... عصارة حِنّاء بشيب مرجل

ونحن نعرف أن الخضاب من عادات وتقاليد العرب(٢٦)؟ إنه كان ـ ولا يزال (صبغ الشعر اليوم) ـ وسيلة لإخفاء الشيب، وطريقة من الطرق غير الشعورية لدى الإنسان القلق لمحاربة الموت كلما أحس بتقدم العمر نحوه بخطى ثابتة! وفعله هذا ما هو إلا مظهر من مظاهر قلق عميق، يعيش تفاصيله في أعماق كيانه، فتراه يتشبث بكل مظاهر الحياة والقوة في الماضي، وبخاصة بعالم الشباب والطفولة. وهذه الحمولة هي التي يستغلها **امرؤ القيس** في هذا البيت ليجسد مأساته ويرى الحقيقة ساطعة في حال فرسه الخادعة! نعم الخادعة؛ لأنها قوة تخفي الضعف، وقتل ـ أو تقتيل ـ يخفي الموت، تماما كما يفعل الشيخ عندما يخدع نفسه بالخضاب. ويمعن في هذا الخداع حين يُرَجّل شَعره تعبيرًا عن شدة الإقبال على الحياة والأخذ بكل مظاهر زينتها. لا لإقامة القافية كما رأى **الزوزني.**

امرؤ القيس يدرك بحدسه الثاقب، الذي ثقفت قناتَه تجربتُه المريرة، أن القوة مجرد غلاف أو قشرة خارجية صائرة إلى زوال محتوم، وأن الحقيقة الثابتة المتربصة هي الموت لا محالة في كل صراع بينه وبين أسباب الحياة، حتى وإن

كان الأمر يتعلق بأعتى مظاهر القوة: (الفروسية). هذه الفروسية كانت آخر ورقة يهاجم بها **امرؤ القيس** هذا القدر، وهي - كما رأيت - ورقة خاسرة، ولا يمكن أن نفهمها ونحس بعنفها إلا إذا رجعنا إلى سائر المعلقة في قراءة عمودية، لنرى كيف تحكي من ألفها إلى يائها قصة هذا الصراع بعيدًا عما يسمى بالتفكك، وتعدد الأغراض، وتسطح الخيال وواقعية الأحداث، ودقة الوصف... إلخ. إن هي إلا تصورات فككنا بها نحن ما ليس مفككا، وسطحنا ما ليس مسطحا، وبحثنا لكل مشهد وصورة عن معنى خارجي، أو مقابل موضوعي واقعي بناء على أفكار جاهزة وأحكام مسبقة وإسقاطٍ للمقيّد على المطلق الآبد.

ويضيق المجال هنا إن أنا رجعت إلى المعلقة ككل، لدراستها بتفصيل. فما إلى ذلك قصدت. ولكني أشير إلى بعض المحطات الأساسية فيها فأقول: إن **امرأ القيس** حين وقف واستوقف وبكى حتى بلَّ دمعه محمله! وحين تذكر أيام

○ الوقوف على الأطلال والدعوة إلى التَّجلُّد والصَّبر في شعر الجاهلية، نوع من تأمل الشاعر لصراع الإنسان مع الطبيعة.

لهوه. إنما وقف على أطلال حياته هو، وعرف أن ما يقف عليه عظام ميت؛ «النؤي والأثافي والأحجار، كل ذلك أشبه بالعظام النخرة المتخلفة عن رفات الميت.. ولولا هذه العظام ما وجد الشاعر شيئًا يستحق الصيحة أو البكاء.[٢٧]» وغريب أن يستوقف **امرؤ القيس** اثنين معه. أما وجه الغرابة فليس في مآخذ **الباقلاني** (اللغوية والمنطقية والواقعية المنافية لروح الشعر) في هذا الباب، حين قال عن **امرئ القيس**: «إنه استوقف من يبكي لذكر الحبيب، وذكراه لا تقتضي بكاء الخلي، وإنما يصح طلب الإسعاد في مثل هذا، على أن يبكي لبكائه ويرقَّ لصديقه في شدة برحائه، فأما أن يبكي على حبيب صديقه وعشيق رفيقه، فأمر محال. فإن كان المطلوب وقوفُه وبكاؤه أيضا عاشقا، صح الكلام من وجه، وفسد المعنى من وجه آخر؛ لأنه من السخف ألا يغار على حبيبه، وأن يدعو غيره إلى التغازل عليه والتواجد معه فيه»[٢٨]. وإنما الغرابة في هذا الوقوف الجماعي على الطلل الذي يظهر عند غير **امرئ القيس** من الشعراء أيضا. وتكرار ظاهرة الوقوف نفسها في شعر الجاهلية، هي بحق شيء مميز يستدعي التريث قبل إصدار الأحكام المستخفة بالقدماء. **وقديما تساءل أبو نواس** - ولسنا ندري إن كان يعرف الجواب -[٢٩]:

قل لمن يبكي على رسم درسْ ... واقفا، ما ضرَّ لو كان جلسْ؟

هذه الملاحظة لست صاحبها، فالمعروف لدى الجميع أنها مسألة مطروحة للبحث منذ زمن، وأن كثيرا من الآراء فيها وجيهة وهي تعيد قراءة هذا التراث الشعري الغني[٣٠]. فالطلل والوقوف الطقوسي عليه وتأمله وما يخصب فيه من نبات وحيوان، والوصول إلى الحيرة واليأس والدعوة إلى التجلد والصبر عند سائر الشعراء تقريبا، كلها أمور تبين، بإيجاز شديد يكاد أن يصل إلى حد الكتمان، تأمّلَ الشاعر - وهو وجدان الجماعة - لصراع الإنسان مع الطبيعة، ووقوعه ضحية لها، كما كان يقع الإنسان اليوناني ضحية للقدر، فلا يملك أمام كابوس الموت المحير أمره، إلا أن يختار مَفَرًّا ما؛ رحلةً إلى الماضي كما عند **امرئ القيس**، أو رحلة على الناقة كما عند **الحارث بن حلزة** مثلا أو اتجاها إلى الخمرة كما نجد عند **الأعشى**... أو غير ذلك مما يعده الشاعر ملاذا له من الحقيقة المرة التي يكتشفها في الطلل.

القصيدة حلم فيها منطقه الغريب الذي يجعل الذات ترتفع عن الواقع إلى حد الانفلات، وتخوض رؤيتها الخاصة للعالم بمطلق حريتها. فبمجرد بدء **امرئ القيس** بالمقدمة الطللية، خرج من عالم الواقع الصارم إلى عالم الشعر/ الحلم الذي سيعرض فيه ذاته، متجاوزا حدود (الزمكان)، وما دام قد مر - لسوء حظه وحسن حظ الشعر - بتجربة قاسية[٣١] سقط فيها من سماء الملك إلى أرض الصعاليك، فإن التوتر، بانمحاء تلك الحدود، سيكون عنيفا، ولن يتعلق الأمر قط بعاطفة مفردة؛ لأن **امرأ القيس** صار اثنين في واحد: **امرؤ القيس**/ الملك والفتوة، و**امرؤ القيس**/ الصعلوك والطلل... = اثنان يبارز ويروز أحدهما الآخر في ملحمة نادرة. الحاضر الكامن في الطلل/ الجدب والهرم والموت... يُواجَه بأيام السعادة واللهو... ثم يتحول الكابوس بمنطقه الخاص مغيرا أساليب الهجوم فيأتي بصور وطرق أخرى ليضع هذه الذات العنيدة أمام الأمر الواقع بعنف يظهر مدى ضآلتها إزاء أهواله غير النهائية الشساعة والعمق:

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله ... عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقُلت له لمّا تَمطى بصُلبه ... وأردَفَ أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ ... بصُبح وما الإصباح منك بأمثل
فيالك من ليلٍ كأن نجومه ... بكل مُغَار الفتل شُدَّت بيذبل

فتحتمي هذه الذات بالفروسية التي لم تُجْدِها شيئا؛ إذ لا تعدو (الفروسية) أن تكون ذكرى مجسَّدةً في فرس يثير فيها (في الذات) هذا الصراع الذي تريد وضع حد له = الفرس مطية اللذة والألم في آن واحد: (عروس ≠ حنظل).

كأن سراته لدى البيت قائما ... مَداك عروس أو صَلايَة حنظلِ

وتصل الذات بعد رحلتها في عالم المتناقضات والتوترات، إلى النتيجة المشار إليها سابقا = [القوة الظاهرة عنوان الضعف الكامن] فلا تمتلك غير الاستسلام «للقدر» وطلب العزاء بتأمل الصراع بين مظاهر القوة والضعف في أعلى مراتبه[٣٢] فتخلف هذا المشهد المروّع - بعد أن تمهد له بأبيات - وهو مشهد المطر والسيل:

شعر الجاهلية
معالم رؤية حائرة للعالم

أضحى يسح الماء حول كُتيفة ... يكب على الأذقان روح الكنهبل
ومر على القنان من نفيانه ... فأنزل منه العُصم من كل منزل
وتيماءَ لم يترك بها جذع نخلة ... ولا أُطماً إلا مَشِيداً بجندل

فإذا كان هذا الذي يضرب به المثل في القوة ينهار بفعل المطر، فكيف بإنسان؟! إنها سنة الحياة الصارمة التي أقنع بها **امرؤ القيس** نفسه أو حاول ذلك، وَخرج من صراعه منهزما كما كان ينهزم إنسان اليونان في صراعه مع القدر. وما صوره **امرؤ القيس** صوره شعراء آخرون بطرقهم ورؤاهم الخاصة ليعبروا في قلقهم الوجودي عن نضجهم وحاجتهم إلى مخرج من هذه الحلقة المفرغة المؤلمة. فكان الإسلام.

الهوامش

١ ـ الحيوان ١ : ٧٤ ـ بروكلمان ١ : ٥١ ـ ٥٢ ـ ضيف ١٨٣ ـ ١٨٦ ـ المرشد ١٧ ـ ١٨ و٧٧٧ وما بعدها.

٢ ـ العمدة ١ : ١٩٣ ـ ١٩٧ = (نسخة محيي الدين ١ : ٧٦ ـ ٧٩) ـ طه إبراهيم (٨ ـ ٤٨).

٣ ـ جابر عصفور: ٣٢٨ وما بعدها. وفيه: «ونسمع عن هوان حرفة الشعر إلى الدرجة التي جعلت أحد شعراء العصر العباسي الثاني يقول:

الكلب والشاعر في حالة ... يا ليتَ أني لم أكن شاعرا
أما تراه باسطا كفه ... يستطعم الوارد والصادرا».

٤ ـ العمدة ١ : ٩١ (محيي الدين ١ : ٣٠) ـ روي فيه عن النبي ﷺ: «لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين» ـ البيان: ٢ : ٩٧ ـ ٤ : ٤٦ ـ جاء فيه: «قيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أتقول الشعر مع النسك والفضل والفقه؟ فقال: (لا بد للمصدور أن ينفث)».

٥ ـ البيان ٤ : ٤٥ ـ وانظر قبلها قصيدة أنشدَتْهَا ابنةُ النضر بن الحارث بن كلدة الرسولَ (ص) وكان قد أمر بقتل أبيها صبرًا ـ من هذه القصيدة تخاطبه:

ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ وربما ... مَنَّ الفتى وهو المغيظُ المُحنَقُ

فعقب الرسول ﷺ: «لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته»

٦ ـ بروكلمان ١ : ٤٥ ـ ٤٨ ـ المرشد ٨٤٣ ـ ٨٥٣.

٧ ـ اللسان (شَعر) ـ المرشد ٨٥٢ ـ ٨٥٣.

٨ ـ جابر عصفور ١٩٩ : «لقد قيل إن التشبيه أكثر شيوعا من الاستعارة في العصور الكلاسيكية التي يكون فيها الشعراء، عادة، أقل جهدا في الخيال، وأكثر انصياعا لأحكام العقل والمنطق، بينما تكون الاستعارة أكثر شيوعا لدى الرومانسيين الذين يتحرر خيالهم ولا يستسلم لقواعد العقل والمنطق بنفس الحدة الكلاسيكية».

٩ ـ بروكلمان ٥٥ ـ ٦٢ ـ طه حسين ٣٢٠ ـ ضيف ١٨٩ ـ ١٩٤.

١٠ ـ مندور: ٥.

١١ ـ عالم المعرفة: ١٨١.

١٢ ـ ن. م: ١٨١ وما بعدها ـ غنيمي: ١٤٣ وما بعدها.

١٣ ـ ن. م: ٢٠٥.

١٤ ـ ن. م: ٢٥٠.

١٥ ـ ن. م: ٢٩١.

١٦ ـ غنيمي ١٦٢ ـ ١٦٣.

١٧ ـ قال تعالى: ﴿.. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين﴾ الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥ ـ وانظر النحل: ١٠٣.

١٨ ـ السيرة ١ : ٢٧٠ انظر فيه حديث ابن المغيرة.

١٩ ـ الحيوان: ٥ : ٢٥: قال الجاحظ تعقيبا على قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا﴾ [النساء: ١٠]: «وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة، ولبسوا الحلل، وركبوا الدواب، ولم ينفقوا منها درهما واحدا في سبيل الأكل».

٢٠ ـ العمدة: ٢ : ٧٥٤ (محيي الدين ٢ : ١١٧) والكلام منسوب إلى الحاتمي ـ وكان القدماء يحاولون دائما إيجاد رابط بين أجزاء القصيدة ـ العمدة ١ : ٣٨٨ (محيي الدين ١ : ٢١٧)، ـ الحيوان: ٢ : ٢٠ ـ ابن قتيبة ١ : ٢٠ ـ ٢١.

٢١ ـ من معلقته ـ اعتمدت الزوزني.

٢٢ ـ الزوزني: ٤٧.

٢٣ ـ البطل: ١٢٤.

٢٤ ـ الأسرار: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

٢٥ ـ الديوان: ٥٢.

٢٦ ـ أأنعم عيشا بعدما حل عارضي ... طلائع شيب ليس يغني خضابُها

[الإمام الشافعي ـ الديوان: ٢٧]

٢٧ ـ دراسة الأدب: ٢٣٨.

٢٨ ـ الإعجاز: ١٧٥ ـ ١٧٦.

٢٩ ـ الديوان: ١٣٤.

٣٠ ـ انظر الدراستين القيمتين للدكتور مصطفى ناصف:

١ ـ دراسة الأدب العربي. ٢ ـ قراءة ثانية لشعرنا القديم.

٣١ ـ هذا لا يعني أن كل تجربة فنية لا بد لها من تجربة سابقة، فالفنان يعتمد أساسا على قوة التخيل.

٣٢ ـ فكيف نستسيغ القول: «بل نجد في الأشعار الملهمة من لدن ديونيسوس انتقالا سريعا من المرح والنشوة، إلى المعاناة والقسوة...» [عالم المعرفة: ١٨٣] ـ ولا ننتبه إلى ما في المعلقة من ذلك؟!

المصادر والمراجع

١ ـ الأدب المقارن: د. محمد غنيمي هلال ـ ط: ٥ ـ دار العودة ودار الثقافة/ بيروت.

٢ ـ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني ـ تصحيح الشيخ محمد عبده ـ تعليق رشيد رضا ـ دار المعرفة/ بيروت ١٤٠١ ـ ١٩٨١.

٣ ـ إعجاز القرآن: محمد بن الطيب الباقلاني. تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ط: ١ مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦ م.

٤ ـ البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط: ٤ ـ مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٥ م.

٥ ـ تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان (الجزء الأول) ـ تعريب د. عبد الحليم النجار ط: ٥ ـ دار المعارف/ مصر ١٩٨٣م.

٦ ـ تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي ـ د. شوقي ضيف ط: ٣ ـ دار المعارف/ مصر ١٩٦٠ م.

٧ ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب: المرحوم طه أحمد إبراهيم ـ دار الحكمة/ بيروت ١٩٣٧ م.

٨ ـ الحيوان: الجاحظ ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ دار الجيل/ بيروت ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨ م.

٩ ـ دراسة الأدب العربي: د. مصطفى ناصف ط ٢، دار الأندلس/ بيروت ١٤٠١ ـ ١٩٨١ م.

١٠ ـ ديوان أبي نواس ـ تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ـ دار الكتاب العربي/ بيروت ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤ م.

١١ ـ ديوان الإمام الشافعي ـ تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ط ١، دار الفكر/ بيروت ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦.

١٢ ـ ديوان النابغة الذبياني ـ صنعة ابن السكيت ـ تحقيق د. شكري فيصل ـ دمشق ١٣٨٨/ ١٩٦٨ م.

١٣ ـ السيرة النبوية (مجلدان ١/ ٤): ابن هشام ـ تحقيق مصطفى السقا ـ إبراهيم الإبياري ـ عبد الحفيظ شلبي ـ (الكتب العلمية).

١٤ ـ شرح المعلقات السبع ـ الحسين بن أحمد الزوزني ط ٢، دار الجيل/ بيروت ١٩٨٠ م.

١٥ ـ الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا. د. أحمد عثمان ـ عالم المعرفة ع: ٧٧ ـ مطابع الرسالة/ الكويت ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤ م.

١٦ ـ الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري. د. علي البطل ط: ١ ـ دار الأندلس/ بيروت ١٩٨٠م.

١٧ ـ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: د. جابر عصفور ط ٢، ـ دار التنوير/ بيروت ١٩٨٨ م.

١٨ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/ ٢): ابن رشيق القيرواني ـ تحقيق د. محمد قرقزان. ط: ١، دار المعرفة/ بيروت ١٩٨٨.

١٩ ـ قراءة ثانية لشعرنا القديم: د. مصطفى ناصف، ط ٢، دار الأندلس/ بيروت ١٤٠١ ـ ١٩٨١ م.

٢٠ ـ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها (١/ ٣): عبد الله الطيب، ط ٢، الدار السودانية ـ بيروت ١٩٧٠م.

٢١ ـ مسرحيات شوقي: د. محمد مندور ـ دار نهضة مصر/ القاهرة ١٩٨٢ م.

٢٢ ـ لسان العرب لابن منظور ـ دار صادر/ بيروت.

الأزمة الفكرية وإشكاليّة الانطلاق الحضاري

إبراهيم نويري

عندما قال فيلسوف فلاسفة فرنسا رينيه ديكارت قولته الشهيرة: «أنا أفكر إذن أنا موجود». لا بد أن يكون قد أدرك سرًا من أهم وأكبر أسرار الكون والحياة. بل إنه لم ينطق إلاّ بالحكمة التي هي رأس العلم.. فالإنسان ما خُلق إلاّ ليفكر ويجهد عقله وحواسه؛ ليبلغ ويحقق الأهداف والإنجازات المنوطة به بعد ذلك، وقد ارتقى الإسلام بالتفكير حتى جعله قمة أنواع وصور العبادة والعمل. بيد أن التفكير المقصود والمراد هاهنا، إنما هو ذلك التفكير العملي الذي يجعل من الجهد العقلي «برامج تغيير»، و«خطط تنمية» و«مشروعات عمل».. ذلك أن التجريد العقلي، أو التفكير الذي يغلب عليه «النزوع التجريدي» يعد من أبرز الأسباب التي أدت إلى المستوى الحضاري الذي عليه أمتنا العربية والإسلامية.. فأمتنا اليوم وبرغم الرصيد العقلي والحضاري الضخم الذي يتوافر عندها هي في موقع لا تحسد عليه، بل إنها في مرتبة بين الأمم تثير الشفقة وتبعث على الحزن واللوعة!

هذه الوضعية المزرية تعكس في الحقيقة وجود أزمة صميمة في جهازنا الفكري، وبالتالي في شبكة علاقاتنا الاجتماعية؛ لأن واقعنا وحركة سيرنا لا ينسجمان مع رصيدنا الحضاري والعقلي والمعرفي.

يشير بعض الكُتّاب العرب الذين يعنون بمسائل النهوض والتنمية، إلى أن النهضة العربية بدأت في تاريخ موازٍ للنهضة في اليابان. وإذا أردنا الدقة أكثر فإن النهضة العربية بدأت قبل النهضة اليابانية بنحو عشر سنوات، ولكن لننظر إلى موقع اليابان، وإلى موقعنا نحن في ساحة النهوض والتقدم والانطلاق.

يذكر المفكر الإسلامي **الدكتور محمود سفر** في كتابه القيّم **«إنتاجية مجتمع»** أن اليابان أرسلت إلى

رينيه ديكارت



مصر - في عهد الخديوي إسماعيل - بعثة لتدرس أسباب تقدم مصر عليها.. ولتقف اليابان موقف التلميذ من مصر تتعلم وتستفيد!

إنني أعتقد جازمًا أن مشكلتنا في المقام الأول إنما هي مشكلة فكرية.. ثم مشكلة فعّاليّة..

والفعّاليّة هنا تعني كيف نشحذ الطاقة الفكرية ونحوّلها إلى إنجازات عملية، وإلى مشروعات قائمة في عالم الواقع، فالفرد الياباني لا يملك من الموارد الطبيعية شيئًا يُذكر، ومع ذلك فاليابان اليوم تغزو العالم الأول (الدول الصناعية) بمنتوجاتها المتنوعة، وأضحت اليابان بمثابة الشبح المخيف الذي يرعب الغرب ويهدد مصالحه الاقتصادية وأسواقه الإنتاجية؛ لأن الفرد الياباني يملك الدّماغ المدبّر والعقل المفكّر؛ أما العقل المسلم فما يزال يعيش مشكلات واضطرابات كثيرة فكرية وتصوريّة، فضلاً عن المعضلات الأخرى التي يصطدم بها خلال حركيته الراهنة، وهي تُعدّ بالنسبة له مصدر تحدٍّ كبير وواضح.

الفرد ودوافع الفعّالية

ويظل الأمر الذي يجب التشديد عليه بهذا الخصوص يتعلق بمردود «عمل الفرد»، وعلاقته

الأزمة الفكرية وإشكالية الانطلاق الحضاري

من ثمة بـ «المردود الاجتماعي العام». هذه القضية الحيوية التي اتخذت كمرتكزات رئيسة للكثير من المعادلات الاجتماعية والحضارية؛ **إذ يجب دراسة مختلف العوامل التي تجعل من الفرد عنصرًا منتجًا وفعّالاً في مناخٍ اجتماعيٍّ وسياسيٍّ ما، بينما يتحوّل ذاك الفرد نفسه إلى كتلة من الخمول والجمود واللاّفعالية تحت تأثيرات مناخٍ آخر، وفي واقع سياسي واجتماعي مخالف!**

فهذه مشكلة نلاحظها في واقعنا الاجتماعي، وليس من شك أن غضَّ الطرف عنها، وعدم التفكير بوضع معالجات واقعية ومنطقية لمحاصرتها واستئصالها، إنما هو إصرار على تأخير مؤكد لعملية التنمية والاستنهاض الحضاري والاجتماعي.

إن التشديد على هذه المسألة لا يعني أنها مجهولة في حركيتنا الفكرية والثقافية الراهنة؛ فهناك عدة دراسات في المكتبة العربية والإسلامية حاولت التصدي لمعالجة إشكالية التقدم والتخلف، وأزمة «الإنسان» المسلم المعاصر. كما حاولت التأسيس لفكرٍ حضاري جديد يستهدف تبصير المسلم المعاصر بحقيقة واقعه، ومحاولة النهوض بمستواه الفكري والاجتماعي والحضاري. ويمكن اعتبار **مالك بن نبي** - يرحمه الله - رائدًا لهذه المدرسة المتميزة في الفكر الإسلامي المعاصر.

كما يمكن الإشادة أيضا بكتابات المفكر **الدكتور محمود سفر** - وهو من رموز مدرسة الفكر الحضاري - ففي كتابه «**ثقب في جدار التخلف**» الكثير من المعالجات الناضجة والواعية والمدركة لطبيعة المسلم المعاصر ولمشكلاته الراهنة، وإلقاء المزيد من الأنوار والأضواء على قضايا حساسة تتعلق بالإنسان والقيم والمجتمع والبناء الحضاري.

ومن تلك القضايا مسألة «الفعّالية الروحية» التي يعتبرها الدكتور سفر من أهم مرتكزات الانطلاق الحضاري بالنسبة لمجتمعاتنا العربية والإسلامية التي ترنو إلى مستقبل مشرق تتعزّز فيه إنسانية الإنسان المسلم، وتحقّق فيه أمتنا مكانة تليق بقدسية رسالتها الخالدة، باعتبارها خير أمة أخرجت للناس. ولا ريب أن هذا الأمر يقتضي أن تحتل مكان الحصان وليس القاطرة أو العربة؛ لأن من معاني رسالتها ودلالاتها «الريادة للإنسانية»، و«الشهادة على الخلق». فلننظر بجد، ونُعْمِل عقولنا بعمق لنرى ما إذا كنا في مستوى المسؤولية الإلهية التي أنيطت بنا والتي هي في واقع الأمر «رسالة» و«شرف» أو «مسؤولية» و«اصطفاء». . ومن ثمَّ فإن الإخلاص لهذه الرسالة، وهذا الاصطفاء، يقتضي منا جميعًا العمل المتواصل، والعرق المتصبّب، والإصرار الفاعل على تخطيّ وتجاوز مراحل الهوان والضعف والانحطاط؛ أملاً في إدراك الانسجام، وإحداث التفاعل المطلوب مع مواريثنا الثقافية ورصيدنا الحضاري.

مسؤولية المفكرين

إن واجب المفكرين اليوم حيال واقع أمتهم

د. محمود سفر



واجب خطير وجسيم حقًا. وإنني أرى أن الدور الذي ينبغي أن يضطلع به اليوم مفكرو أمتنا العربية والإسلامية، هو الدور ذاته الذي قام به - في القرون الستة الأولى - الفقهاء والمجتهدون من أصحاب المدارس والمذاهب، ولكن مع الاختلاف في مساحة وإطار العمل والجهد، فإذا كان العمل الكبير والجبار الذي أنجزه الفقهاء والمجتهدون يتعلق أساسًا بالمجال التشريعي، والتأسيس التنظيمي والتنظيري للمجتمع والدولة، وما تفرع عن ذلك أيضا من أقضية ومسائل ذات صلة بالتركيبة الداخلية للمجتمع، كمسألة الضبط التشريعي لحقوق وواجبات غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ومسألة المواطنة والحرية الفكرية. . إلخ، أو ذات صلة بعلاقات الدولة الخارجية، **فإن عمل المفكرين وجهودهم اليوم ينبغي أن يتركز في المقام الأول حول دائرة رفع التحدي الحضاري الذي يؤرق واقع أمتنا، ويقضّ مضاجع المخلصين من أبنائها الغيورين**، وليس من شك أن بدء السير في هذا الطريق إنما يكون أولاً بمعاينة المرض وتحديد بداية خط الانحراف في مسارنا التاريخي والفكري والحضاري، مع تمثل الحرقة الشعورية الصادقة، واكتساب آفاق الرغبة الحقيقية في تجاوز عقبات التخلف والانحطاط، وإيقاف نزيف التآكل الذاتي المستمر. .

أمر آخر نرى أنه من الأهمية بمكان، والمتمثل في استخدام أدوات ومناهج هذا الإنجاز الكبير، إذ **لا بد من التسلح بجملة من الأدوات والمناهج الكفيلة بتحقيق الغايات والأهداف المطلوبة**، ذلك أن التراكم في الجهود، أو العمل العشوائي لا يفضي إلى المأمول من النتائج، وهذا ما أثبتته جل تجارب البناء الحضاري.

الإخلاص لرسالة الإسلام يقتضي منا العمل المتواصل والإصرار على تجاوز مراحل الضعف

وفي هذا الخصوص يقول **الدكتور عبد الحميد أبو سليمان**: «على مفكري الأمة وعلمائها ومثقفيها أن يعلموا أن المسؤولية في وضع الأمة على جادة القدرة والتقدم تقع على عواتقهم قبل سواهم، وأن سواهم في ذلك إنما هو تبعٌ لرؤيتهم ومشورتهم.

وأنهم بقدر صمودهم وصبرهم ونجاحهم في تقديم الرؤية والمشورة الصحيحة ووضعها بالأسلوب العلمي السليم المقنع، بقدر نجاحها في تحريك الأمة لخدمة رسالتها وبناء حياتها. إن مدى تحرك الأمة نحو القدرة الإسلامية المبدعة لبناء الحياة هو مقياس نجاحهم في أداء دورهم وأداء واجبهم.

وبقدر تقصيرهم في إنجاز هذا الدور، بقدر ما تتعاظم معاناة الأمة ويزداد تخبطها واستعصاؤها على الاهتداء إلى الجادة وبناء الحياة»(١).

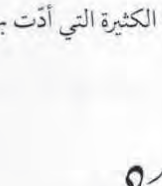
كيف السبيل ؟!

إن تخلّف أمتنا وبُعدها عن التأثير العالمي ليس قدرًا مقدورًا لا يمكن صدُّه أو تغييره؛ ولكنه ظاهرة أو مشكلة لها أسبابها الموضوعية، فإن وضعت تلك الأسباب تحت الدراسة العلمية المعمّقة، أمكننا الوقوف على تفاصيل المشكلة وإدراك جوانبها المختلفة؛ وبذلك نكون أيضا قد وضعنا جهودنا ووقتنا على عتبات الطريق الصحيح؛ لأنه من الطبيعي أن يمثّل مجرد الإحساس بالمشكلة وعيًا متقدمًا؛ إذ إن الخطر الحقيقي يكمن في استمرار الغيبوبة القائمة على تجاهل (الواقع: المشكلة) والاطمئنان لحالة التكديس والتراكم الناجمة عن إبداع وفعّالية الآخر الثقافي والحضاري.

فالعقلية الاستهلاكية المنسجمة مع إبداعات وعطاءات الآخرين، هي بهذا المعنى جزء من تفصيلات وفروع المشكلة الأم.

وقد بُذلت في هذا الطريق خلال السنوات الأخيرة - لا سيما على مستوى التشخيص - مجهودات خصبة خيرة لكثير من المؤسسات والمنظمات، وكذا لبعض الأفراد، ويمكن الإشارة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بوصفه نموذجًا رائدًا في بذل الجهود والاجتهادات المتلاحقة، المتعلقة بواقع أمتنا ومشكلاتها الكثيرة التي أدّت بها إلى ما هي عليه الآن.

من كتاب العدد



● **إبراهيم حمانة نويري**
- من مواليد الجزائر ١٩٦٣م.
- ليسانس علوم إسلامية (دعوة وإعلام).
- يعد رسالة ماجستير، عنوانها «الشيخ محمد الغزالي، مفكرًا وداعية».
- له تحت الطبع: دراسات في الأدب الإسلامي المعاصر، الإعلام الإسلامي.. التحديات والآفاق.
- صِحَافِيٌ مستقل.
- له برنامج إذاعي بعنوان «شخصيات لها تاريخ».

وقد أثبتت تلك الجهود أن الأصل الأول لسائر مشكلاتنا إنما هو الفكر. يقول الدكتور طه جابر العلواني: «لقد بدا لنا من خلال التأمل الطويل في الأمر، وتقليب وجوه النظر، ومراجعة التجارب السابقة التي بذلتها الأمة للخروج من أزمتها، وتقويم هذه التجارب تقويمًا دقيقًا أمينًا موضوعيًا، أن النقطة الصحيحة في عملية التغيير يجب أن تبدأ بالفكر، ذلك لأن الفكر هو المقدمة الطبيعية لكل عملٍ ينبع منه صحيحًا كان أم خاطئًا.

ومعنى ذلك أن الفكر الصحيح هو الذي يوجد النهضة الصحيحة، وهو الذي يأخذ بيد الأمة للخروج من أزمتها الخانقة»(٢).

إن دراسة أساليب تفكير العقل المسلم ليست غاية أو هدفًا في ذاتها؛ إذ من البداهة أن هذا العقل ذاته يستمد وزنه وقيمته من ارتباطاته في التغيير والإنجاز وتحقيق دلالات وآفاق رسالة الإنسان المسلم، المتضمنة لقيم الإصلاح والبناء، والاستخلاف والإعمار.

إن هذا التحديد المتعلق بإطار عمل الفكر الإسلامي، ونشاط العقل المسلم يؤكد أيضًا من جهة أخرى، قيمة وأهمية الجهود التي تبذل في سبيل تجاوز أمتنا للأزمة التي تعيش آثارها في شتى مجالات وجوانب حياتها.. كما يؤكد كذلك عِظم المسؤولية الملقاة على كاهل النخبة الواعية، من العلماء والمفكرين وذوي الكفاءات والقدرات المميّزة؛ ولا ريب أن المسؤولية تتضاعف كلما تكاثرت التفاتات الحائرين من بني الإنسانية، باحثة عن قيم للنجاة، وسبيل للخلاص.

هوامش:

١) د. عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص ٢١٤، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٢م.

٢) المرجع السابق (مقدمة الكتاب)، ص ٥.



ابن عبيد الله السقاف: شاعر حضرموت ومفتيها في رحاب الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود

د. عبدالله بن محمد أبو داهش

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، أما بعد: فلقد شهد عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (١٢٩٣ ـ ١٣٧٣ هـ) وفادة عدد من الشعراء اليمنيين لهذه البلاد السعودية، وبخاصة في مواسم الحج، إذ وجدوا في شخصية هذا المليك ما يبعث الطمأنينة في قلوبهم، ويجعلهم يألفونه، ويأنسون بمقامهم عنده، بل يمدحونه، ويشيدون بجهوده، ولعل همته يرحمه الله تعالى، وغيرته على هذه الأمة ودينها جعلا أولئك الشعراء يصدرون عن هذا الشعور، إلى جانب أنهم حينما كانوا يعمدون إلى ذلك، إنما يحملون هموماً عراضاً تخص واقعهم، بل أوطانهم. وعنده كانت تفيض قرائحهم بالمشاعر الصادقة، والأحاسيس الفياضة.

ومن أولئك الشعراء، وهم كثر، الشاعر عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف العلوي الحضرمي[1] (١٣٠٠ ـ ١٣٧٥ هـ) الذي أفاض في مؤلفاته، وأشعاره في ذكر تلك الوفادات وما جناه منها، وما كان يقع له فيها من اللقاءات، والمواقف، إذ يتضح منها أنه شارك مع إخوانه الشعراء الوافدين من بلدان العالم العربي والإسلامي إلى هذه البلاد من أجل الحج ونحوه، وأنه كان عندئذ يشهد مع وفود الحجيج الاحتفالات الرسمية التي كان يعقدها الملك عبد العزيز في تلك المواسم.

ولئن تعوّد ابن عبيد الله هذا الصنيع، فإن ذلك يدلّ على وفرة مشاركته، وكثرة عطائه، فلقد قيل في صدر إحدى قصائده: «مديح ووعظ لملك الحجاز ونجد، وقد قرأها عليه وهو يذرف الدمع في سنة ١٣٥٤ هـ...»[2]، ومنها:

هذي الديار عليها النور يأتلق ... حتى كأن الدجى من ضوئها فَلَقُ
مهابط الوحي مأوى الأنبياء ولا ... يزال للملأ الأعلى بها طُرُقُ
قرَّتْ برؤيتها عيني وطاب بها ... قلبي وكان به من دهره قَلَقُ
خلّفتُ أهلي وأطفالي على مَضَضٍ ... مِنَ الفِراق لَهم طولَ الدجى أرقُ
وفي الحشا نار وجد من تذكرهم ... لكن خبت عند رؤيا الكعبة الحُرَقُ
لم يبق في خاطري أهل ولا ولد ... لمّا تجلّى لعيني المنظر الأنِقُ

***

فخرٌ مناطُ الثريا دون أخمصه ... متى تنله يدٌ أعداؤها شَرِقُوا
وما تيسَّر والأقدارُ حاكِمةٌ ... إلاّ لعبد العزيزِ السَّبْقُ والسَّبَقُ
شهمٌ نماه مَعَدّ واستجدّ به ... لسائر العرب ثوبُ العِزَّةِ الخَلَقُ

ومن مساعيه يَرجونَ الخلاصَ من الشـ ... ـر الذي مسَّهمْ مِن سُوء ما افترقوا
ألقت إليه بأيديها زَعامَتُهُمْ ... وعن صحيح الهوى جاءته تَعْتَنِقُ
والقوسُ في كفّ باريها فحيث رمى ... مَرحى لَه رَضِيَ الأقوام أو حَنِقُوا
وآية الذكر من بعد الزبور لها ... إشارة لا أراها عنه تنفلق
عفو وفضل وبذل للكرام كما ... يشتد جدا لمن خانوا ومن مرقوا

***

وعرشُ أمِّ القُرى كم غمرةٍ عَرَضَتْ ... دَهْماءَ من دونه فيها الضحى غَسَقُ
ثم انجلت عن قِران زانَ طالعه ... ولمّ شَعثَ العُلى في سِمْطه نَسَقُ
مغنى تفيض به الرحمى وعاهله ... يفيض من راحتيه التبرُ والوَرِقُ
طوبى له أنْ رعى حق الكرامة في ... خيرِ الربا وانتفى عنها به الرَّنَقُ
جَمُّ المكارِمِ معروفُ الصوارِمِ مَحْـ ... ـالُ العظائم زاكٍ ذِكْرُهُ العَبِقُ
مهذب الفكر ميمون النقيبة ما ... في رأيه قط لا ضَعفٌ ولا نَزَقُ
حُلو الخلائق وضّاح الحقائق محـ ... ـمود الطرائق تتلو مَدْحَه الفِرقَ
من معشر حفظوا دَوحَ العروبة إذ ... لم يبق في زمن البلوى لها رَمَقُ
إذا دعوا لعظيم فيه مكرمة ... جاءت عَناجِيجهم بالصِّيدِ تَسْتَبق
فقبل قرنٍ وربعٍ جاء من بلدي ... إلى حماهم صريخ مَسَّه رَهَقُ
فبادرته سيوف الهند تحملها ... شُوش إلى الموت أدنى سَيْرِهم عَنَقُ
ولم يكن دونهم عبد العزيز ولا ... إخوانه وبنوه القادةُ الصُّدُقُ
أبقاهم الله فخرًا للعروبة لا ... يضرهم غِشُّ مَنْ عَاداتُهُ المَلَقُ
والحظ مقتبِل والحبل متَّصل ... والشمل ملتئم والرأي متفق[3]



عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف

وحينما كان ابن عبيد الله يطرب لسماع أخبار الملك عبد العزيز، وما يزين سيرتـه رحمه الله تعالى من المواقـف والشمائل، فإنه يترجم تلك المشـاعـر في نظم شعري قـد يزيـد فيه رأي العين، فلقد قيل في صـدر إحدى قصـائده الخطية: «وهذه القصيدة لسيدي العلامة الحبيب عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف رضي الله عنـه قال: في يـوم الثلاثـاء ١٦ ذي القعـدة من سنة ١٣٦٤ [هـ]، مقالـة [الحاضرين] بما ترنم به المذياع من احتجاج أهل الحجاز ونجد بشأن فلسطين، ومـا دعا بـه إلى التضامن والاتحاد، وانضم إلى ذلك مـا حدث بعـده من أمانِـهِ للكيـلاني، وزعم أكثر [الحاضرين] أن لا بـد من تسليمـه، فبالغتُ في إنكـار ذلك، وقلت: معـاذ الله أن يسلم ابن السعود جاره، ولو انشقّت الأرض، أو خرّت الأخـاشب هدًا. واشتـد الجدال وكاد ينتهي إلى الـرهان، وأخـذتني حمية أملت على القصيـدة التاليـة، فصدق الله مـا تقدمت فيهـا، إذ عزم الله لـذلك العـاهل العظيم بالثبـات، وأبقى لنفسه وللعـروبة الشرف الخالـد التالـد»(٤)، ومنها:

فخـــر تخر لـــه مـن أوجهـــا الشُّهُبُ ... على جبين المعـــالي خَطّــهُ الـــذّهبُ

فخـــرٌ أعـــاد على الأيـــام رِفعتَهَـــا ... كـأنّما هـي أيـــــــامُ الألَى القُشُبُ

***

فضيف هـــذا ملـوكُ الأرضِ تطلبــه ... ومجرمُ الحرب محتـــــومٌ لــــــه الحَرَبُ

لكن ذمتــــه للجـــار غـــاليــــة ... فلـن يجاب إلى تسليمــــــه طَلَبُ

شهـــامـــة وسجـــايــا كلهـا كـــرم ... والحق أبلج لا تلـــوي بـــه الحجب(٥)

ولم يكن ابن عبيـد الله الحضري يتخذ المواسم، واللقـاءات الرسميـة سبيلاً لإظهار مواقفه وآماله تجاه هذا الوطن وولاة أموره، وإنما كان عبر زياراته المتكررة لجدة وبلدان الحجـاز الأخرى يجد غبطة في إهـداء بعض نتاجـه الفكري إليهم أيضا، فقـد عمد إلى هـذا الصنيع حينما أهـدى مؤلفـه: «حضرموت: بـلادها وسكانها» للأمير سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ولي عهد الحجاز ونجد عندئذ، إذ قـال: «فقد أهديته لمن أخـذ على الكرام الأنقاب، وغَنِيَ عن الأوصاف والألقاب، طلاّع ثنايا الشرف والمجد، وولي عهد الحجاز ونجد، من أنطق يراع الإشادة بما تسمع إنشاده:

يقـولـون: سـوق العلـم بعـد قيـامهـا ... أصيبت على طـــول المدى بقعــــود

فقلت لهم: قـــد أدركَ الله أهلهـــا ... وخـــوَّلهم من جـــوده بـــ: سعـــود

فقـــال لأيـــام الـــرشيـــد ونجلـــه ... وأيـــام أبنـــاءِ العنـــابس: عـــودي

فبشرى ريـــاضَ العلـم منـــه فهـــذه ... مخايلـــه في بـــارق ورعـــود(٦)...»

ويزيد في صلـة هذا الشاعر بهذه البـلاد وأدبائها أنه كـان حينما يحل ضيفًا عليها يصل إخوانه الأدباء فيها، ويجالسهم ويأنس بمقامه بينهم، إذ كان ـ فيما يبدو ـ ينال حظوة لديهم، يقول في أحد مجاميعه الخطية: «ولما كنا بمكة المكرمة دعانا الفاضل الشاعر الأديب: أحمد إبراهيم الغزاوي إلى منزله، فإذا دار أنيق، وطبع رفيق، ومنظـر جذاب، وجماعـة من أهل الفضل والعلم، تجاذبنـا معهم لطـائف المحاضرات، وشهيّ المحـاورات، وأنشدنـا عشيتئذٍ طـائفة وافـرة من أشعاره العذبة، ولمّا اطمأن المجلس تقدّم إليّ بقصيـدة من نظمه الفائق، تناهز الخمسين بيتـا أخجلني بمـدحهـا البليغ، ولكنـه ضنّ عليّ بمسـودتها بعـد أن وعدني بتبييضها، فما كان مني إلا أن اعتقلت اليراع، وأعانني طيب المجلس، وبهاء المنزل، ورقة طباع الحاضرين، وسلامة أذواقهم، وحسن رعيهم، وجميل وعيهم على كتابـة الأبيات الآتية»(٧)، وهـذا يـدل على واقع الأدب السعـودي يومئذ، وأنـه كان على حال مناسب من اليقظة والنمو، إذ كـان لتلك الوفادات المختلفة أثر في هذا الشأن، فمن الواضح أن الحجاز عندئذ كان يشهد شيئًا من هذا الاتصـال الأدبي بحكم منزلـة هذا المركز الفكـري، وما يضم في رحـابه من الأماكن المقدسة، فضلاً عن أهمية منزلـة واقعه السياسي، وما ناله من السمعة والريادة.

الهوامش، والتعليقات:

(١) قال عنه الزركلي: «عبـد الرحمن بن عبيد الله بن محسن بن علوي بن سقاف بن محمد بن عمر الصـافي السقـاف العلـوي الحضرمي [١٣٠٠ ـ ١٣٧٥ هـ]، مـؤرخ، بلـداني، من شيـوخ العلم بـالأدب والأخبـار وفقـه الشيعـة والسنـة لـه شعـر حسن، من أهل سيون، وإقـامته فيهـا بحضرموت كان مفتـي الديار الحضرميـة، تكرر اجتماعـي به في أواخر صفر ١٣٦٩ بجدة ثغر الحجاز في عودته من الحج، واطلعني على ما كان يصطحبه مـن مؤلفاته بخطـه، فطـالعتهـا وأخـذت فـوائد عن أكثـرهـا» «الأعـلام» ٣/ ٣١٥، ط ٦، دار العلم للمـلايين بيروت (١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م).

وقال عنه زبارة في معرض حديثه عن بيت آل السقـاف: «ومنهم مفتي حضرمـوت في عصرنـا العلامـة الشاعر الكبير عبد الـرحمن بن عبيد الله بن محسن بن علـوي بن سقـاف بن محمـد بن عمـر الصـافي السقـاف العلـوي الحضرمي المتـوفَّى بحضرموت في سنة ١٣٧٥ عن خمس وسبعين سنة» «نيل الحسنيين» المطبعـة السنيـة، مصر، دون تاريخ.

(٢) يوجد لدى الباحث صورة منها.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) يوجد لدى الباحث صورة منها.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) حضرمـوت: «بلادهـا وسكانها»، مجلـة العرب، ج ٥، ٦، س ٢٦ (ذو القعدة وذو الحجة ١٤١١ هـ) ص ٢٩٧.

(٧) يـوجـد لـدى الباحث صـورة منـه.

القرآن الكريم معجزة الله الباقية

د. رياض صالح جنزرلي

لم يسبق لأمة أن اعتنت بتدوين ورواية كتابٍ لها كالأمة الإسلامية التي اعتنت بكتاب الله عز وجل كتابة وتدقيقاً وتمحيصاً وتوضيحاً، ورواية ودراية.

وعلى الرغم من تشكيك المتشككين وكيد الكائدين فإن كتاب الله عز وجل ماضٍ في رحلته الأمينة ترعاه القلوب المؤمنة حفظاً وتدويناً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو معجزة الله الباقية وشريعته الهادية يهتدي به المهتدون، ويردّده القارئون، ويستنبط أحكامه العالمون، فهو كما وصفه رسول الله ﷺ بقوله: «فيه نَبَأُ ما قبلكم، وخَبَرُ ما بعدكم، وحُكْمُ ما بينكم، وهو الفَصْل ليسَ بالهزل، مَنْ تركَهُ مِن جبّار قَصَمه الله، ومن ابتغى الهُدَى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تَزِيغُ به الأهواءُ، ولا تَلتَبِس به الألسنةُ، ولا تَشْبَعُ منه العُلَماء، ولا يَخْلَقُ عن كَثْرَةِ الردّ ولا تَفْنَى عجائبه..». (الحديث)[١].

ومازالت عناية المسلمين بكتاب الله عز وجل منذ نزوله إلى يومنا هذا، وستبقى إلى ما شاء الله لها أن تدوم إذ تلقّته الأمة عن رسول الله ﷺ مشافهة، ودوّنته طائفة أشرف عليها رسول الله ﷺ عُرفت باسم كتبة الوحي[٢]، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه على نبيه ﷺ منجّماً، زيادة في تثبيته واعتناء بحفظه قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[٣].

فكان كتّاب الوحي يضعون الآيات في الأماكن التي يشير إليها رسول الله ﷺ كما يخبره بها جبريل عليه السلام. وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه خرج المسلمون لقتال أهل الردّة فاستشهد عدد كبير من القراء، فخاف الصحابة رضي الله عنهم على القرآن من الضياع، فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على خليفة رسول الله بجمع القرآن، فتردد إلى أن شرح الله صدره لذلك، فأمر زيد بن ثابت رضي الله عنه بجمع القرآن فتردد إلى أن شرح الله صدره لذلك، قال: «فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، ووجدتُ آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع غيره»[٤].

وبقيت الصحف الكريمة التي جمعها زيد بن ثابت رضي الله عنه في رعاية أبي بكر رضي الله عنه، ثم انتقلت بعده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم إلى ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، إلى أن جاء عهد عثمان رضي الله عنه فبلغه اختلاف الناس في قراءة كتاب الله[٥] ففزع إلى تكليف لجنة علمية تقوم بتدوين عدّة نسخ من كتاب الله عز وجل موافقة للرسم والقراءات الثابتة المنقولة عنه ﷺ، ومعتمدة على النسخة المحفوظة لدى حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، ثم بعث بما دوّنته وحفظته هذه اللجنة العلمية من نسخ إلى الأمصار، وأرسل مع كل نسخة قارئاً من خيرة القرّاء يقرئ الناس المصحف المرسل إليهم، ويكون حجّة على كل القراءات الأخرى، وليوافق التعلم منهج التدوين والتلقين دفعاً لكل لبس وتأكيداً على ضرورة الالتزام، فأرسل مصحفاً إلى الكوفة ومعه أبو عبدالرحمن السُّلمي، ومصحفاً إلى البصرة ومعه عامر بن عبد القيس، ومصحفاً إلى الشام ومعه المغيرة بن شهاب، ومصحفاً إلى مكة ومعه عبد الله بن السائب، ومصحفاً لأهل المدينة ومعه زيد بن ثابت، ومصحفاً اختص به نفسه[٦].

وهذا الرسم متصل بقواعد الإملاء لا بنوعية الخط، لذا فإننا نجد القرآن الكريم مكتوباً بخط النسخ وبالخط الكوفي الأفريقي إلاّ أنه في كل أحواله موافق للرسم العثماني.

وأما اللجنة العلمية التي قامت بهذا العمل فهي من خيرة الصحابة علماً وعملاً وهي: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وقد قامت بالعمل في ضوء الخطة العلمية التي وضعها لها عثمان بن عفان رضي الله عنه بقوله للرهط القرشيين الثلاثة:

إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنّما نزل بلسانهم، ففعلوا[٧].

كما أمر عثمان رضي الله عنه بعد ذلك بحرق كلّ مصحف مخالف لهذا الرسم؛ منعاً للفتنة والالتباس.

وقد جُرّدت هذه المصاحف من كل شرح أو تفسير ليس منها، كما ساعدت طريقة الكتابة غير المعجمة ولا المشكولة وجوه القراءات المتواترة، التي كانت توزع على المصاحف حين لا يحتملها الرسم[٨] وكان ذلك سنة خمس وعشرين هجرية. ولقد ساعد عثمان على ذلك «زهاء اثني عشر ألفاً من

> كان عمر صاحب فكرة جمع القرآن، فشرع فيها أبو بكر، ونفّذها زيد، ثم حفظها عثمان، رضي الله عنهم أجمعين

الصحابة والتابعين، واتّبعه على ذلك جماعة من المسلمين بعده، وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ، وإن صحّت ورويت»[٩] لذا كان عليّ رضي الله عنه يقول: «لا تقولوا في عثمان إلاّ خيرا، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف (أي من جمعها وحرقها وإقرار نسخه فقط) إلا على ملأ منّا»[١٠].

هذا وقد شهد التاريخ بعد ذلك لعمر أنه صاحب فكرة جمع القرآن، كما شهد لأبي بكر أنه شرع بها ولزيد أنه نفّذها، وشهد لعثمان أنه حفظها رضي الله عنهم أجمعين وجزاهم خيراً عن المسلمين.

يقول الإمام السيوطي نقلاً عن أبي بكر القاضي في الانتصار: «إن جميع القرآن الذي أُنزل وأمر الله بإثبات رسمه ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظْمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتّبه عليه من آي وسور، لم يُقدَّم من ذلك مؤخَّر ولا أُخّر منه مقدَّم، وأنّ الأمّة ضبطت عن النبي ﷺ آي كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة»[١١].

النقط والشكل في رسم المصحف العثماني

لم تكن النسخ المحمولة إلى الأمصار تحتوي على أيّ نَقْطٍ أو شكل أو رمز للقراءات؛ لأن الناس لم يكونوا بحاجة إلى ذلك كله، إذ كانوا يعتمدون على سليقتهم العربية وفهمهم للغة حين قراءتهم لكتاب الله، وقد ظلّوا على ذلك بضعاً وأربعين سنة حتى خلافة عبد الملك بن مروان[١٢] إلاّ أن اللحن بدأ يفشو بين الناس بكثرة الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام ولم يعرفوا اللغة العربية فاتجهت أنظار الغيورين على كتاب الله إلى البحث عن طرق يحفظون بها كتاب الله ويسّهلون على المسلمين من غير العرب قراءة كتاب الله بيسر ووضوح، وكان أوّل من اهتم لهذا الأمر أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) بناء على طلب زياد والي البصرة، وذلك بعد أن سمع قارئاً على جسر بغداد يقرأ قوله تعالى: «إن الله بريءٌ من المشركين ورسوله» بجرّ لام رسوله فأفزعه هذا، وجَدّ جِدّه لعمل مثمر جليل فانتهى به اجتهاده إلى جعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة أسفله، والضمّة نقطة بين أجزاء الحرف، وجعل علامة السكون نقطتين، على أن تكتب النقط بلون مخالف للمداد المكتوب به المصحف.

وتعد هذه أول خطوة تتصل بضبط نطق كتاب الله فكانت فاتحة خير لتثبيت وتوحيد قراءة الأمة. وفي دار الكتب المصرية في القاهرة مصحف كوفيّ منقّط على هذه الطريقة وُجِد في جامع عمرو بن العاص، وهو من أقدم مصاحف العالم، مكتوب على رقاق كبيرة بمداد أسود فيه نقط حمراء اللون، كما أشار أبو الأسود الدؤلي[١٣].

أما الخطوة الثانية فتتمثل في إعجام القرآن الكريم وهو أمر لا يقلّ أهمية عن حركات الإعراب وقد قام به[١٤] نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩هـ) ويحيى بن يعمر (ت ١٢٩هـ) بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق آنئذ ولقد كان لابن سيرين مصحف نقَّطه له يحيى بن يعمر[١٥].

أما المحاولة الثالثة وبها تمثلت العناية التامّة بشكل القرآن الكريم وتوضيح حركاته الإعرابية من حيث الشكل والموضع المناسب لها فقد تمّت على يد نابغة العربية وواضع علم عروضها، الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي (ت١٧٥هـ) إذ أبدل النُّقط الملوّنة التي وضعها أبو الأسود الدؤلي بعلامات الإعراب التي لم تزل إلى يومنا هذا وهي:

الفتحة: ألف قصيرة مائلة تشبه الخط المائل القصير وتكون فوق الحرف.

الضمة: واو صغيرة تكتب فوق الحرف.

الكسرة: ياء راجعة صغيرة مائلة تحوّلت إلى خط قصير مائل وتكون تحت الحرف.

التنوين: علامته تكرير الحركة المناسبة فوق الحرف أو تحته مرّتين.

السكون: دائرة خفيفة فوق الحرف.

كما وضع علامة الشدَّة والمدَّة والوصل والهمزة.

وما إن انتهى القرن الثالث الهجري حتى بلغت الكتابة العربية أوجها من حيث النقط والشكل والإتقان وتجويد الخط وتجميله والتأنّق به على أيدي كبار الخطاطين أمثال: ابن مُقلة، وابن البواب، وغيرهما كما ظهرت علامات أخرى أسهمت في توضيح أحكام التجويد والتلاوة كعلامات التعشير والتخميس[١٦]، والمدود والإدغام، وكتابة أسماء السور، ووضع عدد الآيات وسائر علامات التجويد وإشاراته، وعلامات الأجزاء والأحزاب والأرباع، التي ما تزال إلى يومنا هذا، وقد كره بعض علماء الأمة هذه العلامات واستحسنها بعضهم الآخر، وكانوا يفضّلون تمييزها بالألوان خلافاً للون كتابة المصحف.

وقد أدرك عثمان بن عفّان رضي الله عنه ما ستفعله العرب في كتاب الله من أجل حمايته وصونه فقال عندما نظر إلى النسخة الأولى التي انتهت منها اللجنة وعُرضت عليه: قد أحسنتم وأجملتم أرى فيه شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها[١٧].

كما اهتم المسلمون بكتابة القرآن الكريم ونسخه وتذهيبه وتزيينه، فكتبه عدد كبير منهم بأيديهم على اختلاف مراتبهم الدنيوية، إذا عرف عن بعض

«مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، هو أول وأضخم عمل رسمي حكومي لطباعة القرآن الكريم»

سلاطين بني عثمان كتابته للمصحف بيده.

طباعة القرآن الكريم

أما عن طباعة القرآن الكريم فقد مرّت بمراحل، ومما يؤسف له أنها لم تبدأ في بلاد المسلمين؛ وذلك لتخلّفهم عن ركب الحضارة آنذاك. يقول الدكتور صبحي الصالح رحمه الله: «ظهر القرآن مطبوعاً للمرة الأولى في البندقيّة حوالي سنة ١٥٣٠م، ولكن السلطات الكنسية أصدرت أمراً بإعدامه حال ظهوره ثم قام (هنكلمان HINKELMANN) بطبع القرآن في مدينة هامبورغ سنة ١٦٩٤م ثم تلاه (مراكي MARACCI) بطبعه في بادو PADUE سنة ١٦٩٨م ولم يكن لأي واحدة من هذه الطبعات أثر يذكر في العالم الإسلامي، ثم ظهرت أول طباعة إسلامية خالصة للقرآن في (سانت بترسبورغ) بروسيا سنة ١٧٨٧م، وهي التي قام بها مولاي عثمان، وظهر مثلها في قازان، وإذا بإيران تقدم طبعتين حجريّتين إحداهما في طهران سنة ١٢٤٤هـ ـ ١٨٢٨م والأخرى في تبريز سنة ١٢٤٨هـ ـ ١٨٣٣م ويقوم (فلوجل Flugel) سنة ١٨٣٤م بطبعته الخاصة للقرآن في (ليبزيغ Leipzig)، فتلقاها الأوربيون بحماسة منقطعة النظير بسبب إملائها الحديث السهل، لكنها لا تصيب نجاحاً في العالم الإسلامي. وتظهر في الهند طبعات للقرآن أيضاً، ثم تعنى الآستانة ابتداء من سنة ١٨٧٧م بهذا الأمر العظيم، ثم كان حدث سعيد على جانب عظيم من الأهمية حين ظهرت في القاهرة طبعة أنيقة جميلة دقيقة لكتاب الله سنة ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٣م تحت إشراف مشيخة الأزهر، وبإقرار اللجنة المعينة من قبل الملك فؤاد الأول، وقد كُتب هذا المصحف وضُبط على ما يوافق رواية حفص لقراءة عاصم، وقد تلقّى العالم الإسلامي هذا المصحف بالقبول وأصبحت ملايين النسخ التي تطبع منه سنويا هي وحدها المتداولة أو تكاد تكون وحدها المتداولة، لإجماع العلماء في مشارق الأرض ومغاربها على الدقّة الكاملة في رسمه وكتابته». وقد وضع أصول الحروف والعلامات المستعملة في طبع هذا المصحف الخطاط التركي محمد بك جعفر، واتخذت كتابته للحروف أنموذجاً لحروف المطابع الحكومية (المطابع الأميرية).

ثم تتابعت بعد ذلك طبعات القرآن الكريم في شتى بلاد المسلمين؛ لتطوّر أساليب الطباعة وتوافرها في بلاد العالم الإسلامي، فنشطت المطابع العربية في القاهرة وبيروت وغيرها من المدن العربية، كما ظهرت طبعات للقرآن في ألمانيا وإيران وإستانبول تميّزت بجمال اللون والزخرفة والخط، ثم كان أبرز هذه الأعمال تخصيص مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة عام ١٤٠٥هـ وهو أول عمل رسمي حكومي لطباعة القرآن يتم بإشراف دولة مسلمة استخدمت فيه أحدث أدوات ووسائل الطباعة والتغليف في العالم، وتوزّع منه كل عام ملايين النسخ ليقرأها المسلمون في شتى بقاع الأرض، ولم يقتصر هذا المجمع على طباعة مقاس واحد لكتاب الله، بل عدّة مقاسات على قراءة حفص وورش بالإضافة إلى ترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى لغات عدّة وخطوط عدّة، مع أشرطة مسجلة، ترتيلا بأصوات قرّاء مجيدين تمّ اختيارهم بعناية، وقد اعتمد هذا المجمع أنموذج كتابة الخطاط السوري عثمان طه وهو أنموذج يتميز بالسهولة والوضوح.

وبعد، فهذه مقالة موجزة عن رحلة تدوين وحفظ كتاب الله عز وجل أوضحنا فيها توجيه الإله سبحانه وتعالى لهذه الأمّة لتحفظ كتاب ربها الذي ارتضاه لها شريعة ومنهاجا ووفاء لوعده نبيّه محمداً ﷺ: «لا تحرّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ»(١٨)

الهوامش:

١ ـ أخرجه الترمذي في ثواب القرآن الكريم، ورواه الدارمي ج ٢/ ٤٣٥ (راجع جامع الأصول لابن الأثير ج ٨/ ٤٦١ ـ ٤٦٢ (حرف الفاء) تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ـ نشر مكتبة الحلواني وآخرين ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢ ـ كعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأُبي بن كعب وغيرهم رضي الله عنهم.

٣ ـ سورة الفرقان/ ٣٢.

٤ ـ راجع الإتقان في علوم القرآن ج ١/ ٥٩ للإمام جلال الدين السيوطي، طبع دار الفكر - بيروت. وكتاب المصاحف ص ٦ لأبي بكر عبد الله السجستاني، طبع مكتبة المثنى ط ١/ ١٩٣٦م ـ ١٣٥٥هـ بغداد. وتمام الحديث في صحيح البخاري ج٦/ ٣١٥ - نشر عالم الكتب ط ٤/ ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م ـ بيروت.

٥ ـ روى البخاري ج٦/ ٣١٥ ـ ٣١٦ أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها...

٦ ـ راجع مباحث في علوم القرآن ص ٨٤، د. صبحي الصالح، ط ٨/ ١٩٧٤م نشر دار العلم للملايين ـ بيروت ـ أو تاريخ القرآن الكريم ص ١٤٩، د. محمد سالم محيسن ـ سلسلة دعوة الحق ـ نشر رابطة العالم الإسلامي.

٧ ـ الإتقان في علوم القرآن ج ١/ ٦١ (مرجع سابق) أو كتاب المصاحف ص ١٩ وما بعدها (مرجع سابق).

٨ ـ مباحث في علوم القرآن ص ٨٠، د. صبحي الصالح (مرجع سابق).

٩ ـ رسم المصحف العثماني ص ١٠، د. عبد الفتاح شلبي ط ٢/ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ نشر دار الشروق.

١٠ ـ كتاب المصاحف ص ٢٢.

١١ ـ الإتقان ج ١/ ٦٣.

١٢ ـ مباحث في علوم القرآن ص ٩٠.

١٣ ـ المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٨/ ١٩١، د. جواد علي، ط١/ ١٩٧١م ـ نشر دار العلم للملايين ومكتبة النهضة.

١٤ ـ يرى بعضهم أن أول من وضع النقط في المصاحف الحسن البصري ويحيى بن يعمر وذلك بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق الذي أمره الخليفة عبد الملك بن مروان بذلك، صيانة للقرآن من اللحن والتحريف، وقيل نصر بن عاصم الليثي ـ راجع مجلة البحوث الإسلامية ص ٢١ ـ ٣١ عدد/ ٦.

١٥ ـ وفيات الأعيان ج٦/ ١٧٥، شمس الدين بن خلكان ـ تحقيق إحسان عباس، نشر دار الثقافة ـ بيروت.

١٦ ـ التعشير وضع علامة كل عشر آيات، والتخميس وضع علامة كل خمس آيات تسهيلا للحفاظ.

١٧ ـ كتاب المصاحف ص ٣٢، وقد ضعّف الخبر أبو عمرو الداني في كتابه المقنع. راجع مجلة البحوث الإسلامية ص ٤٣.

١٨ ـ سورة القيامة ١٦/ ١٧.

الضحك حتى الموت

أو: من رسائل مثقف سعودي "١"

يوسف الشاروني

منذ حوالي عشر سنوات نشرت عن هذا الصديق كلمة موجزة عقب وفاته، لكن ذكراه ظلت تلاحقني مطالبة بحق الوفاء أن أفسح له مزيدًا من الوجود في دنيا الأدب التي طالما تطلع إليها، فلم يسعني إلا الرضوخ؛ لأنه لا يزال ـ وسيظل ـ قطعة من وجداني.

ولقد ترددت كثيراً قبل أن أكتب عن هذا الصديق، فقد تعودنا في شرقنا العربي أن نخفي مشاعرنا ونخجل منها حينا، ونعتبرها نوعا من المباهاة حينا آخر، تُلزمنا فضيلة التواضع أن نتجنبها. لهذا فإنه حتى أدب السِّيَر ـ ولا أقول أدب الاعترافات ـ يندر وجوده في تراثنا الأدبي قبل بداية أدبنا الحديث، أما نشر رسائل الأدباء الخاصة فأمر لا وجود له، إلا إذا كانت من نوع رسائل أبي العلاء المعري التي يَرُدُّ فيها على بعض من يراسلونه فتطول وتصبح فنًا أدبيًا رائعًا. فتقاليدنا الاجتماعية والأخلاقية تضع حدوداً لجرأتنا على الكشف عن دخيلة أنفسنا، ونفضل أن نرتدي الأقنعة عندما نعلو المسرح أمام جمهورنا.

وبالرغم من كل هذه الاعتبارات، وهذه التقاليد ا لتي تجثم على تاريخنا الأدبي، وجدْتُ أنَّ من حق الصديق سعيد سليمان كردي أن أودِّعه بمناسبة رحيله عن دنيانا في الساعة السادسة من صباح الجمعة ١٤ شوال ١٤٠٤هـ الموافق ١٣ تموز (يوليو) ١٩٨٤م بعد مرض طويل كافحه بروح الفكاهة والسخرية والدعابة قبل أن يكافحه بالطب والعقاقير.

وكل أديب لا بد أن يكون له، بالضرورة، جمهور قراء يحبه ويتتبع كتاباته، وإلا فكيف يوزع مؤلفاته، ومن ذا الذي يواظب على شرائها؟ هؤلاء القراء المختفون يتمثلهم الأديب أمامه حين يكتب في هيئة قارئ مجرد ـ مثل المجردات في عالم المُثُل الأفلاطوني ـ وَهُم أحد دوافعه القوية للكتابة وللاستمرار فيها وإن زعم أنه لا يعبأ بوجود هذا الجمهور.

وأحيانا ما يلتقي الكاتب فجأة وعلى غير انتظار لقاءً عابراً بأحد هؤلاء القراء ـ ربما في مكان قصي من الأرض حيث يعتقد أن صوته لم يصل ولن يصل ـ فيحدثه قارئه كيف يتابعه منذ سنوات، وكيف وقع في يده كتاب من كتبه بمحض المصادفة ـ أو قرأ له مقالا أو قصة أو قصيدة ـ فلما أُعجب به أصبح قارئه، ثم يذكر له تفاصيل دقيقة مما قرأ من الواضح أنها أصبحت جزءًا من وجوده، فيدرك الكاتب أن كتاباته قد حفرت آثارها في ذاكرة قارئه الذي نراه يعامله باحترام شديد، كأنما ما توقع أن يلتقي به يومًا ما أو أن يكون مثله من لحم ودم، فلا شك أن مؤلفه كان فكرة مجردة حتى لو كان قد لمح صورته من قبل في وسائل الإعلام، ثم تجسّد أمامه فجأة للحظات. تلك هي إحدى المتع القليلة للكاتب في مجتمع تسوده أغلبية أمية أبجدية وثقافية وروحية.

غير أن هناك أفراداً من هذا الجمهور القارئ لديهم الجرأة على أن يكونوا أكثر إيجابية من بقية القراء، فلا يتركون لقاءهم بكاتبهم لمصادفة قد لا تقع، فيقررون في لحظة ـ لا بد أن تكون عواطفهم أو حماستهم نحو هذا الكاتب قد نضجت كما تنضج الثمرة ويحين أوان جنْيها أو قطافها ـ أن يصبحوا أكثر اقترابا من كاتبهم فيرسلون له معبّرين عن حبهم له وإعجابهم بما يكتب. وليس من الضروري أن يكون أفضل كاتب يقرؤون له، لكنهم ربما يستشفون من كتاباته أنه يصلح أن يكون صديقا لهم، وأنه لن يعرضهم لتجربة صد أو عدم مبالاة. ولعل عملية انتقاء تحدث بين الطرفين المتراسلين، شأنها في ذلك شأن علاقات الحب والصداقة في الحياة، فليس كل من راسل كاتبًا وجد استجابة، ولا الكاتب يستجيب لكل رسالة يتلقاها.

تلك هي أيضا مُتع كل أديب، هؤلاء الأصدقاء الأعزاء الذين يُجسِّدون له قراءه المجهولين المجردين، إذ يبرزون من غبش هذا السديم الذي يكتب له الأديب ويُسفرون عن وجودهم فإذا هم من دم ولحم.

ومنذ حوالي ربع قرن ـ ربما ـ تلقيت مظروفا عليه عنواني بالقاهرة بخط لا أعرفه، كان خطًا مميزًا حروفه كبيرة شديدة الوضوح، فقلبته لأقرأ اسم المرسل: **سعيد سليمان كردي ـ حي الملز ـ الرياض**. وفتحته فإذا به كلمات أحد هؤلاء الأصدقاء المجهولين الذين يُخجلون الأديب بكلماتهم الودية المشجعة:

«تحية طيبة

قبل السادس من أكتوبر البطل (يقصد التاريخ الذي حطمت فيه مصر خط بارليف الإسرائيلي على قناة السويس عام ١٩٧٣ م) كنت في القاهرة المزدحمة بميادينها، وشوارعها، وحاراتها، وآثارها، وسكانها، وضيوفها، والعيون السود فيها. في الزحمة وجوه يعلوها البِشْر والفرح، وأخرى يجللها الألم والحزن. في هذا المزيج البشري العجيب لمحتك.. لكن الزحام لا يؤصل معرفة أو يوجد صداقة.

لم أكتفِ بهذا اللقاء السريع، بل أكدته بلقاءات مع العشاق الخمسة، ورسالة إلى امرأة، وفي المساء الأخير، وآخر العنقود (هذه أسماء مجموعات قصصية وشعرية) كان آخر لقاء.

حضرتُ ندوة أدبية كان أحد كتبك أنت

الضحك حتى الموت

موضوع المناقشة فيها، هذا الكتاب كان «دراسات في الرواية والقصة القصيرة».

أنت لا تعرفني.. أصدقاؤك كثيرون.. يُقَدِّرون بقدر ما رسمت من حرف ووضعت من كلمة. أنا نقطة من هذا البحر.. من الأصدقاء والمحبين.

لا أقرأ القصة قتلا لفراغ أو إضاعة لوقت أو استجداء لغفوة بعد الغداء. أطالعها بإمعان وفكر كطالب يقف بجد، يشعر في أعماقه بسؤال يريد له جوابًا.. فيقرأ.

عشت والقصة، رضعتها كطفل جائع أشد ما يكون شوقا لامتصاص صدر أمه. كانت القصة رحيقًا في الصغر، غذاءً كامل الدسم في الشباب، وثريداً إذا تقدم العمر.. طبق واحد يتعدد مذاقه.

أسلوبك لا عُسرَ هضم يعتريه، لا يحتاج بعد تلاوته إلى تناول حبوب النتريزون والأتروميد خوف اضطراب الكبد وتصلب الشرايين. قصصك بها توابل وبهارات وفلفل وكمون وُضعت بحساب يعجز عنه كبار طهاة الهيلتون والشيراتون. تركيب كيميائي تتحد ذراته لتخلق جوَ بهجة وسرور، أو ترحًا لا فرح فيه، أو زحامًا يختلط فيه الحابل بالنابل. تنقلنا إلى عوالم جديدة فسيحة رحبة حسب الطبخة ولونها. قصصك تزيد قارئها بسطة في الفكر و(رجيما) في الجسم، أنسى معها وجبات الغداء ملتذا بما ألتهم.

في مرة لعبت بالنار، تقمصت شخصية طبيب جراح لتشريح إحدى قصصك. أحضرت أدوات التشريح: المبضع القلم، القطن الطبي الورق، طاولة التشريح المكتب، الجسم المراد تشريحه القصة. التشريح لا يُتخذ إلا على جثث فارقتها الروح. تشريح الجسم الحي لا يكون ولن يكون. بأمر السماء أولا، وبقوة القانون والعرف والعادة ثانيًا، وبقوة اليمين التي يؤديها طلبة الطب عند تخرجهم ليمارسوا مهنتهم. وبعد البحث والتحري اتضح أن قصصك حية، كلها نشاط دائم، نبض عروق تعيش... المساس بها لعب بالنار، إهدار لكرامة جسم حي، وسفك دم حرام.

ليست هذه رسالة إطراء وتقريظ، إنما إحساس ملتهب أفرغته في هذه الأسطر، وفاتحة إعجاب بلُقيا جديدة لأدب جديد في قصص ودراسات جديدة».

وقد شدّني في أسلوب هذا الصديق الجديد القديم شيء جعلني أقرر الاحتفاظ بخطابه ولو لفترة. ومع أني كسول في كتابة ما يُسمى بالرسائل الإخوانية، وأعجب من نفسي كيف استطيع أن أكتب صفحات طوالاً تنتمي إلى ما يسمى أدباً وأعجز عن كتابة سطرين ردًّا على رسالة صديق. لهذا ألجأ إلى حيلة طالما لجأت إليها للخروج من هذا المأزق: ضرورة الرد على رسالة دون أن أكلف نفسي كثير عناء. ذلك أنني أنتظر أو أنتهز فرصة الأعياد فأرسل بطاقة تهنئة متضمنة رداً موجزا بحكم المساحة الصغيرة المتاحة على البطاقة، وبذلك أضرب عصفورين بحجر كما يقولون: تهنئة، ورد ديون رسائل سابقة. وسرعان ما تلقيت رداً على الرد:

«في ضحى يوم ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ م تسلمت من ساعي البريد بطاقة التهنئة منكم بعيد الفطر. أعادت إلى ذهني العيد بفرحه ومرحه وشقاوته الحبيبة. البطاقة الصغيرة حجما، الكبيرة موضوعا ومعنى، الممتلئة تقديرا وإخاءً، المُفْعَمة بكلمات الحب المترعة إخلاصا وعدم نسيان.

بطاقتك هذه ألجمت ألسنةً وأنْطَقَتْ أخرى. ألجمت متشائمين قالوا: ها هو لم يُجِبْك على رسالتك، طعنات أُحْكِمَ تسديدها، نشروا الظلمة حولي، دهنوا جداري بلون أسود. المغرقون في تفاؤلهم وحُسن نواياهم تحدثوا بإيمان وعقيدة ألا يأس مع الانتظار... وكطفل جاءه شيء جميل تشبث به بيديه وأسنانه ورموشه.

إليك سلام الله من صديق بارَكَتْ
يد الله في أرض الكنانة دائما»

وتوالت المراسلات بيننا، وكانت رسائله تتميز بأنها مكتوبة بأسلوب أدبي رفيع يدل على ثقافة كاتبها وسعة اطلاعه كما تتخللها روح الفكاهة والدعابة:

«قد يكون موطن الضعف في سلوكي الشخصي الثرثرة فيما أكتب من رسائل، لا فيما أتخذ من قرارات أو أحرر من توقيعات إدارية. أوثر الصمت في حديثي، أتكلم بقدر، أفكر بهدوء. أثرثر بإسهاب في رسائلي كتعويض عن الخصلة الأولى: قَفْل الشفاه وإطباقها.

أذوب فيما أطالعه ما عدا صفحة الوفيات، أُغمض عيني عنها. أنصرف بكُلِّيتي وأغرق بين دفّتي كتاب، أكاد أنسى نفسي وما يدور حولي. لا يقرصني جوع كأني منزوع المعدة خالي الأمعاء. وكأن **طه حسين** يعنيني بقوله ويلمزني بحديثه أو كأن هناك شبه اتفاق في قوله: فإذا أقبلتُ على الكتاب فرَّ النوم فراراً لا رجعة منه، كأنما الكتاب وقاء من النوم أيّ وقاء. ومن الناس قوم يقرؤون ليناموا، لكني لم أعرف قط كيف يكون الكتاب داعياً للنوم؟

ثرثرتي هذه ليست وراثية عن أبي وأمي. لا شك أن جدي ـ وبحكم قانون مَنْدِل في الوراثة ـ انتقل إليّ أحد كروموزوماته أو جيناته فتضخمت بذاتي فجعلتني ثرثار كتابة.

كانت أمنيتي وأمنية الأسرة وحلم الأبناء قضاء العطلة الصيفية الماضية بمصر، وليس هناك بلد كمصر نفرح ونمرح بها، وقديما قال الشاعر:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ما هبَّ لم يكن ريح رخاء عليل نسيمها، لطيف هبوبها! بل رياح نكباء وعواصف هوجاء، أكلت الأخضر وقضت على اليابس. شخصية غريبة عادت الفقراء والأغنياء، شاركت كل فرد مأكله وملبسه، لا تُرى بذاتها إنما تُعرف بأحوالها وأطوارها. هذه الشخصية الكالحة تُسمى «الغلاء»

لا بورك فيه. الحاجيات ارتفع سعرها وزاد الارتفاع حتى انفصلت عن الجاذبية الأرضية، لا يُرجى هبوطها، كنار شديدة الأوار، وصل لهبها إلى كل دار.

الواقع خفت، انتفض قلبي، اضطرب وصرخ جيبي. آثرت البقاء، وانبتّ قلمي عن قدمي وفي هذا بعض العزاء. إذا مات هذا الضيف اللعين جئتُ جرياً».

فلما تقابلنا - أثناء زيارة له بالقاهرة - اكتشفت أنه لواء بالشرطة السعودية، **وأحزنني أنه يعاني من مرض السكر وهو لا يزال في وسط العمر، وأسعدني أن عنده مكتبة تضم مؤلفات معظم الأدباء العرب المعاصرين، كما أنه يحفظ كثيرا من الشعر العربي قديمه وجديده، وأن له محاولات أدبية:**

«سبق أن تحدثتُ معك حول محاولتي لكتابة القصة القصيرة، ووعدتُ بإرسال نموذج مما أكتب من قصص قصيرة، تحكي بعضاً من تجارب عشتُها، وقضايا مارستُها، ومشكلات حللتُها، وأخرى كحّلتها فعميتُها في بدء حياتي الوظيفية. اجتهدت فأصبت فكان لي أجران، واجتهدت فأخطأت فكان لي أجر واحد، طُرَفٌ ابتسمت لها، نوادر فكرت فيها بعقل فيلسوف وضحكت لها بقلب مجنون. نكت أصغيت لها، اتسعت لها أذناي، سخسخت إعجاباً بها. مآسٍ أبكتني، وحب نابض فتحت له القلب وأسكنته الجوانح فعشعش وأفرخ. أُنْشُدِبْتُ حَكَمًا لإصلاح ذات البين، جمعت رأسين في الحلال، أعدتها لوكر الغرام.

حياة مليئة بالحلو والمر، الشوك الكثير والورد القليل. تهتُ في الصحراء حين كانت بلادي فيافي وقفاراً. سِحْتُ في الغورية وبوابة المتولي، قضيت وقتًا في مسجد الشافعي، وزرتُ مسجد عمرو بن العاص بمصر القديمة.

الدمع بلّل الوسادة، البسمات النادرة جاءت كلمح البرق، يوم عسل وأيام بصل.

لم أُستدعَ ولله الحمد لمجلس تأديب، لكن وقفتُ طويلا وكثيرا أمام رؤسائي المدنيين يلتفون في

> كانت رسائل هذا الصديق مكتوبة بأسلوب أدبي رفيع تتخلله روح الفكاهة والدعابة

عباءات وبرية، وعسكريين تلمع على أكتافهم إشارات متألقة متسربلين في بدل صوفية زيتونية اللون. أتصبب عرقًا، تنخلع مفاصلي، تتزغلل عيناي، يقفز قلبي، يحاول الإفلات وأنا أتساءل عن سر دعوتي ومثولي أمام رئيس كبير. أخيراً أسمع ما يطمئن خاطري ويُذْهِبُ عني الروع:

- مشكور بارك الله فيك.

أربع كلمات تنزل برداً وسلاماً، بعد أن تكبدت من أجلها ما تكبدت. حينئذ أخبط الأرض بقوة كجندي مستجد كجلمود صخر حطّهُ السيل من عَلٍ، رافعاً يدي: تعظيم سلام، متخذاً وضع خلْف دُرْ آخذاً نفساً عميقا بعد أن فقدت أنفاسي، وهرب شهيقي وزفيري.

هذه بعض أوسمة وميداليات مُنِحتُها آنذاك، سمع بها القليل، لم يرها أحد. أشعتها ونورها بصدري، طاقة دفعتني لحب عملي.

شرّقت وغرّبت، أشملتُ وأجنبت، شاهدت الدنيا، رأيت قديمها وحديثها. وقفت مع الفقراء، تحدثت مع الأغنياء، صادقتُ العلماء، صاحبتُ الفنانين. شاهدت الهيبيز في لندن وواشنطن، تجولت كالأطفال بديزني لاند، استلقيت بساحل هاواي، أكلت الأرز بالعصيّ في اليابان، ارتديت غطاء الرأس الصيني بفرموزا، اشتريت فراء من هونج كونج. دخلت حلبة مصارعة الديكة في بانكوك، استطعمت الكاري بدلهي، واستمتعت برقص الحيّة مع الفقير الهندي بأكرا، وصعدت تاج محل. حزنت لفقراء باكستان وتألمت من أجلهم بطهران. وفي بيروت اشتريت قصة ثرثرة على النيل.

زرعت عيوني في الفتاة الأوربية، وأغمضتها عن المرأة الآسيوية، شممت رائحة مدام روشيه وسواردي باري في باريس، واستنشقت بخور اللبان والفاسوخ بسيدنا الحسين.

ليس للدنيا أب إنها لها أم، جمالها يتجدد، زيها يتطور، شبابها دائم، لا تدركها الشيخوخة. ذُبْتُ فيها هياما، خضت في جنباتها عشقًا وغرامًا. رجالها أدب، أرضها ذهب، مدنها صخب، ريفها طرب، مواصلاتها عجب. تدعوك باحتشام نظرات بناتها، ترحب بك قلوب أبنائها، تحميك سواعد فتيانها، تلك هي مصر. فيها عرفت حي السكر والليمون، وسكة شق الثعبان وبيت القاضي، وشارع الشيخ العبيط، ومقهى الفيشاوي آخر المطاف. كانت لي أيام مع الخيام وسهرات وليالٍ مع شهرزاد، وسويعات بصحبة كليوباتره، سيرهيلتون، ولورد شيراتون (أسماء فنادق بالقاهرة) جيبي لا ينتفخ لمصاحبتها وصداقتها.

من خطوط هذه الأحداث وتلك المواقف نسجت قصصي وألّفت حكاياتي، حبكتها بأسلوب ليس بالفصيح الممتاز ولا بالعامي المبتذل، لكنه بين بين. من أجل قصصي عانقت سيبويه وقبّلت نفطويه. قصصي بناتي سلوتي، مريض بحب قصصي وكتاباتي. أنا لا أطلب الكمال المطلق لكن أسعى إلى نصف هذا الكمال.

قرأ الأصحاب قصصي:

فرقة مصمصت شفاهها!

ثلة هزت رأسها

رهط ضحك من أسلوبها

عصبة أشارت في الصحف بنشرها،

أقل من القليل نصحوا بطبعها في مجموعة وإخراجها.

المتفائلون ابتسموا،

المتشائمون صمتوا.

اختلفت الآراء فغرقت السفينة وبقيت وحدي أصارع الموج».

(البقية في العدد القادم)

صداع العقول

مشكل الصِّحَّة والقبول



أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

قال الأزهري (ـ ٣٧٠ هـ) : قال الزجاج : قبلت الشيء قبولا إذا رضيته[١]. وذكر ابن فارس (ـ ٣٩٥ هـ) : أن القاف والباء واللام أصل واحد صحيح يدل على مواجهة الشيء للشيء . وذكر قولهم : قبلت الشيء قبولا، ولم يذكر وجه اشتقاقه من هذا الأصل . وإنما ذكر وجه اشتقاق المقابلة بين شخصين لأن كل واحد مواجه للآخر[٢].

قال أبو عبد الرحمن : وبهذا يتضح أن قبول الشيء مشتق من الإقبال ، لأن من يأخذ الشيء راضيًا عنه يقبل في العادة بوجهه على الطرف الآخر المعطي . أو من المقابلة كأن العمل قوبل بالرضا والثواب .

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي : «القبول في ألسنة السلف الرضا . . قبلت الشيء رضيته وأردته والتزمت العوض عنه . فقبول الله للعمل هو رضاه به وثوابه عليه»[٣] .

وفسر الفيروز آبادي (ـ ٨١٧ هـ) في القاموس : قَبِلَهُ بمعنى أخذه ، وذكر وجهَ اشتقاقٍ عائدٍ إلى ما ذكره ابن فارس فقال : «القبول هو من قولهم : فلان عليه قبول : أي من رآه أحبه»[٤].

قال أبو عبد الرحمن : هذا نتيجة المواجهة بين الرائي والمرئي .

وقال الفيروزآبادي أيضا عن معاني القبول : «وقبل توبته يقبلها قبولا وتقبلها ، قال تعالى : ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ الشورى ـ ٢٥ ، وقال : ﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾ غافر ـ ٣ . والتقبل قبول الشيء على وجه يقتضي ثوابا كالهدية .

وقوله تعالى : ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ المائدة ٢٧ . تنبيه أنه ليس كل عبادة متقبلة ، بل إذا كانت على وجه مخصوص .

وقوله تعالى : ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾ آل عمران ٣٧ . قيل : معناه قبلها ، وقيل : تكفَّل بها ، وإنما قال : ﴿تقبلها بقبول﴾ ولم يقل (بتقبل) للجمع بين الأمرين : التقبل الذي هو الترقي في القبول ، والقبول الذي يقتضي الرضا والإثابة»[٥].

قال أبو عبد الرحمن : ذكرُ الثوابِ قيدًا لمعنى القبول اجتهادٌ من الفيروزآبادي ، وليس نقلا عن العرب .

قال أبو عبد الرحمن : تلخص مما سبق ، بيان معنى الأصل الجامع لمعاني «قَبِلَ» وهو المواجهة ، وبيان وجه اشتقاق معاني القبول من الأصل الجامع ، وبيان معنى القبول في استعمال الناس ، فقد فسره الزَّجَّاج بالرضا ، وفسره الفيروزآبادي بالأخذ ، وقرن الفيروزآبادي مرة ثانية بين استعمال الناس ، واصطلاح الشرع فذكر أن القبول فيهما بمعنى : الأخذ على وجه يقتضي ثوابا كالهدية .

قال أبو عبد الرحمن : المتمحض من الاستعمال أن القبول بخلاف معنى الرد عقب العرض من طرف آخر ليتحقق أصل الاشتقاق اللغوي ، وهو مواجهة شيء لشيء . ويدخل في المعنى اللغوي معنى الاستجابة وهي تلبية الطلب ، وخلافها رده .

وللتلبية صور : منها الأخذ والتناول في المحسوسات ، ومنها الإذن بفعلٍ يُفعل من أجل الآذن ، ومنها أن يأذن بشيء من ماله أو متاعه للطالب .

فتلبية طلب الطالب قبول ، واستيلاء الطالب على ما أذن له فيه قبول أيضا . هذا هو المعنى لغةً .

ويتلخص من التعريفات اللغوية أن القبول شامل للأخذ ، وللرضا ، وللإذن إذا كانت هذه المعاني بين طالب ومطلوب .

وتلخص ثانية أن الإثابة أو ما يقتضيها ليس من معاني (قبل) إلا في حالة واحدة هي أن يطلب الطالب الإثابة فيستجاب له .

قال أبو عبد الرحمن : وعلى هذا التحقيق اللغوي يتفرع إشكال تقعيدي يتصل بالقواعد الشرعية الجامعة .

وممن ناقشه وحققه الإمام ابن دقيق العيد . قال رحمه الله تعالى : «فإذا أريد تقرير الدليل على انتفاء الصحة من انتفاء القبول فلا بد من تفسير معنى القبول ، وقد فسر بأنه ترتب الغرض المطلوب من الشيء على الشيء . . . يقال : قبل فلان عذر فلان : إذا رتب على عذره الغرض المطلوب منه ، وهو محو الجناية والذنب . فإذا ثبت ذلك فيقال مثلا في هذا المكان : الغرض المطلوب من الصلاة وقوعها مُجْزِئَةً بمطابقتها للأمر ، فإذا حصل هذا الغرض ثبت القبول على ما ذكر من التفسير . وإذا ثبت القبول على هذا التفسير ثبتت الصحة ، وإذا انتفى القبول على هذا التفسير انتفت الصحة .

وربما قيل من جهة بعض المتأخرين : إن القبول كون العبادة بحيث يترتب

الثواب والدرجات عليها، والإجزاء كونها مطابقة للأمر، والمعنيان إذا تغايرا وكان أحدهما أخص من الآخر لم يلزم من نفي الأخص نفي الأعم. والقبول على هذا التفسير أخص من الصحة، فإن كل مقبول صحيح، وليس كل صحيح مقبولاً.

نكتة الصحة مع عدم القبول

تعرض ابن دقيق العيد لمسألة التلازم نفيًا وإثباتًا بين الصحة والقبول، فقال موجهًا دليلاً لمن قال بالتلازم: «اللهم إلا أن يقال: دل الدليل على كون القبول من لوازم الصحة فإذا انتفى انتفت، فيصح الاستدلال بنفي القبول على نفي الصحة حينئذ.

ويحتاج في تلك الأحاديث التي أتى فيها نفي القبول مع بقاء الصحة إلى تأويل، أو تخريج جواب.. على أنه يُرَدُّ على من فسر القبول بكون العبادة مثابا عليها، أو مرضية، أو ما أشبه ذلك - إذ كان مقصوده بذلك أن لا يلزم من نفي القبول نفي الصحة - أن يقال: القواعد الشرعية تقتضي أن العبادة إذا أتي بها مطابقة للأمر كانت سببا للثواب والدرجات والإجزاء.. والظواهر في ذلك لا تنحصر»(٦).

قال أبو عبد الرحمن: لم يدل الدليل على أن القبول من لوازم الصحة، وإنما دل على أنه يكون من نتائجها في أغلب موارد الشرع.

ولصحة هذا الاستدراك - أعني كون القبول من لوازم الصحة في الأغلب - أبان ابن دقيق العيد عن الحاجة إلى تأويل النصوص التي نفت القبول مع بقاء الصحة، أو تخريج جوانب لها.

وما قرره ابن دقيق العيد من تواتر ظواهر الشرع على تحقيق القبول للأعمال الصحيحة ليس محل نزاع، ولكن صحة هذا لا يعني أنه يلزم من نفي القبول نفي الصحة؛ لأن قبول العمل لصحته لا يمنع من قبول ما لم يصح، ولا يمنع من رد بعض أنواع القبول كالثواب وإن كان العمل صحيحا.

والمفيد في محل النزاع هنا لفت النظر إلى أن بعض الأعمال الصحيحة التي لم يقبلها الشرع لا تقتضي نفي كل أنواع القبول، بل تقتضي نفي أحد أنواعه وهو الثواب، وهذا من تخصيص المعنى اللغوي بالبرهان الشرعي، أو تحقيق المعنى اللغوي ببعض أجزائه.

وقد علّق الصنعاني على كلام ابن دقيق العيد بنص طويل، أجتزئ منه بعضا في هذه الجولة.. قال: «هذا مبني على تسليم أخصية القبول من طرق المتقدمين، وأستبعده كما أشعرت به العبارة؛ لأن الدليل الذي دل على لزوم الصحة للقبول لم يذكر، بل الأصل عدم ملازمة الأعم للأخص وإلا لما كان كذلك.

إلا أنه لا يخفى أن دليل هذه الدعوى ما يأتي من قضاء القواعد الشرعية أن العبادة إذا أتي بها مطابقة للأمر كانت سببا للثواب، وهو دليل ناهض لا تستبعد تلك الدعوى بعد ربطها به.. إلا أن الشارح المحقق كأنه لم يجد هذا الدليل للمتقدمين، بل استخرجه بشريف ذهنه، فأجراه على ما يرد على المتأخرين.

ولا شك أن الله في كتابه رتب على الأعمال الصالحة الإثابة ودخول الجنات ورفع الدرجات، ورتب عليها رضاه: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية. جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا رضي الله عنهم ورضوا عنه..﴾ البينة ٧، ٨.

والآيات لا تنحصر في هذا، والأحاديث في معناها، وهي قواعد الشريعة، فالشارع لم يرسل إلينا إلا ليعرفنا بما نستحق به الثواب وننجو به من العقاب، ولم يزدنا في التعريف على الأمور التي توجب صحة العبادات.

ولو كان للقبول أمر آخر لا يلازم الصحة تترتب عليه الإثابة لعرفنا به، إذ هو من تمام ما بعث به، وبه تحصل لك صحة التلازم.

فإن قلت: ترد صلاة الآبق، فقد صرح الشارع بعدم قبولها مع صحتها.

قلت: هذه خصها الشارع بفك التلازم، إذ هو شرعي لا عقلي، وليس لنا أن نقيس عليه غيره.

على أن دعوى صحتها يفتقر إلى دليل.. لا يقال لا دليل ذلك الإجماع لما عرف في الأصول من إحالته عند الفحول.

والحاصل أنه تعارض المانع والمقتضي، فإن صحة الصلاة لاستكمال شرائطها مقتضٍ لقبولها، ولكن إباق فاعلها مثلا مانع عن قبولها.. والحكم للمانع عن قبولها، لا سيما على القول بأنه جزء من المقتضي إن قلت قد ثبت أنه ﷺ حدَّ جماعة على الشرب ولم يأمرهم بقضاء الصلاة والمقام مقام البيان.. ما ذلك إلا أنها مسقطة للقضاء.

قلت: لك أن تقول إن المحدودين لا نعلم أنهم صلوا صلاة واحدة بعد الشرب قبل التوبة، بل يثيب توبتهم، وعدم القبول إنما هو في حق من لم تثبت له توبة لما تقرر من أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

فقول الشارح: إنما تحتاج تلك الأحاديث إلى تأويل كأن يراد لا يقبلها الله قبول الكاملة وإلا فإنه يثيب عليها فاعلها، أو تخريج جواب بنحو ما أسلفناه.. إن قلت: هذا التلازم الذي قضت به القواعد يرده قوله تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ المائدة ٢٧، إذ مفهومه أن أعمال غير المتقي وإن صحت فلا قبول لها لتعليقه القبول بالتقوى لا بالصحة.

وفي كلام السلف كثير: لأن تقبل لي صلاة واحدة خير من كذا مع تحريهم بفعل شرائط الصحة»(٧).

قال أبو عبد الرحمن: هذا النقاش مدافعة لقول من قال: القبول أخص من الصحة.. بمعنى: أن العمل قد يكون صحيحا ولا يكون مقبولا. وأنه لا بد مع الصحة من القبول.

فهذان القيدان هما معنى أخصيَّة القبول.

وقد أبطل ابن دقيق العيد هذه الدعوى بملازمة القبول للصحة، فلو كان

مشكل الصَّحَّة والقبول

القبـول أخص لما لازم الصحة ، لأن الملازمـة تقتضي المساواة دون الأخصيـة . ولا يتصور معنى الأخص إذا وجد التلازم ، لأن معنى الأخص ينفي التلازم .

إلا أن ابن دقيق العيـد لم يذكـر بـرهان الملازمـة فتبرع الصنعـاني بالبرهـان ، وموجزه أن الشرع لم يذكر لنا مـا يتحقق به قبول أعمالنا غير صحة العمل ونتيجة القبول نجاتنا من النار ، وفوزنا برضا الله والجنة .

والشرع تكفل للعباد ببيان سبيل نجاتهم وفـوزهم ، فلو لزم القبول عن غير الصحة لَبَيَّنَهُ الشرع .

ثم وجـه النصوص التي فيهـا صحة وليس فيها قبـول بأن التلازم هنـا انتفى بالشرع لا بالعقل .

قال أبو عبد الرحمن : هاهنا ظواهر من تدبير الله الشرعي ، وتدبيره الكوني لا بد من طرحها لتمحيص وجه الحق في الاختلاف حول هذه المسألة .

وبيان ذلـك أن أعلى مراتب الصحـة في الخبر الشرعي الإحسان ، وهنـاك ما هو أقل من الإحسان يصح به العمل .

والقبـول درجات منهـا إسقـاط الإثم ، ومنهـا الثـواب بمقدار الإحسـان ، ويضاعف الله الأجر بما لا يضبطه المكلف .

وربما أخل العبد بالعمل جهلاً أو نسيانـًا أو اجتهادًا أو ضعف عزيمة كأن يخشع في ركعة ثم يضعف عن ملازمة الخشوع ثم يعود .

وربما أحسن عمله واقترف إثما يحبط ثواب عمله وإن لم يبق وزر تركه .

فأخذنا من موارد الشرع التالي :

أ ـ أن العمل لا يكون صحيحا بتـدبير الله الشرعي فيقبله الله بتدبيره الكوني تكرما ، كضعف عزيمة العبد في الاستمرار على إتقان العمل .

ب ـ أن العمـل لا يكون صحيحا بشرط تـدبيرٍ لله شرعي ، ويكـون مقبولاً بتدبيره الشرعي الآخـر وبتدبيره الكوني ، كـالعبد يخل بصلاتـه نسيانًا ولا يـذكر أبدًا . . فالإخلال نفي الصحة التي بينها الشرع ، وقضى الخطاب الشرعي الآخر بأن النسيان رافع للحرج .

جــ ـ أن العمل يكـون صحيحا ولا يقبلـه الله كصـلاة الآبق ، فلا تتصـور الجمع بين ثبوت الصحة ونفي القبول إلا بنفي نـوع من أنواع القبول وهو الثواب فقط .

فصح بهذا أن العمل الصحيح إذا لم يصاحبـه محبط يحقق القبول بتدبير الله الشرعي والكوني ؛ لأن الله لا يخلف وعده .

ولكن هذا لا يعني أن العمل غير الصحيح يـرد حتمًا ، لأن الله قد يعفو عن إنفاذ وعيده الكوني تكرما ورحمة .

د ـ أن الله حكيم ومقتضى حكمتـه أن يقبل العمل بالشرط الـذي شرطه ، وهو الصحة .

قال أبو عبـد الرحمن : هذا صحيح ما دام شرط الله صحـة العمل في ذاته ، وهـذا هو الأصل ، فيقـال : الأصل قبـول الله العمل إذا صح في ذاته حتى يقـوم دليل شرعي على أن عملاً مـا لا يقبل وإن صح في ذاته ، فـالصلاة إذا أديت كما أمر الله بها فقد صحت وضعا وشرعا فترتب على ذلك قبولها .

هذا هو الأصل ، فإذا جاء النص بأن شارب الخمر لا تقبل صلاته علمنا أن القبـول هاهنـا مشروط بوجـود المقتضي وهـو الصحة ، وتخلف المانع وهـو شرب الخمر ، فهي لم ترد لذاتها لأنها صحيحة ، وإنما ردت لغيرها وهو شرب الخمر .

فإن قلنـا عدم قبولها من أجـل شرب الخمر يقتضي نفي صحتها كـان معنى ذلك أنـه مطـالب بأدائها في الـوقت الـذي تقبل منـه الصـلاة ، باق عليـه وزر تركها .

وإن قلنا ردها لا يقتضي نفي صحتها كان معنى الرد إسقاط ما ترتب عليها من ثواب .

> العمل الصحيح ـ إذا لم يصاحبه مُحبط ـ يحقق القبول بتدبير الله الشرعي والكوني ، لأن الله لا يُخلف وعده

ولهذه النقطة مزيد من التحقيق في حينه إن شاء الله .

قال أبو عبد الرحمن : ها هنـا عبارة للصنعاني حصل الاختلاف في ضبطها ، فقد طبعت العبـارة هكذا : «لا يقال : لا دليل ذلك الإجماع لما عـرف في الأصول من إحالته عند الفحول» .

وهذه العبـارة مختلة ، وقـد صححها محقق الكتاب الأستـاذ الهندي بقـوله : «أي لا يقال : لا يصح الإجماع دليلاً لذلك» .

قال أبو عبد الرحمن : هذا تصرف يخل بالمعنى ، والصواب أن رابطة (لا) قبل (دليل) مقحمـة ، وصحـة العبـارة : لا يقـال : دليل ذلك الإجماع ، لأن دعـوى الإجماع محال تحصيلها .

والمهم أن الصنعاني منع وجود دليل يقضي بصحـة صلاة الآبق إلا في صورتي دعويين هما :

١ ـ الدعوى الأولى في صلاة الآبق مقتضى ومانع، فاستكمال شرائطها يعني صحتها، وهو مقتضى قبولها. وإباق فاعلها مانع من قبولها، ولم يزد الصنعاني ببيان وجه الاستدلال.

قال أبو عبد الرحمن: وجه الاستدلال أنها ثبتت الصحة وثبت نفي القبول.

وثبوت الصحة يعني تخصيص معنى القبول، فنثبت بثبوت الصحة الخروج من عهدة التكليف بأداء المأمور به فيسقط عقاب الترك، وننفي بنفي القبول حصول الثواب.

وقد رد الصنعاني هذا الاستدلال بأمرين:

أولهما: أنه إذا وجد المقتضي والمانع فالحكم للمانع.

ولم يبين وجه هذا الأمر إلا أنه يفهم منه قطعا ردها ولا يفهم منه نفي صحتها.

وبيان ذلك أن المانع يلغي ما يترتب على المقتضي، ولا يلغي وجود المقتضي ذاته وهو الصحة، ومقتضى الصحة هاهنا سقوط العقاب وحصول الثواب، والمانع قد يكون مانعا من جميع المقتضي أو مانعا من أحد أفراده.

> الرسول صلّى الله عليه وسلّم أُقام الحدّ على شاربي الخمر، وأُخبر أن شاربها لا تُقْبَل صلاته أربعين يومًا

إذن الإشكال لا يزال باقيًا، وليس في هذا الاعتراض أدنى حل له.

وثانيهما: ثمة من يقول إن المانع وهو الإباق يكون عكسه وهو (عدم الإباق) مقتضى لصحة الصلاة، وإذن فصلاة الآبق غير صحيحة.

قال أبو عبد الرحمن: ثبوت النص بأن الإباق مانع من قبول الصلاة لا يعني أن عدم الإباق شرط لصحة الصلاة. بل لا بد من دليل على هذا المدعى. ولهذا مزيد من التحقيق يأتي إن شاء الله في حينه.

٢ ـ وأخرى الدعويين: أن الرسول صلى الله عليه وسلم حد جماعة على الشرب ولم يأمرهم بإعادة الصلاة.

فلو كانت الصلاة غير صحيحة لأمره بإعادتها، فصح أنها صحيحة مسقطة للقضاء.

وقد عارض الصنعاني هذا الاستدلال باحتمال أن الشارب لم يصلِّ مطلقا قبل التوبة، ولم يبين قصده من إيراد هذا الاحتمال، ويظهر أنه أراد الإفادة بأن من لم يُصَلِّ أصلا أولى بالأمر بالإعادة، ولهذا لم يأمرهم.

فيصح له أن صلاة الشارب وعدم صلاته سيان، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يأمرهم بالإعادة؛ لأن التوبة مسقطة لما قبلها.

ثم أضاف هذه العبارة: وعدم القبول إنما هو في حق من لم تثبت له توبة، لما تقرر من أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

قال أبو عبد الرحمن: يحتمل في الواقع أن يوجد من يشرب الخمر ولا يصلي قبل توبته، ويحتمل وجود من يشربها ويصلي.

والاحتمال الأول بعيد فيمن حدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعلى صحة هذا الاحتمال فلا ريب أن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته يفترضون فيهم أداء الصلاة، وإنما حدهم لأجل الشرب.

ولا يمكن الظن بأن الرسول صلى الله عليه وسلم اعتبرهم تاركين للصلاة، وأنه ظن فيهم تركها، لأن أداء الصلاة من الأعمال التي تقبل من الناس في الظاهر ويترك أمر السرائر إلى الله.

فالرسول صلى الله عليه وسلم أقام عليهم الحد وهم من المصلين في الظاهر.

والرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن شارب الخمر لا تقبل صلاته أربعين يوما.

فلو كانت صلاتهم غير صحيحة لأمرهم بإعادتها ولا يضرهم فوات الوقت، لأنهم يعتقدون صحة ما أدوه.

قال أبو عبد الرحمن: إلا أنني أتنازل عن هذا الاستدلال لعدم الحاجة إليه اكتفاء بما سيأتي في مناسبة أخرى، ولأن هذا الدليل لا يتم إلا مع اليقين بأن خبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن عدم قبول صلاة شارب الخمر سابق لإقامة الحد، ولأن الاستدلال بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمرهم بالإعادة مبني على عدم العلم بالأمر وليس مبنيا على العلم بعدمه.

وقول الصنعاني: (وعدم القبول إنما هو في حق من لم تثبت توبته): كلام مقحم لا مفهوم له في دفع الاستدلال بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر المحدودين بالإعادة.

كما أن هذا القول مجرد دعوى، لأنه نفى مطلق القبول، فلو صحت هذه الدعوى لكان المصر على شرب الخمر يموت كافرًا، لأنه حينئذ لا يقبل منه الأداء ولا يسقط عنه إثم الترك.

أما حصر النفي في الحرمان من الثواب فهو المخرج من هذا الإلزام.

وهو مخرج له برهانه كما سيأتي ـ إن شاء الله ـ في مناسبة أخرى.

الهوامش:

(١) تهذيب اللغة، ٩/ ١٦٣.
(٢) مقاييس اللغة، ٥/ ٥١ـ ٥٢.
(٣) عارضة الأحوذي، ١/ ٨.
(٤) بصائر ذوي التمييز، ٤/ ٢٣٥.
(٥) بصائر ذوي التمييز، ٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥، وانظر تاج العروس
(٦) العدة ١/ ٨٧، ٩٠.
(٧) العدة ١/ ٨٧ ـ ٨٨.

مَوَاكِبُ اللهِ

شعر: محسن عبد المعطي محمد عبد ربه

وَللهِ حِجُّ الْبَيْتِ فِي خَيْرِ مَوْقِفٍ ... يُزِيلُ خَطَايَا الْمُذْنِبِ الْمُتَأَسِّفِ
إذا رُمْتَ حَجَّ البَيْتِ فَانْوِ مُسَبِّقًا ... وَدَاوِمْ على الخيْرَاتِ دُونَ تكلُّفِ
وَسَابِقْ جُمُوعَ الْقَاصِدِينَ إِلَهَنَا ... تكُنْ رَابِحًا فِي دَرْبِكَ الْمُتَكَشِّفِ
وَسَلِّم جَمِيعَ الأَمْرِ للهِ يَا أَخِي ... تَفُزْ بِنَعِيمٍ خَالِدٍ وَمُصَنَّفِ
كَفَاكَ من التَّشْرِيفِ حَجٌّ وَعُمْرَةٌ ... وَرَبُّكَ يَجْزِي بِالثَّوَابِ الْمُضَعَّفِ
وَسَعْيُكَ فِي الْحَجِّ العَظِيمِ مُبَارَكٌ ... فَرَبُّكَ ـ يَا أَوَّابُ ـ يُدْنِيكَ إِنْ تَفِ

★ ★ ★

أَلاَ إِنَّ حَجَّ البَيْتِ رُكْنٌ مُقَدَّسٌ ... مِنَ الدِّينِ فَالزَمْ يَا فَطِينُ وَطَوِّفِ
وَعِيدٌ مِنَ الأَعْيَادِ فالمُلْتَقَى بِهِ ... عَلَى ذِكْرِ رَبٍّ لِلْقُلُوبِ مُؤَلِّفِ
فَوَلُّوا وُجُوهًا شَطْرَ بَيْتٍ مُعَزَّزٍ ... بِقَلْبٍ مَشُوقٍ لِلطَّوَافِ مُرَفْرِفِ
أَيَا عَالِمَ الأَسْرَارِ أَنْتَ وَلِيُّنَا ... وَغُفْرَانَكَ اللَّهُمَّ يَا خَيْرَ مُسْعِفِ
وفِي موكِبِ الْحُجَّاجِ حَقِّقْ رَجَاءَنَا ... لِيَعْبُرَ نَحْوَ النُّورِ كُلُّ مُجَدِّفِ
أَيَا قَابِلَ الأَعْذَارِ أنتَ مَلاَذُنَا ... وأَنْتَ مُجِيرُ الْمُذْنِبِ الْمُتَخَوِّفِ
تَرَاجَعَ عَنْ فِعْلِ الْمَعَاصِي بِتَوْبَةٍ ... وَسَالَتْ دُمُوعُ العَبْدِ لَمْ تَتَكَفْكَفِ
تَنُوءُ بِهِ الأَثْقَالُ يَا سَامِعَ الدُّعَا ... فَسَدِّدْ خُطَاهُ ـ يَا مُعِينُ ـ وَخَفِّفِ

★ ★ ★

هَنِيئًا لِمَنْ لاَذُوا بِأَشْرَفِ كَعْبَةٍ ... فَمَنْ يَقْضِ فَرْضَ اللهِ بِالْحَجِّ يَشْرُفِ
وَشَقُّوا فِجَاجَ الأَرْضِ شَوْقًا إِلَى الْهُدَى ... يُنَادُونَ : يَا رَبَّاهُ رُحْمَاكَ فَالْطُفِ
وَتَاقُوا إِلَى لُقْيَا الْحَبِيبِ «محمد» ... فَأَسْعِدْ بِهِمْ فِي رَوْضَةِ الْمُتَعَطِّفِ
وَنَادَى إِلَهَ النَّاسِ نَبْضُ قُلُوبِهِمْ ... بِحِسٍّ جَمِيلٍ لِلْهِدَايَةِ مُرْهَفِ

★ ★ ★

وَيَجْتَمِعُ الْحُجَّاجُ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ ... «عَلَى عَرَفَاتِ اللهِ» دُونَ تَخَلُّفِ
وِمِنْ كُلِّ جِنْسٍ قَدْ أَتَوْا وَنُفُوسُهُمْ ... تُكَبِّرُ وَالدُّنْيَا بِأَعْظَمِ مَوْقِفِ
«فَزَمْزَمُ» لِلْمَقْصُودِ تَهْدِي مُرِيدَهَا ... وَمُهْجَتُهُ تَشْتَاقُ حُلْوَ التَّرَشُّفِ
وَتَصْفُو نُفُوسُ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعُهَا ... وَيَنْأَوْنَ عَنْ دَرْبِ الْهَوَى الْمُتَخَطِّفِ
يُجِلُّونَ رَبَّ الْبَيْتِ فِي حَرَكَاتِهِمْ ... وَيَدْعُونَ بِالحسنى لِكُلِّ مُخَلَّفِ
أَيَا رَبِّ وَالْحُجَّاجُ لَمْ يَتَزَيَّنُوا ... بِزِينَةِ دُنْيَا إِنْ أَهَلَّتْ تُخَوِّفِ
فَيَارَبِّ عَامِلْهُمْ بِفَضْلِكَ غَامِرًا ... وَنَجِّ بِلاَدَ النُّورِ مِنْ كُلِّ مُرْجِفِ

★ ★ ★

إنهم يُروِّضون البرق!

محمد أدهم السيد

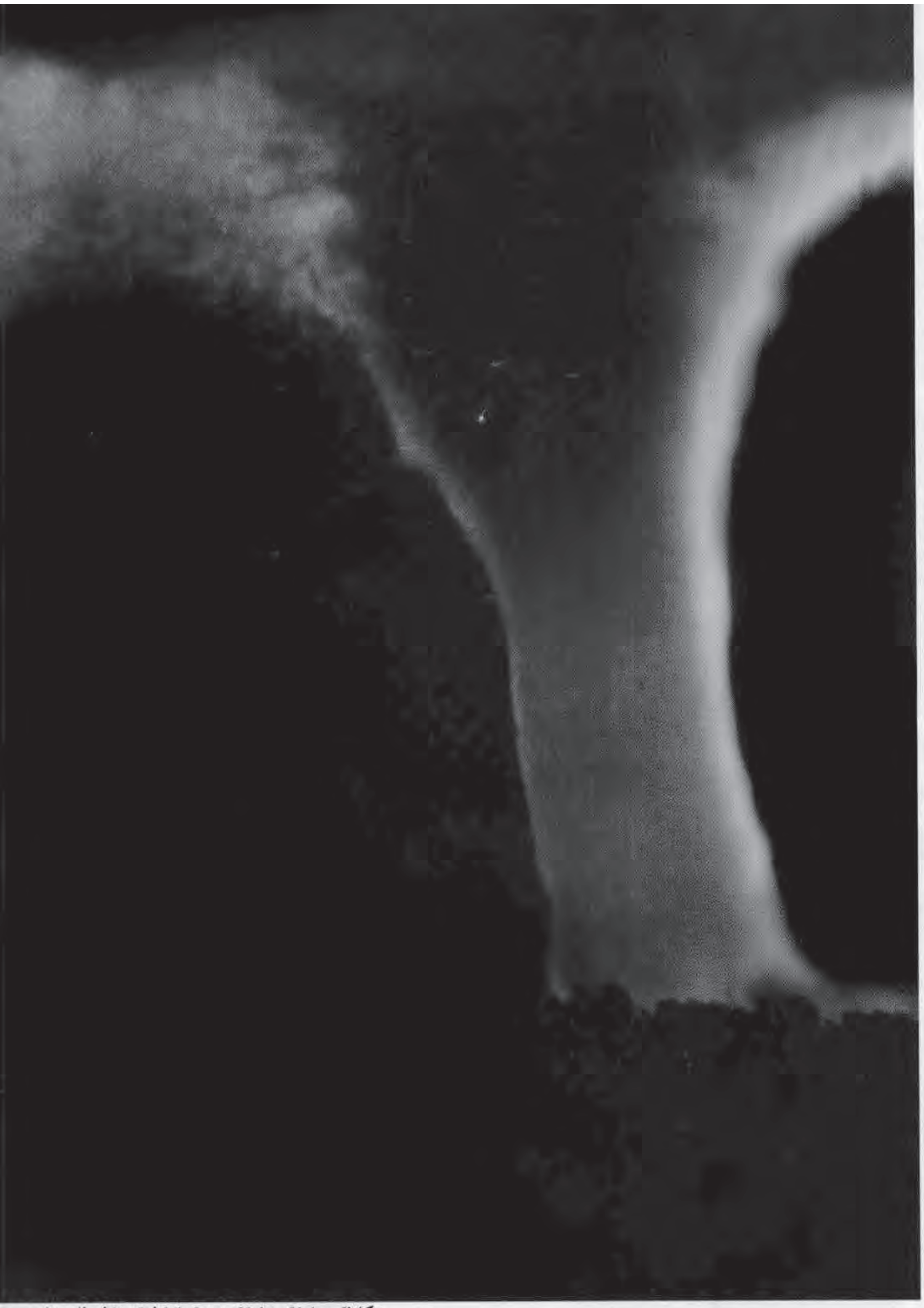


الصواعق تضرب مدينة توكسون في ولاية أريزونا الأمريكية

كانت الساعة تقترب من السابعة مساء في ذلك اليوم الشتوي المظلم من أيام كانون الباردة من عام ١٧٥٢م التي اعتادت أن تمر قارسة معتمة في مثل هذا الوقت من كل عام على فيلادلفيا المدينة البنسلفانية الأكبر في أمريكا.

وكان كل شيء يشير بوضوح إلى قرب هبوب عاصفة رعدية مرعبة على المدينة الكبيرة. حتى الطيور الصغيرة المهاجرة كانت تحس بذلك وأسرعت تبحث عن مخبأ صغير لها ينتشلها من المعركة المناخية المرعبة التي لن تلبث أن تشتعل بعد لحظات.

وأخذ كل فرد في المدينة طريقه نحو منزله للاستمتاع بدفء النيران الحمراء المشتعلة في الموقد الحجري القديم بصحبة أفراد العائلة وأكواب الشاي الساخنة.


كارثة مضاعفة، صاعقة وزوبعة مائية فوق شاطئ فلوريدا

لكن العالم الفيزيائي الكبير ورجل السياسة المقتدر بنيامين فرانكلين كان يجد متعة أكبر في هذا البرد القارس بالصعود إلى سطح المبنى العالي الذي يسكن فيه وتطيير طائرة ورقية في السماء موصولة بسلك من المعدن إلى مختبره العجيب بانتظار وصول العاصفة الرعدية إلى المدينة .

كان يريد أن يثبت للعالم كله صحة نظريته حول البرق، ويؤكد للناس بشكل لا يدعو للجدل أن هذه الشرارة العنيفة هي عبارة عن شحنات كهربائية جبارة تتفرغ في السماء وتنتقل عبر الأسلاك والمعادن. ونجح بنيامين فرانكلين في ذلك ليلتها ، ونجا من الموت بأعجوبة، فهو لم يكن يتصور أن هذه الشرارة من القوة بحيث تقدر على حرقه وتدمير المبنى العالي الذي كان يسكن فيه بكامله ، حتى ولو تم تفريغها في الأرض عبر السلك.

واستطاع بطلنا بعد ذلك أن يخترع مانعة الصواعق التي أنقذت سكان مدينة فيلادلفيا وغيرها من المدن الأمريكية الأخرى من شرارات البرق القاتلة والصواعق المدمرة التي كانت تقتل كل عام المئات بل الآلاف من الناس في كل أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية والعالم على حد سواء.

وعبّر أهل فيلادلفيا عن تقديرهم للجهود العظيمة التي قام بها فرانكلين خلال مسيرة حياته الطويلة لدفع عجلة العلم والأدب في بلاده، بأن مشوا جميعًا في جنازته الملكية التي استمرت يومًا كاملاً أعلن فيه مجلس الشيوخ الأمريكي الحداد الكامل عليه في الولايات المتحدة الأمريكية، كما أعلنت الجمعية الوطنية في باريس، عاصمة فرنسا الحداد لمدة ثلاثة أيام في البلاد، وكان ذلك في ١٧ نيسان (أبريل) من عام ١٧٩٠م.

ولكن، إذا كان بنيامين فرانكلين قد رحل فإن أعماله وإنجازاته لم ترحل. وكذلك الصواعق نفسها لم ترحل، ولم تندثر.

والبرق مازال يشغل تفكير العلماء والناس إلى يومنا هذا .وهو سيبقى الشغل الشاغل لعلماء الأرصاد ومهندسي الكهرباء في كل أنحاء العالم اليوم، وكل يوم.

البرق في حياتنا

لم تشغل ظاهرة من الظواهر الكثيرة المثيرة والغريبة في حياتنا الناس عامة والعلماء خاصة منذالقدم كالبرق، ذلك الوميض الرهيب الذي كان يظهر في الليالي الشتوية المظلمة والعواصف الممطرة، وهو يشق طريقه بسرعة خاطفة بين كتل الغيوم الجبارة لينشر الرعب ويبث الذعر في القلوب الوجلة.

ولعل اللحظات الكثيرة المخيفة التي قضاها الإنسان الحجري القديم في حياته مختبئًا من هذا الوميض الرهيب (وغيره من الظواهر الطبيعية الكثيرة القاسية) تعادل اللحظات الطويلة التي قضاها في البحث عن الطعام الذي يردّ به جوعه والمأوى الذي يجنبه خطر الوحوش الجوالة الفتاكة .

لقد قضى الإنسان القديم في الواقع ليال طويلة وواجه أوقاتًا عصيبة وهو يراقبُ هذه الظاهرة المرعبة وينظر إلى تلك الشرارة العجيبة التي كانت تقوى على فعل أي شيء: على هدّ الجبال وتفتيت الصخور



وحرق الغابات وقتل أكثر الوحوش شراسة، وأضخم الكائنات حجمًا..

في غياهب المجهول

وبالرغم من النجاح الكبير الذي حققه بنيامين فرانكلين، والنتيجة المهمة التي وصل إليها، والحقيقة الموضوعية التي تأكد منها لم يستطع الرجل الأشيب أن يمنع نفسه هو بعد ذلك من التفكير في البرق، ولم يقوَ على درء الأسئلة التي كانت تنهال عليه من كل صوب وناحية:

كيف نشأت هذه الشرارة؟

من أين أتت الشحنات المتنافرة؟ وكيف تكونت؟

لماذا كانت تصل في بعض الأحيان إلى الأرض ... إلخ.

كان من الصعب أن يجيب فرانكلين على هذه الأسئلة، أو بعضها على الأقل ضمن الظروف السيئة التي كانت تحيط به.

فهو لم يكن يملك مخططًا كاملاً وافيًا، ومفهومًا واضحًا عن آلية تكوُّن البرق.

وكان من الخطر جدًا دراسة هذه الشرارة الكهربائية، أو حتى النظر إليها بإمعان أثناء هبوب العواصف الرعدية.

وإن النجاح الكبير الذي حققه بمعجزة في تجربته الأولى لا يعني أبدًا الشروع في مغامرة أخرى جديدة قد يدفع ثمنًا لها حياته أو حياة غيره ممن يحب. لذا قنع صاحبنا بما حققه ووصل إليه من اطلاع حول هذه الظاهرة وهدأ سعيه في البحث عن الإجابة حول الأسئلة السابقة.

والواقع أن الإجابة على هذه الأسئلة لم تتضح تمامًا حتى فترة قريبة جدًا من الزمان، عندما استطاع بعض العلماء صياغة نظرية شبه كاملة حول آلية تَكوُّن البرق.

وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك غموض يلف بعض جوانب هذه النظرية، والمعلومات التي كنا نعرفها حول البرق قبل هذه النظرية كانت تنحصر في مجموعة من الأرقام والحقائق الرهيبة التي لم تكن لتشبع فضولنا أو تحقق غاياتنا.

فنحن نعلم أن الشرارة الناتجة عن البرق تدوم لفترة تتراوح بين جزء من آلاف أجزاء الثانية وبضع ثوان.

كما نعلم أن شدة التيار، الذي ينتج عن البرق، قد تصل إلى أرقام خيالية تزيد على مائة ألف أمبير، فلا عجب إذًا أن تصل درجة الحرارة التي تولدها هذه الشرارة العجيبة خلال هذه الفترة القصيرة جدًا جدًا إلى أكثر من خمسة وعشرين ألف درجة مئوية فوق الصفر.

هذه الحقائق أكدها العالم الفيزيائي البريطاني كلايف سوندرز من جامعة مانشستر بانجلترا والفيزيائي الأمريكي هاليت من جامعة نيفادا ، بعد سلسلة من التجارب والمغامرات كادت أن تودي بحياتهما سويًا، قبل أن يضعا في النهاية البنود الأساسية التي قامت على أساسها فكرة البرق والصاعقة.

في الطريق إلى الحقيقة:

لقد استحقت مغامرات هذين العالمين في الواقع (وبالأخص الأمريكي هاليت) إعجاب الناس وتقديرهم ، وكانت دائمًا محط أنظار الجميع.

وإذا كان صاحبنا فرانكلين قد طيّر طائرة ورقية قبل أكثر من مائتي عام لينقل عبرها التيار الكهربائي من

البرق إلى الأرض، فإن الفيزيائي الأمريكي هاليت اقتحم بطائرته - في أواسط هذا القرن - كتل الغيوم الجبارة ليراقب بأم عينه التطورات الفيزيائية وغير الفيزيائية، ويسجل الظواهر الطبيعية وغير الطبيعية التي تسبق وتصحب تلك الشرارة الكهربائية. كانت رحلة مخيفة ومغامرة مثيرة تصلح لأن تكون رواية علمية خيالية أو فيلما سينمائيًا مرعبًا من أن تكون - كما أراد لها صاحبها - تجربة علمية فريدة تستهدف كشف المجهول وتبديد الغموض الذي يحيط بهذا الموضوع.

لقد كان من اهتمامات هاليت الأخرى دراسة طبيعة وكيفية تكوّن ذرات الثلج والبرد في أعالي الغيوم وعلاقتها الوثيقة بهذه الشرارة، لذا حمل معه أدوات القياس والمعاينة اللازمة وطار بها وسط الغيوم المنتجة للثلج، فلاحظ أنه في الأماكن التي كان يختلط فيها الثلج بالمطر، كانت أدوات القياس الكهربائية تسجل حدوث انفصالات قوية بين الشحنات، وشرارات كهربائية جبارة، كانت تعرّض حتى جسم الطائرة أحيانًا للشحن.

ولم يقف هاليت عند هذا القدر بل عاد إلى مختبره ليؤلف فصلاً مشابهًا ونموذجًا مصغرًا للمشهد الطبيعي العجيب الذي رآه وحضره، واستعمل لذلك غرفة خاصة لإنتاج الغيوم وبرادًا ضخمًا يمكن أن يعطي قيمًا حرارية مختلفة، ورطوبات جوية متفاوتة، فتوصل بذلك إلى تكوين فكرة شاملة وافية عن آلية حدوث البرق.

آلية حدوث البرق والصاعقة

لقد قادت التجارب الحثيثة التي قام بها هاليت في مختبره العجيب، والملاحظات المهمة التي اكتسبها بعد رحلاته المتواصلة ومغامراته العنيفة بين كتل الغيوم الرعدية، إلى الوصول إلى جزء كبير من الحقيقة التائهة، وبددت الكثير من الغموض الذي كان يلف هذا الموضوع.

ولفهم آلية تكوّن البرق يجب إيضاح نظرية مهمة وأساسية في علم الكهرباء تدعى نظرية التأثير المتبادل بين الشحنات.

فإذا قمنا بشحن جسم ما ناقل (مهما كان نوعه) بشحنة كهربائية معينة سالبة مثلاً، فإن هذا الجسم سيؤثر بالضرورة في الأجسام المجاورة له، وسيُولّد فيها نتيجة لذلك شحنة كهربائية معاكسة له تمامًا (موجبة في مثالنا)، وهذا سيؤدي حتمًا إلى حدوث حالة تجاذب وتماس وصراع بين هذه الشحنات الكهربائية المختلفة، فإذا زاد عدد الشحنات الكهربائية المتقاتلة عن الحد المسموح به وغطت مساحة كبيرة من المكان، وقعت انفجارات قوية وتفاعلات خطيرة، ولمعت في المكان شرارات كهربائية عنيفة، ربما أدت إلى نتائج وخيمة غير مرتقبة. وعندما ندلّك قضيبًا من الأبونيت بكتلة من الصوف، ثم نقربه من قطعة من الورق، نجد هذه القطعة قد انجذبت إليه والتصقت به كأن قوة ما أجبرتها على ذلك.

والسبب في ذلك يعود إلى أن الاحتكاك الذي نتج عن عملية الدلك هذه قد ولّدَ في طرف القضيب شحنة كهربائية معينة أدت إلى جذب قطعة الورق (ذات الشحنة الكهربائية المعاكسة) إليها.



صاعقة تنقض على شجرة ضخمة بالقرب من منزل ريفي قديم

لذا فإن فهم نظرية التأثير المتبادل بين الشحنات، ونظرية الاحتكاك، مدخل جيد لفهم آلية حدوث البرق. فعندما تتشكل بللورات الثلج الكبيرة في أعالي الغيوم، وتبدأ في أخذ أوضاعها النهائية، يبدأ الصراع الأبدي فيما بينها. وينتج عن احتكاكها الجبار مع بعضها بعضًا إلى ظهور شحنات كهربائية معينة (موجبة مثلاً) في أعلى السحابة. غير أن بللورات الثلج هذه (التي قامت بشحن أعلى السحابة كهربائيًا) لا تبقى طويلاً في الأعلى إذ سرعان ما تهوي إلى أسفل السحابة وتبدأ في الذوبان أو التبخر لتُشكّل حبات المطر التي تقوم بدورها بنشر شحنة كهربائية معاكسة تمامًا للشحنة الكهربائية التي تشكلت في الأعلى (وهي سالبة في مثالنا).

إن العاملين الأساسيين اللذين سببا ظهور الشحنة الكهربائية أسفل السحابة هما: حادثة التبخر التي أصابت حبات البرد وبللورات الثلج الضخمة أثناء عبورها وانتقالها ضمن السحابة، وخاصية التأثير المتبادل بين الشحنات: تحمل التيارات الهوائية حبات البرد (ذات الشحنة الموجبة) التي تشكلت في الأعلى وقطرات المطر (ذات الشحنة السالبة) التي نتجت في الأسفل إلى مختلف أرجاء السحابة، وذلك عبر ممرات هوائية خاصة تسهل من مرور الشحنات الكهربائية.

وعندما يحدث اللقاء بين هذه الشحنات الكهربائية المختلفة ويبدأ الصراع فيما بينها، تتوالى الانفجارات القوية والشرارات الكهربائية العنيفة بأعداد كبيرة جدًا في مختلف أرجاء السحابة.

نخلص من ذلك أن وميض البرق هو في الواقع عبارة عن محصلة عدد كبير جدًا من الانفجارات الكهربائية السريعة والقوية والصغيرة نسبيًا التي تستغرق زمنًا قصيرًا، ويشغل كل واحد منها مساحة محدودة من

السحابة، حتى تبدو لبعدها الشديد عنا كأنها انفجار وحيد جبار وشرارة كهربائية يتيمة تشغل مساحة غير صغيرة من السماء. وهذه الشرارة يمكن أن تنطلق إلى أعلى السحابة أو إلى أسفلها، وذلك حسب الظروف الجوية والشروط الطبيعية المحيطة بها.

وإذا كانت شحنة السحابة في منطقة ما موجبة مثلاً فإنه تتشكل - نتيجة لحادثة التأثير المتبادل بين الأجسام التي شرحناها سابقًا في المنطقة المقابلة لها على الأرض - شحنة كهربائية معاكسة لها (سالبة في مثالنا). وهذا يؤدي إلى انتقال الشرارة الكهربائية المتشكلة ذات الشحنة الكهربائية الموجبة من السماء إلى الأرض ليحدث ما يسمى بالصاعقة.

ومن السهل جدًا أن تصل هذه الصاعقة إلى أعلى فرع شجرة تصادفه في طريقها أو إلى أول قضيب معدني مدبب يبرز من الأرض، حيث إن المعادن تسهل عملية مرور الكهرباء. ولذلك تستخدم مانعات الصواعق المعدنية لدرء خطر هذه الشرارة الكهربائية المدمرة.

محاولات خطرة .. لترويض البرق:

إن آلية حدوث البرق كانت شيئًا أشبه بالأعجوبة قبل أن تقود تجارب هاليت وسوندرز والعشرات غيرهما من العلماء إلى تلك النتائج القيمة التي ترضى طموحنا وتشبع تفكيرنا في الوقت الحاضر على الأقل.ولكن هذا لا يعني بالطبع أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد وأننا عرفنا كل شيء عن البرق والرعد، فاكتشافنا آلية حدوث البرق لا يمنع هذه الشرارة نفسها أن تدمر كل يوم عشرات الأجهزة الكهربائية المعقدة، وتؤدي إلى انقطاع عشرات أخرى من خطوط النقل الكهربائية المتوسطة والعالية التوتر التي قد تشعل بين لحظة وأخرى حرائق خطيرة وتسبب في



العلماء يدرسون تأثير البرق وإمكانية تسخيره لخدمة البشر

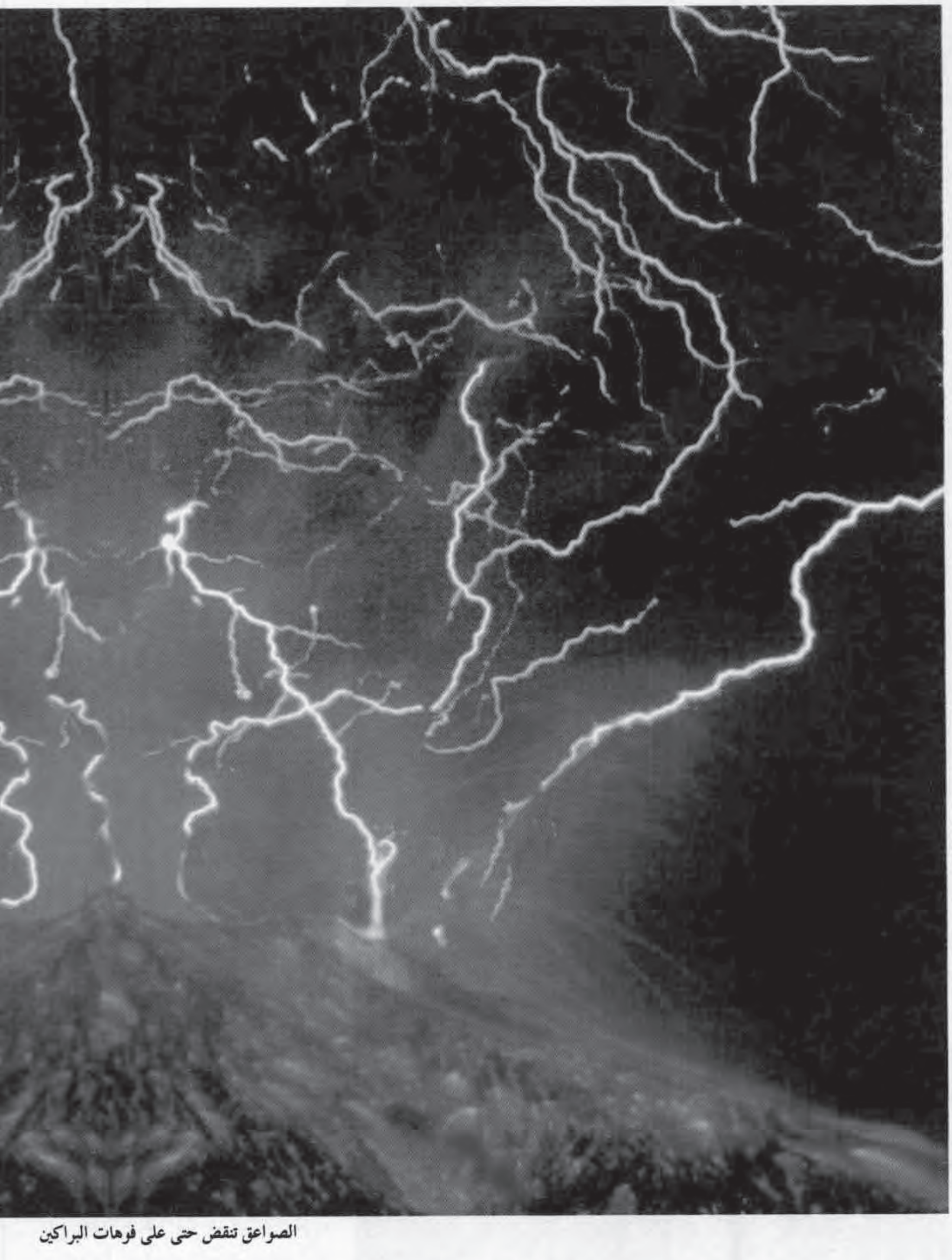
وقوع مشكلات اقتصادية كبيرة لا تحمد نتائجها.

وبما أننا في الوقت الحاضر - وربما في المستقبل - نعجز تمامًا عن إيقاف حدوث هذه الشرارة المدمرة، فلابد على الأقل من التفكير في وسيلة أخرى نحافظ بها على أرضنا الغالية وأجهزتنا الدقيقة التي استغرق بناؤها وتجهيزها زمنًا غير قصير، وصُرِفَ لأجلها مال وفير.

وهذا بالضبط ما يحاول العلماء في العالم إنجازه اليوم.

ففي صبيحة كل يوم تخرج مجموعة من العلماء والفنيين العاملين في مؤسسة أبحاث الطاقة في قيرغيزيا(وهي مؤسسة تابعة لوزارة الكهرباء وتطوير القوة الكهربائية في الاتحاد السوفييتي سابقا) إلى الجبال المجاورة للمنطقة وتعسكر هناك بطاقمها التجهيزي الكامل في إنتظار هبوب عاصفة رعدية شديدة على المكان، وتشرع عند ذلك في أخذ الصور المباشرة والقياسات الدقيقة لرسم صورة حسية وافية للبرق.

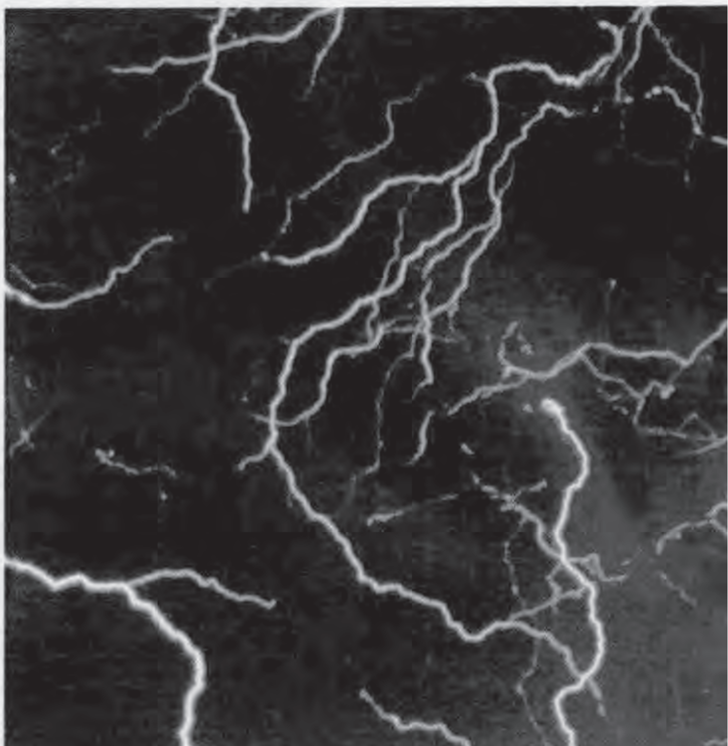
ويهدف هذا الفريق من العلماء والفنيين (بدراسته للنتائج والمشكلات التي تسببها البروق) إلى اكتشاف أفضل الوسائل والطرق لوقاية أسلاك الكهرباء ذات التوتر العالي من الصواعق، وهو يفضل لذلك أن يضع نفسه في قلب العاصفة الرعدية ليكون على صلة أكثر بالأمور ويسجل بدقة متناهية كل المعلومات والقياسات اللازمة لتحقيق أهدافه، دون أن يبالي بالمخاطر التي قد يتعرض لها من جراء ذلك.



الصواعق تنقض حتى على فوهات البراكين

غير أن العلماء في مركز أبحاث كيب هيرست بمقاطعة شيشر البريطانية قطعوا شوطًا طويلاً في ملاحقة هذا الموضوع بالذات، وهم الآن يقومون باختبار منظومة خاصة تستطيع تعقب العواصف الرعدية في كل مكان من إنجلترا وويلز تقريبًا، وتحدد المنطقة التي يحدث فيها البرق، والنقطة التي قد تصيبها الصاعقة للحد من الخسائر التي قد تنتج عنها.

ولهذه المنظومة فائدة كبرى فبوساطتها يمكن دعم المنظومة الكهربائية التي قد تتعرض للصاعقة وتأمين الحماية اللازمة لها. وبملاحقة العاصفة الرعدية ومعرفة اتجاهها الصحيح يمكن تحويل الطاقة عن المناطق التي ينتظر وقوع الخسائر فيها، وإصلاح الأضرار التي قد تسببها العاصفة بسرعة أكبر. وتعتمد هذه المنظومة في عملها على معرفة مقدار تفجر القوة الكهرطيسية التي تتولد في كل مرة يحدث فيها البرق، والطريق الذي تسلكه في السماء، وهي مزودة بثلاثة هوائيات دقيقة تلتقط هذه الطاقة المنتشرة ضمن مئات الكيلومترات، ويقوم حاسب ألكتروني خاص بتحليل الإشارات الواردة من الهوائيات الثلاثة وتحويلها إلى رسومات خاصة وألوان مختلفة



تُسجَّل على خريطة للطقس تعمل بالكمبيوتر.

ويذكر أنه في كل ثانية يمكن لهذه المنظومة أن تسجل أربعين حادثة برق مختلفة في كل أنحاء إنجلترا وويلز.

وبعد فترة من الزمان سيصبح بإمكان العلماء تحديد مسار العاصفة الرعدية تماما ومعرفة المناطق التي قد تتعرض للإصابة للحد من الخسائر التي قد تسببها الصاعقة.

ويطمح بعض العلمــاء اليــوم للاستفادة من الطاقة الكبيرة التي يحملها البرق وتخزينها بوسائل خاصة جداً ومبتكرة (ضمن ملفات عازلة مثلاً تصنع لهذه الغاية) ثم إعادة تفريغها واستخدامها من جديد في أمور مفيدة. وهذا الحلم مازال حتى الآن يعيش لحظات الطفولة المبكّرة وربما يستغرق وقتًا طويلاً جدًا حتى يكبر.

ماذا عن .. الرعد؟

لاشك أننا حتى الآن قد قطعنا شوطًا معقولاً في حديثنا عن البرق، وعرفنا بدقة ـ إلى حد ما ـ كيف تنشأ هذه الشرارة في السماء؟ وكيف تعمل على تحطيم المنازل وخطوط النقل الكهربائية المختلفة التوتر، وكيف تقتل أحيانًا بعض الأشخاص (غير المحظوظين) الذين يقودهم مصيرهم المحتوم إلى السير منعزلين في مناطق سهلية مكشوفة تمر منها عاصفة رعدية عاتية؟ ولكننا حتى الآن لم نتطرق لظاهرة الرعد، ذلك الصوت الرهيب المخيف الذي يصاحب هذه الشرارة الخطرة أو يتبعها بعد زمن قصير جدًا في أغلب الأحيان ليهز جدران البيوت ويحرك زجاج النوافذ، وكأن هزة أرضية عنيفة تضرب المكان. فكيف ينشأ هذا الصوت ؟ وكيف ينتشر؟ وما الحدود التي يصلها عادة والعوامل التي تساعده على الانتشار؟

يظهر هزيم الرعد عادة بعد شرارة البرق مباشرة لكنه يتأخر بالوصول إلينا حتمًا لبعد السحابة الرعدية (ذلك؛ لأن سرعة الصوت أقل من سرعة الضوء بكثير).

فالمعروف أن سرعة انتشار الضوء تبلغ نحو ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية في الحالات العادية ولهذا السبب يُرى البرق مباشرة؛ بينما لا تزيد سرعة انتشار الصوت في أفضل حالاته عن ٣٣١ مترًا في الثانية، في درجة الصفر المئوي.

وقد تتدخل عوامل أخرى مهمة كحركة الهواء ودرجة حرارة الطقس مثلاً لتحد أو تزيد من سرعة الصوت هذه، وبالتالي قد يصل صوت الرعد أحيانًا سريعًا جدًا، وأحيانًا يصل متأخرًا قليلاً، وأحيانا لايصل أبدًا، وهذا يعود لبعد السحابة عن الأرض.

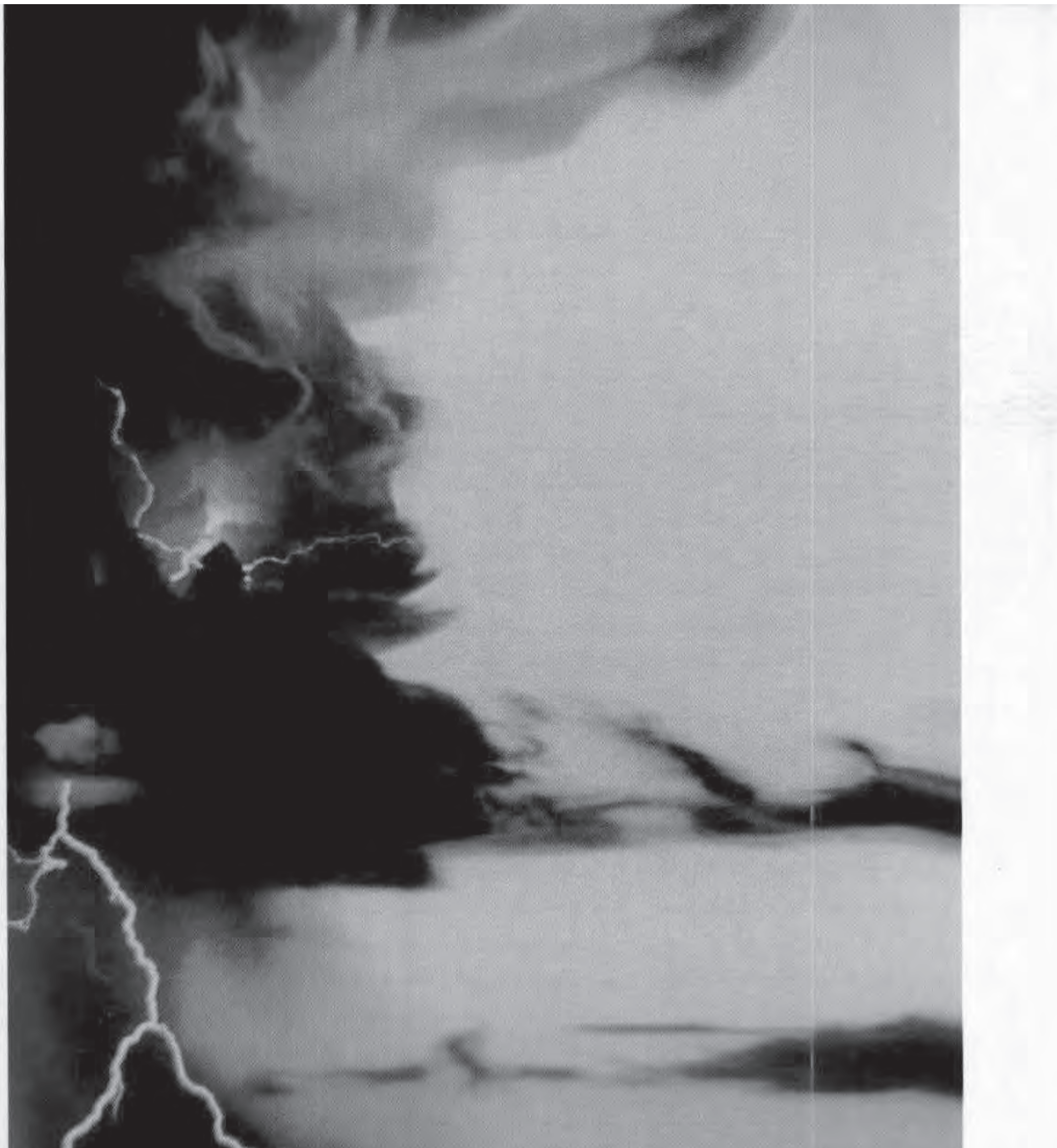
وفي الظروف العادية لا يمكن سماع هزيم الرعد على بعد يزيد عن ٢٥ كيلومترًا من مكان الشرارة، ولكن ضمن ظروف خاصة جدًا وبتدخل بعض العوامل الطبيعية المساعدة، يمكن سماع الرعد أحيانًا على بعد أكثر من مائة كيلو متر كجلجلة ضعيفة عميقة تمتد فترة زمنية غير طويلة.

والطريف أنه يمكننا في بعض الأحيان معرفة بعد السحابة الرعدية عنا، بقياس الزمن الذي يستغرقه صوت الرعد للوصول إلينا بعد ظهور الشرارة الكهربائية مباشرة في السماء.

فإذا كان الزمن بين البرق والرعد نحو ٣ ثوان مثلاً كانت السحابة تبعد عنا كيلو مترًا واحدًا فقط تقريبًا. وإذا كان الزمن نفسه لا يزيد عن عشر ثوان كانت السحابة تبعد عنا نحو ٣٣٣٠ مترًا، وهكذا.

أما كيف ينشأ الرعد؟ وكيف ينتشر في السماء؟ فإن شرارة البرق تسبب عند وقوعها ارتفاعًا في درجة حرارة الهواء بشكل مفاجئ وكبير جدًا حتى قد تتساوى أحيانًا مع درجة حرارة سطح الشمس!!

وهذا الارتفاع المفاجئ والمذهل للحرارة يؤدي إلى تسخين طبقة الهواء المحيطة بالغمامة بشكل مفاجئ وسريع؛ وهذا يؤدي بدوره إلى تمدد الهواء بشكل سريع وعنيف أيضا؛ وبالتالي إلى حدوث ذبذبات واهتزازات عنيفة جدًا تحرك طبقات الهواء من حولها لترسل أمواجًا صوتية قوية تنطلق في كل الاتجاهات، وبمختلف السرعات حتى تصل إلى الأرض، وأحيانًا يصل صوت الرعد على هيئة جلجلة طويلة جدًا وعميقة، تختلف قوتها بين لحظة وأخرى، وهذا يعني حتما أن شرارة البرق كانت طويلة بعض الشيء



سحابة رعدية مرعبة فوق أريزونا

واحتلت مساحة كبيرة جدًا في السماء، مما جعل الصوت المنبعث من أطرافها الأكثر بعدًا عنا يصل إلينا متأخرًا بشكل أكبر، ويبدو لنا ضعيفًا أكثر.

مانعة الصواعق:

انتشر استعمال مانعة الصواعق اليوم في العالم انتشاراً ملحوظًا. ولا عجب في ذلك مادامت الصواعق تسبب من الخسائر الاقتصادية والبشرية ما لا يمكن تصوره أو وضعه في الحسبان.

وتتألف مانعة الصواعق عادة من قضيب معدني ناقل، طويل، مدبب ومزود بإبرة من البلاتين توضع في مقدمته لاجتذاب الصاعقة ، حيث يعد البلاتين من المعادن الشديدة الناقلية للكهرباء.

ويوصل القضيب بوساطة أسلاك كهربائية ناقلة ومعزولة بجهاز تأريض منعزل يخصص لامتصاص القوة الجبارة التي تفرغها الصاعقة في القضيب المعدني.

وكثيرا ما تنقض الصواعق على هوائيات التلفزيون التي ترتفع إلى مسافات عالية جدًا، وتؤدي إلى كوارث اقتصادية كبيرة وحرائق خطيرة. وبخاصة إذا كانت المنطقة المحيطة بمكان انقضاض الصاعقة غير مزودة بمانعة صواعق خاصة توضع على ارتفاع عال جدًا.

والواقع أن استعمال مانعة الصواعق لا ينهي المشكلة تمامًا كما قد يتصور الإنسان،؛ فالبرق والصاعقة يتخذان في بعض الأحيان سلوكًا شاذًا وغريبًا في حركتهما وانتقالهما في السماء، فكثيراً ماتضرب صاعقة جبارة إنسانًا صغير الحجم لايزيدطوله عن متر ونصف المتر يقف وحيدًا، وعلى بعد عشرة أمتار منه فقط ترتفع شجرة ضخمة يزيد ارتفاعها على عشرة أمتار.

وعمومًا ينصح علماء الأرصاد الناس باتباع الطرق التالية لتجنب خطر الصاعقة أثناء هبوب العواصف الرعدية العاتية على المدن أو القرى:

١ـ الابتعاد عن الأماكن المكشوفة أو السهلية التي تتعرض للصواعق.

٢ـ الابتعاد عن الأشجار العالية أو أبراج الكهرباء غير المزودة بمانعة صواعق أو غير المؤرضة.

٣ـ عزل الهوائي الخاص بجهاز التلفزيون الذي تملكه عن التلفزيون ووصله بجهاز التأريض الخاص في المبنى إن أمكن.

٤ـ استخدام مانعة الصواعق الخاصة بالسيارة (أثناء السفر خاصة) والتأكد من صلاحيتها وعملها. ويفضل على أي حال تجنب العمل في المناطق المرتفعة عن سطح الأرض أو العمل فوق أسطح الأبنية العالية جدًا، أو المناطق السهلية أو الجبلية المكشوفة أثناء هبوب العواصف الرعدية؛ لأن ذلك يعرض الإنسان حتمًا لخطر الإصابة بالصاعقة.

ولنا أن نتذكر بعد ذلك عند كل خطوة نخطوها في طريقنا قوله تعالى : ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾.التوبة ـ٥١.

جميع الصور من مجلة:

NATIONAL GEOGRAPHIC MAGAZINE
JULY - 1993 - VOL. 184 NO. 6

مخطوطات جديرة بالدراسة والنشر «٩»

الاكتساب في تلخيص الأنساب



حلقات يكتبها : حمد الجاسر

الجزء الثاني :

كتب في طرته : (الجزء الثاني من الاكتساب في تلخيص الأنساب «للـ . . . خيضري - رحمه الله -) وفي الطرة أيضا : (وقفت لله تعالى هذا المجلد وما قبله، وجعلت النظر فيه لنفسي مدة حياتي، ثم للأرشد من ذريتي ذكراً كان أو أنثى، إن كان لي عقب، وإلاَّ فللأرشد من ذرية جدي شيخ الإسلام محمد . . . الأنصاري، ذكراً كان أو أنثى، ينتفع . . . الخاص والعام) (وكتبه واقفه محمد ابن . . . بن الشيخ أحمد علي الأنصاري، في ذي القعدة سنة ١٢٤٩هـ) . وفيها : (من كتب الحقير محمد عابد السندي غفر الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين أجمعين) . ثم ختم المكتبة المحمودية . وأوله بعد البسملة : (رب أعن ويسر . . . الدال مع الألف (الدَّابُويي) - بفتح الدال المهملة وضم الباء الموحدة وفي آخرها الياء المعجمة باثنتين من تحتها، هذه النسبة إلى دابويه، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه، وهو أبو سعيد الحسن بن علي بن محمد بن روزبة الفارسي المعروف بابن دابويه، قال أبو سعد الإدريسي الحافظ : (كان فاضلاً من أهل السنة متثبتاً، صحب المتصوفة، عاش أكثر من تسعين سنة، وكان كتب الحديث وسمع على كبر سنه، يروي عن محمد بن أبي الفتح الكرميني، كتب عنه بها، وحفظ عن أبي أحمد الزاهد الضرير الفارسي من أشعاره وكان ينشدنا عنه، مات أول المحرم سنة ست وثمانين وثلاث مئة بسمرقند) . (الدابي) .

وآخر هذا الجزء : (الغيلاني)، بعد تلخيص ما في كتاب السمعاني، أضاف : (قلت والغيلاني - نسبة إلى غيلان - في قبائل، ففي إياد غيلان بن دعمي بن إياد بن نزار بن معد، منهم هارون بن عمران بن راشد، واسم راشد قرضاب بن شهاب بن عمرو الإيادي، ثم الغيلاني من بني غيلان، وفد على النبي ﷺ وكان يسمى أيضاً حنيفاً، استدركه ابن الأثير) .

وفي همدان غيلان بطن وهو غيلان بن ربيعة بن الحارث بن مرهبة، ذكره الهمداني وقال : (ولد غيلان بن ربيعة عوسجة بطناً، ومالكاً بطناً، وفي تميم غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم، قال ابن حبيب : (في تميم حُشَّان وهم زبينة ابن مازن بن مالك وعبدالله بن مالك، وغيلان بن مالك، والحرمازبنو مالك بن عمرو بن تميم، هاؤلاء القبائل، يقال لهم الحُشَّان، شبهوا بالحش وهو النخل، منهم أبو الحرباء الغيلاني، ذكره خليفة بن خياط فيمن قُتِلَ يوم الجمل، ذكر ذالك الرُّشَاطِي . وفي بني أسد غيلان بن جفنة بن جبارة بطن، منهم جبارة بن جرارة الغيلاني الأسدي، له صحبة، والله أعلم) .

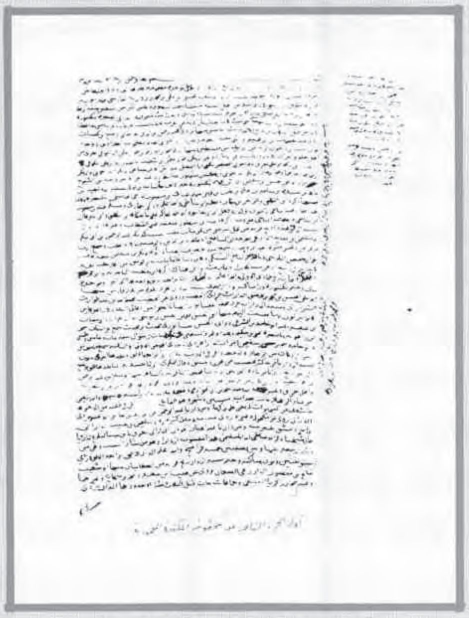
> ○ واقف النسخة الكاملة من كتاب "الاكتساب" عالم مَدِيني مشهور له مؤلفات جيدة في علم الحديث.

وفي «الإصابة(١)» : «جنادة بن جراد الغيلاني الباهلي، روى الدارقطني في «المؤتلف» وابن السكن وابن شاهين من طريق زياد بن قريع أحد بني غيلان جئاوة عن أبيه عن جنادة بن جنادة بن جراد أحد بني غيلان بن جئاوة بن معن قال : انتهيت إلى النبي ﷺ، بإبلٍ وقد وسمتها في أنفها فقال : ماوجدت فيها عروا تسمه إلاَّ في الوجه، الحديث، قال ابن السكن : لا أعرف له رواية غيره واسناده غير معروف» .

آخر المجلد الثاني من كتاب « . . . . ». (وإلى هنا انتهى هذا السفر عشية يوم الجمعة من شهر ربيع آخر سنة ١٢٣١هـ بعناية سيدي . . . العلامة الثقة النحرير الفاضل الزاهد والحكم البارع الماجد شيخ الإسلام وعمدتهم الفقيه المحقق المدقق المجاهد محمد عابد السندي، وفقه الله لصالح الأعمال) وبعد دعاء وصلاة على النبي ﷺ: (بخط الحقير معترف بذنبه



طرة الجزء الثاني من مخطوطة المكتبة المحمودية



أول الجزء الثاني من مخطوطة المكتبة المحمودية

والتقصير، الراجي من الله عفو الله ومغفرته ورضوانه الفقير. . . عفا الله عنه. . .) ولم يتضح اسم الكاتب، حيث وضعت حروفه متداخلة بشكل توقيع.

وقد كتب في طرة الصفحة الأولى أن الورق (٢٦٢) وعدد ورق المصورة هو (١٧٦) في الورقة صفحتان، وفي الصفحة (٤٣) سطراً، وقد صور هذا الجزء وما قبله وما بعده قسم المخطوطات في جامعه الملك سعود، وجاء في وصف الأجزاء الثلاثة ما نصه: (بعد اسم الكتاب واسم مؤلفه: خط نسخ كتبه محسن الدراق (١٢٣١هـ) . . . وقياس الورق: ١٦,٥ × ٢٣ سم).

وتحسن الإشارة إلى أن من كتب هذا الجزء والذي بعده باسمه هو أحد مشاهير علماء المدينة، وهو الشيخ محمد عابد بن أحمد بن علي بن يعقوب الأنصاري السندي الحنفي، ولد بالسند وهاجر مع جده إلى زبيد، ثم قدم المدينة واستقر فيها، إلى أن توفي سنة ١٢٥٧هـ، وله مؤلفات تتعلق بعلم الحديث منها: «شرح تيسير الوصول إلى أحاديث الرسول» و«شرح بلوغ المرام» و«حصر الشارد في أسانيد محمد عابد» وغيرها(٢).

القسم الثالث:

أوله بعد البسملة: (رب يسر يا كريم. . . باب الفاء والألف. . . بضم الهمزة وسكون النون وآخره كاف. . . الصله أحمد بن عبدالله بن العباس الفؤنكي حج ولقي. . . وروى عنه «صحيح البخاري» وروى عنه ابن بشكوال في معجمه توفي سنة ثمان عشرة وخمس مئة، (الفابجاني) بفتح الفاء والباء الموحدة المكسورة بعد الألف والجيم المفتوحة بعدها ألف أخرى، وفي آخرها النون: وهي قرية من قرى أصفهان، ولا أدري هي (الفابزان) التي يأتي ذكرها

○ الزيادات الموجودة في كتاب "الاكتساب": هل هي من صنع النُّسَّاخ؟ أم أن الخيضري أعاد النظر في كتابه مرة أخرى؟

أو غيرها وظني أنهما قريتان).

والتصوير سَيِّءٌ، ولهذا لم تتضح كثير من الكلمات التي وضعت النقط محلها، ولكن يلاحظ أن الترجمة الأولى لم ترد في مخطوطة المؤلف من الجزء الثالث، فأول ما فيه باب الفاء والألف: (الفابجاني) إلى آخر ما ذكره السمعاني، وأضاف إليه ما استدركه ابن الأثير على كلام السمعاني.

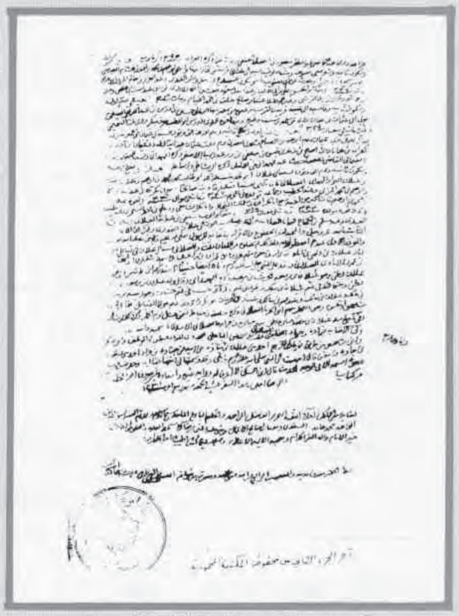
وآخر هذا الجزء باب (الياء والياء). (اليثيعي)، ثم نص ما ورد في مخطوطة المصنف، وبعد كلمة (ابن خزيمة): (والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم آمين، كمل بحمد الله ومَنِّه وكرمه عشية الأحد خمس وعشرين ربيع الأول سنة ١٢٣١هـ بعناية الوالد الفقيه العلامة النحرير والشيخ القطب الشهير عز الدين الكريم الماجد محمد عابد وفقه الله لما يرضيه وأعانه على مراضيه، ورضي عنه رضا لا سخط بعده، وعنا آمين آمين، بخط الفقير الحقير محسن الريان(؟) سامحه الله آمين).

وورق هذا الجزء (٩٦)، وهو مماثل للكتـابة في النوع وعدد الأسطر، الجزء الـذي قبله، إذ نـاسخهما واحد فيما يبـدو من تشابـه الكتابـة، إلاّ أنه فـرغ من كتابة هذا الجزء قبـل كتابة الجزء الثاني الذي تقدم أنه كتبـه في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٣١هـ، وهـذا في خمس وعشرين من ربيع الأول من السنة نفسها بينما لم يحدد تاريخ اليوم عند فراغه من كتابة الجزء الثاني.

وهذا الجزء والذي قبله يبدو أنهما نُسِخـا في حالة استعجال، ولهذا ليس في هوامشهما مـا يدل على مقابلتهما بأصلهما، ولا أثر للعنـاية التي تبدو ظـاهرة في هوامش الجزء الأول من هذه النسخة التي هي بخط العالم اليمني المعروف.

الناس بـالقبول وسماه «منحـة الباري بمكـررات البخاري»، وتنـاقله النـاس في حيـاته، واشتغل بجمع الأمهـات الست في مجلـد واحد، ونسخ «فتح البـاري بشرح البخاري» في مجلد واحد، ولما أكمل الأمهات جمع الأعيان من أبناء الزمان لـذالك الشأن، وأظهروا السرور، وكـذالك فعل عنـد إكمالـه لـ«فتح البـاري» ورغب فيه الإمـام المنصور، وجمَّل بـه موقفه، وهـو مع هذا إن وَرَدَتْ عليـه أيام الحج لم يصبر عن السفر إلى بيت الله الحرام، ولا يزال يتنقل في التهايم والجبال، وهو شديد الأنفة، قريب النفرة مما يَسُوء). انتهى.

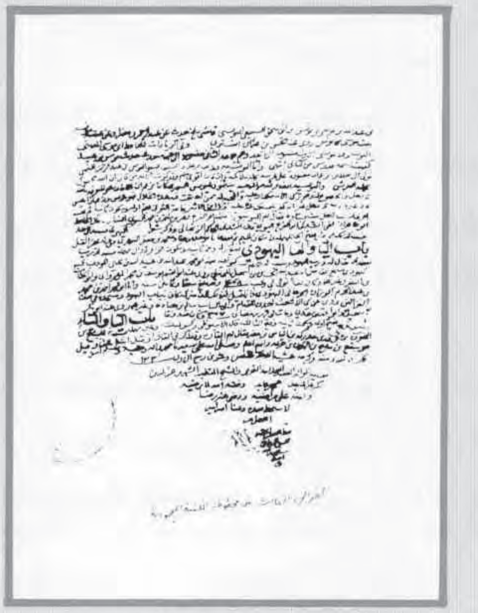
ويلاحـظ وقوع الاختلاف بين الجزء الثـالث من هـذه النسخة، ومخطـوطة المصنف الخيضري منـه، إذ فيه زيـادة بعض التراجم - وقد سبقت الإشـارة إلى



آخر الجزء الثاني من مخطوطة المكتبة المحمودية



أول الجزء الثالث من مخطوطة المكتبة المحمودية



آخر الجزء الثالث من مخطوطة المكتبة المحمودية

وأصل هذه النسخة الكـاملة من كتاب «الإكتساب» يمنيـة، جزؤها الأول ناسخه يمنيٌّ معروف، والجزءان الأخيران لم يتضح عن الناسخ سوى كلمة اسم (محسن) وهـو من الأسماء التي تتكـرر في اليمـن في ذالك العهـد، وفضـلا عن ذالك فإن الشيخ محمد عابد الذي كتبت النسخة بـاسمه قد أقام مدة طويلة في صنعاء بحيث حج منها نحو ست مـرات وتتلمذ على الشوكاني، محمد بن علي (١١٧٣/ ١٢٥٠هـ) وزامل المؤرخ لطف الله جحـاف (١١٨٩/ ١٢٤٣هـ) الذي قال عنه ما نصه: (٣) (صَحِبْنَا دهراً طويلاً، ورافَقْنَا في القراءة على شيخنا البدر الشوكاني، وحججْتُ معه سنة ١٢١٦هـ فلاقينا الشيوخ، واستجزنا إمام الحرمين الصالح بن محمد الفلاني المغربي، وأجـازني وإياه إجازة عامة، ورأيت إمام الحرمين يجلّه، ويدنيه من محله، لشغفـه بالكتب الحديثية، واشتغال رفيقنا هذا بصحيح البخاري وتحرِّيه لاتّباع الدليل، وله سيادة في الناس ووجاهة، وله معرفة كاملة «بصحيح البخاري» فإنه ألّف في مكـرراته مؤلفاً بديعاً حسناً تلقاه

هذا -، فهل هذه الزيادة ممـا أضافها بعض النساخ، ولعل منهم (المشهدي)؟ أو أن المصنف نفسه أعاد النظر في كتابه، فأضاف إليه تلك الزيادات التي يبدو أنها متأخـرة عن وقـت تأليف الكتـاب؟ بحيث نقل فيهـا عـن السيـوطي وعن السخاوي وهما معاصران له، وممن عاشا بعده.

وليس من المستبعـد أن توجـد نسخـة من هذا الكتـاب في اليمن أصل لهذه المخطوطة.

الحواشي:

(١) القسم الأول من حرف الجيم.

(٢) «هدية العارفين» ٢/ ٣٧٠ - و«معجم المؤلفين» لكحالة، ج ١٠ ص ١١٣، وقد ترجمه الشيخ عبدالوهـاب الـدهلـوي في مجلة «الحج»، ١١/ ٥٧٢.

(٣) «نيل الوطر»، ج ٢ ص ٢٧٩.

عُنْصُرُ الإِبْدَاع في التَرجَمَة الأدبيَّة

د. محمد عبد اللطيف هريدي

بالرغم من فضل الترجمة وأهمية دورها الحضاري في التواصل بين الأمم، بل بين الأجيال في الأمة الواحدة، ورغم تعاظم هذه الأهمية يومًا بعد يوم في عالم يعيش ثورة الاتصالات، لم ينل المترجم حقه من التقدير بعد، سواء كان التقدير ماديًا أو معنويًا. وما زالت الترجمة سواء كانت علمًا أو فنًا تفتقر إلى الاهتمام بها والبحث فيها والتنظير لها، ونقد نصوصها. ولعل ذلك يرجع إلى أن جمهور الأدباء والنقاد ما زالوا ينظرون إلى الترجمة بوصفها مجرد نقل آلي من لغة إلى أخرى. فإذا نقدوا وجهوا نقدهم للمؤلف ولا يعيرون المترجم اهتمامًا، بل نكاد لا نرى - إلا فيما ندر - ناقدًا تناول في نقده نصًا من النصوص الأدبية المترجمة فحاول تقويمه أو شرح جمالياته أو تفسير آلياته.

لذلك حق لنا أن نتساءل عن سبب هذا الإهمال الذي يصيب الترجمة والمترجمين دون التأليف والمؤلفين؛ ولعل أهم هذه الأسباب هو توهم الكثيرين أن المترجم مجرد ناقل لأفكار غيره أو مشاعره، ومن ثَمَّ فهو ليس مبدعًا. أما بالنسبة للمؤلف، فلا يختلف اثنان على أنه مبدع. من هنا لا بد لنا أن نتساءل: هل تخلو عملية الترجمة من عنصر الإبداع؟ أليس المترجم مبدعا؟ تلك هي القضية التي سنطرحها على هذه الصفحات ساعِينَ للإجابة عن السؤال السابق مستهدفين تقدير عملية الترجمة حق قدرها[1].

ولا شك أن طرح القضية على هذا النحو سيفرض إجراء موازنة بين العمليتين: عملية التأليف الأدبي، وعملية الترجمة، متتبعين عنصر الإبداع في الترجمة في ضوء ما تواضع عليه اللغويون والأدباء وعلماء النفس والاجتماع من أنه مقومات العمل الإبداعي.

معالم الإبداع في الأدب

ومن الطبيعي أن نبدأ بالتعريف اللغوي: ففي اللغة: بدع الشي يبدعه، وابتدعه أي أنشأه وبدأه. وأبدعت الشيء أي اخترعته لا على مثال[2] فإذا نظرنا للترجمة في ضوء هذا التعريف اللغوي المحدود وجدناها إبداعا؛ فالمترجم قد أبدع نصًا جديدًا لم يكن موجوداً في لغة قومه. وربما كان قومه في حاجة إليه كما سيتضح لنا من خلال حديثنا عن أهداف المُتَرجِم، ولعله نقل إليهم أحاسيس ومشاعر لا تخلو من الجدة والطرافة لمؤلف غريب عنهم.

ولما كان الإبداع الفني واحداً من أنشطة النفس البشرية المعقدة فقد وضعه علماء النفس والاجتماع تحت مجهر البحث وتعارفوا على أنه مجموعة من الظواهر السلوكية التي تصدر عن الفرد بوصفها رد فعل واستجابات على منبهات تصدر إليه من البيئة - سواء كانت داخلية أو خارجية -، وهذه الاستجابات قد تكون حركية أو ذهنية أو لغوية [3] أما الفن - والأدب أحد صوره - فهو في أبسط التعريفات: رسالة أو خطاب يريد الفنان إيصاله إلى الآخرين من حوله، بهدف نقل خبرته ورؤيته إلى الآخرين بقصد الوصول إلى الحالة التي استقر الاتفاق على اعتبارها ال «نحن»[4].

أي إن التواصل هو الهدف الأسمى من سلسلة العمليات الشعورية الواعية التي تتم في المبدع نفسه، وإذا كان مجال الإبداع هو الأدب فاللغة وسيلته، لذلك فالعمل الإبداعي الأدبي له جناحان لا يطير إلا بهما معا: الأفكار أو المضمون، واللغة أو الشكل. فإذا تتبعنا المراحل التي تمر بها العملية الإبداعية نجدها ثلاثا:

١ - مرحلة التلقي، سواء من البيئة الخارجية، أي ردود أفعال أو استجابات لمؤثرات من الخارج، وهذا ما عرف بالمعنى الاجتماعي للإبداع. أو التلقي من الداخل في حالة الاستجابة لأحاسيس ومشاعر ذاتية.

٢ - إقامة علاقات جديدة بين العناصر والمدركات لتكوين تركيبات جديدة.

٣ - التقديم والإبانة.

ولكي تتم هذه المراحل لا بد من توافر مقومات للعملية الإبداعية لعل من أهمها:

١ - الإحساس والإدراك؛ فالفنان يتلقى من العالم الخارجي أو من مكنون ذاته مجموعة من الإحساسات ثم يترجمها إلى مدركات حسية ذات صبغة عقلية.

٢ - الخيال، وهو من أهم مقومات الإبداع؛ إذ عن طريقه يمكن للفنان أن

يشكل المدركات الحسية في صور ذهنية .

٣ ـ الانتقاء، وفيه يفاضل الفنان بين العديد من الصور الذهنية التي شكلها من قبل في مخيلته .

٤ ـ الأداء أو الصياغة «هو ما تعتمد عليه مرحلة الإبانة والتعبير عن الصور الذهنية»[٥] .

تلكم هي المعالم الرئيسة للعملية الإبداعية في الفن عامة والأدب خاصة، وسنحاول في ضوئها أن نوازن بين مراحل التأليف ومراحل الترجمة ونبحث عن مقومات العمل الإبداعي في الترجمة، ومن ثم علينا تتبع مراحل الترجمة بدءًا من الهدف الذي يبتغيه المترجم من ورائها، ومرورًا بعملياتها الذهنية والوجدانية التي يمكن أن تعمل في نفسه وانتهاء بمدى حرصه على اختيار الأداء الأمثل كيما ينجح في تحقيق التواصل مع الآخرين .

مراحل الترجمة

تمر الترجمة بمراحل ذهنية ووجدانية عديدة، وتتداخل هذه المراحل شعوريا أو لا شعوريًا ولذلك فإن الفصل بين هذه المراحل أو ترتيبها هو أمر تقريبي لتيسير الدراسة فقط، شأنها في ذلك شأن مراحل التأليف التي ذكرناها من قبل ويمكن تتبعها في الخطوات التالية :

١ ـ الهدف :

إذا كان هدف الفنان المبدع هو الوصول إلى حالة ال(نحن) كما أقر بذلك علماء النفس، أو الاستجابة لمؤثرات البيئة الخارجية كما يرى علماء الاجتماع، أو نقل الأحاسيس الوجدانية، أو تحقيق التواصل بصفة عامة . فللمترجم أيضا نفس الأهداف؛ فقد ينتقي المترجم نصًا يُعبِّر عن مشاعر قومية عامة مثل ترجمة كتب البطولات التاريخية في زمن الحروب، أو لتحقيق هدف سياسي مثلما فعل أحمد فتحي زغلول باشا (ت١٩١٤م) حين ترجم رسالة الأمير مصطفى فاضل باشا (ت ١٨٧٥م) المفتوحة إلى السلطان عبد العزيز التي يدعوه فيها إلى إقامة حياة نيابية في الدولة العثمانية .

وقد يتضح للمترجم أن قومه في حاجة إلى لون أدبيّ معين فيفزع إلى تلبية هذه الحاجة، مثلما فعل مترجم «سوانح أميرة» الذي يقول معبرًا عن ذلك في المقدمة : «ليس لدينا إنتاج الأدب النسائي وخاصة الذي يصور روح الأمة خلال انتقالها من حقبة إلى أخرى»[٦] كما يقدم مترجم «سيرة السلطان محمد الفاتح» لترجمته بقوله : «وبعد فلما رأيت افتقار اللغة العربية إلى سيرة عظيم من أعاظم رجال العالم . .»[٧] .

وقد يشعر المترجم بأن روح النص تلائم الإحساس القومي السائد لدى مواطنيه، أو تُشبع عنده نزعة قومية، وهذا ما حدا بمطران خليل مطران أن يترجم «عُطَيْل» ويفسر ذلك بقوله : «إن في نفس شكسبير شيئًا عربيًا بلا منازعه! أقرأ لغتنا أم نقلت إليه ؟ لا أعلم، ولكن بينه وبيننا مشاكلة محيرة»[٨] وهناك مترجم آخر يفسر إقدامه على ترجمة المسرحية نفسها؛ بأن شكسبير لم يجر مجرى أدباء الغرب في تشويه الشخصيات العربية في مؤلفاتهم[٩]، بل إن أخلاق عطيل كما صورها في المسرحية تدعو للإعجاب؛ فهو محب للخير، صريح إلى أبعد حدود الصراحة، لا يعرف المداهنة أو الرياء، وإذا أحب أحب في إخلاص[١٠] .

وقد يكون الهدف من الترجمة تحقيقا لرغبة ذاتية، أي استجابة لمؤثر داخلي، فقد يرى المترجم مشاكلة بين مكنون ذاته وبين ذات المؤلف مثلما رأى الشاعر الفرنسي بودلير (١٨٦٧ م) إذ شرع يترجم إدجار آلان بو (١٨٤٩ م) فيقول في رسالة لأحد أصدقائه «أتعرف لماذا ترجمت في صبر وأناة ما كتبه إدجار آلان بو؛ لأنه كان يشبهني، ففي أول مرة تصفحت فيها كتابا من كتبه رأيت ما كان مثار فتنتي وروعتي»[١١] .

وهكذا نرى أن هدف المترجم لا يختلف عن هدف الفنان المبدع؛ فكلاهما يسعى إلى تحقيق التواصل بين ال(أنا) وال(نحن) . ولذلك نجد كثيرا من تعريفات الترجمة تدور حول هذا المعنى، فهي نوع خاص من أنواع اتصال الناس الناطقين بلغات مختلفة[١٢] . وفي تعريف للمترجم : «أنه قارئ لمس في نفسه القدرة على نقل ما تواصل معه إلى الآخرين بلغة أخرى، لكن تواصل المترجم مع ما قرأه يفترض تقدير تواصل شعبه أو أمته مع ما تواصل معه لكي يحفزه على ترجمته لهم»[١٣] أما إذا كان الهدف من الترجمة ذاتيا، أي لمجرد نقل أحاسيس المؤلف فلا بد أن يكون المترجم قد أحس بها أولا كما رأينا عند بودلير وكما عبر عن ذلك طه حسين حين ألزم المترجم، «بأن يشعر بما شعر المؤلف، وأن تأخذ حواسه وملكاته من التأثر والانفعال نفس الصورة التي أخذتها حواس المؤلف وملكاته»[١٤] .

٢ ـ فهم النص :

لا شك أن فهم النص وإدراك معانيه ليس بالأمر اليسير، بل يكاد يتفق جمهور النقاد والمترجمين على أنه أمر جد عسير[١٥]، يرتبط بالعديد من القرائن اللغوية والثقافية والنفسية، ولا يتسع المجال لتفصيل كل واحدة منها، لذا سنكتفي هنا بالإشارة إلى أن المترجم في حاجة إلى مخزون لغويّ وثقافيّ يعينه على فهم جزئيات المعنى والمفردات . ولنبدأ حديثنا عن المخزون اللغوي؛ وللاستفادة منه يلجأ المترجم إلى تطبيق قواعد وقوانين اللغة الأصل وترويضها في اللغة المستهدفة، وهي عملية تكاد تشبه حل المشكلات الرياضية، ولذلك فهي تعتمد على نوع من أنواع التخيل، وهو ما أطلق عليه علماء النفس القدرة على حل المشكلات problem solving[١٦] . فمن البدهي أن فهم المعنى لن يتحقق باستخراج مقابل الكلمات من المعجم فقط، بل هي أُولى الخطوات في هذا الطريق، فلو ضربنا مثلا بهذه الجملة التقريرية البسيطة :

The boy saw his father in the garden لرأينا أنها تمر بالمراحل التالية حتى تتضح جزئيات معناها الكلي :

(١) لا بد من التعرف على المعاني المعجمية للمفردات بالاستعانة بالمخزون اللغوي أو بالمعاجم .

(٢) ولكن المعنى المعجمي لا يجدي نفعا دون معرفة الكلمة في سياقها الصرفي والنحوي، أي بعد تطبيق قواعد اللغة، حيث يجري المترجم مجموعة من العمليات الذهنية هي أشبه بالعمليات الحسابية كما ذكرنا، ويتوقف

النجاح فيها على مدى القدرة على التخيل، أي القدرة على الإبداع.

(٣) يلي ذلك مرحلة الربط بين أجزاء الكلام عن طريق إقامة العلاقات اللغوية بين عناصر الجملة طبقـا لقواعد اللغتين: الأصل والمستهدفة، وهـاته مرة أخرى يلجأ فيها المترجم إلى القدرة على حل المشكلات؛ ففي المثال السابق سوف نبدأ في الترجمة العربية بالفعل (رأى) بينما ترتيبه غير ذلك في الأصل. وتـزداد هذه المشكلـة تعقيداً في بعض اللغـات مثل اللغة التركيـة التي تأتي أفعـالها في نهاية الجملـة، وتتبـاعد المسـافـات بين أجزاء التركيب الواحـد وأركان الجملـة حيث يفصل بين الفاعل وفعلـه عدة سطور أحيـانا. وإذا رجعنا إلى الجملة التي أوردناها مثالا نقـول: إنه بعد إجراء هذه العمليات المعقدة يستطيع المترجم أن يقول: «رأى الولد أباه في الحديقة».

وهكذا نـرى أن القدرة الإبـداعية للمترجم فضلا عـن أنها تدخلت في حل المشكلات اللسانية ربطت بين عناصر الجملـة، وهي أشبه بالربط بين عناصر الموضوع في حـالة التأليف، فالمترجـم يقيم علاقات بين المدركـات التي أدركها من خلال تطبيق القوانين اللغوية.

وإذا كان هـذا حال جملـة تقريـرية بسيطـة كالتي أوردنـاها، فالأمـر ليس كذلك بالنسبـة للجمل الطويلة المركبة، والأمر أكثر تعقيـدا بالنسبة للنصوص الأدبية المحملة بألـوان البديع والبيان، التي تحمل ألفاظهـا دلالات جد مختلفة عما نجده في المعاجم. في هذه الحالة يلوذ المترجم بمخزونه الثقافي لكي يستطيع فهم النصوص. ونضـرب مثـلا لذلك كلمة steel في هـذا السيـاق: Steel, if thou turn the edge....ex. فهـي لا تعنـي حديـدًا أو صلبـًا كما نعرف، ولـذلك تدخلت قـدرة المترجم الإبداعيـة لتأتي لنا بـالمعنى الدلالي فقـال: «أيها السيف الحديد لئن نبا حدك... الخ»[١٧].

وتتدخل القدرة الإبـداعية في المفاضلة بين المعاني المعجميـة المختلفة للفظة الواحدة؛ فقد نجد للكلمة أكثر من معنـى، لذا فالمترجم المبدع هو الذي يجيد انتقاء المعنى المناسب وإلا أضاع معنى الجملة برمتها مثلما فعل مترجم مسرحية (وطن) ـ عن التركية ـ في هذا الحوار:

«قلتم إنه سيطرأ تبديل على دخول المعسكر؛ لأن لي في التبديل سهولة»[١٨] وهذا غير مفهوم فالصواب أن نقول:

«قلت سنـدخل المعسكر متنكـرين، إنني أجيـد التنكر» ومن الـواضح أن المترجم لم يحسن انتقـاء المعنى المناسب من بين معـاني كلمة (تبديـل) في التركية العثمانية.

ليس هـذا فحسب، بل على المترجم أن يكون واقفًا على عـادات وتقاليـد وثقافة أهل اللغة التي ينقلها لكي يصل إلى دلالة الكلمة في سياق الجملة، أي إنه سيلجأ إلى رصيده الثقافي هذه المرة، ولكي نتبين أهمية هذه الخطوة فلننظر إلى فشل المترجم في فهم معنى هذه الجملـة: «قنديل كيجـه لري قبرستان زيـارتنه كيدرسن» والتي تـرجمها قائلا: «تذهبين في الليـالي الزواهر لزيـارة المقابر»، [١٩] وصحتها: «أنـت تذهبين لـزيارة قبره في المناسبـات الدينيـة»، فقد غـاب عن المترجم أن «قنديل كيجه لري» هي ليالي المناسبات الدينية عند الأتراك.

وهكـذا يتضح لنـا من هـذا العرض الموجـز للمـراحل التي تمر بها عملية الترجمة حتى نستطيع فهم جزئيـات النص، أن المترجم لا بد أن يتحلى بـالقدرة الإبـداعية التـي تعينه على حل المشكـلات اللغـوية أولا، والـربط بين عنـاصر الجملة ثـانيا، والانتقاء بين المعاني ثـالثا، وشحذ الـذاكرة الثقافية للـوصول إلى المعنى الدلالي أخيرا.

٣ ـ تصور المضمون خارج الإطار اللغوي :

إن كـان للخيـال دوره في حل المشكـلات التـي تعترض المترجم في فهم جزئيات النص، فإن هذا الدور يكمـن في القدرة الفائقة التي تعينه على فحص المعـاني الكليـة وتصـورهـا خـارج الإطـار اللغـوي، أي في الإطـار البـلاغي والشعوري. وفي هذه المرحلة تتكون لدى المترجم مـدركات حسية تماثل ما لدى المؤلف. وبمعنى آخـر يمكن القـول بأن المترجم بعـد أن يتيسر لـه فهم المعـاني الجزئية يمكن أن يتصور المواقف والصور البيانية التي تخاطب وجدانه، ومن ثم ينفعل بها مثلما انفعل مؤلفها، فيصدر تعبيره عن مكنون ذاته، ولذلك قلما تتفق تـرجمتـان لنص واحـد، ولعل المثـال التالي الـذي اقتبسنـاه من ثـلاث تـرجمات لمسرحيـة عطيـل يـوضح لنـا كيـف تختلف الترجمة تبعـا لاختـلاف تصـورات مترجميها:

Rod, : Tush, never tell me, I take much kindly,
That thou, Iago, who hast had my purse.
As if the strings were thine shouldts know of this.

فقد تصـور مطران خليل مطران رودريجو غـاضبا على ياجـو إذ يحدثه عن شخص غير مرغوب فيه، فيعنفه ويمن عليه بما منحه من مال:

«كفى كفى لا تخاطبني عنه بعـد الآن. أنا آسف جدا لأنك تنسمت هذه المسألة ياياجو. أنت الذي بـددت ما شئت من مالي وصرفت يديك في نقودي كأنها حُرُّ مالك»[٢٠]، ومترجم آخـر يصـور الموقف كأن رودريجو يتمـرد على سيطرة ياجو وابتزازه نقوده:

«كفى ثـرثـرة... لا أريد أن أسمع منـك شيئا بعـد الآن. إن حـديثك لا يروقني. أنت الذي استوليت على أموالي كأنك أصبحت مالكًا لحافظة نقودي، تتصور أن حيـاتي أصبحت دمية تحركهـا خيوط بين يـديك»[٢١] أمـا في الترجمة الثالثة فإننا نرى رودريجو وهو يُعَنِّف ياجو ويلومه على عدم وفائه؛ إذ لم يفعل ما كان ينتظره منه وهو إخباره بالحقيقة:

«خسئت، وما تخبرني أبدا. إني جد مستاء؛ لأنك ياجو أنت الذي جعلت كيسي كأن خيوطه ملك يديك. تدري بهذا»[٢٢].

وهكـذا نـرى أنَّ كل مترجم قـد تصـور الموقف وأحسَّ بـه ثم عبَّر عنـه من خلال رؤيته وإحسـاسه، وبنبض وجدانه، ولـذلك تفاوتت درجات الغضب على ياجو، وتباينت درجات التعبير عن أسى رودريجو، وأخيرًا اختلفت الألفاظ في النصـوص الثـلاثـة . وقـد أطلق علماء النفس على هـذه العمليـة التصـور الارتسامي Edietic image واعتبروهـا من عناصر الخيـال الإبـداعي [٢٣] ولذلك حق القول على المترجم:

«إنَّ كل مترجم وإن كان مبتدئا يدرك أنه لا يستطيع ترجمة جملة واحدة ما لم يتصور سياقها» [٢٤] «وإنَّ المترجم المبالغ في التدقيق عليه أن يملك خيالاً واسعًا، وعليه أن يعرف كيف يضع نفسه مكان الكاتب من أجل أن يظفر بالرسالة المراد إيصالها [٢٥]» . وقد تنبـه العقاد إلى هـذه الضرورة الإبداعية فقـال مادحًـا ترجمة المازني:

«إنَّ المازني امتـاز بملكة أخـرى كاد أن ينفـرد بها في الآداب العالميـة، وهي ملكة الترجمة المطبوعة وما يصح أن نسميه بعبقرية الترجمة؛ لأنه استطاع بترجمته أن يرد الكـلام أصيلا كأنـه لم يكتب من قبل ذلك بلغة أخـرى، ولم يصدر عن قـريحة سابقـة؛ فقد كـان يترجم الكلام في سليقتـه شعورًا قبل أن يترجمه لفظًا ومعنًى، فيجيش به كما جاش صاحبه ويعبر عنه بعد ذلك» [٢٦] .

بيد أنه ينبغي ألا يَتْرك المترجم لانفعاله العنـان فيقول ما لم يقله المؤلف فهو محكوم بالنـص، ولذلك قيل إن الترجمة أشق من التأليف؛ لأن المؤلف ينقل من ذات نفسـه إلى قلمـه مبـاشرة، «أمـا المترجم فمقيـد بـالنص محكـوم بأفكـاره ومواصفـاته، مطالب بأن ينقل بأمـانة وإخلاص كل ما فيـه من نبض الشعور وفيض العاطفة ودقائق الفكرة وروعة الأسلوب» [٢٧] .

لا شك أن نقل الصـور البيانية مـن الخطوات التي تعتمـد على القدرة على التصور الارتسامي أيضـا ، فالكناية والمجاز والاستعارة مـا هي إلا تركيب خيالي في الأصل، فضـلا عن كـونها حصيلـة تجارب حضاريـة طـويلـة، ومن ثم لا يمكن نقلها من لغة إلى أخرى إلا بـاسترجاعها خيالا في مخيلتنا أولا، ثم التعبير عنها بما يفهمه أهل اللغة المنقول إليها . فقد لا يوفق المترجم في انتقاء المعنى من الصورة؛ لأنها تكون مأنوسة عند أهلها غريبة إذا انتقلت إلى لغة أخرى . لذلك تحتاج هذه الخطوة - إلى جـانب القدرة على التخيل - القدرة على حل المشكلات أيضا . ولنـدرك أهمية ذلك فلننظـر إلى المثال التـالي في ترجمة عن التركيـة، إذ لو ترجمت الجملة: «قـار كبيلري معصو ملقلرينـه بورونمش» كما هي دون تدخل من المترجم لجاءت الصورة (وهي تشبيه الورود البيضاء النابضة بالبراءة بالثلج) غريبة عن المعنى العربي ولذلك أجاد المترجم إذ جعلها:

«والورد في لونه الأبيض ملتف برداء الطهر والعفاف» [٢٨] . بينما فشل مترجم آخـر حينما ترجم «تسيل السمـوم من آمـاقي» [٢٩] . كنـاية عن شـدة النحيب والبكاء . فيكـون المعنى مألوفا لو قلنـا : «تسيل الدموع دما» . وفي المثـال نجد مطران خليل مطران قد أجاد في ترجمة : My hopes shape him for governer بقوله: «آمـالي تحدثني أنه الحاكم» [٣٠] . ولم يقل تشكله لي لـو التزم بـالاستعارة الواردة في النص الإنجليزي .

وقد أدرك الأدباء والمترجمون أهمية هذه الخطـوة فنبهوا إليها، ومن النقاد من حاول الأخذ بيـد المترجم ليتغلب على هذه العقبة، ولعل عبد القـاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) قـد سبق غيره في هذا التنبيـه فأشـار إلى ضربين من الاستعـارة: أحدهما قابل للترجمة والآخر غير قابل: «فلو أن مترجمًا ترجم قوله النعام وحفانه (أي صغاره) ففسر الحفان باللفظ المشترك الـذي هو كالأولاد والصغار؛ لأنه لا يـوجد في اللغـة التي بها يترجم لفظـا خاصـا لكان مصيبـا ومـؤديا للكـلام كما هو» [٣١] . وهـذه إحـدى الطـرق التي سلكهـا القـدمـاء للتخلص من غـريب الاستعـارات . فإذا انتقلنا إلى العصر الحديـث نجـد سليمان البستـاني مترجم الإلياذة، يعترف: «بأنه تحاشى غريب الكنايـات مما لا وجود له في العربية مثل (خفة القـدم) و (هزة الخوذة)» [٣٢]، ويقول محمـد فريد أبـو حديد وهـو يقدم لترجمة (مـاكبث): «فقد يـرسم المؤلف صورة مألـوفة عنـد أهل لغته، ولكنهـا تكـون غريبـة عن ذهن أبناء اللغـة العـربية، بل إنها قـد لا تحمل إليهم المعنى الذي يـريد المؤلـف التعبير عنه فيكون على المترجـم أن يبرز الصورة في مـلامحها الأصليـة، كما يكـون عليـه أن يجعل الصـورة تحمـل المعنى المقصـود عنـد أهل لغته» [٣٣] .

وهكـذا أدركنـا إلى أي مـدى تعتمـد الترجمة على القـدرة التصـوريـة ثم التصويرية للمترجم وكلاهما من ألزم أدوات الإبداع .

٤ ـ التقديم والإبانة : في ضوء مـا أسلفنا يتضح لنا أن المترجم مـا هو إلا رجل يسعى إلى التواصل مـع أبناء قومـه لكي ينقل لهم رسالـة المؤلف، ولذلك قيل في الترجمة: «إنها نوع خـاص من الاتصال» [٣٤] ولما كانت اللغـة هي وسيلة هذا الاتصال فعلى المترجم مراعاة قواعد الفصاحة في اللغة التي ينقل إليها حتى تبين هـذه الرسـالـة وتبلغ القلـوب والأفهام من أقصر الطـرق، وسنكتفي هنـا بالإشارة إلى أهم القـواعد الأسلوبية التي ينبغي على المترجـم مراعاتها، حتى لا يكون حـديثنا تكرارًا للقـواعد الأسلـوبية في اللغة العـربية وقد كفـانا البـاحثون اللغويون مؤونة هذا التكـرار، لا سيما أن معظم هذه الإشارات قد أوردها النقاد في مقدمة ترجماتهم .

ولا شك أن من أهم هذه القواعـد وفي مقدمتها انتقاء اللفظ؛ إذ يجب على المترجم أن ينتقي اللفظ الملائم للمعنى أولا، والمألوف لدى أهل لغته ثانيا، وإذا حللنا هذه العمليـة من منظورها الإبداعي نجدهـا لا تخلو من عنصر الإبداع؛ فالمترجم يقوم من خلالها بعمليـة التنسيق بين مخزونه اللفظي ومخزون المتلقي وهو أمر جـد عسير، لا سيما وهو محكـوم في الوقت نفسـه بالمعنى الـوارد في النص . ولـذلك كـان مطـران خليل مطـران حريصًـا على أن يبرز في مقـدمـة (عطيل) الدوافع التي دعتـه إلى اختيار الأسلـوب الذي يفهمه القـوم ويقول: «هـذا هو الأسلوب الذي آثـرته وأرجو أن أكون قد وفقـت فيه بعض التوفيق فتجتمع لهذه

عنصر الإبداع في الترجمة الأدبية

القصة مزيتان : إحداهما أن تكون عربية فصيحة لولا تشقيق الكلم على ترتيب المخاطبة بين الفرنجة قديما وحديثا . والثانية أنها تمثل أقوال شكسبير حرفا بحرف ولفظة بلفظة» .[٣٥] وبالرغم من ذلك لم يسلم المترجم من سهام نقد ميخائيل نعيمه له إذ يقول : «لو أن المعرّب صرف على التدقيق في الترجمة مقدار ما صرف من الجهد في انتقاء أوابد المفردات العربية وشواردها لما كان على ترجمته من غبار سوى تعقدها» .[٣٦] ولنفس السبب رأى طه حسين أن حافظ إبراهيم لم يحسن انتقاء الألفاظ في ترجمته لرواية البؤساء لذا فإن ألفاظها «تحول بين القارئ وبين الفهم ؛ لأنها لا تلائم روح العصر»[٣٧].

ومن المسؤوليات الملقاة على عاتق المترجم عند انتقائه لفظة أن يراعي دلالات الألفاظ في اللغة المنقول إليها ، وقد أشرنا من قبل إلى وجوب مراعاته الدلالة في اللغة الأصل . فقد يكون اللفظ ملائما للمعنى ومألوفا لدى قومه ولكن دلالته توحي بمعنى آخر ، مثل المترجم الذي قال : «إنهم في لذة باطنية» بدلا من : «هم يشعرون بسعادة داخلية» . فكلمتا : (لذة) و (باطنية) هنا تلقيان بظلال أخرى غير المعنى المقصود . والأمر أشد صعوبة عند ترجمة الشعر فعلى المترجم نقل الموسيقى الشعرية التي عمادها الألفاظ وجرسها ، وليت الأمر يقف عند هذا الحد فهناك من يطلب من المترجم نقل الإشارات والرموز ولذلك يجب على مترجم الشعر أن يكون ذا وعي سيميوطيقي[٣٨] .

ولا شك أن مراعاة قواعد النظم في اللغة المستهدفة من الأسس التي تتوقف عليها قدرة المترجم على الإبانة وقد أشرنا من قبل إلى مراعاة ترتيب أجزاء الكلم العربي وقواعد الأسلوب[٣٩] .

وهكذا نرى من خلال تتبعنا لهذه المراحل الذهنية والوجدانية التي تمر بها عملية الترجمة أن عنصر الإبداع يلازمها في كل مرحلة ؛ فالمترجم له هدف المؤلف نفسه ، وهو التواصل مع الآخر ، ولا ينجح المترجم في الوصول إلى هدفه ما لم يكن مبدعا . ومن ثم فالعمليات التي يجريها أثناء الترجمة تحمل كل مقومات الإبداع في التأليف بدءًا من الإدراك والإحساس بالنص وانتهاء بحرصه على الإبانة والتعبير . وأخيرا لو لم تكن الترجمة عملا إبداعيا لما كان لفيتزجيرالد الفضل في ذيوع وانتشار رباعيات الخيام التي لم تنل مثليهما في لغتها الفارسية . ولما تأثر جوته بالقصص القرآني والسيرة النبوية الشريفة والتراث العربي فأبدع (الديوان الشرقي) ولما راجت بيننا أعمال أدباء الغرب ، وقد قرأها غالبيتنا في غير لغتها الأصلية .

الهوامش والمراجع

(١) لسنا في عجالة هذه القضية من خلال موضوع «الترجمة : نظرية وتطبيق» في كتاب : محمد عبد اللطيف هريدي ، فن الترجمة الأدبية ، القاهرة ، ١٩٨٩م . ولذلك حرصنا على تفصيلها هنا مع تقديم أمثلة من الترجمة عن الإنجليزية حتى تكون الفائدة أعم .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص ٢٢٠ .

(٣) مصري عبد الحميد حنورة ، الأسس النفسية للإبداع في الرواية ، القاهرة ، ص ١٣ .

(٤) نفسه ، ص ٥٢

(٥) يوسف ميخائيل أسعد ، سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب ، بغداد ، د. ت ، ص ١٧٢ ، ٩ .

(٦) عبد العزيز الخانجي (مترجم) ، سوانح الأميرة ، القاهرة ، ١٩٢٠م .

(٧) عبد الله مخلص (مترجم) ، سيرة الفاتح ، حيفا ، ١٣٢٨هـ .

(٨) مطران خليل مطران (مترجم) ، عطيل ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ط٥ ، ص ٨ .

(٩) محمد كامل حسن المحامي (مترجم) ، عطيل ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، ص ١٤ .

(١٠) نفسه ، ص ١٣ .

(١١) عن محمد غنيمي هلال ، انظر : محمد عبد اللطيف هريدي ، ص ١١٢ .

(١٢) أسعد الحكيم ، حقيقة الترجمة ، مجلة الموقف الأدبي ، ع ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، شباط ١٩٨٨ م ، دمشق .

(١٣) تيسير شيخ الأرض ، الترجمة والتواصل ، نفس المجلة ، نفس العدد .

(١٤) أحمد حسن الزيات (مترجم) ، آلام فرتر ، القاهرة ، ١٩٢٩ م ، مقدمة طه حسين .

(١٥) لمزيد من التفاصيل انظر : محمد عبد اللطيف هريدي ، ص ٩٤ .

(١٦) مصري عبد الحميد حنورة ، ص ٥٦ .

(١٧) محمد فتحي (مترجم) ، هنري السادس ، دار المعارف ، د . ت ، ص ٢٤٠ .

(١٨) محيي الدين الخياط (مترجم) ، وطن ، بيروت ، ١٣٢٦هـ ، ص ٩٤ .

(١٩) نفسه ، ص ١٩ .

(٢٠) مطران خليل مطران ، ص ١١ .

(٢١) محمد كامل حسن المحامي ، ص ٢٩ .

(٢٢) جبرا إبراهيم جبرا (مترجم) ، عطيل ، الكويت ، ١٩٧٨ م ، ص ٦١ .

(٢٣) لمزيد من التفاصيل : مصري عبد الحميد حنورة ، ص ٥٦ .

(٢٤) ناصر الجيلاني (مترجم) ، المشكلات النظرية للترجمة ، مجلة الموقف الأدبي ، نفس العدد .

(٢٥) نفسه .

(٢٦) عباس محمود العقاد ، بعد الأعاصير ، القاهرة ، ١٩٢٥ ، ص ١٥٤ .

(٢٧) انظر : محمد عبد اللطيف هريدي ، ص ٢١ .

(٢٨) عبد العزيز الخانجي ، سبق ذكره ، ص ٢٨ .

(٢٩) محيي الدين الخياط ، ص ٣٣ .

(٣٠) مطران خليل مطران ، ص ٥٠ .

(٣١) أسرار البلاغة ، تحقيق رشيد رضا ، القاهرة ، ١٣٢٠هـ ، ص ٥٢ .

(٣٢) سليم البستاني (مترجم) ، إلياذة هوميروس ، القاهرة ، ١٩٠٤ م ، ص ٧٨ .

(٣٣) محمد فريد أبو حديد (مترجم) ، ماكبث ، القاهرة ، د. ت ، ص ٥٢ .

(٣٤) أسعد الحكيم .

(٣٥) مطران خليل مطران ، ص ٨ـ٩ .

(٣٦) ميخائيل نعيمه ، الغربال ، القاهرة ، ١٩٢٣ م ، ص ٢٠٢ .

(٣٧) طه حسين ، حافظ وشوقي ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ص ٨٨ .

(٣٨) فريال جبوري غزول ، نحو تنظير سيميوطيق لترجمة الإبداع الشعري ، فصول ، ع ١ ـ ٢/ ١٠ يوليو ، ١٩٩١ م ، القاهرة .

(٣٩) لمزيد من التفاصيل : محمد عبد اللطيف هريدي ، ص ١٣٥ـ١٤٩ .

من كتاب العدد

○ د. محمد عبد اللطيف هريدي

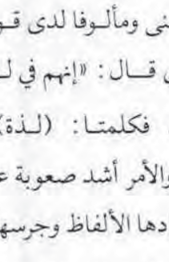
ـ من مواليد سوهاج ، مصر ١٩٤٧ م .

ـ دكتوراه في الآداب ١٩٧٧ م .

ـ متخصص في اللغة التركية وآدابها .

ـ عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

ـ يعمل أستاذا بجامعة عين شمس ، ومعار حاليًّا لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .



ـ من مؤلفاته : معالم الأدب التركي الحديث (القاهرة ١٩٨٠ م) ، الحروب العثمانية الفارسية (١٩٨٨ م) ، فن الترجمة الأدبية (١٩٩٠ م) ، شؤون الحرمين الشريفين (١٩٩٠ م) .

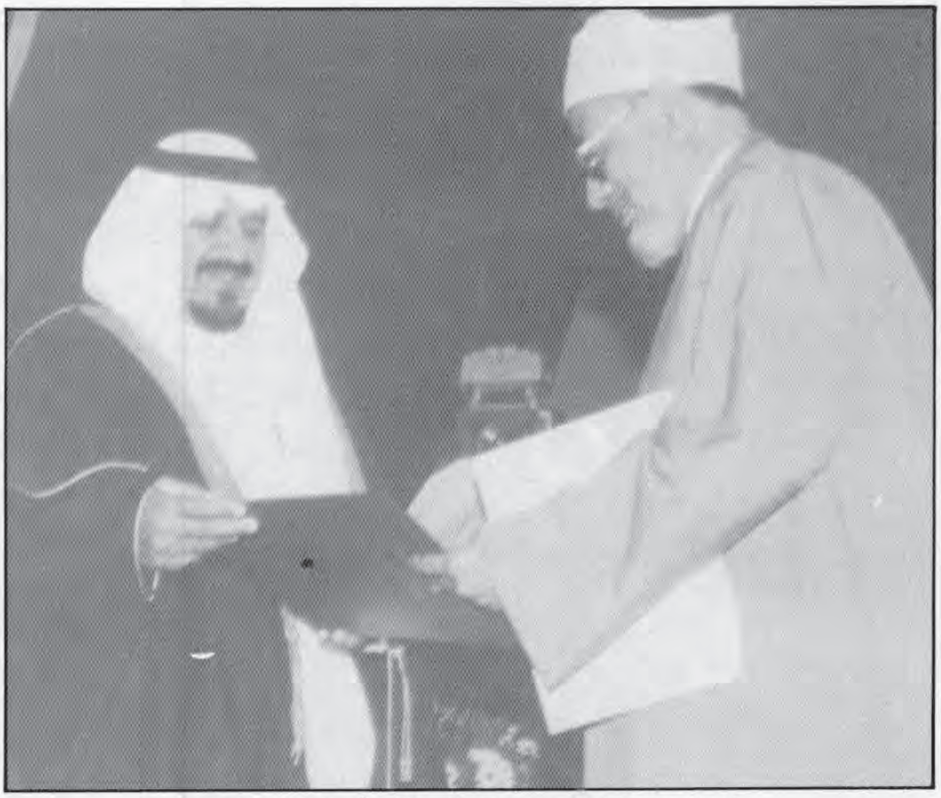
ـ له مقالات وبحوث منشورة في الدوريات العربية .

المفكر الإسلامي د. يوسف القرضاوي

الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية (بالاشتراك) لهذا العام ١٤١٤هـ

شروط نجاح "الحل الإسلامي"

أجراه: محمد عبد الشافي القوصي



الشيخ القرضاوي يتسلم جائزته من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز

عرفت الساحة الإسلامية الدكتور الشيخ يوسف عبد الله القرضاوي ـ مفكرًا وأستاذًا وموجهًا ـ من خلال لقاءاته وكتاباته ومحاضراته في أقطار العالم العربي والإسلامي، لا يخشى في الله أحدًا، ولا تأخذه في الحق لومة لائم. تحمّل في سبيل الدعوة كثيرًا من الأذى، فما زاده ذلك إلا إيمانًا بالحق والعدل الذي يدعو إليه.. ألَّف الكثير من الكتب التي ذاع صيتها في كل مكان وأصبح طلاّب العلم يقبلون عليها بشغف وعشق كبيرين...

واللقاء مع فضيلة الدكتور القرضاوي هو هدفٌ في ذاته، وكان فوزه بجائزة الملك فيصل العالمية دافعًا قويًا لنقل مشاعره ورؤيته لأحبابه ومريديه، فضلاً عن استلهام رؤيته في كثير من القضايا والتساؤلات التي تُلقي بظلالها على الشارع الإسلامي، وتختلف حولها الرؤى، وتفترق عندها وجهات النظر. وقد رأينا النفع الجزيل الذي ينتج عن هذا اللقاء مع فضيلة الدكتور القرضاوي، فهو يمثل ظاهرة واضحة متميزة في مسيرة الفكر الإسلامي المعاصر.

وقد بدأ الحديث بقوله:

كل التقدير والاحترام للإخوة العاملين في مؤسسة الملك فيصل الخيرية بدارها وهيئتها المكونة من العلماء والباحثين، لما يولونه من العناية والدقة وحسن المطالعة في مناقشة وتقويم الأبحاث والنصوص التي تتقدم بها الهيئات والمؤسسات والجامعات والدوائر العلمية والفكرية للترشيح لنيل جائزة الملك فيصل العالمية في مختلف فروع المعرفة.

والمهم أن قيمة الجائزة تكمن في مضمونها الأدبي والمعنوي وليس في قيمتها المادية، وبخاصة أنها تحمل اسم رجل عزيز على المسلمين كان رمزًا للدعوة إلى التضامن الإسلامي لتحرير المسجد الأقصى، وهو الملك الشهيد «فيصل»، يرحمه الله.

كما أن هذا التكريم له دلالته وأهميته في هذه الفترة التي يحلو فيها للبعض في الدول العربية والإسلامية تشويه بعض أعلام ورموز الإسلام وهدم قممه.

○ قلت لفضيلته: ترى ما الجهات التي رشحتكم لنيل الجائزة العالمية، وما الأبحاث والمؤلفات التي ارتقت لهذه الدرجات العُلى؟.

●● فقال:

إن جامعة الأزهر الشريف هي التي رشحتني لتلك الجائزة عن بعض الأعمال الفقهية، ومن بينها



د. يوسف القرضاوي

كتب «**فقه الزكاة، الحلال والحرام، بيع المرابحة للآمر بالشراء، فوائد البنوك هي الربا الحرام، تيسير فقه الصيام**».

وجدير بالذكر أن كتابنا «**فقه الزكاة**» أُعيد طبعه أكثر من عشرين مرة، و«**الحلال والحرام**» طُبع أكثر من خمسين مرة، وكثيرٌ من مؤلفاتي تُرجم إلى معظم اللغات التي يتحدث بها المسلمون في العالم.

والمهم أن هذه الجائزة تقدير أعتز به كسائر المسلمين، كما أعتز بهذه الجائزة التي مُنحت لأُناس من قبلي كثيرين جدًا كان آخرهم من المجاهدين والمفكرين أستاذي الشيخ «**محمد الغزالي**»، والسيد المجاهد «**علي عزت بيجوفيتش**» ـ حفظهما الله ـ وفي مجال التأليف ربما تكون لي بعض الكتب التي لا يحضرني ذكرها الآن.. فهي كثيرة جدًا، ومنها ماطبع في مصر أو غيرها في الخليج، وفي بعض بلدان المغرب العربي.. المهم أنها جميعها تخدم الفكر الإسلامي سواءً كان الفقه أو الاقتصاد أو التشريع أو التفسير أو الحديث... إلخ.

وكان من آخر هذه المؤلفات:

الإيمان والحياة، ثقافة الداعية، العبادة في الإسلام، حقيقة التوحيد، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، فتاوى معاصرة، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، فوائد البنوك هي الربا الحرام، تيسير الفقه، الدين في عصر العلم، الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه. ومعظم هذه الكتب واجهت أزمات وقضايا معاصرة وظروفًا طارئة أَملت عليَّ كتابتها لمواجهة تيارٍ آخر أو ردَّة فكرية في جانب ثان.

ضرورة التغيير

○ د. القرضاوي، باعتبار ـ فضيلتكم ـ من أبرز الذين رفعوا راية «الإسلام هو الحل» ـ في الوقت الحاضر ـ فما الدوافع التي أدّت إلى ذلك.. وهل إلى ذلك من سبيل؟!

●● أقول:

عندما تحدثنا عن ضرورة التغيير بعد أن تحقق فشل الحلّين: الليبرالي والاشتراكي، وثبت أن البديل الفذ هو الحل الإسلامي.. وقد تمثل فشل الحلول المستوردة من عند غيرنا والتي جيء بها من حواري أوربا لتطبيقها على المجتمع الإسلامي عندنا، فهناك فشل في المجال الاقتصادي، وفشل في مجال الحرية والطمأنينة للشعب، وفشل في المجال العسكري، وفشل في المجال الروحي والأخلاقي... إلخ. فماذا بعد ذلك كله؟ وماذا تعني إنجازات جزئية ومكاسب وقتية أمام الخسائر الكبرى والفشل العام؟!

ونحن نتساءل: كيف يستطيع الحلاّن الدخيلان المستوردان أن يحفظا على الأمة إيمانها فضلاً عن تثبيته وتركيزه ومدّ شعاعه في كل مجالات الحياة؟

إن هذين الحلّين إنما جاءا من الغرب الذي لم يعرف الإيمان بالله قط... لذا كانت الحضارة الغربية ذات فرعين: فرع ينكر وجود الله إنكارًا مباشرًا.

والفرع الآخر.. لا ينكر الله في صراحة وقطع، ولكنه لا يعترف له بسلطان على عباده.. يأمر وينهى، ويحكم ويشرّع.. وهذا ما عبّر عنه «**ليبولد فايس**» أو «**محمد أسد**» بقوله: «إن المدنيّة الغربية لا تجحد «الله» ألبتة، ولكنها لا ترى مجالاً ولا فائدة «لله» في نظامها الفكري الحالي».

> ❞ «الحل الإسلامي» ينقذ الأمة من تخبطها واضطرابها وذلّها وعارها ❝

الحل الإسلامي.. وتربية الأمة

○ أستاذنا.. وما معالم الحلّ الإسلامي المنشود كما ترى ـ فضيلتكم ـ؟

●● عندما ننادي بالحل الإسلامي علاجًا لمشكلاتنا المعاصرة، يتبادر إلى كثير من الأذهان صورة قاصرة عن القوانين والتشريعات الإسلامية ليس غير.

فالحل الإسلامي ـ في نظر الكثيرين ـ يتمثل في قطع يد السارق، وجلد الزاني أو رجمه، وجلد شارب الخمر، وتطبيق الشريعة في إقامة الحدود فقط.

وهذه الأحكام لا ريب أنها جزء أصيل من الحل الإسلامي، ولكن معنى «**الحل الإسلامي**» **أن يكون الإسلام هو الموجه والقائد للمجتمع في كل الميادين وكل المجالات مادية ومعنوية**. معنى «**الحل الإسلامي**» **أن تكون عقيدة المجتمع إسلامية، وشعاراته إسلامية، ومفاهيمه وأفكاره إسلامية، ومشاعره ونزعاته وأخلاقه وتربيته وتقاليده وآدابه وجميع قوانينه وكافة تشريعاته إسلامية**.. وبعبارة أخرى: الحل الإسلامي هو الذي يبرز به «المجتمع المسلم» إلى حيّز الوجود بكل مقوماته ودعائمه، وبكل خصائصه ومميزاته، دون إهدار لشيء منها.. هذه هي المعالم البارزة

للحل الإسلامي الذي ننشده، في ضوء تعاليم الإسلام.

حاجة الإسلام إلى دولة

○ **ـ فضيلتكم ـ بما أن المجتمع الإسلامي مملوء بالدسائس والمخادعات، ومفروش بالمشكلات المعقدة. . فما هي ـ أولاً ـ شروط الحل الإسلامي؟!**

●● نحن نؤمن بحتمية حل واحد لكل المشكلات التي تعانيها هذه الأمة، سواء كانت مشكلات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية عسكرية أو فكرية أو خُلقية.

إنه حل واحد، ولا حل غيره، هو الذي ينقذ هذه الأمة من تخبطها واضطرابها وحيرتها وذلها وعارها. . ألا وهو «**الحل الإسلامي**»، **والذي لا تتهيأ له أسباب النجاح إلا بالشروط الآتية:**

أولاً: ضرورة الدولة المسلمة، أي الحكم الإسلامي في ظل حظيرة الإسلام بكل مقوماته وخصائصه.

أما أن يكون المسجد والمنبر في جانب، والمدرسة والجامعة والصحافة والسينما والمسرح وبقية الأجهزة في جانب آخر، وهو جانب التحلل من الدين. . فكأننا نصرخ في البيداء. .

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم؟

أما «الشرط الثاني»: لكي يكون الحل إسلاميًا، يجب أن تستمد عناصره من منابع الإسلام الصافية، من كتاب الله وسنة رسوله المختار ﷺ.

ثالثًا: أن يؤخذ الحل الإسلامي كله لمشكلات الحياة، وذلك لأنه حل متكامل مترابط الأجزاء، فأي إهمال لبعضه، أو ترقيع فيه، يؤثر في بقية الأجزاء. فهناك توبيخ وتقريع لبني إسرائيل:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكتابِ وتكفرونَ ببعضٍ، فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا، وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ، وما اللهُ بِغَافِلٍ عما تَعْمَلُونَ﴾. (سورة البقرة: ٨٥).

> **لست أخاف على الصحوة من القوى الأجنبية.. ولكني أخاف على الصحوة من نفسها.**

رابعًا: أن يكون الإسلام غاية لا أداة ومطيّة، فلا يكون الحل إسلاميًا، إلا إذا كان الإسلام نفسه هو الغاية، وإليه المنتهى، وأن نجند كل الأنظمة والمناهج والوسائل والإمكانات لخدمته هو.

الصحوة الإسلامية عالمية

○ **وأسأل ـ فضيلتكم ـ عن تقويمكم للصحوة الإسلامية التي أضاء فجرها في كل بلدان العالم. . مالها. . وما عليها؟**

●● جاءت هذه الصحوة ـ بفضل الله ـ بعد سنوات القهر والركود الذي أصاب أمتنا من رواسب عصور التخلف وسوء فهم الإسلام وسوء تطبيقه، وجاءت صحوتنا المباركة بعد الهجمة الاستعمارية التي نزلت ببلاد المسلمين شرقًا وغربًا. وهذه الصحوة صحوة عقل قبل كل شيء، وهي في الوقت ذاته صحوة مشاعر وعواطف، بالإضافة إلى ذلك هي صحوة عمل وسلوك. صحوة التزام بالإسلام عملاً وسلوكًا، هذا ما نشهده والحمد لله.

ومن ملامح هذه الصحوة أنها صحوة عالمية، فليست صحوة في بلد دون بلد، بل هي في داخل العالم الإسلامي وخارجه، وقد لمست ذلك بنفسي وشاهدته. والذي نأمله ونرجوه من هذه الصحوة أن تقود هذه الأمة، أن تحشد طاقاتها وتفجرها لمعركة التحرير ومعركة البناء والتقدم.

لا بد من حسن الفهم للإسلام

ويستطرد الدكتور القرضاوي قائلاً:

وهذه الصحوة يمكن أن تقوم بدور كبير إذا أحسنت الفهم للإسلام وفهمت الإسلام فهما واسع الأفق، ولم تدر حول فرعيات وأمور ثانوية، وهذا يؤسفنا جدًا.

كما تستطيع الصحوة أن تمتد طولاً وعرضًا وعمقًا في مجتمعاتنا حين تخرج من الدوران حول نفسها.

مخاوفنا على الصحوة

ويحذر الدكتور القرضاوي بقوله: ولكن مع آمالنا الكبيرة في الصحوة، نحن نخاف عليها، والحق أقول: إني لا أخاف على الصحوة الإسلامية من القوى الأجنبية المتربصة ولا من القوى الداخلية المتسلطة، ولكني أخاف على الصحوة من نفسها، أخاف عليها من تيارات متعددة يمكن أن تغلب عليها مثل تيار الغلو والتشدد والتنطع، وهناك أيضًا تيار التشرذم والتمزق والتفرق لكل جماعة يريدون أن يجعلوا من أنفسهم أمة وحدهم. هذا هو الخطر. ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ ريحكم﴾. (سورة الأنفال: ٤٦)، **وأخاف على الصحوة أيضًا من تيار الاستعجال، من هؤلاء المتعجلين الذين يريدون أن يقطفوا الثمرة قبل أوانها. فإن الاستعجال يدفع إلى العنف، وهذا العنف يدفع إلى عنف مضاد أشد وأقسى، وكل هذا خطر على الصحوة، وخطر على الأمة ذاتها ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُه، إن اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.** (سورة الحج: ٤٠).

توظيف التراث في التربية الحديثة

د. محمد سيف يس

تمثل التربية مفهومًا عريضًا، ولا يمكن تعريفها، كغيرها من العلوم الإنسانية غير المحسوسة، إلا عن طريق الوظيفة التي تؤديها. استنادًا إلى هذا، نستطيع القول بأن التربية هي عملية خلق المواطن الصالح. أما مؤسسات التربية فتشمل المدرسة، والأسرة، والمجتمع، وأجهزة الاتصال الجمعي المقروءة والمسموعة والمرئية.

والتعليم ليس هو التربية - كما يعتقد البعض - بل هو جزء منها، ويرمي إلى اكتساب المعرفة أو المهارة بعلم من العلوم أو فن من الفنون أو حرفة من الحرف أو لغة من اللغات، **أما التربية** فتُعنى بنمو الفرد وتطور ملكاته وقدراته الجسمية والعقلية والنفسية، ومراقبة هذا النمو وتوجيهه في اتجاه يفيد الفرد والجماعة. **وفي السنين الأخيرة أصبح من أهم مَهَامّ التربية الحديثة** أيضا - وخاصة في الدول النامية، وحتى يمكنها التحصن ضد داء الانفصام الثقافي - **أن تحقق للإنسان أكبر قدر من التوازن بين ماضيه وحاضره ومستقبله**. فالتربية تنمو وتتطور باعتبارها مركبًا عضويًا حيًا، يأخذ فيه الموروث الثقافي دورًا حيويًا، وفي هذه الحالة يتحول الموروث إلى عنصر في تكوين حاضر التربية الحديثة. **فالتربية الحديثة غير المبنية على جذور ثقافية شعبية، وغير المعتمدة على الفرد وحاجياته، لا بد أن تكون نتائجها مدمرة.**

والتراث وعاء حافظ لشخصيات الأمم، وهو تجسيد لأهم المظاهر الثقافية الشعبية - العقلية والمادية والروحية - وهو التعبير التلقائيّ المباشر عن موقف الإنسان تجاه مواضيع الحياة. ولعل ارتباطه بالمناسبات العامة والخاصة للمجتمع الشعبي، ومسايرته لدورات الحياة التي يمر بها أفراده، له أكبر الأثر في ازدهاره وانتشاره واحتفاظ المجتمع به. **واحتفاظ المجتمع بالتراث وامتلاكه له، أمر حتميّ، مهما حاول رفضه والتخلص منه؛ لأنه يعيش في أعماق كيانه.** إنَّ ما عليه عمله هو أن يغير نظرته إلى هذا التراث ويعيد تفسيره وتحليله وتقويمه على أسس جادة تبث فيه الحياة. ونحن حينما ندعو إلى توظيف التراث في التربية الحديثة، إنما نقصد إلى بلورة الواقع على الشكل الذي يمكننا من التخطيط لمستقبل يغنيه الماضي بإضافات دون أن يفقره جديته وإبداعيته، وأخشى، إن لم نفعل ذلك، أن نقع ضحيةً للارتجال والاغتراب والاستلاب لفكر وحضارة القوى التي تحاول فرض سيطرتها ونفوذها علينا، وإجبار حاضرنا على أن يسير في غير مجراه الطبيعي، الأمر الذي سيفقدنا الكثير من المقومات والقيم الإنسانية التي تعود إلى مصادر أصيلة وأصليّة.

ومن الواضح أن مضمون هذه الدعوة يمثل تجسيدا لفلسفة ما يعرف اليوم بهندسة التراث، تلك الفلسفة التي أدّى تنفيذها إلى تحقيق نتائج طيبة في مجال الإحاطة بمكونات الشخصية الشعبية، ورصد الممارسات التقليدية الإيجابية وتوظيفها للحصول على نجاحات عند القيام بمشروعات التنمية الشاملة المعاصرة. من هنا يكون التراث حافزًا لنا. يكون إضاءة للدرب، لكي لا نتغرّب عن واقعنا أو نبتعد عن ماضينا، فالتراث هو وعي لذاتنا كي نعرف مَنْ نحن، وماذا نريد أن نكون؟.

إن مخرج العلم التربوي عن طريقه المدمّر الحالي، هو اللجوء إلى مجالات المعرفة الموازية، مستلهمًا ومسترشدًا وسائلاً في تواضع، وعلى رأس هذه المجالات، المعرفة المحتواة في تراث الإنسان التي تستطيع أن تُرشد المعرفة العلمية الصرف إلى الطريق الذي يضمن لها أن تُولد من جديد نعمة للبشرية والحياة.

نحن لا نتفق مع النظرة السلافية للتراث، تلك النظرة التي تعتبر كل موروث ثقافي مثاليًا، ونعرف جيدا بأن هناك مظاهر تراثية ينبغي أن نقف منها موقف الحذر الشديد؛ لأنها ذات طابع سلبي تعوق التنمية، ولكننا في الوقت نفسه لا نستطيع إغفال أو التنكب عن استثمار الجانب الإيجابي والملائم لهذه

الحرف الشعبية، تطلق العنان للخيال الفني والاستفادة من معطيات البيئة



الطاقة الخلاقة. وإذا كنا نقول ذلك، فكيف نستطيع انتقاء الجوانب الإيجابية للتراث وترك الجوانب السلبية، وكيف نضع الخط الفاصل بين هذه وتلك؟.

إن طريقنا إلى ذلك هو أن نعرض لهذا التراث في جميع أشكاله وتظاهراته ونجتهد فيه ما وسعنا الجهد بحثًا وتمحيصًا، نكشف عن الثمين المستمد من قيمنا الدينية الإسلامية كي نتزيد منه، وعن الغث، الذي يكون عادة مناقضا لنصوص شرعية أو مخالفًا لمقصد من المقاصد المعتبرة للشارع، ويقود في نهاية الأمر إلى تكوين اتجاهات ضارة لدى من يمارسه، لكي نتجافى عنه بل نحاربه. وفيما يلي ذكر لبعض أجناس التراث وما تقدمه من خدمات جليلة في كل مجالات حياة المجتمعات الشعبية التي أفرزتها وتمارسها، وهي في هذا تأخذ دور المعلم الهادي دون أن تستفز المتلقي أو تشعره بأنه في موقع التلميذ.

الأمثال الشعبية:

هي بعض أقوال وضعها السلف لنقل تجربته الحياتية إلى الأجيال اللاحقة، وهي سريعة النفاذ للعقول والنفوس؛ لأنها مستعذبة الألفاظ، سهل ممتنع تركيبها، ولها قيمة تربوية وسلوكية عظيمة، وذلك لما تحتويه من أحكام خلقية، تستقبح الرذيلة، وتمجد الفضيلة، وهي ذات أحكام نافذة لا تخطئ إذا أكدت قاعدة ما أو نفت أخرى، كما أنها تريح النفس وتواسيها بما لها من حكمة قوية التأثير في السلوك الإنساني.

العادات والتقاليد:

وهي تقوم بتنظيم حياة الأفراد والجماعات داخل إطار المجتمع التقليدي، وتحدد سُبُل التعامل بين مختلف الفئات، مسترشدة بالجميل من القيم الاجتماعية والأخلاقية، تأخذ بيد الفرد لكي يجتاز صعوبات حياته اليومية وعقباتها، وتضع له المبادئ العامة والخاصة التي يبني عليها سلوكه.

العُرف:

وهو الحارس لسلوكيات المجتمع التي يكون اتباعها أكثر جبرية، والمعاقب على الخروج عليها لا يعاقب عن طريق عقوبات القانون بل عن طريق عقوبات

الألعاب الشعبية، ظاهرها الترفيه، وباطنها التربية والتعليم



لو أُحْسِنَ استغلال وسائل الإعلام وِفْق تخطيط مسؤول لكان لها أكبر الأثر في التكوين الثقافي للمواطن

الرأي الجمعي بمختلف أنواع التحقير الاجتماعي كالاستهجان والسخرية، وقد يصل الحد إلى المقاطعة الاجتماعية أو فرض العزلة. فهو مرشد وموجه السلوك نحو الخير والمنفعة العامة كما أنه يقدم الكثير من الحلول للمشكلات الأكثر عمومية وشمولية التي لم يتناولها القانون الرسمي.

الألعاب الشعبية:

وهي نشاطات يكتسي ظاهرها حلة الترفيه، ولكنها ترمي - حقيقة - إلى التربيةوالتعليم، وهي معبرة عن وجدان البيئة، وتشبع حاجات وميول الصغار والكبار المستمدة من المحيط الثقافي، كما أنها تساعد في اكتساب اللياقة البدنية والذهنية. وهي تمثل ضرورة اجتماعية، إذ إنها تقود إلى الارتباط والوحدة وضم الشمل، والتدريب على الإقدام، واكتساب الخبرات، والمقدرة على تجنب المواقف الحرجة، والاحتكاك والاختلاط بالآخرين.

الأغاني الشعبية:

وتستطيع أن تمدّ أفراد المجتمع - عن طريق ما يعرف بالنقل الشفاهي - بالكثير من المعلومات التاريخية؛ لأنه لا توجد تجربة خاضها الناس لم ترد في أغانيهم بصورة من الصور. فقد سجلت الأغنية الشعبية أخبار الحروب والصراعات والهجرة والجفاف والمجاعات. كما أنها تستطيع أن تؤدي دورًا حيويًا في ترسيخ وتثبيت المفاهيم الأخلاقية الحميدة من كرم وشجاعة في أعماق الأفراد، ونقل التراث الجمالي للمجتمعات الشعبية إلى الأجيال القادمة.

الرقصات الشعبية:

ويُعنَى الكثير منها بالتعبير عن البطولة وروح الفروسية، وتؤكد وتؤصل في الإنسان الشجاعة الأدبية وحب النظام والاستغلال الإيجابي للمحاكاة، وتبرز ملامح الشخصية القومية. كما أنها تتيح للإنسان ممارسة المرح البريء الذي يستطيع من خلاله جمع قواه لمجابهة صعوبات الحياة اليومية.

الحِرف الشعبية:

وهي تؤدي دورًا حيويًا في اكتساب المهارات اليدوية، وإطلاق العنان للخيال الفني، والاستفادة من المعطيات المادية للبيئة، ثم التدريب الدائم للذاكرة الجماعية والفردية، والمحافظة على استمرارية التقانة (التكنولوجيا)

توظيف التراث في التربية الحديثة



الرقصات الشعبية، توصل في الإنسان الشجاعة وحب النظام

الشعبية حتى تساهم جنبًا إلى جنب مع التقانة الحديثة في بلورة وخلق منتجاتٍ ذات طابع قوميّ مميز.

الحكايات الشعبية:

وهي تقدم جـوانب غير واضحة تمام الوضـوح للأجيال الشعبية النـاشئة. فهي تجسد مشكلة الـوجـود الذاتي، والبحث عن طـريقـة لمعرفـة الخير والشر والواقع والـوهم. تحكي سيرة الأبطال وارتباطهم بالأرض ودفـاعهم عن المبادئ وتمسكهم بمكـارم الأخـلاق. وهي تحكي لجيل هـذا الـزمن قصّـة كـرم حـاتم وسماحة الأحنف وشجاعة عنترة وبطولة صلاح الدين.

العمارة الشعبية:

وقد خلّفت لإنسان المجتمعات الشعبية هنـدسة معمارية مستمدة أشكالها من ذوقه الفني، تلائم ظروفه الحياتيـة، وتتناسب مع بيئته المناخية. استفاد في تشييدها مما تجود به بيئتـه الطبيعية من حيوان ونبات وجماد. وهي عمارة مميزة لا تقليد فيها ولا خضوع لعمارة أجنبية متسلطة.

لقد ترك لنـا السلف كمًا هائلاً مميزًا من المنتجات الماديـة، وبحرًا خضمًا من جواهـر الحكمة والقيم الساميـة والمثل العليا والأخـلاق الفاضلة. كل مـا علينا عمله هـو الأخذ بها وتوظيفها في التربيـة الحديثة لكي تبقى معلمًا بارزًا في حيـاتنا الحاضرة، وهو في اعتقادي السبيل الوحيد الـذي يمكننا من الوصول إلى مركب تربـوي يجمع بين العناصر الأصليـة في الأمة من جهـة، وخصائص العصر من جهة أخرى، دون أن يطغى أيّ منها على الآخر فيمحوه.

هنـاك العـديد من الـوسـائل والطـرائف التي نستطيع بـوساطتهـا تـوظيف إيجابيات التراث في التربية الحديثة نذكر منها: -

- **إدخـال وتدريس الأجنـاس التراثية ضمن مـواد التربية الـوطنية في التعليم العام** كجزء من فلسفة الربط بين مناهج التعليم والثقافة التقليدية.
- **أن تتبنّى الجامعات ومؤسسات التعليم العالي إنشاء دراسات وتخصصات** في مجال التراث باعتبار ذلك واجبًا علميًا وقوميًا وتربويًا لا بد من الوفاء به.
- **تُعَدُّ وسائل الإعلام السمعية والبصريـة والمقروءة - واستنادا إلى مقدرتها في مخاطبة كل شرائـح المجتمـع - من وسائـل التربيـة الحديثة،** التي لـو أُحسِن استخدامها وأُخضعت للتخطيط القـومي المسؤول، لكان لها أكبر الأثر في مجال تنمية الـوجدان القومي، وبث الثقة فيـه، والمساهمة في تكوين مـواطن متشربة دواخله بمكونات أمته الثقافية.
- **تكويـــن جمعيات التراث في المدن** بهدف تشجيع ممارسـة إيجابيات التراث والعناية بها وتبادل موادها.
- **أن يعمـــل أولياء الأمــــور على تشجيع أفـراد الأسرة على ممارسـة العادات والتقاليد الحميدة المستمدة من التراث،** حتى تظل محتفظة بحيـويتها ودورها في الإرشاد وتوجيه السلوك وتقديم القدوة الحسنة.
- **توجيه بـرامج البحوث نحو دراسة الجوانب الاجتماعية والتربـوية التقليدية** ومحاولـة الاستفـادة منها في خـدمـة بعض الأغـراض أو حلّ بعض المشكـلات المعاصرة.
- **إنشاء المكتبات السمعية والبصرية والمقروءة، الخاصة بمواد التراث.**
- **التنسيـــق بين جهود كل الـذين يعملون في مجال التراث،** حتى تلتقي في إطار هيئة قومية ترعى شؤونه بمختلف وسائل الرعاية والتشجيع.
- **تشجيع الفنانيـــن والأدباء على استلهـام التراث في أعمالهم المعاصرة** بهدف ربط تجربتهم الذاتية بتجربة المجتمع الشعبي.
- **أن تُستَنبط المعاييـــر الملائمة من أجـــل ضمان عدم استخـدام مواد التراث خارج سياقها الطبيعي** على نحو يؤدي إلى تشويهها أو تحريفها.
- **التنسيق بين مـؤسسات التربيـة الحديثة بـاعتبارهـا شبكة واحـدة متصلة الأجزاء،** يؤثّـر الخلل في جزء منهـا تأثيرًا سلبيًا في تنفيذ مـا خُطّط ورُسم لها من أهداف.
- **أن يُعزَّز بقدر كبير التعاون العربي بغية وضع المزيد من الخطط لتنفيذ هذه المهمة الحيوية العاجلة** بعد أن تطاول الزمن دون أن تقطع شوطا باتجاه تحقيقها.

إن مسألة دراسة إمكـان توظيف التراث في التربية الحديثة يُعـد من أولويات مشاريع التنمية الثقافية التي هي من أكبر التحديات التي تواجه الدول النامية، ولكنها لـلأسف الشديد لم تصادف من البـاحثين والعلماء من استوقفه هديـرها الضخم إلا وقفات غير متأنية هنا وهناك، فلم تصدر فيها الدراسات المستوفية والمبـاحث المستفيضـة بعـد، مع العلم بأنها يجب أن تكـون قِبلـةً لـلدراسـة والبحث. ونحن عندما نتناول هذه المسألة لا ندّعي بأننا قد وَفَّينا بكل ما يتعلق بها، وحسبنا أننا قمنـا بهذا الجهد عله يستفز الآخـرين للتعديل أو التحسين أو الإضافة.

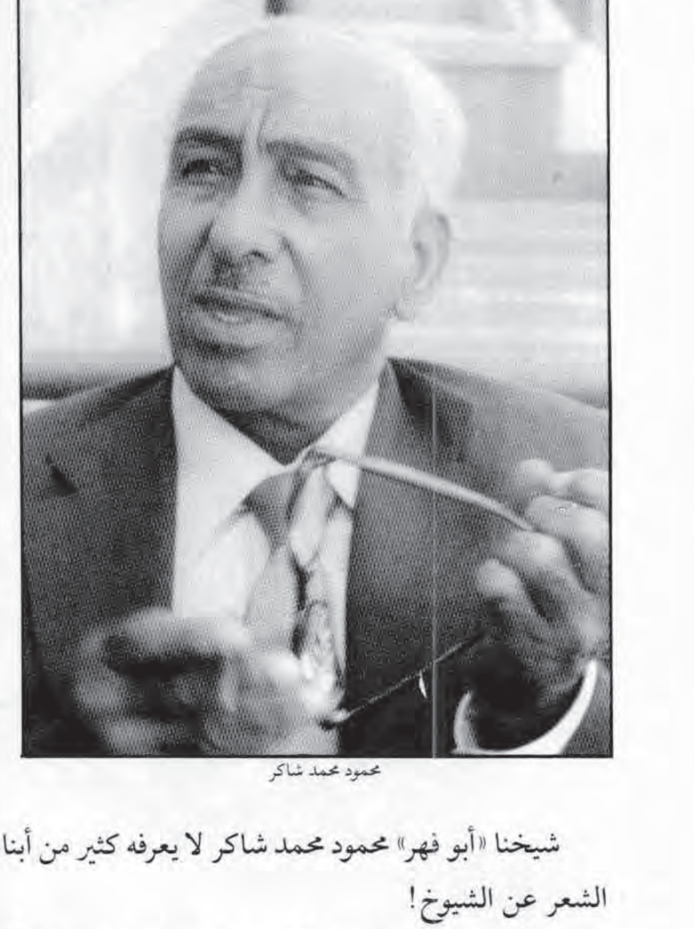
أيتها الأجيال المعاصرة، تأملي التاريخ، وقلّبي صفحاته المضيئة، فإن فيها أشياء يجب أن تُحَب وأن تُمارَس وان تُحفَظ وأن تُصـان في حدقات العيون وحنـايا القلوب. وكل التحيات للذين يعملون في صمت من أجل جمع وتوثيق وفهرسة ودراسة حقب من التاريخ لتكون رصيدًا باقيًا للأجيال القادمة.


عيد مبارك

محمود محمد شاكر وشقاء العلماء

نظرة في قصيدته "اذكري قلبي"

د. زكريا سعيد علي


محمود محمد شاكر

شيخنا «أبو فهر» محمود محمد شاكر لا يعرفه كثير من أبناء زماننا شاعرًا، فهو عندهم «الشيخ شاكر»! ، وكأنه لا يتخيل أن يصدر مثل هذا الشعر عن الشيوخ!

والأستاذ «محمود محمد شاكر» غنيٌّ عن التعريف، إلا أنني - هنا - أقتبس كلمة للأستاذ السيد أحمد صقر أجدها أصابت الغاية في وصف الأستاذ الكبير. يقول الأستاذ صقر: «وأما الأستاذ محمود محمد شاكر فإني أعرفه راويةً غزير المادة، قويّ الذاكرة، وناقدًا ثاقب الفكر، ألمعيّ النظر، بصيرًا بأسرار اللغة ووقائعها، خبيرًا بعلوم العرب ومعارفها ومنازعها في بيانها وتبيينها، وسننها في منظومها ومنثورها. وهو إلى ذلك كاتب قدير، تلمح فيها تدبّجه يراعته أصالة الرأي وصدق الحدس ووضوح الفكرة ونصاعة الحجة وقوة التصوير وفحولة التعبير. وشعره كذلك شعر رائع تلمس فيه فورة الشعور، وثورة العاطفة، وذكاء القلب، واشتعال الفكر والتمرس البصير بأشعار الفصحاء من القدماء.»(١).

وقصيدة «**اذكري قلبي**» واحدة من النتاج المطبوع لشاعرنا، وهي القصيدة الحادية عشرة حسب الترتيب الزمني للنشر كما يظهر من القائمة الملحقة بهذا البحث (٢). وهذه القصائد المنشورة ليست هي كل نتاج شاعرنا، فهناك مجموعة أخرى من القصائد بحوزة **الأستاذ شاكر** لم تظهر إلى القراء. وبعضها في غاية الطول. ومنها على سبيل المثال قصيدته الطريفة في «**وَعْد**» - وهو اسم كلب الشاعر الكبير **محمود حسن إسماعيل***. وهي في عشرة ومائة بيت. يقول في مطلعها:

يــا وَعْـدُ: مــالك مهـزولا ومُخْتَـزَلاً ... كأنّ جلـدك، يــا لَلْبُـؤس، أسمالُ؟
آلجوعُ غـالك أمْ غـالَتْك نـائبـةٌ ... من اللـواتي لها في الـروح أغـوالُ؟
بنـو أبيك لهم في الـدور منـزلـةٌ ... عطـفٌ وحبٌ وتقـريـبٌ وإدْلالُ
وأنت وحـدك منبـوذٌ ومُطّـرحٌ ... تطـوفُ حـولك أشبـاحٌ وأهـوالُ

ومن قصائده الطوال التي لم تنشر قصيدة «لا تعودي» وهي في ثلاثين ومائة بيت. يقول في مطلعها:

لا تعــودي أحــرق الشكُّ وجــودي... لا تعــودي
اذهبي مــا شئتِ أنّى شئت في دنيــا الخلــود
واتــركي النــار التي أوقــدتها تقضم عــودي
هـي بـــرد وســـلام يتلظّى في بـــرودي
فــاسعــدي في شقــوة الــروح... ولكن لا تعــودي

وأمّا قصيدته «**اعصفي يا رياح**» - وهي أيضا مما لم ينشر - فوقعت في أربعة ومائة بيت. يقول في مطلعها:

اعصفي يـا ريـاحُ من حيثما شئت، وعَفّي الطلولَ والآثـارا
وانسفي يـا ريـاحُ آيـةَ هـذا الليلِ حتى يحور ليـلاً سرارا
وازأري يـا ريـاحُ في حـرم الـدهـر زئيرًا يـزلـزل الأعمارا
اعصفي وانسفي كأنّـك سُخِّرْتِ خبـالاً يسـاور الأقـدارا

وشعر الأستاذ «**محمود شاكر**» لم يجمع - إلى اليوم — بين دفّتي ديوان . . اللهم إلا قصيدته الغريبة «**القوس العذراء**[٣]» **التي صدرت منفردة . ولعل هذا هو ما يفسر لنا جهل الكثيرين أن له شعرًا غير هذه القصيدة . فهذه الدوريات القديمة التي نشرت فيها هذه الأشعار في حكم النادر .**

وقد أصابني الدهش والعجب — مثل غيري - عندما وقعت إليّ قصيدة «اذكري قلبي» أن يكون لأستاذنا شاكر مثل هذا الشعر رقة وحلاوة ! ووجدتني أنفعل بها وأكرّر من مقاطعها متغنّيا ومنشدا ، وأسرعت إلى القلم أسجل بعض ما جاشت به نفسي . وعندما عدت إلى ما سطرت بعد ذلك شعرتُ أنه قد يكون من المفيد لو عرضته على الناس . وأقل ما يمكن أن يكون فيه أن يكون صرخة : «انظروا . . هو ذاك . . شاكر الشاعر» ! ! ولعل فيها ما يمهد الطريق لباحث يعكف على دراسة شعر الأستاذ دراسة جامعية جادة[٤] .

> **”**
> # قصيدة "اذكري قلبي" ليست من شعر الغزل والشكوى وإنما من شعر الشقاء والغربة
> **“**

وقصيدة «**اذكري قلبي**» نشرت بمجلة الرسالة بالقاهرة (العدد ٣٤٤ من السنة الثانية) عام ١٩٤٠ م . وقد رأيت إثباتها كاملة بين يدي هذه النظرات لما في ذلك من الفائدة :

اذكري قلبي . . .

اذكُري قلبي . . . فقد يَنْضُر من ذِكراكِ عودي
أنا غُصنٌ في رياضِ الدَّهرِ ظمآنُ الصَّعيدِ
صوَّحتْني غُلّةُ الوجْدِ وأَجَّتْ في بُرودي
ومشتْ نارًا على أنوارِ زَهري ووُرودي
فَهْيَ القاءٌ على أرْضيَ آثارَ وَقودِ
فاذكري قلبي . . . فقد يَنضُر من ذِكراك عودي

***

أنا غصنٌ كخيالِ السَّيفِ في وَهمِ الطريدِ
ناحلُ الشخص ، قضيفُ العودِ ، خُمصانُ الغُمودِ
لوّحتْني وَقدَةُ الشمسِ على وجهي وجِيدي
كمْ شُعاعٍ غارَ في قَلبيَ كالسهمِ السديدِ
عَبَّ في مائي ، فغاضَ الماءُ كالحبِّ الشَّرُودِ
فاذكري قلبي . . . فقد يَنضُر من ذِكراك عودي

***

أنا غصنٌ شاخصُ الطَّرْفِ إلى رِيٍّ بعيدِ
أَسَرابٌ هُوَ أم ماءٌ ؟ فيا ويحَ جُدودي !
أثبتتني حيثُ أشتاقُ إلى الماءِ البَرُودِ
هِيَ أشواقٌ من الموتِ كأشواقِ الحَسودِ
تركَتْني مُوقَدَ الغُلّةِ كالصَّبِّ الحَقُودِ
فاذكري قلبي . . . فقد يَنضُر من ذِكراك عودي

***

أنا غصنٌ حائرُ الأحلامِ كالنائِي الشريدِ
غُرْبةُ الرُّوحِ تَهاوتْ بي إلى أرْضِ الجُحودِ
قذفتْني همسةُ الأحرارِ في ذُلِّ العبيدِ
الصدَى ، والجَدْبُ ، والغرْبةُ ، سجني وقيودي
مَزَّقتْ نَضرَةَ أيَّامِي بأنيابِ الخمودِ
فاذكري قلبي . . . فقد يَنضُر من ذكراك عودي

***

أنا غُصنٌ يُفزِعُ الفجرَ بليْلٍ مِن رُكودِ
يتلقّى مَوْلِدَ الشمسِ بأحزانٍ هُجود
لوْ بكَى عُودٌ من الوَحشةِ في ذُلِّ الوُجود
لَأذابتْ شَخصِيَ الآلامُ . . . كالدَّمع البَديدِ
أنكرتْني الشمسُ والفجرُ ودُولاتُ العهودِ
فاذكري قلبي . . . فقد يَنضُر من ذكراك عودي

أنا غصنٌ فارَقتْه الطَّيْرُ رَبَّاتُ العُقودِ
مُسكِراتُ الزَّهرِ والنَّوْرِ بألحانِ النشيدِ
نغَمٌ همْسٌ كهمسِ الغيثِ لِلرَّوْض المجُودِ
وشبابٌ ضاحكُ النُّورِ بترْجيعٍ فَريدِ
وأنا . . . الحسرة والأنَّاتُ لحْنِي ونشِيدي
فاذكري قلبي . . . فقد يَنضُر من ذكراك عودي

***

غُصنٌ عارٍ . . . ، وأغصانكِ في بُرْدٍ جديدِ
قد كساكِ الرِّيُّ والنَّعمةُ من وَشْيِ البُرُودِ
وتَحلَّى عُودُكِ الريَّانُ نُوَّارَ الخُدُودِ
فإذا النشوَةُ هزَّتكِ بأنفاسي . . . فمِيدي
وإذا غَنَّاكِ ساقِي الطَّيْرِ لحْني أو قصيدي
فاذكري قلبي . . . فقد يَنضُر من ذكراك عودي

***

وأول ما يلفت النظر في هذه القصيدة هو هذا التكرار الآسر :
اذكري قلبي فقد ينضر من ذكراك عودي

محمود محمد شاكر وشقاء العلماء

فمن هـذه الأثيرة الأميرة ذات السلطان التي يتحننهـا الشـاعر ويتعطفهـا، والتي تملك ـ فور ذكرها لقلبه ـ أن تعيد إليه النضارة والحياة؟!

شغلني هذا التساؤل وأنا أظن أنّ ما بين يـديّ من نوع شعر الغزل وشكوى جفـاء الحبيب حتى قـاربت على الانتهـاء منهـا. وعنـد ذلك بـان لي أن هـذه القصيدة ليست من هذا الباب، باب الغزل وشكوى الحبيب، وأنها نوع آخر لو كشف عنه الشـاعر بـداية لما أطـاق قارؤوه متـابعته. فمن ذا الـذي يتقبل هذه الرائحة الخانقة المنبعثـة منها. إنها رائحة السكون والركود والموت! وهـو أمر تنفر منه النفس الحية بطبيعتها!

إنّ هـذه القصيـدة من نـوع من الشعـر يمكنني أن أسميـه «**شعر الشقاء والغربة**» ظهر متميـزًا من غيره من أغراض الشعـر في هذه الفترة التي صنـع فيها **الأستاذ شاكر** قصيدتـه. بل إنني لأزعم أن هذا النوع من الشعـر لم يعرفه شعـرنا العربي على مـدار عصوره الـزاهرة قبل هـذا العصر الحديث الذي نعيش في فترة من فتراته.

نعم قد وُجـدتْ في شعرنـا العربي صور لشكـوى الدهر والشعـور بالغـربة


العقاد


الرافعي

ووصف ذلك، لكنه لا يصل إلى هذه الصورة المرعبة المخيفة التي ترسمها أشعار هذه الفترة من النصف الأول من القـرن العشرين الميلادي وما جاء بعـدها... أن تـوجـد مجموعـة من الأبيـات تصف هـذا الشقـاء فنعم، لكن أن تنظم فيـه القصائد الكاملـة من أمثال قصيدة **الأستاذ شاكر هذه** في بيان هذا الشقـاء فلا أعرف لها مثيلاً فيما مضى.

والمتأمل في شعر هؤلاء الشعراء الذين وجدوا في فترة النصف الأول من القرن العشرين يجد أنّ أكثرهم من العلماء والأدباء ومن كان لهم اتصال بالثقافة الغربية الوافدة والحضارة الأوربية الغازية المنتصرة على أبناء هذه الأمة.

وشاعرنا لم يكن بعيدا عن ذلك فقد كـان متمكنا من اللغة الإنجليزية تمكنا أتـاح له المطالعـة بها في نتـاج كبار شعـرائهـا وكتابها. بل تـرجم عنهـا بعض القصائد مثل «صاحب المسحـاة» لأدوين ماركهام التي نشرها في المقتطـف عام ١٩٣٤ م، و«**الشباب والشيخوخة**» **لروبنصن جفرز**، التي أفرغها في قالب عربي ونشرها في المقتطف أيضا عام ١٩٣٤ م. وهذا البعد الثقافي في شخصية **الأستاذ شاكر** من إتقان «الإنجليـزية» قد يجهله عنـه الكثيرون الذين لا يعرفـون إلا أنه «المحقق الشيخ شاكر».

فشاعرنـا لم يكن بعيدًا عن عصره وعمّا تموج به الساحـة. مثله في ذلك مثل باقي عمالقة العصر. وهذا الشعور بالشقاء والاغتراب والألم النفسي المسيطر على أشعـارهم تجده قـاسمًا مشتركـا بينهم. ومن يتصفح ديـوان **الرافعـي أو العقاد** وغيرهما يجد مصداق ذلـك. ولعلي أعود إلى هذا بشيء من التفصيـل والبيان في موضع آخر عن «شقـاء العلماء من أشعارهم في العصر الحديث».. وما يهمني **هنا أن أقرر أن هذه القصيدة التي معنـا من نوع من الشعر يمكن أن نطلق عليه شعر الشقاء والاغتراب وشكوى آلام النفس، وعـدم التوافق والانسجام مع هذه الحياة**. ويمكن في قصيدة شاعـرنا هذه أن يكون الحب وعدم التـوفيق فيه رافدًا من روافد هذا الشقاء والضنى، إضافة لعدم التوافق والانسجام مع الحياة.

وكان شاعـرنا موفقا أيّ توفيق في تـوزيع صرخاته وزفراته وشكـوى حاله في هذه القصيدة عن طريق استخدام هذا الطلسم السحريّ:

اذكري قلبي فقد ينضر من ذكراك عودي

وتكراره بين الفينة والفينة ليطرد عن قارئه مـا يمكن أن يكون قد سببه له من شعـور بالغمّ والسـواد، ومـا انعكس على النفس من شعور قـد يكـون ممزوجـا بالـرعب والإشفاق والنفور. وهذا التكـرار فيه شيء من المهارة في معرفـة حقيقة النفس الإنسانية التي تستريح إلى باب «الغزل والنسيب»؛ فيأتي شاعرنا مرة بعد أخرى بهذا التكـرار ليَخْتِل صاحبـه عن نفسه مـوهما له بأنـه لا يزال في رفقـة ما يحب وأنـه في مأمن، وأنه ليس إلاّ بـاب «الحب والنسيب». والحقيقة أنـه ليس هنـاك من ذلك إلا هذا التكـرار الموهم وليس إلاّ ذكـر الشقاء والـرعب والخوف والموت والذبول.

وانظر إلى هذا التكرار العجيب في كل مقطع من مقاطع القصيدة:

أنـــا غصن في ريـــاض الـــدهـــر ظمآن الصعيـــد
أنـــا غصن كخيـــال السيف في وهـم الطـــريـــد
أنـــا غصـن شـــاخـص الطـــرف إلى ريّ بعيـــد
أنـــا غصن حـــائر الأحـــلام كـــالنـــائي الشريـــد
أنـــا غصن يفـــزع الفجـــر بليـل من ركـــود
أنـــا غصن فـــارقتـــه الطير ربـــات العقـــود

وهـذا التكـرار كان في غـايـة الانسجـام مع تكراره الآسر الذي عَنْوَن بـه للقصيـدة، وجعلـه حـدًّا لكل مقطع، فكـان نسجًـا ملتحمًا بـدءًا ووقفـا. **واستخدام** «**التكرار**» **سمة شائعة في شعـر الأستاذ محمود شاكر** تجد ذلك في مثل تكـراره «بلى، وكنت» في بـدايات أبيـات قصيدتـه «**ألست التـي**» [الرسالـة: ١٩٣٧ م]، وكتكـرار «لا تعـودي» من قصيدتـه «**لا تعـودي**» وهي على نفس الطـريـق في استخـدام «التكـرار» كما في قصيـدتنـا «**اذكري قلبي**»، وكتكـرار «اعصفي» في قصيدة «**اعصفي يا رياح**» من الشعر الذي لم ينشر.

أنـــا غُصْنٌ في ريـــاضِ الـــدهـــر ظمآنُ الصعيـــد
صَـــوّحتني غلّـــةُ الـــوجـــد وأجّت في بـــرودي
ومشـت نــــارًا على أنـــوار زهـــري وورودي
فَهْيَ ألقــــاءٌ على أرضي آثـــار وقـــود

إنه غصنٌ صَدٍ وسط هـذه الرياض الفسيحة الممرعة التي يمتلكهـا الدهر، وهـو ذاوٍ يكاد يحترق من الصـدى! وليس كذلك بل هـو غصن أصله وسِنْخـه كذلك «ظمآن الصعيد». و«غلّـة الوجد» هذي التي أتت على صـاحبنا فجففت عوده النضير. أراد الشاعر أن يكشف لنا عن مـدى فداحة فعلها فذكر أنها أتت عليه وهو في قمـة نضرته وزينته في الوقت الـذي يسر العين ويبهج القلب مرآه، وقت تفتح زهـره وورده. وفجأة تصيبـه هـذه النـار فتأتي على وروده وزهـوره الواعدة «فهي ألقـاء على أرضي آثار وقود»، وما أجمل موقع هذه الفـاء ـ هنا ـ في قوله «فهي»، وما أفادته من معنى يشعر به كل ذي ذوق.

وما إن وصلت في إنشاد القصيدة عند هذا الموضع:

ومشت نارا على أنوار زهري وورودي

حتى وجدت شيئًـا من القلق في نفسي وتوهمت لـو قال شاعـرنا: «وسَعَتْ نارا» أو نحـوه لكان ذلك أنسب في تصـوير حـركة هـذه النار السريعـة المنقضة الآتيـة على هذه الـزهور والـورود؛ فالمشي نـوع من السير المعتاد لا يتنـاسب مع تصوير سرعة هذه النار اللطيفة المحرقة.

"

عَبّرت قصيدة "اذكري قلبي" عَمّا وصل إليـه الشاعر من شقاء ومعاناة وإحساس بالألم

"

وأعدت النظر ثانية فكشف لي عن سر لعلـه كان وراء اختيار الشاعر للفظة «مشت»، أنه كان يقصـد قصدًا إلى تصوير هذا «الإبطاء» في حـركة هذه النار؛ ليبين لنا مـدى طول المعـاناة التي قاستهـا هذه الزهـور الفتية، فكأن هـذه النار قصدت إلى الإبطاء من سرعتها وجعلت حركتها «مشيا» لا «سعيا» رغبة منها في إطالة مدة عذاب هذه الزهور والرياحين البائسة.

أنـــا غُصْنٌ كخيـــال السيـف في وهم الطـــريـــد
نــاحل الشخص، قضيف العــود، خُمصـانُ الغمـود
لـــوّحتني وقـــدةُ الشمس على وجهي وجيـــدي

استـوقفني ـــ غير قليل ـــ هـذا التشبيـه الغـريب في البيت الأول من هـذه الأبيـات. ووقفت أمامـه حائرا محاولا إجـراء ما تعلمنـاه في دروس البلاغـة عن أركان التشبيـه عليه فلـم أظفر بطائل! واعترتنـي الحيرة.. ماذا يقصـد شاعـرنا بتشبيه هـذا الغصن بخيال السيف في وهـم الطريد؟ ومـا الجامع بين «الغصن» و«خيال السيف في وهم الطريد» ليصح التشبيه؟.

وظللت ـــ كذلك ـ بين أطبـاق من الحيرة حتى أذن الله بـالفرج، وتهدّى إليّ بصيص من النور من الأبيات التالية لهذا البيت. فهـو يصف ما أصابه من سوء حالٍ ونحول بدن، فقوله: «أنـا غصن (كخيال) السيف» لا يريد فيه إلى تشبيه «الغصن» «بخيال السيف في وهم الطـريد» كما قد يتبادر أنه تشبيـه واحد. بل بشيء من التأمل نجـده تشبيهين لا واحدا في الحقيقـة. أمّا الأول منهما فقـوله: «أنا غصن»، وهو من قبيل التشبيه البليـغ المحذوف الأداة، وفيه من الحسن ما لا يخفى، فإسقاط هـذه الأداة يوهم السامـع أنه من باب الحقيقـة، وأنه غصن حقيقي لا مجرد تشبيه، حيث شبه نفسـه وما آل إليه من حال بائسة بحال هذا العـود في الذبـول والجفـاف. ثم أراد زيادة إيضـاح لهذه الحال البـائسة فجـاء بالتشبيه الثـاني الذي يحمل ردًا على ما يمكن أن يثور من تسـاؤل في وهـم سامع هذه الأبيات أو قـارئها من سؤال للشاعر عن سبب هذا الـذي حلّ به وآل إليه فقال:

كخيال السيف في وهم الطريد

مجيبا بطريق «التضمن» عن سبب ما أصابه من ذبول وجفاف جعله كحال هذا العود الـذابل: إنه «الخوف المسيطر عليـه والهمّ الذي لا يكاد يفارقـه طرفة عين» حتى وصل بـه إلى هـذه الحال. وكان حـالـه هـذا كحال ذلك الطـريـد الخائف الذي لا تفارقـه صورة السيف الذي ينتظره، فهـو دائم الخوف والوجل لا يهدأ له بال ولا تقر له عين حتى يهيج عليه الخوف والفَرَقُ.

فشاعرنا ـ إذن ـــ لم يقصد إلى تشبيه «الغصن» بهذه الصورة «كخيال السيف في وهم الطـريـد» بل أراد إلى تشبيه هيئتـه وحـالـه من البـؤس والقلق والتغير وشحوب البـدن وسهوم البـال بهيئة وحـال هذا الخائف الطـريد البـائس الذي يحسب كل صيحة عليه، فصورة السيف والموت حـاضرة بوهمه لا تفارقه. وأنّى لمثل هذا أن يَنْعَمَ بحياة أو يذوق طعم قرار. إنه الميت الحيّ.

ويبدو أن شاعرنـا قد وصل إلى حالة جد بائسـة، فالليل مخيم عليه بسواده تنكره قوانين الطبيعة، وفلكها الدائر لا يؤثر فيه؛ فليله سرمدي لا ينسخه نهار، وهو في هذا مخالف لِلَيْلِ الناس الذي مهما طـال فلا بد من طلوع فجره وإشراق شمسـه. أما صـاحبنا ففجـره لم يطلع ولم تشرق شمسـه حتى يتبدد هـذا الليل الراكد على غصنه. حتى عهوده السابقة الحانية المشرقة أنكرته، وكأنه كتب عليه التفرد ومخالفـة النواميس الكـونية التي تـدور عليها حيـاة الناس بين فـرح وترح وحزن وسرور وحركة وركود. أما هو ـ ويا لله ـ فهو ركود دائم وسكون!!

أنـــا غُصْنٌ يفـــزع الفجـــر بليـل من ركـــودِ
يتلقى مـــولـــد الشمس بـأحـــزان هجـــودِ
أنكـــرتني الشمس والفجـــر ودوَلاتُ العهـــودِ
أنـــا غصنٌ فـــارقتـــه الطير ربـــات العقـــود
مسكـــرات الـــزهـــر والنّـــور بألحان النشيـــد
وأنـــا الحسرة والأنّـــات لحني ونشيـــدي

محمود محمد شاكر وشقاء العلماء

وبعد . . فما هذا الشقاء والعناء الذي أخذ بناصية شاعرنا وتملكه؟

إن هذا الشعر ـ الذي معنا ـ وكل ما نظمه **الأستاذ شاكر** ليكشف عن نفس معذّبة برّح بها الألم إلى منتهاه في هذه الفترة . فكيف كان هذا الشقاء؟ ولم؟ وما الذي صار إليه حال الشاعر بعد ذلك؟ وكيف كانت نجاته من مصيره المخوف الذي تنم عنه هذه الأشعار؟ إنها أسئلة ملحة ، وأظن لا يمكنه الإجابة عنها إلا صاحب هذا الشعر نفسه . ولعلّ في كلمات **الأستاذ سعيد العريان** في وصف شاعرنا في هذه الفترة ما يلقي بصيصًا من الضوء لفهم هذا الشعر حيث يقول عنه : «وهو شابٌ عَزَبٌ بعيد الخيال رقيق الحس مرهف الأعصاب ، وعلى أنه يعيش في ظل وارف ونعمة سابغة فإنه من سعة خياله ورقة حسه وحدّة أعصابه متشائم النظرة لا تراه إلا رأيت في وجهه وعلى طرف لسانه معنى دفينا من معاني الألم ، وما يرى نفسه في أكثر أحواله إلا غريبًا في هذا العالم وبين هذا الناس فإنّ له من خياله دنيا غير دنيا الناس وعالما غير هذا العالم يتمثل فيه المثل الأعلى الذي أعياه أن يبلغه على هذه الأرض(٥) .

الهوامش :

(١) مجلة عالم الكتاب ١٢ (١٩٥٣) ص ٣٧٩ ـ القاهرة .

(٢) اعتمدت في هذا الحصر للشعر المطبوع على «دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أبي فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين» .

المسلسل	السنة	القصيدة	الدورية
١ ـ	١٩٢٦م	يوم تهطل الشجون	الزهراء (٣)، ص (١٦٢ ـ ١٦٥)
٢ ـ	١٩٢٨م	النجم الواتر والصبح الثائر	الزهراء (٤) ص (٥٤٢ ـ ٥٤٣)
٣ ـ	١٩٢٨م	كلمة مودع	الزهراء (٥) ص (٣٣)
٤ ـ	١٩٣٣م	صانعة الدموع	المقتطف : (٨٢) ص (٢١١ ـ ٢١٢)
٥ ـ	١٩٣٤م	صاحب المسحاة (قصيدة لأدوين ماركهام) نقلها بتصرف يسير	المقتطف : (٨٤) ص (٤٩٤ ـ ٤٩٥)
٦ ـ	١٩٣٦م	الشباب والشيخوخة (قصيدة لروبنصن جفرز) أفرغها في القالب العربي	المقتطف (٨٥)، ص (٥٠٥)
٧ ـ		انتظري بغضي	الرسالة (٤)، ص (٩٠٥، ٩٠٦)
٨ ـ		حيرة	الرسالة (٤)، ص (١٤٩٢ ـ ١٤٩٥)
٩ ـ		عقوق	الرسالة (٤)، ص (١٨٥٠)
١٠ ـ	١٩٣٧م	ألست التي؟	الرسالة (٥)، ص (٦٩، ٧٠)
١١ ـ	١٩٣٩م	رماد	الرسالة (٧)، ص (٢٣٤٨ ـ ٢٣٤٩)
١٢ ـ	١٩٤٠م	اذكري قلبي	الرسالة (٨)، ص (٢٢٠)
١٣ ـ		تحت الليل	الرسالة (٨)، ص (٥٠٢)
١٤ ـ	١٩٤٣م	من تحت الأنقاض	الرسالة (١١)، ص (٤٣٦)
١٥ ـ		الشجرة ناسكة الصحراء	المقتطف (١٠٢)، ص (٢٨)
١٦ ـ	١٩٥٢م	القوس العذراء	الكتاب (١١)، ص (١٥١ ـ ١٧٨) ثم طبعت بعد ذلك منفردة (وانظر ما يأتي بهامش ٣)

٣ ـ نشرت «القوس العذراء» أول مرة في مجلة «الكتاب» دار المعارف ، عدد أول شباط (فبراير) ١٩٥٢ م . وأعاد الأستاذ شاكر نشرها في كتاب عن دار العروبة ١٩٦٤ م ، وبعد ذلك عن مكتبة الخانجي بالقاهرة ، وقدّم لها الشاعر محمود حسن إسماعيل من نظمه . وتناولها بعضهم بالنقد .

انظر مجلة الكتاب (١١) ـ عام ١٩٥٢ م ـ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ ، والمجلد (١٢) عام ١٩٥٣ م ـ ص : ٢٩٣ ـ ٢٩٥ ـ ورد الأستاذ شاكر : الكتاب : المجلد (١٢) عام ١٩٥٣ م ـ ص (٥٥٠ ـ ٥٥١) . عن البيليوجرافيا المنشورة بدراسات عربية وإسلامية .

وكتب عنها الدكتور زكي نجيب محمود في مجلة «الكتاب العربي» العدد (١٥) ـ آب (أغسطس) ١٩٦٥ م . ووصف كلمته هذه الأستاذ محمود شاكر في «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» بأنها نفيسة . انظر هامش الصفحة (٢٠) من مقدمة كتابه «المتنبي» ط ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م . وكتب عنها الدكتور محمد أبو موسى رسالة بعنوان «القوس العذراء وقراءة التراث» وصدرت عن مكتبة وهبة بالقاهرة عام ١٩٨٣ م . وتناول القصيدة بكلمتين الدكتور إحسان عباس والدكتور مصطفى هدارة في (دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أبي فهر بمناسبة بلوغه السبعين) ص : (٣ ـ ١٥ ، ٤٥٧ ـ ٤٧٨) ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة .

٤ ـ للأخ الأستاذ محمود إبراهيم الرضواني بقسم الدراسات الأدبية بدار العلوم جامعة القاهرة ، بحث ماجستير بعنوان (محمود محمد شاكر ومنهجه في الدرس الأدبي والتحقيق) وسيصدر قريبا عن مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ولكنه لم يتعرض لدرس نتاج أبي فهر الشعري حيث كان ذلك خارجا عن نطاق خطة بحثه .

٥ ـ حياة الرافعي لسعيد العريان ص ٢٨٠ ـ ٢٨٢ ، ط الثالثة ـ القاهرة ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م .

(*) كان بين الأستاذ شاكر والشاعر محمود حسن إسماعيل علاقة صداقة قوية وآصرة حب عميقة وإجلال يحمله كل منهما للآخر . وقد سألت مرة أستاذنا أبا فهر عن سبب انصرافه عن الشعر ، فأجابني إجابة مختصرة قال : «تركته لمحمود حسن إسماعيل» . وقد سمعت منه ثناء غامرا على شعر محمود حسن إسماعيل . ومما سمعته منه ـ أيضا ـ أن قصيدته «رماد» صاحب تسميتها هذه التسمية محمود حسن إسماعيل ، وأنّ ذلك كان بدار مجلة «الرسالة» وكان الأستاذ شاكر وقتها مهموما في اختيار عنوان لهذه القصيدة فدخل عليه محمود حسن إسماعيل وسأله عن سبب همه فأخبره فقال له على الفور سمّها «رماد» فلاقت منه هذه التسمية قبولا وجعلها عنوانا لها .

من كتاب العدد

● **د. زكريا سعيد علي**

ـ مواليد مصر ١٩٥٩ م .

ـ دكتوراه البلاغة والنقد الأدبي عن «بلاغة القرآن عند المفسرين حتى نهاية القرن السادس الهجري» .

ـ مدرس بقسم البلاغة والنقد والأدب المقارن ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة .



ـ تحقيق مقدمة ابن النقيب (المتوفى ٦٩٨ هـ) في علوم البلاغة ، التي وصفت بأنها أجمع كتاب أُلِّفَ في البلاغة العربية حتى القرن السابع .

ـ تحقيق الجزء الأول من (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي «بالاشتراك» .

مَنْ أقربُ النّاسِ للإسْلام؟



د. محمد بن سعد الشويعر

أحداث البوسنة والهرسك الجارية الآن ربطت هذا الجزء الذي كاد يُنسى بالمسلمين، وعرّفهم بتاريخ دخول الإسلام هناك، وبصلابة هذا الشعب المسلم الذي سُلّطت عليه حرب للإبادة أكثر من خمسين مرة، وهو صامد ثابت على إسلامه، حتى كاد أبناؤه ينسون تعاليم الإسلام، لكن المحن التي تنزل بهم تزيدهم صلابة وعودة لدينهم.

دخل الإسلام بلادهم قبل سبعة قرون. وكانوا قبل الإسلام في صراع وخلافات مع بعض الطوائف المسيحية؛ لأنهم كانوا على إنجيل برنابا الذي هو أقرب الأناجيل للإسلام، وفيه بشارة برسالة محمد ﷺ، فلما بلغتهم الرسالة والدعوة لدين الإسلام استجابوا له؛ لأن إنجيل برنابا يدعو لوحدانية الله سبحانه، ولا يؤيد ما تقوله بعض الفرق التي أخبر الله عن كفرهم بقوله سبحانه: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ [المائدة - ٧٣].

فالنصارى الذين كانوا حريصين على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هم الذين أخبر الله عنهم بمودتهم للمسلمين ووصفهم بقوله الكريم: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون. وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين. وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾[المائدة ٨٢ - ٨٤].

وسبب نزولها في نفر من نصارى نجران أسلموا لما عرفوا الحق من دعوة رسول الله ﷺ، وهي عامة لكل النصارى الذين يستجيبون لنداء الله، ويتبعون الحق إذا ظهر لهم.

لذا فإن الفرصة مواتية لأبناء المعلمين الذين يحتكون ببعض المسيحيين، البروتستانت أي الطائفة الإنجيلية؛ لأنهم أقرب الطوائف لمعرفة دين الإسلام والاستجابة له. وتعني كلمة الإنجيلية، الذين لا يتبعون إلا نص الإنجيل، وهم يختلفون عن الكاثوليك أي الطائفة التقليدية.

وقد جاء على لسان مسلم حديث الإسلام من ليفربول، يبين سبب إسلامه فقال: «لقد اهتدينا والحمد لله إلى الإسلام منتقلين إليه من البروتستانتيّة، أي الطائفة الإنجيلية، لا من الكاثوليكية أي الطائفة التقليدية، ولذا فإننا بعدما أسلمنا نميل طبعًا لاتباع الكتاب والسنة فقط، ولا نثق بقول غير معصوم فيما ندين به، وقد تركنا دين آبائنا وقومنا، لنتبع ما جاء به محمد نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام لا لنتبع قول فلان وفلان، ولنا جمعية منتظمة لها شعبتان في أمريكا وجنوب أفريقيا، ونحن راغبون في أن نسعى حثيثًا في الدعوة للدين الإسلامي المبين. والأقوام الذين ندعوهم غالبهم متمدنون، أي أفكارهم متنورة بالعلوم والمعارف. وأملنا معقود بهداية فئة البروتستانت؛ لأنهم منقلبون حديثًا عن الكاثوليكية انقلابًا ناشئًا عن ترجيحهم الاقتصار على الإنجيل، ومجموعة الكتب المقدسة متونًا فقط، أي بإهمال الشروح والتفسيرات، والمزيلات التي لا يوجد لها أصل صريح في الأنجيل.

والبروتستانت يزيدون على مليون نفس - لا بدّ أنّ هذا الرقم قد زاد لأن كلام ذلك المسلم له ما يقرب من مائة سنة - كلهم مفطورون على التدين، قليلو العناد في الاعتقاد، مستعدون لقبول البحث والانقياد للحق بشرط ظهوره ظهورًا عقليًا، لا سيما إذا كان الحق ملائمًا لأسباب هجرهم الكاثوليكية نحو: إنكارهم الرياسة الدينية والرهبانية، والتوسل بالقديسين، وطلب الشفاعة منهم، واحترام الصور والتماثيل، والدعاء لأجل الأموات، وبيع الغفران، والقول بأن للبطارقة قوة قدسية، وقوة تشريعية، وللبابا صفة العصمة عن الخطأ في الدين، وللأساقفة ومن دونهم من القسيسين مراتب مقدسة، إلى غير ذلك مما ينتج في النصرانية سلطة دينية وتشديدات تعبدية لا يوجد لها أصل في الإنجيل.

وهناك فئة أخرى في أوربا وأمريكا كذلك، مارقون من النصرانية كليًا لعدم ملاءمتها للعقل يزيدون على مائة مليون نفس، أغلبهم مستعدون لقبول ديانة تكون معقولة حرة سمحاء تريحهم من نصب الكفر في الحياة الحاضرة فضلاً عن العذاب في الآخرة. ومن غريب نتائج التدقيق أن أفراد هذه الفئة كلما بعدوا عن النصرانية نفورًا من شركها وخرافاتها وتشديداتها، يقربون طبعًا من التوحيد والإسلام وحكمته وسماحته».

فهذا كلام من أسلم من تلك الديانة وعرف عن كثب ما يؤرق أبناء ملته السابقة، وهي فرصة لدعاة المسلمين ليعرفوا المدخل ويحسنوا الولوج لقلوب الناس منه، وقد يكون ما نسمعه عن طائفة الموحدين في أمريكا وغيرها أنهم من أولئك البروتستانت الذين أشار إليهم هذا الذي كان منهم ثم هداه الله للإسلام.

عبد الرشيد محمد: إمام برتبة عسكرية

الإمام عبد الرشيد محمد



كان مايرون ماكسويل الابن العاشر لوالدين نصرانيين أمريكيين ينحدران من أصل أفريقي، وكانت تلك الأسرة التي تقيم في مدينة بافالو بالقرب من الحدود الكندية تحيا حياة بسيطة متواضعة في منزل صغير يضم ـ إلى جانب الأبوين ـ أحد عشر طفلاً.

وحين وُلد مايرون في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر ١٩٥٢ م، كان أقصى منى والديه أن يتمكنا من مساعدته في الحصول على تعليم كافٍ يؤهله لعمل مناسب يبعد عنه غائلة الفقر، ويمكّنه من العيش بكرامة وتكوين أسرة.

لم يكن أحد يدري أن هذا الطفل الذي ملأ البيت صراخًا وضجيجًا، سوف يدخل ـ يومًا ـ تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية باعتباره أول إمام للمسلمين في قواتها المسلحة.

بداية التعرف على الإسلام

كانت بداية تعرّف **مايرون** على الدين الإسلامي حين التحق **بجامعة نيويورك الولائية في بروك بورت**، حيث كان يدرس بها علم الأجناس البشرية والديانات المقارنة (الأنثروبولوجيا)، واحتك أثناء دراسته بأحد زملائه من السود، وكان طالبًا مسلمًا يدعى **ابن سليمان**، ومن خلال هذا الأخير تعرّف مايرون على بعض معتقدات المسلمين، وعرف شيئًا من جوانب عقيدة الإسلام.

إلا أن التأثير الأكبر عليه كان حين تعرف على جماعة «**أمة الإسلام**» التي أسسها «**أليجا محمد**»، ورغم أن **أليجا محمد** قد انحرف بالجماعة كثيرًا عن عقيدة الحق، إلا أن ظهور الداعية المسلم **مالكولم إكس**، وسعيه لتصحيح مسار الجماعة، الذي أدى إلى مقتله، ثم موت **أليجا محمد**، وتولي نجله **وارث الدين محمد** قيادة الجماعة، ونجاحه في تصحيح مسارها والعودة بها إلى مذهب أهل السنة، قد أسهم كثيرًا في تنامي تأثيرها في أوساط الأمريكيين السود، بعدما صارت آراؤها مقبولة باعتمادها العقيدة الصحيحة، وتنقيتها مما أضافه إليها أليجا محمد من خرافات.

نقطة تحول

يمثل عام ١٩٧٤ م نقطة تحول في حياة **مايرون ماكسويل**، ففي هذا العام أشهر إسلامه وكان قد بلغ من العمر ٢٢ عامًا، وتسمى باسم «**عبد الرشيد محمد**».

حصل **عبد الرشيد محمد** عام ١٩٧٧ م على شهادة الماجستير في **الإرشاد النفسي والاجتماعي** من **جامعة سان دييجو بولاية كاليفورنيا**، وكان لابد ـ وقد حصل على هذا القسط الكبير من التعليم ـ أن يبحث عمن تشاركه رحلة حياته، وتساعده على القيام بأعباء الدعوة إلى الله، إذ عرف من خلال قراءاته الإسلامية أن المسلم مكلّف بالدعوة ما استطاع إليها سبيلاً، كل حسب قدرته وإمكاناته، فكان لا بد له أن يجد رفيقة درب تمتلك إيمانا مماثلاً، وتحدوها رغبة في نصرة دين الله، ووجد غايته في فتاة مسلمة تدعى **سليمة**، كانت مختلفة عن غيرها من فتيات أمريكا، إذ لم تعرف الخمر أو غيرها من الموبقات التي تنتشر في أوساط الشباب الأمريكي بعامة، والسود منهم بخاصة.

كانت سليمة قد انضمت ـ هي أيضا ـ إلى جماعة أمة الإسلام في السبعينيات الميلادية ثم بدأ فهمها وحسها الإسلامي ينمو نموًا صحيحًا بعد وفاة أليجا محمد عام ١٩٧٥ م، وما اتبعه من قيام نجله وارث الدين محمد بتصحيح مسار الجماعة، وتنقيته من الشوائب التي جاء بها والده.

تزوج «**عبد الرشيد محمد**» و«**سليمة**» عام ١٩٧٨ م، فتحقق لهما الاستقرار النفسي، ووجد كل منهما في الآخر معينًا للاستزادة من علوم الدين.

وبفضل الله ثم بحسن اختيار الزوجة الصالحة، أمكن لعبد الرشيد محمد أن يحصل على درجة الماجستير للمرة الثانية عام ١٩٨٢ م في مجال العمل الاجتماعي من جامعة متشجان، والتحق في العام نفسه بالجيش الأمريكي حيث أمضى ثلاث سنوات.

كيف رُشح إمامًا؟

برزت في الثمانينيات من القرن الميلادي الحالي مع تزايد أعداد المسلمين في الجيش الأمريكي دعوتان لتنصيب إمام لمسلمي القوات المسلحة الأمريكية، قاد الدعوة الأولى زعيم «**أمة الإسلام**» **وارث الدين محمد** عام ١٩٨٣ م، وتبنى الثانية **الاتحاد الإسلامي لشمال أمريكا عام ١٩٨٥ م**.

إلا أن المحاولتين اصطدمتا بالاجراءات

البيروقراطية الطويلة، فلم يكتب لهما النجاح وماتتا في مهديهما.

وحين قامت **أزمة الخليج** عام ١٩٩٠ م باحتلال صدّام حسين للكويت، وما استتبع ذلك من مشاركة القوات المسلحة للولايات المتحدة الأمريكية ضمن قوات التحالف الدولي لتحرير الكويت، وما ضمته هذه القوات من عناصر مسلمة، إضافة إلى إسلام عناصر أخرى كثيرة نتيجة لاحتكاكها بغيرها من أفراد القوات المنتمية إلى البلدان الإسلامية المشاركة مثل **السعودية وسورية ومصر والكويت**، أدى هذا الوضع إلى بروز أهمية وجود إمام مسلم يتولى عملية الإرشاد الديني لمسلمي القوات المسلحة الأمريكية أسوة بغيرهم من الديانات، خاصة بعدما وصل عدد المسلمين في هذه القوات إلى أكثر من عشرة آلاف أمريكي على أدق الاحصاءات، يمثلون قرابة خمسة ملايين مسلم تضمهم الولايات المتحدة الأمريكية، معظمهم من السود.

خلال هذه الأحداث قام **المجلس الإسلامي الأمريكي**، وهو منظمة خيرية تأسست عام ١٩٩٠ م، بتعبئة طلب ليصبح الجهة المنوط بها ترشيح الأئمة للقوات المسلحة الأمريكية، وبعد دراسة استغرقت ستة أشهر اعترف المسؤولون في القوات المسلحة الأمريكية رسميًا بالمجلس باعتباره ممثلاً للاتحاد الإسلامي لشمال أمريكا، كجهة تقوم بترشيح الأئمة.. وكانت الخطوة الأولى لاختيار أول إمام للقوات المسلحة الأمريكية.

التعيين

في مطلع ديسمبر ١٩٩٣ م دق جرس الهاتف في منزل **عبد الرشيد محمد**، المشرف الاجتماعي في إحدى الإصلاحيات التابعة لدائرة الخدمات الصحية والإنسانية في ولاية نيويورك، وأعلنه المتحدث بأنه قد اختير من بين عشرات من المرشحين المسلمين الآخرين الذين تقدموا بطلب للتعيين كأئمة في القوات المسلحة الأمريكية، وأنه مطالب بأن يعد نفسه ليبدأ في مباشرة مهمات وظيفته الجديدة خلال أسابيع قليلة.

تلفت **عبد الرشيد محمد** موزعًا بصره بين زوجته **سليمة** وأبنائهما السبعة ثم أعلن محدثه بقبوله الاختيار.

يصف **عبد الرشيد** تلك اللحظات التي تلت تلقيه خبر الموافقة على تعيينه إمامًا بقوله: «اجتاحني شعور غريب، إحساس بالبهجة لا يُصدق، ممزوج ببعض مشاعر العصبية».. كان شيئًا طبيعيًا أن يحس عبد الرشيد بهذه المشاعر المتناقضة، فالمسؤولية التي قُدِّر له أن يضطلع بأعبائها ليست هيِّنة، صحيح أنه عندما رشح نفسه كان يطمح إلى هذا المنصب، ويأمل أن يتمكن بوساطته من خدمة دينه وأمته، لكنه وقد وقع عليه الاختيار أحس بجسامة المسؤولية، التي سعى إلى تحملها.

النظرة إلى الوظيفة

لكن كيف ينظر الإمام **عبد الرشيد** الذي يحمل رتبة (كابتن) إلى وظيفته الجديدة؟

لقد نشرت مجلة «**المجال**» التي تصدرها وكالة الإعلام الأمريكية لتعزيز التفاهم والصداقة بين شعب الولايات المتحدة الأمريكية وشعوب البلاد العربية قول عبد الرشيد: إن اختياري للوظيفة يمثل ـ من وجهة نظري ـ فرصة ممتازة للدعوة الإسلامية في أوساط المؤسسة العسكرية الأمريكية الضخمة، وهو أمر لم يكن ممكنا وقائمًا قبل أشهر قليلة فقط، وهي فرصة طيبة للبلاد ـ بشكل عام ـ أيضا من أجل التعرف على الإسلام بطريقة صحيحة، وهو بمثابة اعتراف شرعي من حكومة الولايات المتحدة، بواحدة من الديانات السماوية الثلاث، وهذا إنجاز مهم في التاريخ الأمريكي، والتاريخ الإسلامي، وتاريخ المسلمين السود بوجه خاص.

خطوة أولى

إن تعيين عبد الرشيد محمد مرشدًا للمسلمين في القوات المسلحة الأمريكية، هو **خطوة لا تكلل كفاح هذا الشاب المسلم فحسب، لكنها أيضا تمثل إنجازًا حققه المسلمون الأمريكيون**؛ لأن هذه المرة الأولى التي ينضم مسلم إلى قائمة الوعاظ في القوات المسلحة الأمريكية، رغم أن اليهود الذين يماثلون المسلمين عددًا، ولا يزيد عدد أفراد جاليتهم في القوات المسلحة الأمريكية عن ثلاثين ألفًا لهم نحو ١٥٠ مرشدًا دينيًا، غالبيتهم من رتب الضباط.

ومهمة عبد الرشيد لن تقتصر ـ كما قد يبدو للبعض ـ على مجرد إمامة المسلمين في القوات المسلحة وتوفير الإرشاد لهم، لكن عمله ـ أيضا ـ يمتد لتقديم ما يمكن من خدمة للعاملين في القوات المسلحة الأمريكية بعامة، بغض النظر عن دياناتهم، انطلاقًا من الواجب العسكري والضمير الديني.

مشروعات مستقبلية

ويعتزم أول إمام للعسكريين الأمريكيين المسلمين التركيز في المرحلة الأولى من عمله على حفظ القرآن الكريم ودراسة الحديث الشريف، والاطلاع على سيرة الرسول ﷺ وصحابته الكرام لتكون خير مرشد له في عمله، كما ينوي أن يستفيد من عمله الجديد في إقامة جسور بين مسلمي القوات المسلحة الأمريكية وزملائهم من الديانات الأخرى بما يخدم العقيدة الإسلامية، ويسهم في إيضاح المعاني النبيلة التي تدعو إليها.

وفي سبيل ذلك يعد ـ حاليًا ـ لعمل **كتيبات وأشرطة فيديو ثقافية تشرح المبادئ الصحيحة للعقيدة الإسلامية**، وتوضح أركانها، وجوانبها المشرقة، وكل ما يهم المسلم معرفته عن الواجبات الدينية والفرائض.

الأكثر من ذلك أن الإمام **عبد الرشيد محمد** يسعى لأن يكون تعيينه خطوة أولى نحو تعيين مرشدين آخرين لمسلمي القوات المسلحة الأمريكية، بحيث يتناسب عدد المرشدين الدينيين مع تعداد المسلمين في تلك القوات، أسوة بغيرهم من الديانات.

طريق الهدى

فتاوى لفضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

اليقين يتقدم على الشك

○ **ما حكم الشك في وقوع الطلاق؟**

حمد. م. م. م، مكة المكرمة ـ العزيزية.

■ الشك يا أخ حمد اسمه شك، فلا يتقدم اليقين بحال ما.

لكنك لم تبين لي نوع الشك هذا، وكيف حصل، إلا أن الذي أعلمه في مثل هذا هو أن الأصل عدم وقوع الطلاق إذا شك الزوج هل تلفظ به أم لا.

كذلك الحال في عدد ألفاظ الطلاق، فإنه ينبني على الأقل؛ لأن هذا هو الأصل. فآمل السير عليه، وطرح التفكير جانبًا، فكثرة التفكير في الطلاق هل حصل أم لم يحصل قد يسبب مولدات أخرى لستَ بحاجة إليها، فدع الشك والتفكير فيه، وداوم على الذكر، تحصّن قلبك وروحك معًا.

علماء ثلاثة

○ **ما علاقة ابن قيم الجوزية بابن تيمية وابن الجوزي؟**

مصطفى زعلول سباري، نيجيريا.

■ **ابن قيم الجوزية** أحد تلامذة **الإمام ابن تيمية**، وكلاهما إمام في التوحيد وفقه الأحكام، وقد أخذ **ابن قيم الجوزية** علومه عن ابن تيمية في بلاد الشام، وأشار إلى هذا كثيرًا بمثل: «وسمعت شيخنا»، «وقال لي شيخنا قدس الله روحه». ولابن تيمية فضل جليل عليه بخاصة في «حقيقة التوحيد». آمل قراءة **«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للإمام المزي**.

أما الإمام **ابن الجوزي** فهو متقدم عليهما بقرنين من الزمان، فليس هناك لقاء ولا معاصرة.

وقد ذكر **ابن تيمية وابن قيم الجوزية الإمام ابن الجوزي**، وأثنيا عليه، بل **قال عنه ابن تيمية: «ابن الجوزي الإمام صاحب التصانيف الكثيرة...»** إلخ، أو نحوًا من هذا. ومن أجلّ كتبه: **«تلبيس إبليس»**.

رحمهم الله تعالى رحمة واسعة وتجاوز عني وعنهم بمنه وفضله.

حقيقة الجن

○ **هل يصيب الجن الإنسان؟ وما حقيقة ما يقال من أنه إذا سكب إنسان ماء ساخنًا على الأرض ولم يتعوذ منه، فإنه يحرق الجن التي تنتقم لنفسها؟ وما حقيقة ما يقال عن قدرة بعض المشايخ على القيام بمعجزات وكشف الغيب؟ وما رأيكم في كتابة الحجب وتحضير الأرواح؟**

حميد بن محمد خير محمد، حمص ـ سورية.

■ الجن خلق من خلق الله، منهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم بين ذا وذاك. وهم أصناف، فمنهم من يتشكل بإذن الله تعالى على شكل حيوان وطير وزواحف، وغالبًا يسكنون القرى والمدن، والخرائب والطرقات، خاصة بعد المغرب.

ومنهم من يسكن مع الناس في بيوتهم، وهم أيضًا يتشكلون، لكنهم قلة. ومنهم من يسكن القفار والصحاري والوديان.

والذي يمس الإنسان من هؤلاء نوع هو **الهوائي** ولا يتشكل غالبًا، ومن هؤلاء مؤمن وكافر.

وإجابة على سؤالك: **إن الجن لا يمسّون الإنسان ولا يتلبسون به إذا حافظ بنية صادقة على أذكار الصباح والمساء**؛ لأن الذكر الخالص مع الالتزام بالعبادة «تطعيم» عظيم ضد كل شر شيطاني. والجن بما أنهم يخالطون الناس فهم يعرفون قوي الإيمان من ضعيفه، الصادق والكاذب.

ومسألة سكب الماء الحار ونحوه، هذا من أسباب تلبس الجن، لكن الذكر يحميه بإذن الله تعالى. إلا أنه لا يجوز تعمد ذلك، فالإيذاء مع الذكر جرأة وظلم.

أما ما يفعله بعض المشايخ ــ كما تقول في خطابك ــ من المعجزات ككشف الغيب ونحوه، فهذا قد قام الدليل الشرعي والعقلي على بطلانه، لكن بعض هؤلاء يستعملون الجن بطرق كافرة لكنها لا تضر مسلمًا، وبعضهم يستعمل الحيل والذكاء والتغرير وخفة اليد وقراءة نفسية الآتي إليهم من خلال قسمات وجهه وتعابيره وهكذا. وقد يستعملون «المندل»، وهي طريقة فيها استخدام للجن معروفة قديمًا، وصاحبها أقرب إلى الكفر.

أما عن تحضير الأرواح فآمل قراءة كتاب **«الروحية الحديثة»** للأستاذ الدكتور **محمد محمد حسين** رحمه الله تعالى.

للحائض أن تقرأ الحديث

○ **هل لمن جاءتها العادة الشهرية أن تقرأ الحديث؟**

ليما بنت ناصر أ. هـ، الكويت.

■ لا بأس بهذا إن شاء الله تعالى، فلم يرد نص بالنهي عنه حسب علمي.

ردود

○ **الأخ رمضان جابر الخلف العقيدي ــ دير الزور ـ سورية:**

أشكر لكم ما جاء في رسالتكم حول القبور وتحريم البناء عليها. وليس هناك ما يدعو لأن أكتب رسالة للشخص الذي ذكرته، ولكن لعلك تزوده بالنصح وبالكتب النافعة لتفيده ولو بعد حين، ولا تكثر النقاش معه وليس عليك إلا البلاغ. نفع الله بك.



د. محمد المخزنجي

تجربتي في كتابة القصّة القصيرة جدًا

بقلم: د. محمد المخزنجي

يبدو لي الأمر ـ أمر الكتابة الأدبية عمومًا ـ مثل زراعة الفاكهة، شاقة وجميلة . فلا بدَّ من بَذْر، وريّ، ورعاية مستمرة، ثم جمع للثمر الطيِّب في النهاية .

البذرة هي الاستعداد الموروث . (الموهبة) . وإنني أكاد أتصور أن علم الهندسة الوراثية الذي يتحفز لرسم خريطة كاملة للشفرات الوراثية سيكتشف بين هذه الشفرات (المورِّثات) (الجينات) «جينا» . يقول : هذا المخلوق لديه إمكانية ليكون كاتب قصة، أو غير ذلك . فمن خلال معايشتي لآباء وأمهات الأصدقاء من كتَّاب القصة، اكتشفت أن أحد الأبوين ـــ على الأقل ـ لا بدَّ أن يكون حكَّاءً يحب الحكي يُمَتِّع به، ويستمتع . وعلى سبيل المثال أقول : إنَّ والد الصديق الدكتور محمد المنسي قنديل، رجل يحكي بعذوبة وجمال، يُحيل أيَّ موضوع يتحدث فيه إلى سرد قصصي رائع . كذلك أم الصديق القصاص يوسف أبو ريّة، رحمها الله، كانت سيدة بديعة الحكي ذات قدرة تشخيصية وتهكمية آسرة فاتنة .

وبالنسبة لي كان أبي هو المورِّث لعنصر الحكي . كان حكاءً متمكنًا، يجمعنا في ليالي رمضان ويظل يحكي مع إيغال الليل حتى اقتراب وقت السحور.

لقد اكتشفت بعدما كبرت، وقرأت، أن حكاياته التي كان يقصُّها علينا جميعها تنبع من كتاب «بدائع الزهور» لابن إياس، الذي لا بدَّ أنه قرأه في فترة مبكرة من حياته . كان أبي نقاشًا متعلمًا من أوائل الذين حصلوا على دبلوم «مدرسة الصنائع» عام ١٩٢٥ م . وله روح فنان، ليس في النقش والزخرفة فقط، بل في الحكي الذي يلقيه على أسماعنا منقوشًا ومزخرفًا؛ حتى يبدو كأنه يتجدد في كل مرّة يردد فيها حكاياته . ومن الأشياء المؤثرة، وذات المعنى العميق، أنه عندما كبر وكلّ بصره كان يتوهم، أو يوهمنا أنه يتوهم، أننا مازلنا حوله : يجلس في ليالي رمضان ويحكي حكاياته مردِّدًا البداية المألوفة مع كل حكاية : «هل تعرف ماذا فعل الإسكندر مع دابة البحر؟» . لنقول : «ماذا فعل»؟ فيبدأ عاشق الحكي حكايته . وما إن ينتهي منها

> ”قصصي كلها محصلة معاناتي كإنسان وطبيب لأنه لا كتابة حقيقية خارج الخبرة الحيّة .“

حتى يختمها بالسؤال : «شفت يا سيدي»؟! وهكذا تنساب الحكايات . كبرنا وتفرقنا عنه إلى زحام الدنيا وظل يوهم نفسه، أننا نسمعه . أظن أنه لم يعد في حاجة لسماعنا؛ فقد كان مستمتعًا بلذة الحكي . لقد ورثت عنه هذا الاستعداد فيما أظن . هذه هي البذرة . ولقد قرأت ـ مؤخرًا ـــ رأيًا سيكولوجيا يَرُدُّ لذة الحكي هذه إلى أنها وسيلة آلية للتميّز وحماية الذات من الذوبان في العالم خارجها، وبمعنى آخر هي نوع من الذود عن حرية الروح التي تأبى الانخراط في القطيع . إنني فرح بهذا التفسير لحبِّ الحكي؛ لأنه يجعلني أزهو بعشقي للحرية .

بعد ذلك تأتي عناصر استنبات البذرة . فإذا كان القصّاص مخلوقًا مؤهلاً بالاستعداد للقصّ، فلا بد لهذا الاستعداد من النمو حتى يثمر عطاءً

من تجاربهم



قصصيًا. هنا يأتي دور العناصر المكتسبة: التجربة الحياتية، والثقافة، والسعي إلى تنويع مناطق الكشف والتحليق عاليًا نحو الأداء الراقي الأجمل فالأجمل.

أما بالنسبة للتجربة الحياتية، فأعتقد أنها العنصر الأول في مسيرة الكاتب. ومقولة أن كتابة أي كاتب هي أفضل تعليق على حياته، وأن حياته هي أفضل تعليق على كتابته، هي مقولة صحيحة تمامًا. فلا كتابة جيدة دون حياة جيدة. وما أقصده بالجودة هنا ليس حياة الرغد والرفاه، بل ربما العكس تمامًا. الحياة الجيدة للكاتب: هي الحياة التي تتيح له أن يعرك العالم، أن يتعرف على لحم ودم الحياة وبحارها وبراكينها، آلامها وآمالها، أفراحها، وأتراحها، وطموحها إلى الرضا والفرح. وقد يظن بعض من لا يعرفونني أنني عشت حياة بيتية لطالب مطيع وطبيب مهندم. لا، لقد سافرت في صباي إلى كل ركن تصل إليه القطارات في مصر مجانًا، وفوق ظهر القطارات. تعاركت في الشوارع، وأحببت بتهور، وقلت كلمتي بجرأة شاب مندفع، حتى إنني سُجنت في عهد السادات أربع مرات. وعندما بدأ جنون الشباب الجميل يهدأ قليلاً لم تهدأ رغبتي في معاركة العالم، ولكن بهدوء. أتنقل لظروف عملي كطبيب من بيئة إلى بيئة؛ والهدف هو معرفة أكثر بالدنيا. عملت طبيبًا في الصحراء على حافة البحر وفي الريف، ثم في قناة السويس، وميناء الإسكندرية. وأخيرًا طفت بأخطر مصحات الأمراض النفسية في بلدي وخارجها. عملت في ساحات الجنون العظمى طبيبًا يرى أن الجنون الحقيقي خارج الأسوار وخارج العنابر. خارج كل ورش الجنون الكبرى التي عملت بها.. مستشفى العباسية الشهير في مصر.. ومستشفى المعمورة.. ومستشفى بافلوف في أوكرانيا. مستشفيات أقل سعة لها ألف مريض عقلي. هذه كلها خبرات حيّة للكتابة؛ فلا كتابة حقيقية خارج الخبرة الحية. لست ممن يسمعون طرفًا من حكاية فيؤلفون ويولِّفون كتابة. لم أكتب إلا عن مواضيع لامستها بالفعل. وإنني عندما أخوض تجربة وأخرج منها بموضوع قصة أشعر أنني ربحت مهما بدت الخسائر جهدًا أو وقتًا أو مالاً؛ لأن ملامسة جوهر الكتابة فرح لا يدانيه فرح بالنسبة للكاتب. لهذا كنت سجينًا ممتلئًا بالرضا في داخل الزنزانات وكنت طبيبًا مسكونًا بالسلام في مستشفيات المجانين. وكنت دائمًا على موعد مع السفر، فالسفر إبحار باتجاه الكتابة. وأفضل الأفكار القصصية واتتني بينما كنت مسافرًا في طائرة أو سيارة أو قطار أو على ظهر سفينة.

تشيخوف



تورجنيف



ثم ماذا؟ إنها القراءات، ولا أقول القراءة؛ فثمة وجوه لقراءات أخرى غير الكتب. قراءة البيئة على سبيل المثال. لقد تعلمت وأنا طفل ممعن في التجوال أن أفرق بين جحر الثعبان، وجحر طائر الخضير. وكَبُرْتُ مُصرًا أن أعرف أسماء وصفات الأشجار، وكيف أميز بين الطيور، وهي محلقة في الأعالي؟؛ لهذا أزعم أنني أحد الكتّاب الذين اهتموا بالبيئة قبل أن تصبح الهموم البيئية مشاعًا، والمعرفة بها ملقاة على قارعة الطريق. كلّ هذه الكائنات من حولنا مرايا تعكس صورتنا البشرية. إنني مؤمن أشدَّ الإيمان بوحدة الكون وبوحدانية الخالق؛ لهذا يتجلى فيما أكتبه أخيرًا نفس روحاني، وفي مجموعتي الأخيرة إحساس شديد بذلك.

ومن القراءة للحياة، أنتقل للقراءة عن الحياة، وفي قلب هذه القراءة تأتي قراءة الأدب ومطالعة الفن.

وأستطيع أن أوزع قراءاتي على ثلاث مراحل: أولاها مرحلة القراءة العشوائية، حيث كنت أقرأ ما تعثر عليه أصابعي بالمصادفة. ومن الغريب أنني في هذه المرحلة المبكرة قرأت لتشيخوف وتورجنيف قبل أن أقرأ لمحمد فريد أبو حديد ونجيب محفوظ ويوسف إدريس. المرحلة الثانية: ـ وقد بدأت مع أول سنوات الدراسة الجامعية في كلية الطب البعيدة مناهجها عن الأدب. وضعت ما يشبه خطة للقراءة في الأدب تحديدًا وكانت الغاية قراءة «أساسيات» الأدب العالمي.. قسّمت العالم جغرافيًا ورحت أقرأ من كل قسم أَشْهَر كُتّابه فتعرفت على كنوت هامبسون وجاك لندن وفوكنر وهيمنجواي وليفيد ريبرياند ومارلو وموروا وكازانتزاكيس وخوان رامون خمينيث وأسماء كثيرة معظمها في الرواية. كان ذلك



خطًا مستمرًا للقراءة وبالتوازي معه رحت أقرأ لكتّابنا يوسف إدريس ونجيب محفوظ وطه حسين خاصة، وكنت أتعرف على كتابات اللذين كانوا كُتابًا شبابًا مشهورين آنذاك: إبراهيم أصلان ويحيى الطاهر والغيطاني والبساطي إضافة لكل ما يجئ من الكُتّاب العرب.

المرحلة الثالثة: ـ مرحلة الكاتب القارئ، أو القارئ الكاتب، راحت دائرة القراءة تضيق لكنها تغدو أكثر كثافة، مزاجية وانتقائية ومكرّسة بشكل ما لخدمة ثقافة «أديب كاتب»، فعلى سبيل المثال مكثت ستة أشهر أقرأ في النحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة. وفي «نوبة» أخرى أحسست أن ثقافتي الفلسفية ليست على ما يرام فهجمت على كتب الفلسفة. وهكذا. . . .

بعد هذه المراحل تبقى ملامح المرحلة الثالثة المستمرة حتى الآن حيث أقرأ بانتقائية وما يخدم عملي الأدبي، فالآن أقرأ كثيرًا في موضوعات الوجود البديل **Alternative Livring** وما يتعلق به من باراسيكولوجيات. أقرأ في العلوم وبخاصة الهندسة الوراثية والجديد في بنية المادة، مما دون الذرة، حتى الكواكب، في إطار الفيزياء النظرية بخاصة، بشكل فلسفي؛ لأن العلم يتجه لتأكيد نظرية الحتم، بل يتقدم محترمًا ومقدّرًا حكمة الأقدمين، ويتقدم أكثر فيسجد لرب القدرة. في الوقت نفسه تعنيني قراءة تاريخ مصر في فترة حفر وافتتاح القناة؛ لأنني مهتم بعمل «كبير» عن هذا الموضوع. أما الأدب فإنني لا أقرأ فيه إلاّ للجيد فقط، ولا يعنيني أن أتابع، فالإحساس بفرار العمر وضيق الوقت صار قويًا. من كل ما قرأت لم يتبقَ إلا الحب لكتّاب قلائل: تشيخوف طبعًا، تورجنيف، ساروبان، كافكا، ماركيز، كونديرا، إسماعيل قدري، بعض نتاج طه حسين، يوسف إدريس،

يحيى الطاهر



محمود درويش



نجيب محفوظ، محمود درويش، الطيب صالح.

لا كتابة دون قراءة. أما عن الكتابة التي هي مجرى النهر الذي يتدفق فيه كل ما سلف من قراءة حياة وقراءة كتب وقراءة دواخل، فإنها مضت تتحاور مع كل ذلك وتغتذي مما يروق لها. بَدَأْتُ شاعرًا للعامية، ومازال الشعر يسكنني بنزوعه إلى التجريد الذي يصنع الإيجاز بتهوره العاطفي الذي يصيب كبد الأشياء، لهذا فكثير من بدايات قصصي بدايات شعرية تتميز بها القصائد لا القصص. إضافة لذلك الموسيقى أو روح الموسيقى التي ينظم بها الشعر. وضمن أقاصيصي نماذج ذات إيقاعات شعرية واضحة: «العصافير» في رشق السكين تحاكي إيقاعات قصيدة التفعيلة. و«القنافذ» في المجموعة نفسها، تتزيا بعباءة قصيدة العامية. وفي «سفر» ثمة محاورات كثيرة مع القصيدة الجديدة، ولا أقصد بذلك تلك القصائد الملوثة بادعاءات الحداثة الوهم، بل أقصد بالقصائد قصائد محمود درويش في «ورد أقل» مثلاً. . إنّ كثيرًا من أقاصيص مجموعة «سفر» تحاور قصائد درويش. . أقاصيص «إني لأهديها الأغنية» وكل الأقاصيص التي يفضي عنوانها عن مضمونها في هذه المجموعة بالشكل والروح هي محاورات شعرية.

القصة القصيرة جدًا، التي أُعرف بها أكثر من غيرها، تنتمي إلى قسم مراوغ التعريف من القصة. حتى في الغرب المعاصر حاروا في تسميتها فهي مرّة القصة القصيرة جدًا، ومرة أخرى القصة القصيرة القصيرة **Very short story or short short** هنا سنجد كل هذه التسميات، وسنجد مسمّى «الأقصوصة» الفضفاض. وأنا أعتقد أنها جميعًا تندرج تحت نوع «القصة بإيجاز» الذي يشمل في



أشكالها البدائية الحكاية الخرافية **Fable** أو الحكاية ذات المغزى **Apologos**، والأمثولة عندنا، ثم الأشكال الأكثر تطورًا وهي التي أعتبرها قصة قصيرة جدًا بحق. لقد بدأ هذا الشكل الموجز في القص مبكرًا جدًا. وإنني أجمع مادة لكتاب يتحدث عن ذلك ولعله يحمل اسم «القصة القصيرة جدًا عبر التاريخ». أو «القصة الموجزة عبر التاريخ».

لقد بدأت القصة القصيرة جدًا عندي تحقيقًا لدافع عميق يستجيب لنزقي ورغبتي في الغناء السريع ونَيْلِي لإسعاف عاطفي أسرع. وقد تكون النقلة من الشعر إلى النثر هي السبب. ولم يكن أمامي في البداية أية نماذج للتأثر أو للتحاور معها. ثم كان من طبيعة الأمور أن أتحاور وأتجادل وأتعارك وأصاحب وأخاصم ما أجده أمامي من نماذج للقص الموجز. أحببت مقدمات «الطيب صالح» لكنني اعتبرتها هياكل روائية. اسكتشات لروايات في البال. أحببت زكريا تامر لكنني أعدُّه كاتب حكايات فانتازية رائعة وليس كاتب قصة قصيرة جدًا. يحيى الطاهر في «حكايات للأمير» أيضا ليس كاتب قصة قصيرة جدًا، بل هي كما العنوان: حكايات. ناتالي ساروت أعجبتني جدًا تقنياتها الكتابية، لكنني أعارضها في النموذج؛ فهي مثل بيئتها غريبة شبه فصامية **Schezoid** وتتحسس دقائق صغيرة في شبه ظلمة، واتجاهي ليس ذلك.

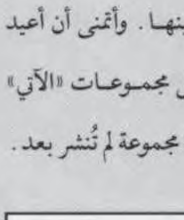
ومن الغريب أنني مفتون بالقصص التي في القصائد، وليست مكابرة ولا استكبارًا أن أقول بأنني أتنافس مع الشعراء وليس القصاصين. نعم نموذجي هو القصص التي في القصائد، وإن كنت بالتأكيد لا أهدف إلى كتابة القصيدة. وبالمناسبة تعبير «القصة القصيرة» عمره أكثر من قرن، وقد قرأت بالروسية لتورجنيف لقطات من هذا النوع تحت عنوان قصائد في النثر «استيخاتفارينياف بروز» أو قصص قصائد بمعنى من معاني الترجمة.


زكريا تامر


ناتالي ساروت

حتى الآن كتبت أكثر من مائة قصة قصيرة جدًا، تتنوع أشكالها ومضامينها. وأتمنى أن أعيد نشرها في مجلد واحد يشمل مجموعات «الآتي» و«رشق السكين» و«سفر» وثمة مجموعة لم تُنشر بعد.

محمد المخزنجي.. في سطور



- ولد في مدينة المنصورة - مصر.
- درس الطب، وتخصص في الأمراض النفسية والعصبية.
- كتب أكثر من مائة قصة قصيرة جدًا، تضمها خمس مجموعات.
- ترجمت قصصه إلى عدة لغات أجنبية.
- تم تكريمه في اليوبيل الفضي لمعرض القاهرة الدولي للكتاب، بوصفه صاحب أفضل مجموعة قصصية نشرت عام ١٩٩٢م في مصر.

أما «الموت يضحك» و«البستان»، فهما مجموعتان خارج هذا الإطار.

القصة القصيرة جدًا بالنسبة لي هي قاعدة الغناء القصصي عندي وأظن أن أي شكل من أشكال الكتابة، سواء قصص فيضية كما في مجموعتي «الموت يضحك» و«البستان» أو في الرواية القادمة، كل هذا مدين لقصصي القصيرة جدًا من حيث توفير آلية ناجزة للمِّ شمل الموضوع في إطار مهما اتسع يظل ساحة لمجموعة من «الطلقات السريعة» كما قال أحد النقاد.

إلى أين تراني ذاهب بعد ذلك؟ كان هذا السؤال يؤرقني منذ فترة. الآن عثرت على خطوتي القادمة التي بدأت حركتها في مجموعة من النصوص القصصية التي أتجاوز فيها نفسي الحذرة، سواء أوجزت أو أفضت، فأمزج بارتياح دون عسف أشكالاً من السرد تبدو متباعدة جدًا لكنها تتآلف - أو أريدها تتآلف - معًا في خطوتي القادمة. هذا نوع من القص أدعوه «قص بلا ضفاف» أو «قصص للأصحاب»، حيث توسِّع الحميمية ساحة القص لقول كل الأشياء الممكنة بكل الوسائل وبتسامح وإقناع.

فالسرد يتجاور مع المناجاة ويختلط بمراجعة المعرفي والمعلوماتي.. بلا ضفاف، وبلا حدود، وبلا تعسف. هذا هو الشيء الأهم الذي أسعى إليه وقد ظهر ذلك في قصة «حقيبة بلون الشفق والرمل»، وقصة «تلك الحياة الفاتنة». كما أنني أعددت للنشر قصصًا قصيرة جدًا يتحقق فيها هذا السعي نحو القص الذي لا ضفاف له حيث تستطيع مياه القص أن تروي ما شاء لها من الوهاد والحنايا.

من المكتبة السعودية





محمد بن ناصر العبودي

● العنوان: بلاد الداغستان.

● المؤلف: محمد بن ناصر العبودي.

● الناشر: مطابع الفرزدق ـ الرياض، ط ١/ ١٤١٣ هـ. (١٥٧ ص).

يتابع المؤلف (محمد بن ناصر العبودي) الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، طباعة كتبه في الرحلات الإسلامية، التي بلغت ثلاثين كتابًا بهذه المطبوعة (بلاد الداغستان). وسيعقبها كتب رحلية أخرى ما زالت مخطوطة، ومقدارها ستون كتابًا؛ كما جاء في ظهر هذا الكتاب.

ويقدم لنا المؤلف، كطريقة اتبعها في هذه الكتابات، سبب زيارة تلك البلاد وظروفها، وزمنها، ثم معلومات تاريخية وجغرافية ودينية واجتماعية وأدبية ولغوية تندرج في سياق الرحلة، في حركاته، وتنقله، ووقوفه، وانطباعاته حول مرئياته التي يحاول أن يصفها بحذافيرها كما بدت له.

وها هو ذا في هذه الرحلة، بداية، يبين سبب زيارة بلاد الداغستان.. ولم يكن السبب غير تلبية لدعوة وردت لرابطة العالم الإسلامي من «الإدارات الدينية الأربع لمسلمي الاتحاد السوفيتي (سابقًا)». ويبين أن من تلك الإدارات الدينية ما يخص مسلمي «مادون القفقاس ومقرها داغستان»، وينوّه أن تلك الكتابات سجّلت قبل حدوث الانقلاب الجذري الذي جرى في الاتحاد السوفيتي، فأبقاها كما هي أمانة تاريخية.

ولقد قرأنا معلومات تتعلق بداغستان، بلغت حوالي عشرين صفحة، أعدها أحد أعضاء الوفد وهو: (رحمة الله بن عناية الله) المختص بشؤون المسلمين في أوربا. واشتملت على معلومات تاريخية، وجغرافية، وسكانية، ولغوية، وإسلامية. وإنها لمعلومات تمهيدية لا بد منها للقارئ كي يرافق رئيس الوفد كاتب «يوميات الزيارة»، التي بدأت منذ يوم الثلاثاء ١٣ شعبان ١٤٠٦ هـ، ٢٣ إبريل ١٩٨٦ م.

وسنقف عند بعض المعلومات والمشاهد مما تثير في القارئ الأحاسيس الوجدانية والعاطفية والدينية، وهي التي جاءت في هذه الكتابة الرحلية الموفقة، وهي ما ينشدها القارئ المعاصر في أدب الرحلات، وإن كانت رحلات رسمية مقيّدة، في حركاتها وأهدافها ومقاصدها الإعلامية.

رغم تعدد اللهجات الكثيرة في داغستان التي تحول دون الانسجام الثقافي والاجتماعي بين الشعوب الداغستانية، فإن الإسلام استطاع أن يوطد فيها بينهم الوحدة الدينية والصلات الأخوية، فقد «جمع كلمتهم فعلاً إذ غدت العربية اللغة الأدبية المشتركة لهذه القوميات ذات اللغات المتباينة، وكان الأدباء والعلماء يستخدمون اللغة العربية في كتاباتهم ورسائلهم». ويبدو أن ثمة إحصائية، في عام ١٩٢٦ م، بيّنت معرفة الداغستانيين للعربية أكثر من لغتهم الأصلية.

وكان تاريخ دخول الإسلام إلى داغستان عام ٢٢ هـ/ ٦٤٣ م، وذلك بعد فتح إيران ثم عبور (سراقة بن عمر) أذربيجان؛ فمقتله في (دربند) التي أطلق عليها العرب بـ[باب الأبواب]، التي فتحها (عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي).

ويبلغ عدد المسلمين في داغستان حوالي (٨٥٪) من جملة السكان البالغ عددهم (١,٧٩٢,٠٠٠) وكان الإمام المجاهد (محمد شامل القمري الأقاري) أبرز قادة الثورة الإسلامية ضد الحكم القيصري الروسي منذ عام ١٨٣٤ م، التي استمرت حتى وفاته في المدينة المنورة عام ١٨٧١ م، و(مجح قلعة) عاصمة جمهورية داغستان، وكانت قبل مائة وخمسين عامًا لا يبلغ سكانها ثلاثة آلاف نسمة معظمهم من الجيش حتى أصبحوا اليوم ثلاثمائة وخمسين ألفًا. وتنسب إلى رجل اسمه (محمد علي) أحد ثوار المسلمين على قيصر روسيا، وينطقون اسمه محرفًا (مجح)، ولهذا كان اسم المدينة (قلعة محمد)، والعامة تطلق عليها (مجح كالاة).

ويطلق العرب على مدينة (دربند): باب الأبواب، وذلك لمناعة وصعوبة الدخول منه، والترجمة ـ الحرفية ـ لها هو: الباب المغلق؛ ومعناها الفقهي ـ كما يقول العبودي ـ الباب الذي يستحيل الدخول منه عنوة. ويصف لنا شعوره وهو يُقْبل على باب الأبواب، ويجري مفارقة مثيرة لدخول المسلمين الفاتحين لها، ثم دخوله هو بقوله: «وتبادر إلى ذهني الزهو مع الباب المغلق ـ حسب الترجمة الحرفية لاسمها القديم الذي لا تزال تعرف به ـ الذي لا تزال ذكرى المعركة بل الملحمة التي خاضها المسلمون فيه حية تؤثر، ولكنني عدت إلى التفكير في الأمر فاحتقرت نفسي واحتقرت صحبي أيضًا ـ وأرجو أن يعذروني في ذلك ـ لأنهم إذا قارنوا دخولنا الآن (دربند) بدخول أسلافنا العرب الفاتحين لها عرفوا الفرق بين الدخولين».

إن العبودي لمحق في تصوير حالته الشعورية المتقلبة بين الزهو والاحتقار، وهو حيال ذينك الدخولين. لهذا وجدناه يسقط حالته على سائر أحوال المسلمين المعاصرة؛ وكأنه يضيف مشاعر متدنية أخرى عن ضآلة «أقدارنا نحن المسلمين في هذه العهود التي صيّرناها سوداء مظلمة بسبب تقاعسنا عن الجهاد، وركوننا إلى الدعة والرفاه، وتضييعنا لأمر الله تعالى في العمل للدنيا والآخرة».

وإن مثل هذه الأحاسيس لترافقه أينما سار، وأينما وقف، ويعبر عنها بذلك الشعور، وبتلك المفارقة. على أن العبودي لا يحرمنا من رؤيته الصائبة، وقد يتألق فيها، حين يسترجع معنا روعة الإسلام والمسلمين، في بدايات امتدادهم العظيم عبر العالم الغربي والشرقي.. وهم يحملون أرواحهم بأكفهم رخيصة في سبيل تحقيق رسالتهم الإسلامية. ولذلك تظل أيام الفتوح مع (باب الأبواب) متوهجة في وجدانه وفكره، ولا سيما حين يستخلص لنا جوهر الفتح الإسلامي في تلك الديار الشرقية النائية المنيعة الشاهقة، إذ يقول:

«ولكن الإسلام فتحه فتح قلوب لا فتح حروب؛ لأن فتوحات الحروب تزول بزوال الفاتحين، وأما هذا الباب الذي كان مغلقًا على غير المسلمين، فإن المسلمين فتحوه ولم يبالوا لفتحه بالألوف الذين استشهدوا منهم في سبيل إعلاء كلمة الله ورفع راية التوحيد على هذه البلاد المنيعة في جبال القفجاق (القفقاس)».

ولذلك نرى العبودي يدعو العرب إلى زيارة تلك الأماكن للاتعاظ والاقتداء بالأسلاف في الجهاد في سبيل الله وركوب الصعاب والتضحية. ولكم يفتخر بمرأى مقبرة الشهداء الأبطال الذين كانوا أول من قدموا أنفسهم من أجل إعلاء كلمة الله. وإنه ليمنحنا عن الشهداء فكرًا صائبًا، وردًا حاسمًا لمن يغيرون المعنى ويزيفون الشهداء: «وهم الشهداء حقًا وصدقًا، وليسوا بمن يسميهم بعض الساسة المحدثين الملحدين بالشهداء لكونهم دافعوا عن مبدأ من مبادئ الأحزاب أو ناصروا زعيمًا من الزعماء».

ورغم أن هذه الرحلة العبودية، كسابقاتها تعج بالمعلومات المرئية العابرة، فإن الحس الديني يغلب عليها، ولا سيما في تصوير مشاعره حيال المسلمين الذين يلتقي بهم في المنازل أو في المساجد أو يتبادل ويتناول معهم الكلمات والوجبات. وحتى في زياراته لبعض الأماكن الرسمية والحكومية. يقول مثلاً عن استقبال نائبة رئيس الوزراء في الجمهورية (حفيظة بنت محمد عبد الله): «وبعد السلام المقتضب قالت: أرجو ألا يزعجكم أن تكون التي استقبلتكم امرأة. فقلت لها: إن الرسول ﷺ قال: [النساء شقائق الرجال]». وكذلك في وقوفه عند [حجر من جزيرة العرب]. حيث ذكروا له أن أحدهم حمله معه واسمه (مسلمة بن عبد الملك) قائد الحملة الأولى إلى بلاد داغستان، كي يجعله شاهدًا لقبره إذا مات فيها. وقد استنكرا العبودي ذلك، واستغربت الدليلة استنكاره، ولكنه يبرر موقفه بكيف يتعلق الأسلاف بتلك القشور، وإن حاول في النهاية أن يخفف من استنكاره.

على أن ذلك لا يخفف من استغرابنا لموقفه الذي لا يتفق مع الإحساس الفني الصادق الذي يمكن أن يوظف في عمل روائي فذ.





د. عدنان النحوي

● العنوان: تقويم نظرية الحداثة

● المؤلف: د. عدنان علي رضا النحوي

● الناشر: دار النحوي للنشر والتوزيع الرياض، ط ١ ـــ ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (١٤٣ص).

مما يؤسف له أن المفكرين العرب، ينشغلون بمفاهيم وآراء ونظريات فكرية وأدبية كان المفكرون الغربيون يلوكونها من عشرات السنين، وعافوها.. فأعادها المتاقفون العرب بحماسة وانشغال ودأب مستمر؛ وشغلوا معهم مختلف المثقفين، وكأن قضيتنا الثقافية والفكرية والعروبية والإسلامية هي اجترار ما عافه الغربيون جيفة نتنة، فتبناها المتاقفون موقفًا وإبداعًا، وكتابة.

ومما يؤلم في حياتنا المعاصرة، التناحر والخصومات الفكرية والأدبية والدينية، بسبب الثقافة الغربية، بين فئات المثقفين، وطبقات القارئين في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وكأننا لسنا من أمة واحدة، أهدافها واحدة، في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.. وأعداؤنا يتابعون ويشاهدون الانشقاقات والخلافات، ويسرُّهم ما يشاهدون في سرهم، ويشعلون تلك الانشقاقات بأساليبهم الخفية والعلنية، ولم نشهد كتابات تُؤلِّف وتجمع ما تفرق وتقرِّب ما تباعد، وتنفي التهم عن مفكرينا، عسى أن تكون تلك الكتابات بلسمًا لأدوائنا، وبعثًا لطاقاتنا، وانطلاقًا من ركودنا وخلاصًا من يأسنا.

وكل ما يدور ويكتب في الساحات الفكرية والدينية والدوريات والمطبوعات العربية يحيّر، فلا تخلو مقالة من إبراز آراء الآخرين عن العرب والمسلمين وما فيها من خطورة على أمتنا وأجيالنا الصاعدة، وكل من يكتب فهو على حق، والآخرون هم الشر القاتل والداء الفتّاك. وتستمر الكتابات بلا موازين وضوابط للخير والشر، والمفيد والضار.

نقول ذلك الكلام كله، وفكرة (الحداثة) أخذت دورًا كبيرًا في حياتنا الثقافية المعاصرة، واستمر الكلام عنها بلا انقطاع في الندوات واللقاءات والكتابات والمؤلفات.. لدرجة بات القارئ الحيادي يتلقى ألمًا من هنا وهناك، يشعر معه بالإحباط.

وكتاب (تقويم نظرية الحداثة) لمؤلفه الدكتور (عدنان النحوي) يعيد للقارئ العربي ذلك الصراع والاحتدام بين المتثاقفين والتقليديين من أبناء أمتنا العربية. ويبدو أن ثمة غورًا عميقًا يفصل بينهما. لذا يتطلع القارئ إلى كتابات تحسن الملاءمة بين المعاصر والقديم، في مواكبة عصرية أصيلة، تجمع شيئًا من الجديد وأشياء من الفطرة عسى أن تلطّف الأجواء.

ونقرأ في كتاب النحوي عن الحداثة نظرية وتقويمًا ويمكن إيجازها بما يأتي: أسس تقويمها ومصطلحها وتعريفها، وما يتمخض عن ذلك من موقفين أو منهجين متضادين في النمو والتطور والتغيير؛ ثم ما يمكن أن يقال عن الحداثة بين النظرية والتطبيق. وذلك من خلال ولادتها ونشأتها، وميادينها المختلفة مع المادية والرأسمالية والماركسية. وأخيرًا أثرها في الواقع الإسلامي. وغيرها من معان، ورد الكثير منها في كتابه الأول عنها (الحداثة في منظور إيماني)؛ لأن بحثه عن (تقويم نظرية الحداثة) كان موضوع الملتقى الأول للفن الإسلامي الذي عقد بقسنطينة في الجزائر خلال الفترة ما بين الثامن والثالث عشر من جمادى الأولى سنة ١٤١١هـ، الموافق ما بين الخامس والعشرين والثلاثين من نوفمبر ١٩٩٠م.

ولقد وصل إلى تقويم للحداثة بالركون إلى قواعد أساسية أربع ليكون حكمه أمينًا وعادلاً كما يقول، كأن يحاول أن يفهم الحداثة ويتخذ ميزانًا واحدًا في تقويم الأمور. وينظر إليها من واقعها وتاريخها، ويدرسها بكامل خصائصها. ولهذا وقف بنا عند التغيير الذي تحاول الحداثة أن تدعيه لنفسها، فكان عليه أن يزنه بميزان الإسلام ويرده إلى منهج الله «لنرى سبل النمو والتطور كلها في حياة الإنسان على الأرض، ولنرى أيها أنفع».

ولقد وجد النحوي، وهو بصدد تحديد مصطلح وترجمة وتعريف للحداثة، اضطرابًا وتناقضًا حين عرض الحداثة من خلال مصطلحين أجنبيين في اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وهما لفظتا: **"Modernity" "Modernism"** واختلفت ترجمتها العربية ما بين: «الحداثة العصرية، والمعاصرة». ووجد أنها في المعجم، فضلاً عن معنى عصري وعصرانية، تضيف إليها بأنها «حركة - في الفكر الكاثوليكي لتأويل تعاليم الكنيسة على ضوء المفاهيم العلمية والفلسفية السائدة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين» و«أنها نزعة لا هوتية تحررية في البروتستانتية» و«أنها نزعة في الفن الحديث تهدف إلى قطع الصلة بالماضي». كما أورد النحوي بعض التعاريف الأخرى لأدباء عرب ترجموا الحداثة من خلال المزج الثنائي بين المذهب الأدبي والنظرية الفكرية، ثم يعرض ترجمات وآراء أخرى لعرب آخرين ربما هم من مروّجي الاتجاه الحداثي. كما أنه يفيض بأراء الغربيين ومفاهيمهم العصرية أو الحداثية. ولنستشهد ببعضها مما له الأثر الكبير في كتابات المتثاقفين العرب:

يقول (هربرت ريد): «إننا نلمس الآن ابتعادًا عن كل أنواع التراث. ولا يمكن أن ندعو هذا الاتجاه بالتطور المنطقي لفن الرسم في أوربا؛ لأنه ليس هناك ما يوازيه تاريخيًا. لقد وجدنا أنفسنا فجأة نكفر بجهود خمسة قرون من الإبداع الفني».

ويقول (جوس أورتيكا كاسيت): «إن الحداثة هدم تقدمي لكل القيم الإنسانية التي كانت سائدة في الأدب الرومانسي والطبيعي. وإنها لا تعيد صياغة الشكل فقط، بل تأخذ الفن إلى ظلمات الفوضى واليأس». ويعرفها (رولان بارت) بقوله:

«إنها انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه». ويستطرد النحوي في مقولات كثيرة غريبة عنها. منها: «إنها فن التحديث»، «إنها فن الابتعاد الصارم عن المجتمع»، «إنها فن اللافن»، «إنها الفوضوية التي لا يحدها حد». وغيرها كثير مما لا يتفق مع التصور الإسلامي، والأصالة العربية. ولهذا فقد لخص لنا النحوي أهم خصائص الحداثة وهي الاضطراب والتناقض، الغموض واستخدام الألفاظ الطنانة التي لا تحمل معها شيئًا حين تدبرها، والضبابية، والحيرة والقلق والحمى، والانقطاع عن الماضي والتراث ومحاربته. ومحاربة التصور الإيماني وقواعد التوحيد والصراع مع المعتقدات القديمة والمعارف كلها، وكسر الشرائع. وقد كان تلخيصه مستمدًا من نصوص الحداثيين.

ولقد وقف النحوي عند الأسلوب أو المنهج الذي به يمكن الخروج مما وقعت فيه الحداثة من اضطراب وفوضى ومساوئ، وذلك بمنهج الإيمان والتوحيد، وسبيل النمو والتطور والتغيير وفي السعي للتجديد وطلب «الحديث» النافع الطاهر. ويمكن تلخيص خصائصه بما يأتي: الفطرة السليمة السوية، والفكر والتدبر والتأمل، والسعي المنهجي الدائب للإنسان المؤمن، وقواعد الإيمان والتوحيد تصوغ الممارسة الإيمانية، وتعارف الشعوب واتصال الأجيال وبناء الأمة.

وإذا كان النحوي وقف عند الحداثة في ميادينها المختلفة في الفكر والعلوم الإنسانية، والتطبيقية، وفي الفنون والآداب، فإنه وقف عند أساطينها ومنظريها ومفكريها وأدبائها الغربيين. على أنه لم يورد أحدًا من مفكريها العرب غير بضعة أدباء مبدعين، سواء كانوا في مواقف تقويمية وتنظيرية للحداثة، أو في مواقف شعرية وإبداعية يجارون بها الغربيين في التطاول على العظمة الإلهية والمثل الدينية والأخلاقية ولكنها كانت نتفًا محدودة، وصياغات شعرية قليلة. ربما كان لأولئك فيض من الشعر الآخر الذي يمحون به سيئاتهم وأخطاءهم عسى أن يكون لهم مدخل - لو أشدنا

به ـ إلى تلك الفطرة التي فطر الله بها جميع العباد، وهي التي قرر بها النحوي الحقيقة الأولى في بحثه. «وهي أن البحث عن الجديد طبيعة الإنسان، وجزء من فطرتـه، وظاهـرة متميزة في تاريخه. فلـولا هذه الـرغبـة الملحـة فيـه للنمـو والتطـور، والبحث عن الجديـد والحديث لما استطاع الإنسـان أن ينتقل من عصره الحجري إلى واقعنا اليوم».





عبدالرحمن العبيد

- العنوان: الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد السعودية. جزءان.
- المؤلف: عبـدالـرحمن بـن عبـدالكـريم العبيد.
- النـاشر: نـادي المنطقـة الشرقيـة الأدبي بـالدمـام. ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م (٤٣٥، ٣٨٩ ص).

هذا معجم جغرافي لأماكن ومواضع تقع شرقي المملكة العربية السعودية، استقى المؤلف مادتها من سبعة وأربعين مصدراً ومرجعاً قديماً وحديثاً، فضلاً عن مصـادر أخرى مهمـة، اطلع عليها من خـلال ورود تلك المواضع في الشعـر، وكتب الـرحـلات والاحصـاءات الـرسميـة. وكثيراً مـا يلجأ كُتّاب المعـاجم الجغرافيـة القدامى والمعـاصرين إلى المنهل الشعري كي يستمـدوا منه مادة معجميـة لأماكنهم الجغرافية.

ولقد كـان منهج المؤلف يقوم على تـرتيب مادة كتابه، بجزئيه، حسب التسلسل الأبجدي. كما أن الكتـابة عن عمله الجغرافي يتبع فيهـا طريقـة أهل اللغة، في اشتقـاق الاسم أو معناه، وانتهائه القبلي، والمسافـات التي تفصله عن مواقع أخرى. ثم ذكر بعض الخصائص والمميـزات لعمله، بالإضـافة إلى الشعر الذي يشهد على ضبطـه وصحة نطقه وزمان نشأة موقعـه، وأحداثه التاريخية مـن حروب وغيرها إن وجدت. ولقد بذل المؤلف جهداً في التحقق من وجـود تلك المناطق والمواقـع، بحيث لم يورد إلا مـا كان متيقنا منه، أما ما خالطه الشك فإنه يتجاوزه.

وقد مهّد المؤلف لكتابه بجزئيه بمقدمة جغرافية عن منطقة ـ مـادة بحثـه ومعجمـه ـ فمنح القارئ معلومـات تتصف بالشمـول والدقة، تنـاول فيها: موقع المنطقـة وحدودهـا، ومسمياتها ومسـاحتها، وعـدد سكـانها. وسطح المنطقـة، وسـاحلهـا، وجيـولـوجيتهـا، وانتهى في هـذا الموضـوع، إلى أن التركيب الجيـولوجي في المنطقـة الشرقية يتكـون من الطبقـات الـرسـوبيـة، وهي التي تـرسبت خـلال العصور الجيولوجيـة المختلفة، وأن سُمك الطبقات الـرسـوبيـة يـزداد كلما اتجهنـا إلى الشرق، ويصل السمك عنـد الخليج العـربي إلى حـوالي عشرة آلاف متر. وقد ساعد هـذا التركيب الجيولوجي على تأمين خـزان كبير للميـاه الجوفيـة والنفط، يشتمل على المعادن اللافلزية والكربوهيدراتية والملح الصخري، والجبس، والصلصال، والرمـل الزجاجي. في حين يشتمل التركيب الجيولوجي في غربي المملكة العربية السعـوديـة على المواد الفلـزيـة كـالـذهـب والفضـة والنحـاس والحديـد، وهـو مـا يُسمى بـ «الـدرع العربي».

كما تناول المؤلف مـوضوعـاً جغرافياً آخـر هو: مناخ المنطقة ومـا يتخلله من رياح وحـرارة ورطوبة وأمطـار. ثم أورد شيئـاً عن الثـروة المائية والنبـاتيـة والحيوانية للمنطقة الشرقيـة، وشيئاً آخر عن سكان المنطقـة الشرقيـة، بـالنسبـة للسـلالات والقبـائل وبخـاصة مـا وقف عنده المؤرخـون دوماً، وهـو أن الخليج العـربي قـد التقت حـول ضفـافـه ثـلاث سـلالات بشريـة، هـي: العنصر الـدرافيـدي (الهندي)، والعنصر الحامي (سلالات أفـريقية)، والعنصر الشمالي (المغولي)، وقد عُـرف هذا العنصر بمميـزات حضاريـة متقـدمـة، ويعتبر الساميـون الـذيـن انـدمجوا في العنصر الحامي، وفـرضـوا شخصيتهم عليهم، بداية التشكيل البشري لإنسان الخليج، كما يقـول المؤلف، الذي وقف عنـد ثلاث أنـواع للعـرب هي: العـرب البـائدة، والعـاربـة (القحطانيون)، والعرب العدنانيون، وما تفرع منها من قبائل.

ومن الموضوعات الأخرى التي اهتم بها المؤلف، النشاط البشري والاقتصـادي في المنطقة، وبخـاصة ما يتنـاول البيئة الزراعيـة (من فواكـه وتمور)، والبيئة الصناعيـة (أساسية، وبترول، وثروة معـدنية)، مع التركيـز على البترول، وتوزيعـه الجغـرافي وحقولـه، وتكـريـره، وتملُّك السعـوديـة لأرامكـو. ثم البيئـة البحرية (الملاحة وغـوص اللؤلؤ، وصيد السمك)، ثم انتهى بإلقاء الضوء على تـاريخ المنطقة الشرقية، وحضاراتها عبر العصور، منتهيـاً بالدولة السعـودية في أدوارها الثـلاثـة، فضـلاً عن بيان بإمـارة المنطقة الشرقية، وتوابعها من حيث تقسيمها الإداري حتى العام١٤١٣هـ.

ولأن هذا المعجم أو الموسوعة حـديث الطبع، فقـد واكب المؤلف بعـض الأحـداث التي رافقت المنطقـة، وبخـاصة الأحـداث الأخيرة في المنطقـة، كقـولـه عن (الخفجي): «تعرضت للهجـوم أثنـاء حرب تحرير الكويت عام ١٤١١هـ، ولكن القوات المسلحة لم تمكن القوات العراقية الغازية من السيطرة عليها».

ولتثبيت المعلـومة في ذهـن القارئ، فقـد أرفق المؤلـف بعض الخرائط التـي تحدد مـــواقع تلـك الأماكن.

الأكشاكُ الخشبيّة في الدُّور الحلبيَّة

د. محمد وليد كامل



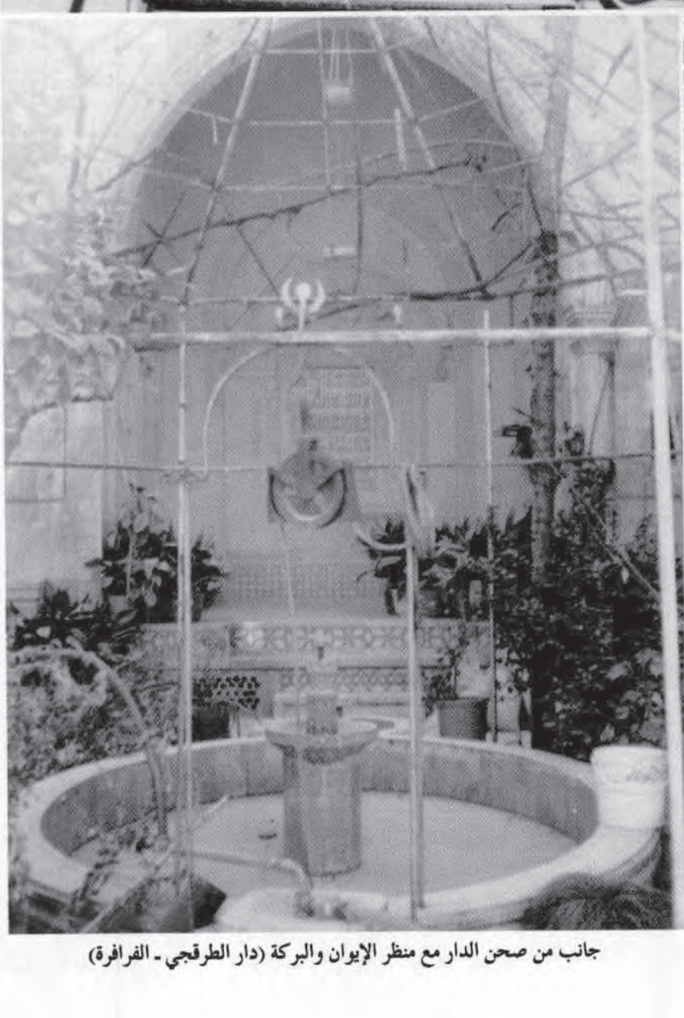
بيت بطابقين: الأول ينفتح على صحن دار مكشوف، والثاني ينفتح على الشارع بكشك خشبي مزخرف (حي العطوي - باب النصر)

حرص الحلبي منذ قرون خلت على أن يكون بيت سكنه مريحا بهيجا، ينعم ساكنه بالمسرة ويهنأ بالراحة، ففيه يحظى بنسائم الربيع والصيف إذ تروح الأسرة تتنسم هبات الهواء اللطيفة في بهو الإيوان الفسيح الذي يحظى غالبا بسقف مقبب عال يكون بقدر علو غرفتين على الأقل، وهذا يكسب الجالسين ظلا مشبعا بنسائم الربيع النديه والصيف الملطفة بمياه السلسبيل الذي يواجه الإيوان، ويصب في بركة ناعمة مما يضفي على سهرات الليل صوت الرذاذ اللذيذ وخرير الماء المريح، كما يضفي على جلسات النهار المشمس المشبعة بأريج زهر الليمون والنارنج والكباد والبرتقال مزيدا من الجمال الساحر، كما أن هذه البيوت التي تبهج الساكن ربيعا وصيفا هي أيضا تبهجه شتاء وخريفا؛ فقاعات الجلوس فيها غنية بخضرة الزينة، وغنية أيضا بالنقوش والزخارف والكتابات التي تدعو الجالسين إلى تأمل معانيها.. كما أنها غنية بظلالها البهيجة التي تلقيها أشجارها الوارفة على الجالسين.

وهذه القاعات تطل على صحن الدار بكثير من الشبابيك التي يرى منها الجالسون الأحواض اللطيفة والأشجار المثقلة بثمار الشتاء أو بثمار الربيع، كما يرى أحواض الزهور من بنفسج مكحل بالفرح، وقرطاس مزين بإشارات الحب، وقرنفل يحمل بين تويجاته خفايا الهمسات والنغمات المفرحة، ناهيك عن عروش الكرم التي تمتد بأعناق خفيفة كأنها أطياف الصبايا تنظر إليك تسمع أو ترى بفضول عجيب، ولا تنس هديل الحمام الذي يسكن الطاقات، أو تغريد البلابل في أقفاص مذهبة.



بيت بطابقين مسقوف تماما (منطقة الجامع الأموي)



جانب من صحن الدار مع منظر الإيوان والبركة (دار الطرقجي - الفرافرة)

تتوزع في أطراف القاعة كأنها سيمفونية الصباح الشادي. كما أن الببغاوات بألوانها الزاهية تؤنس الساكنين ببعض حركاتها وأصواتها، فإذا فُضَّت جلسات الأسرة وراح كلٌ إلى غرفته، فالغرفة تحظى بالنور، فالشبابيك على طول الواجهة والطاقات فوق الشبابيك ، وهذه الشبابيك والطاقات تضفي النور الكافي من الشمس التي تملأ الغرفة المفروشة بالسجاد الفخم والأرائك أو الأسرّة الأنيقة، وهي تسمح بالتهوية الكافَية لهذه الغرف، وقد يكون للغرف - إضافة إلى تهوية الشبابيك - طاقات (الباتنج) وهي المكيف الطبيعي الذي يأتيك بهواء من الجهة التي يهب منها نظيفا صافيا ينعش الأجواء في الصيف، أما في الشتاء فيوقَفُ عمله.

وقد تأتيك البهجة من الزخارف التي تزين واجهات القاعات الخارجية المطلة على صحن الدار وبخاصة زخارف الإيوان، فهذه النقوش والزخارف الحجرية تتناغم مع الزهور والدوالي والأشجار فتكون كاللوحات الخلفية الجميلة التي تملأ المكان بالجمال الأخاذ.

العمارة العربية بين الوظيفة والجمال

اتسقت العمارة العربية مع البيئة والمناخ كما اتفقت مع الحياة الإسلامية. ففي التخطيط العربي ،

يمتاز الفناء بكثرة الخضرة والزهور والمياه الهادئة التي تمر في قنوات صغيرة تُكوِّن كلها صورة جميلة مصغرة للطبيعة، وقد أدى ذلك إلى زيادة مسطح الفتحات المؤدية للفراغات المحيطة بالفناء مما أدى إلى تداخل الخارج بالداخل، وغالبا ما اكتفت الدور العربية عن العالم الخارجي بسحر الداخل الفتان، إلا أن البيوت بدأت منذ القرن الثامن عشر تأخذ أسلوب الصحن المكشوف إلى جانب الجناح المسقوف المطل على الصحن من الداخل، الذي قد يطل على الشارع بأكشاك خشبية KIOSK ، وهذه الدور تتطور في القرن التاسع عشر إلى البيت ذي الطابقين المسقوف تماما من دون صحن دار مكشوف ، فالدور الحلبية كانت من طابقين لكن تطل الغرف فيها على صحن مكشوف، وتكتفي بإطلالة على الداخل، والآن بدأت الدور تطل من خلال الأكشاك على الشوارع الضيقة أو العريضة، هذه الطرز المعمارية الجديدة نراها في كثير من الأحياء في «الفرافرة والجميلية والعزيزية والجديدة» وغيرها.

منحت هذه الأكشاك البيوت الحلبية منظر الواجهات الجميلة، فالكشك طراز معماري ذو وظائف جمالية وصحية واجتماعية ، أما من ناحية الجمال: فالأكشاك تعطي الواجهات المنزلية رونق الجمال، فإذا هي تبدو للناظر كشوب أنيق، مطرزاته وزركشاته هي الأكشاك الخشبية التي زخرفها النجار فزيَّن الصفائح الخشبية المقدودة بسماكة (١سم) بكثير من ألوان الزخارف من شموس تتوسط واجهات الكشك الثلاث، أو منمنمات تذهب متلاحقة على طول تاج الكشك، أو من معينات أو مربعات، أي من أشكال هندسية، أو تفريعات ورقية تعلو الشبابيك والنوافذ التي غالبا ما تكون في واجهات الكشك الثلاث.

أما وظيفة الكشك الاجتماعية فتتمثل في أنه يساعد في توسيع قاعات الطابق الثاني من المنزل، إذ يُبنى الكشك على حاملتين من حجر فوقهما عدد من الأخشاب الأسطوانية أوفي الغالب يُبنى على بلاطات محمولة فتتسع القاعة بقدر امتداد الحاملة الحجرية، وهذا يسمح بإضافة متر ونصف على طول الغرفة، كما أن الكشك بواجهاته الثلاث مع الشبابيك في الواجهات يسمح لنساء القرن الثامن عشر والتاسع عشر أن ينظرن فيرين ولا يُرين من المارين في الشارع ، أما الأطفال فيمضون أوقاتا في الكشك يتمتعون بمنظر المارة فيعيشون مع ألوان الحياة في الشارع يشاهدون الألعاب والعراضات والمسيرات خاصة أثناء قدوم العريس بعد التلبيسة «ليلة الدخلة»، فإن شئت فإن الكشك يلعب دور (البنوار) في دار الأوبرا، أما الأوبرا هنا فهي الحي والحارة والشارع بما يعج فيها من أنواع الأصوات والأشكال والألعاب، فتمضي ساعات وهم ينظرون إلى المارة فيقرؤون الوجوه والحركات والإشارات وأنواع التحيات. أما وظيفة الكشك الصحية فتتمثل بما تسمح به واجهاته الثلاث من دخول النور حسب دوران الشمس ويسمح بالهواء حيث يكون من الغرب أو من الشرق أو من الشمال، ناهيك عن أثر الهواء والنور في الكثير من نباتات الزينة التي تجمل القاعات الموسعة بالأكشاك.

الكشك فن وتراث

اذا تساءلنا كيف تصنع هذه الأكشاك جاء الجواب إن هذه الأكشاك يتعاون في بنائها الحَجَّار الذي ينحت الحاملتين، والبَنَّاء الذي يثبت الأخشاب الأسطوانية، ويبني أرضية الكشك، ثم يأتي النجار فيصنع هيكل الكشك ثم يأتي البَنَّاء فيملأ الهيكل بالمونة ثم يعود النجار ليركب الصفائح الخشبية الرقيقة من خشب الدلب على الواجهات الخارجية والجدران الداخلية ثم يعود البَنَّاء لصب السقف ثم يأتي النجار ليتوج الكشك على إفريز السقف، ويضيف التزيينات التي تجمل الكشك وبعد ذلك يأتي الدَّهَّان ليطلي الكشك بألوان الدهان الجميلة، وحين ينتهي البناء يقوم الدهان بجملة تزيينات داخلية تتناغم مع زخارف الكشك الخارجية، بينما كثير من الأكشاك تبقى بلون الخشب المعالج باللميع الشفاف (ورنيش)، فانظر إليه كم يبدو أنيقا وجميلا بعد أن ينتهي من صنعه الحجَّار والبنَّاء والنجار والدَّهَّان .... ولا تنس أن رقائق الخشب من الطنب ذي الرائحة العطرة احتاجت في عصرها إلى كثير من المهارات اليدوية، فإذا بأخشاب السنديان أو الدلب أو الطنب أو السويد أو الأرز تغدو بين يدي النجار الماهر زخارف بأشكال تزيينية اعتمدها النجار صورة منقولة من طراز سابق، أو ابتكرها أو يشير بها عليه صاحب الكشك، فيتم رسمها ثم الإعداد لصنعها، ثم تصنع هذه التزيينات، فإذا بالحرفي الصناعي يلعب دور مهندس الديكور اليوم ومصمم الأشكال الجميلة.

وإليك أوصاف بعض الأكشاك في بيوت حلب القديمة: كشك يقوم على حاملتين حجريتين تستند عليهما أخشاب أسطوانية تحمل الكشك، كما ترى في (حي العطوي ـ باب النصر) يتصدر الواجهة فيه شباكان



بيت بطابقين: الأول ينفتح على صحن دار مكشوف، والثاني ينفتح على الشارع بكشك خشبي مزخرف (حي الفرافرة)



منظر إيوان وإحدى قاعتيه (دار وكيل - الجُدَيْدَة)



بيت بطابقين مسقوف تماما (منطقة الجامع الأموي)

كان فيهما شمس زخرفية خشبية، أما رقائق الخشب فتدعم بتثبيت قضبان فوقها تأخذ شكل بلاطات مربعة، بينما شباكان آخران يأخذان جانبي الكشك، أما سقفه فأفريز من الخشب عرضه نصف متر مزخرف بقضبان على شكل بلاطات الواجهة.

وهذا كشك آخر ذو ثلاثة شبابيك تغلق بصرعات من الخارج وفوق الشبابيك قناطر مزخرفة أما التاج فمتآكل ... فاذا فتح الشباك من الخارج ظهر إطار جديد للشباك، هذا الإطار فيه شبك من قضبان، كل مستطيل فيه قضبانه متعاكسة مع نظيره المجاور ومتساو مع المقابل، ومجموع قضبان مستطيلات الشباك تشكل خيوط الشمس الدائرة في الفضاء، وهو يريك ما في الشارع من حركة وناس.

ونرى في واجهة كشك منزل أمام باب الجامع الكبير الشمالي ستة شبابيك، لازالت تحظى بقناطرها الزخرفية كما أن سقفه لازال يحظى بالتاج المزخرف بتشكيل متناغم على شكل شعاع مجسم مكرر أكثر من مئة مرة وقاعدته تقوم على بلاطات يحملها حزام حديدي مكين.

وقد يتراجع عدد الشبابيك في الكشك من ستة إلى اثنين (محلة العزيزية)، وتضاف الشرفة المحصورة بين كشكين كبديل عن تعدد الشبابيك، وهذا يمثل تطوراً في التكوين البنيوي والنفسي لسكان مدينة حلب.

ليس من ريب أن الكشك فن عثماني وفد إلى تراث العمارة العربية الإسلامية، وأحدث تحولاً جذريًا في البنية الداخلية للدور العربية، إذ سُقفت تدريجيا حتى حُرمَ ساكنوها من نعمة النظر إلى السماء والاستفادة من الشمس والهواء بالقرب من الماء المتدفق والنبات المتخضر، ثم تناست الكشك شيئا فشيئا حتى استغنت عنه بشرفة واسعة مكشوفة، وبذلك التحم الجو الداخلي بالخارجي بعد أن كان الجو الداخلي معزولا ومحميا من ملوثات الرئة والنفس الإنسانية.

انتقل مفهوم الكشك كعنصر هندسي من استانبول إلى انجلترا وفرنسا وألمانيا، فساهم في تطوير العمارة من طابق إلى طوابق عديدة تكاد أن تنطح السحاب في القرن العشرين، على حين أنه دخل المشرق العربي وطور عمارته ببطء شديد بسبب القيم الأخلاقية التي تحكمه، وعلاقات الجوار التي تعتبر جزءا متوارثا من مجمل تكوينه الحضاري.

لذا يمكن القول: إن عنصر الكشك هو عنصر هندسي جمالي لو وقف بالحركة العمرانية عند مرحلة الدور ذات الصحن المكشوف، والمحمية من النظارة الخارجية في طابقها الثاني المكشك بعضه، إلا أن الأمر كان مرحليا إذ استعاض البيت الحلبي عن الكشك بشرفة اتسعت مع الزمن حتى أصبحت عنصراً هندسيًا بديلاً عن صحن الدار المكشوف، ولم تعد الدور العربية معزولة فشاركت الشارع ضجيجه وتلوثه، وبذلك حُرم الإنسان العربي من النمو النفسي السليم في ظل مفهوم «وليسعك بيتك».



إبداع صحفي جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلة
الشرق
AL SHARQ
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التى تهم كل أفراد الأسرة



قطع غيار من جسم الإنسان

د. محيي الدين لبنيه

إن حياة الإنسان بعضو أو أكثر نُقل إليه من آخر فارقت روحه إلى بارئها لم تعد حلمًا يراود العقول أو ضربًا من الخيال، وإنما حقيقة واقعة يعيشها هذا العالم، فأصبح جسم المُتبرِّع بعد موته مصدرًا لقطع غيار تُنْقَلُ إلى المرضى الذين يحتاجونها فيعيشون بقية حياتهم التي قدرها الله سبحانه بشكل طبيعي . وتُنقذ قرنية عين منه حاسة بصر مريض، وتُنقل إحدى كليتيه إلى شاب أو طفل، ويُزرع قلبه في صدر فتاة، ويُزرع كبده مكان آخر تعطل عن العمل، وتُستخدم مساحات من جلده في تغطية جروح ناتجة عن حروق شديدة، وتُستعمل دسامات قلبه بدلاً من أخرى تالفة، وتُنقل رئته السليمة إلى صدر عليل. ولقد بدأت جهود العلماء في مجال زراعة الأعضاء المأخوذة من جثث الموتى في أواخر القرن الماضي، وأثمرت نتائجها عن نجاح زراعة أول قرنية للعين، ثم الكلى وتوالت نجاحات زرع أعضاء أخرى كالقلب والكبد والجلد والرئتين ودسامات القلب والعظام والغضاريف، وتزايدت عمليات زرع الأعضاء، نتيجة التطورات الحديثة في الجراحة؛ وزيادة فرص نجاحها؛ وانتشار مراكز حفظ الأعضاء؛ وقبول مختلف الأديان فكرة التبرع بالأعضاء بعد الموت.

اختيار المتبرعين

هناك شروط معينة يتحتم توافرها في المتبرعين بالأعضاء بعد الموت تفاديًا للعدوى بالمرض وهي تشمل مايلي:

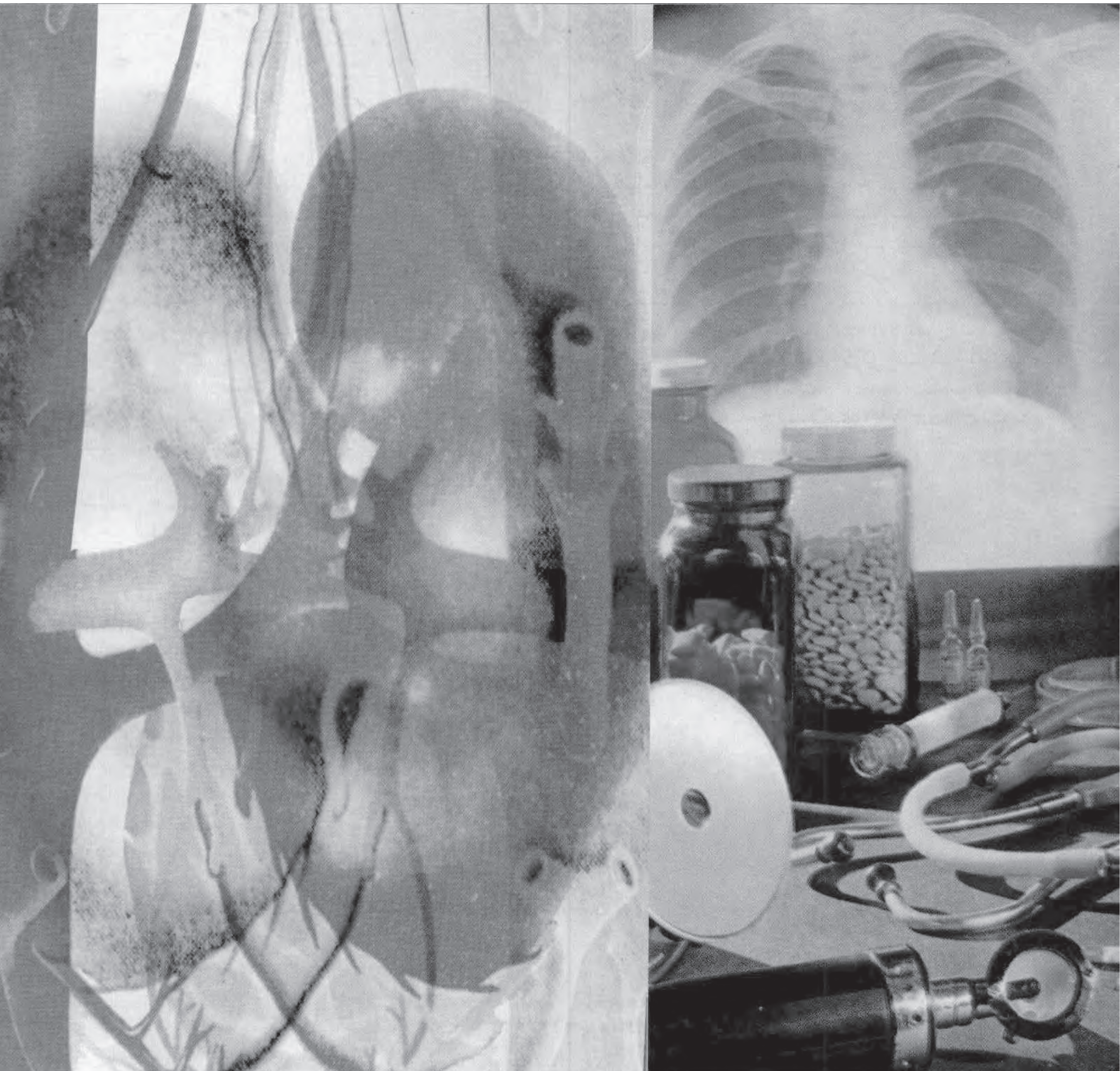
* خلو جسم المتبرع من الالتهابات الجرثومية الحادة.
* أن يكون العضو المُتَبَرَّعُ به سليمًا وخاليًا من الأمراض.
* أن لايكون المُتَبَرِّعُ - قبل موته - مصابًا بأمراض سارية مثل نقص المناعة (الإيدز) أو مرض الالتهاب الكبدي الوبائي من نوع (ب) أو مرض الدرن.
* أن لايكون المتبرع مصابًا بمرض خبيث خوفًا من انتشار نمواته في العضو المراد نقله، ويستثنى من ذلك الأورام السرطانية غير الانتقالية في المخ.

مراكز حفظ الأعضاء

تواجه عمليات زرع الأعضاء مشكلة عدم توافر عدد كاف من المتبرعين لمواجهة الأعداد المتزايدة من المرضى؛ مما يتطلب عمل حملات توعية صحية في دول العالم حول أهمية التبرع بالأعضاء بعد الموت، وتُوزَّعُ حاليًا في الولايات المتحدة وأوربا وكندا استمارات خاصة بالتبرع تحفظ بعد ملئها كإحدى وصايا المتبرع بعد موته، وتوجد مراكز حفظ الأعضاء في مناطق عديدة في العالم، تُجمع فيها الأجزاء المُتَبَرَّعُ بها من جثث الموتى، وتصنف وتسجل البيانات حول المتبرعين فيما يخص الزمرة الدموية والاختبارات السيريولوجية للدم ومن بينها تصالب الخلايا الليمفاوية Terasaki lymphocyte matching وتُحفظ هذه المعلومات في سجلات خاصة؛ لاستخدامها في تحديد أفضل المرشحين للزرع؛ بهدف زيادة فرص نجاح العضو المزروع في التأقلم في مكانه الجديد في جسم المريض، وقيامه بوظيفته الطبيعية. وتتخصص بعض المستشفيات بزراعة عضو واحد أو أكثر.

قرنية العين

كانت قرنية العين أول الأعضاء التي جُرِّبَتْ زراعتها في الإنسان، ولقد نجح الطبيب فون هيبل Von Hippel عام ١٨٨٨م في أول عملية زرع قرنية عين مريض، ثم تمكن العالم زيرم Zirm من نقل طعم قرنية عين بثخانته الكاملة من ميت إلى مريض، وأكَّد على أهمية تطبيق مباديء أساسية معينة في عمليات الزرع، شملت ضرورة استعمال طعوم جديدة من القرنية والحاجة إلى خياطتها في عين المريض، وتوفير ظروف معقمة أثناء عملية الزرع واستعمل هذا العالم أداة آلية للثقب تشبه ثاقبة الفلين لاستئصال القرنية من عين الميت، وتُحفظ قرنيات العين المفصولة من الموتى عادة في محلول خاص على درجة حرارة تتراوح بين ٥و٨ْم لفترة ١٥ يومًا قبل شحنها على درجة حرارة ٤ْم إلى مكان الزرع لاستعمالها في إنقاذ حاسة البصر



الطب يحمل كل يوم تقدمًا جديدًا في مجال زراعة الأعضاء البشرية

للمرضى الذين يعانون من حالة تعتيم القرنية أو تظليل فيها، وتُجرى عملية زرع قرنية العين في دول كثيرة من العالم ونتائجها جيدة.

الكلى

في مطلع الخمسينيَّات من هذا القرن أجرى الأطباء تجاربهم الرائدة في زراعة الكلى المأخوذة من الأموات، ونجح الطبيبان لاند ستينر Land-steiner وهوفانجيل Huffangel من مستشفى بيتر بنت بريجام Peter Bent Brigham Hospital لأول مرة في زرع كلية ميت في جسم مريض، ثم نشر العالم لاولير Lawler ومعاونوه بعد ذلك تقريراً عن زرع كلية من ميت لشخص عانى من مرض كلوي عديد التكيس Poly Cystic renal discose، وكان عدد كبير من العلماء ينظر إلى هذه العمليات على أنها مجرد محاولات لا جدوى منها، ثم تغير هذا الاعتقاد بعد ذلك وأصبحت عملية ناجحة لعلاج القصور الكلوي المزمن غير القابل للشفاء، ووصلت نسبة نجاح عملية زرع الكلى المتبرع بها بعد الموت حوالي ٧٠٪ .

يُنقل المتبرع بعد حدوث الموت الدماغي Stem brain death إلى غرفة العمليات الجراحية لاستئصال كليتيه بحذر شديد في ظروف معقمة ثم تحقن بمحلول رينجر Ringer المحتوي على الهيبارين والزيلوكائين على درجة حرارة ٤ْم، ويفيد المركب الأول في منع تكوُّن الخثرات الدموية، ويساعد الثاني في تفادي انقباض الأوعية الدموية في الكلية، ويجب

تبريد الكليتين المستأصلتين من المتبرع قبل مضي ساعة من موته تفاديًا لحدوث حالة نقص التروية الدموية Is- chemia فيهما والتي تقلل فرص نجاح عملية الزرع، ثم تُخزن الكلى المفصولة في وعاء معقم داخل الثلاجة فترة لاتزيد عن ٧٢ ساعة، وتُستخدم حاليا طرق أخرى للاحتفاظ بحيوية الكلى بعد استئصالها من المتبرعين عقب موتهم، ويتزايد اهتمام الأطباء باستعمال الكلى المتبرع بها من أشخاص أصيبوا بالموت الدماغي، لدرجة وصلت إلى نحو نصف العدد الكلي لعمليات زرع الكلى.

القلب

أجرى الجراح كريستيان برنارد Christian Bernard رائد زراعة القلب في العالم عام ١٩٦٧م، أول عمليات زرع قلب بشري مأخوذ من مُتبرع في إحدى المستشفيات بمدينة الكاب في جنوب أفريقيا، ثم قام الأطباء بعد ذلك بأكثر من مائة عملية زرع قلب خلال موجة الحماس التي واكبت أول نجاح لها ، ويوجد حاليًا عدة مراكز متخصصة في زراعة القلب في العالم، وتعيش أعداد متزايدة من الناس بقلوب نُقلَتْ إليهم من متبرعين كانوا غالبًا من ضحايا الحوادث.

الكبد

منذ ربع قرن ونيِّف حظيت عمليات زرع الكبد بالمزيد من اهتمام العلماء، وقام الدكتور توماس سترزل Thom- as Starzl عام ١٩٦٣م بأول عملية نقل كبد من متبرع كان ضحية حادث إلى مريض بمدينة دنفر في الولايات المتحدة، ثم ازداد عدد عمليات الزرع وبلغ ٥٤٠ عملية خلال العشرين سنة الواقعة بين ١٩٦٣و١٩٨٣م، وانتقل نشاط زرع الكبد من دنفر إلى بطرسبرج بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة، وثلاثة مراكز طبية أخرى هي كامبردج وهانوفر في إنجلترا وجرونجن في هولندا ويوجد فيها فرق طبية متخصصة في هذه العملية، وازداد عدد عمليات زرع الكبد في العالم بعد زيادة نسبة نجاحها وبلغت تكاليف الواحدة منها ما لايقل عن ٧٠ ألف دولار أمريكي، وتشمل تكاليف العملية الجراحية وما قبلها، ونفقات الرعاية الصحية للمريض بعد عملية الزرع.



صورتان لإجراء عملية إزالة ماء أبيض وزرع عدسة داخل عين أحد المصابين في مستشفى الملك خالد بحائل (واس) ولأن العديد من القراء

الجلد

استعمل الأطباء مساحات من جلد متبرعين بعد الموت كغطاء حيوي مؤقت لجروح ناشئة عن حروق شديدة، بدلاً من الضماد العادي بهدف تقليل فقد السوائل المحتوية على العناصر الغذائية من الجروح، وتقليل فرص حدوث الالتهابات الجرثومية فيها ومن ثم زيادة فرص شفاء المرضى، ونجح العلماء حديثًا في استنبات خلايا مأخوذة من جلد ميت في المختبر استعملوها في تغطية جروح مصاب بحروق شديدة، ثم استخدم فريق طبي أمريكي مساحات من جلد جثة ميت في التغطية المؤقتة لجروح تركتها حروق بعد أن عُملَتْ فيها ثقوب صغيرة وُضعَت فيها طعوم مأخوذة من جلد المريض نفسه، ونجحت هذه الطريقة في علاج مصابين بحروق وصلت نسبتها نحو ٩٠٪ من مساحة الجسم ، ثم انفصل الجلد المؤقت تلقائيًا بعد نمو وزيادة مساحات الطعوم الجلدية للمريض نفسه. وتوجد في العالم العديد من مراكز حفظ الأعضاء التي تخزن جلودًا بشرية متبرعًا بها في صورة مجمدة داخل عبوات خاصة لاستعمالها في عمليات الزرع ثبتت فائدتها للمصابين بالحروق.

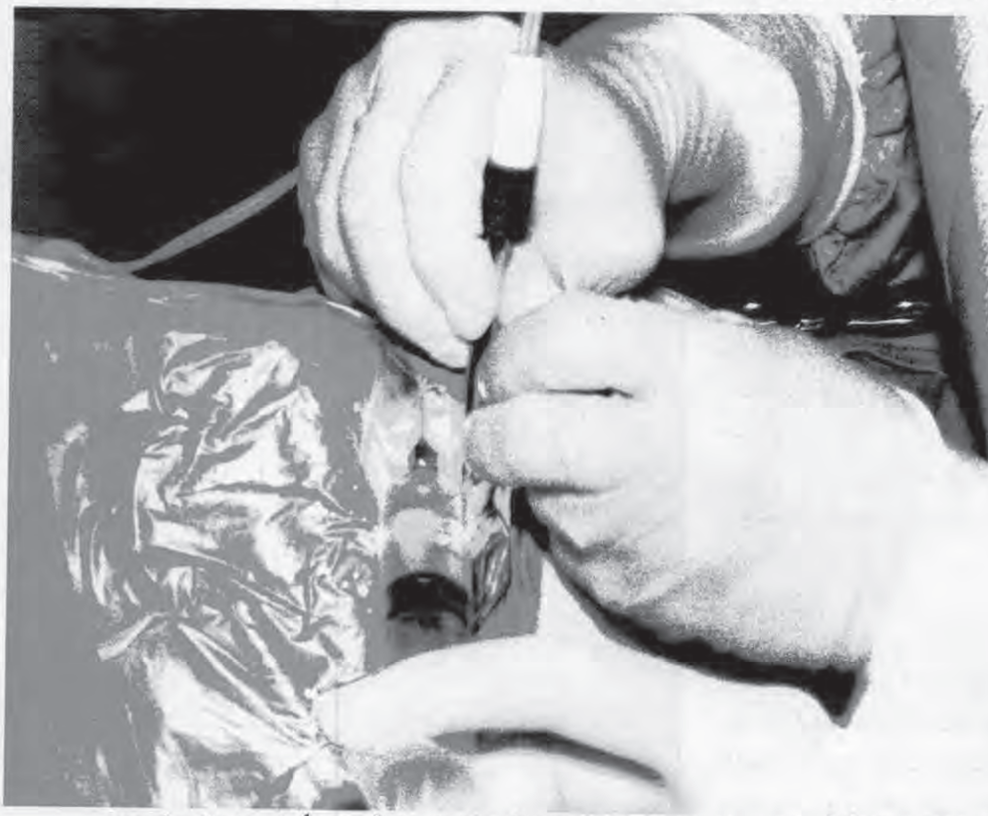
دسامات القلب

يستخدم الأطباء أحيانًا دسامات قلب مأخوذة من متبرعين بعد موتهم بديلاً للتالف منها للمرضى وبخاصة الدسام التاجي، وبدرجة أقل الدسام الأبهري والدسام الرئوي لصعوبة الحصول عليهما، وهناك شكوى حول قدرة دسامات القلب cardiac valves المنقولة للمرضى على العمل بشكل جيد لفترة طويلة، لذا يُفضل استخدام الدسامات الصناعية Pros thetic Valves المصنوعة من اللدائن أو المستأصلة من الخنازير.

الرئتان

واجهت عمليات الزرع الأولى للرئتين في الإنسان صعوبات كبيرة؛ مما دفع الأطباء إلى القيام بزرع الرئتين والقلب في وقت واحد لزيادة فرص نجاحها، وبدأت التجارب الرائدة لهذه العملية المزدوجة في أواخر الستينيات من هذا القرن في عدة مراكز طبية متخصصة في العالم، ولسوء الحظ مات جميع المرضى الذين أُجريت لهم

هذه العملية، ثم نجحت لأول مرة زراعة القلب والرئتين معًا في حيوانات التجارب بالمركز الطبي لجامعة ستانفورد بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة، ثم توقفت بعد ذلك زراعتها في الإنسان إلى حين نجاح زراعة القلب البشري، وقبل سنوات قليلة نجح فريق طبي أمريكي مكوّن من أحد عشر عضواً في زرع قلب ورئتين معًا



لا يحتملون رؤية الدماء، ونظرًا لأهمية الصور بالنسبة للموضوع، فقد تدخل المخرج الفني للمجلة وأجرى تغييرًا على بعض ملامح الصورتين

لعشرة مرضى عانوا من داء رئوي حاد وخطير، وكانت فرص حياتهم ضئيلة قبل هذه العملية، وعاش أولئك المرضى بعد الزرع فترة تراوحت بين شهرين وسنتين فقط، واستمرت هذه الطريقة في طور التجارب إلى وقت قريب ثم نُشرت تقارير طبية عن نجاح زراعة الرئتين وحدها للإنسان.

العظام والغضاريف

جرب الأطباء استعمال عظام مأخوذة من متبرعين بعد الموت في حالات الاستعاضة في الركبة Knee replacement أو كبدائل في مفصل الورك Hipe replacement، واكتشفوا أن البدائل الصناعية تتفوق في مزاياها على هذه العظام ، واستخدمت غضاريف من جثث الموتى على نطاق تجريبي، ويستعمل الأطباء حاليًا في جراحتي التجميل والترميم في الإنسان غضاريف مصنوعة من الكولاجين Collagen المستخلص من جلود بعض الحيوانات كالأبقار والخنازير وهي ذات نتائج جيدة .

ظاهرة رفض الزرع

من أكبر المخاطر التي تواجه عمليات زرع الأعضاء البشرية حدوث ما يسمى مرض رفض الجسم للطعم المزروع Graft Versus host disease نتيجة ردود فعل المناعة الطبيعية في جسم الإنسان، ويزداد معدل حدوث أعراضه الحادة والمزمنة مع كبر عمر المريض، ويحدث في حالة عدم التوافق النسيجي بين المتبرع والمريض، وتقل حدة أعراضه المرضية عند وجود رابطة قرابة أسرية بينهما، وتصل إلى حدها الأدنى في التوائم غير المتماثلة الناتجة من تلقيح بويضتين في رحم الأم، وتختفي ظاهرة رفض الزرع تمامًا في حالة التوائم المتماثلة الناشئة من تلقيح بويضة واحدة تم انقسامها ولا تظهرعند نقل الأنسجة من مكان إلى آخر في جسم المريض نفسه، وتحدث أعراض رفض الزرع نتيجة مهاجمة كريات الدم البيضاء من نوع «ت» خلايا العضو المزروع لأنها مواد غريبة عنها، وهذه الخلايا مسؤولة عن حدوث معظم حالات رفض الزرع المبكر مثل زرع القلب أو الرئتين أو الكلية أو الكبد وغيرها، وقبل إجراء عمليات الزرع تُجرى اختبارات سيرولوجية Serological tests لدم المريض والمتبرع لتحديد درجة التماثل النسيجي بينهما، ويرتفع معدل نجاح تأقلم العضو المزروع في الجسم عند وجود تماثل في أجسام التضاد لكريات الدم البيضاء Human leucocyte antigens بين المتبرع والمريض.

أدوية ضد رفض الزرع

يستعمل الأطباء في عمليات زرع الأعضاء أدوية عديدة لتثبيط العوامل المسؤولة عن المناعة الطبيعية في جسم المريض، ثم الوقاية من رفض الجسم للعضو المزروع، وعرفت في البداية المركبات الكوريكوستيروئيدية Corticosteroids مثل بريدنزون prednsone ثم مركب أزاثيوبرين Azathioprine ، ثم اكتشف العلماء في مطلع الثمانينيّات من هذا القرن عقاراً جديدًا يعرف بـ سيكلوسبورين أ Cyclosporin A يتفوق في مزاياه على الأدوية الأخرى فيستطيع إيقاف نشاط كريات الدم البيضاء من نوع «ت» المسؤولة عن خاصية رفض الزرع دون أن يحطمها فلا يؤثر سلبيًا على جهاز المناعة الطبية للجسم ودفاعاته ضد الجراثيم المرضية، لأن المركبات الستيروئيدية تترك جسم المريض دون نظام دفاعي ضد الأجسام الدخيلة عليه، وهي مشكلة خطيرة واجهت المرضى الذين أجريت لهم عمليات زرع قبل اكتشاف السيكلوسبورين، لكن الإفراط في تناول المركب الأخير يؤدي إلى حدوث تسمم كلوي على مستوى الوحدة المرشحة في الكلية Nephron، ويمكن تقليل أضراره إلى أقل حد ممكن بضبط مقدار الجرعات المعطاة منه للمريض، ومراقبته بدقة خلال فترة استعماله، وقد أحدث هذا العقار تطوراً رائعًا

في مجال زراعة الأعضاء.

رأي الاسلام

لم يعارض الإسلام عملية التبرع بالأعضاء البشرية بعد الموت لزراعتها للمرضى، ونشرت إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية قرار هيئة كبار علماء المسلمين رقم ٩٩ بتاريخ ١٩٨٢/٨/٢٥م بجواز التبرع بالأعضاء وهذا نصه: «إجماع رأي العلماء في جواز نقل عضو أو جزئه من إنسان حي مسلم أو ذمي إلى نفسه إذا دعت الحاجة إليه وأُمِن الخطر في نزعه وغلبَ على الظن نجاح زرعه»

كما قرر بالأكثرية ما يلي: «أ - جواز نقل عضو أو جزئه من إنسان ميت غير مسلم إلى مسلم إذا اضطر إلى ذلك وأمنت الفتنة في نزعه ممن أخذ منه وغلب على الظن نجاح زرعه فيمن سيزرع له.

ب - جواز تبرع الإنسان الحي بنقل عضو أو جزئه إلى مسلم مضطر لذلك».

التبرع بعد موت الدماغ

تتعالى النداءا ت لتشجيع أقارب المصابين بموت الدماغ Stem brain death للتبرع بأعضاء منهم لإنقاذ حياة مرضى في حاجة إليها، فالمصاب بموت الدماغ هو ميت في عرف الأطباء بعد توقف دماغه نهائيًا ولا رجعة فيه عن القيام بوظائفه الحيوية، وتستطيع أجهزة الإنعاش الحديثة المحافظة على وظائف قلبه ورئتيه وأعضاء حشوية أخرى ساعات أو أيامًا وقد تمتد شهوراً بعد حدوث حالة موت الدماغ، وتحدث هذه الحالة نتيجة أسباب عديدة تؤدي إلى توقف وصول غاز الأوكسجين أو سكر الدم أو كليهما فترة طويلة إلى المخ تبلغ نحو ٤ دقائق أو أكثر، أو نتيجة حدوث تلف في أنسجة المخ بفعل إصابة


أحد علماء الأبحاث الطبية يعرض رقيقة من الأدمة (الجلد) الصناعية أمكن تطويرها في أحد المختبرات لكي تستخدم في عمليات زرع الجلد

شديدة في الجمجمة، وهناك اختبارات سريرية دقيقة يجريها الأطباء لتشخيص حدوث حالة موت الدماغ، فالمصاب بها لا يستطيع البقاء حيًا دون الاعتماد على جهاز التنفس الصناعي، ولا يُظهر جهاز رسم المخ E E G أي نشاط كهربائي؛ نتيجة عدم وجود دورة دموية فيه، ويتوسع بؤ بؤ عين المصاب ولا يبدي ردود فعل انعكاسية للمؤثرات الخارجية والمنبهات كالوخز والأصوات العالية، ولا يتأثر قطر بؤبؤ العين عند تعرضه لضوء شديد، وهناك فتوى شرعية تجيز التبرع بأعضاء المصاب بموت الدماغ، ولقد أصدر مجلس الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الثالث في عمان بالمملكة الأردنية الهاشمية بتاريخ ١٦/١٠/١٩٨٦م - بعد مناقشة سائر المسائل المثارة حول استعمال أجهزة الإنعاش والاستماع إلى شرح مستفيض من الأطباء المتخصصين - قراره التالي: يعتبر شرعًا أن الشخص قد مات وتترتب جميع الأحكام المقررة للوفاة عند ذلك إذا تبينت منه إحدى العلامتين التاليتين:

١- إذا توقف قلبه وتنفسه توقفًا تامًا، وحكم الأطباء أن هذا التوقف لا رجعة فيه.

٢- إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائيًا وحكم الأطباء المتخصصين أن هذا التعطل لا رجعة فيه وأخذ دماغه في التحلل، في هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص وإن كان بعض الأعضاء كالقلب مثلاً لاتزال تعمل آليًا بفعل الأجهزة المركبة.



عملية زرع كلية في أحد المستشفيات الوطنيةبالمملكة العربية السعودية

بين الحاضر والمستقبل

أصبحت عمليات زرع الأعضاء في الإنسان وسيلة فعالة لا غنى عنها لإنقاذ حياة أعداد متزايدة من المرضى المعرضين لخطر الموت نتيجة عوامل عديدة مثل زيادة المعلومات حول ظاهرة رفض الزرع، واكتشاف أدوية فعالة مثبطة للمناعة الطبيعية في الجسم، واستعمال المجهر الجراحي في مفاغرة الأوعية الدموية للعضو المتبرع به في مكانه الجديد، واختيار الأعضاء المراد زراعتها بعد التأكد من التوافق النسيجي بين المتبرع والمريض، وتوافر رعاية صحية أفضل للمريض قبل الزرع وبعده. ويتوقع الأطباء التوسع في عمليات زرع الأعضاء بعد زيادة قبول أعداد متزايدة من الناس فكرة التبرع بالأعضاء بعد حدوث موت الدماغ لمرضاهم.

المراجع العلمية

1- ACHAUER ' B.M. ET AL (1986).
LONG - TERM SKIN ALLOGRAFT SURVIVAL AFTER SHORT - TERM CYCLOSPORIN TREATMENT IN A PATIENT WITH MASSIVE BURNS. THE LANCET' VOL. I JAN. 4, P.14.

2- AUSU (1986).
CYCLOSPORIN FOR EV.? EDITORIAL. THE LANCET VOL.I. FEB. 22, 41.

3- CASON , V.S (1981).
TREATMENT OF PURNS.
CHAPMAN AND HALL, LONDON, ENGLAND.

4- CAPLAN , H.L (1984).
ETHICAL AND POLICY ISSUES IN THE PROCUREMENT OF CADAVER ORGANS FOR TRANSPLANTATION.
NEW ENGLAND J. MED 311 (IS) 981.

5- CAMPBELL, M.F. AND HARRISON, J.H. (1970).
UROLOGY VOK. 3 P. 224, W.B. SAUNDERS CO, LONDON , ENGLAND.

6- HEFTON, J.M. ET AL (1983).
GRAFTING OF PURN PATIENTS WITH ALLOGRAFTS OF CULTURED EPIDERMAL CELLS.
THE LANCET, VOL.II AUGUST 2i 428.

7- GOLDBERGER , E (1982).
TEXTBOOK OF CLINICAL CARDIOLOGY. P.503.
THE C.V MASBY CO. , LONDON , ENGLAND.

8- HURST, V.M ET AL (1986)
THE HEART . P. 20,62 - 68, 6th ED.
VALVES CADAVER GRAFTS
P. 325 -331, 686 - 8.
MCGRAW HILL, INC., LONDON.

9- JAMIESON , S.W ET AL (1983)
COMBINED HEART AND LUNG TRANSPLANTATION
THE LANCET VOL.I, 21 MAY, P. 113

10- JEFFRY, J.R., CHEUNG, K., MAASNIUK, J., TAYLOR, O. (1984).
MIXED LYMPHOCYTE CULTURE RESPONSES LACK OF CORRELATION WITH RENAL ALLOGRAFT SURVIVAL AND BLOOD TRANS FUSIONS
TRANSPLANTATION٤٥ - ٤٢٣٨، ١٩٨٤.

11- O'CONNOR , N.E. ET AL (1984)
PERMANENT COVERAGE OF LARGE BURN WOWNDS WITH CUTOLGUS CULTERED HUMAN EPITHELIUM.
NEW ENGLAND J.MED 290, P. 269 - 71.

12- ORMAN , S., (1981)
CLINICAL HEART DISEASE P. 33
WILLIAM HEINEMANN MEDICAL BOOK LTD, LONDON, ENGLAND.

13- SHERLOCK , D.S . (1983).
HEPATIC TRANSPLANTATION, THE STATE OF PLAY LANCET, OCT. 1, 1983, P. 778.

14- WALSH, P.C. ET AL (1986)
CAMPELL'S UROLOGY. VOL. 2 2534
W.B. SAUNDERS CO. ' LONDON '
ENGLAND

15-WYNGAARDEN' J.B.L. SMITH, L.H (1985)
CECIL,S TEXT BOOK OF MEDICINE . P. 1981 - 1982
W.B. SAUNDERS CO. ' LONDON '
ENGLAND.

التلسكوب هابل
قبل عملية الصيانة الفضائية وبعدها

م. سليمان القرطاس

أنهت وكالة الفضاء الأمريكية أواخر العام الماضي عملية تُعدُّ من أهم إنجازاتها خلال العقد الحالي، وهي الرحلة المسماة sts-61، التي تم فيها إصلاح المقراب (telescope) الفضائي هابل، وقد حاز هذا الحدث على اهتمام علمي وإعلامي واسع.. لكن ما تلسكوب الفضاء هابل؟



مكوك الفضاء أنديفور ينطلق إلى المدار في الرحلة STS- 61 (المصدر NASA)

البداية

تعود فكرة مقراب الفضاء هابل إلى نهاية الستينيات، حيث أجرت عدة جامعات أمريكية دراسات حول وضع تلسكوب في الفضاء.

إلا أن أول دراسة فعلية أجرتها الإدارة الوطنية للفضاء والطيران الأمريكية «ناسا» في هذا المجال تمت في نهاية ١٩٧١م، لدراسة جدوى وضع تلسكوب بمرآة مقعرة بقطر ٣ أمتار في الفضاء، وأظهرت الدراسة الفوائد والإمكانات الكبيرة التي يمكن تحقيقها في علم الفلك، وقد أطلق عليها اسم مشروع المقراب الفضائي الكبير (Large Space Telescope).

واستكمالاً لهذه الدراسة، وبعد عام، وُضِعَ التصميم المبدئي الذي أظهر وجود مشاكل تقنية في تصنيع مرآة بهذا القطر، وأوصت الدراسة بتخفيض هذا القطر إلى ٢.٤ متراً.

الإتفاق

شهد عام ١٩٧٧م موافقة وكالة الفضاء الأوروبية على المساهمة في هذا البرنامج واعتماد الموافقة على ميزانية هذا المشروع، وكانت المساهمة الأوروبية تشمل أحد أجهزة التلسكوب العلمية الخمسة والأجنحة الشمسية المولدة للطاقة الشمسية بالإضافة إلى طاقم أرضي لعمليات تشغيل التلسكوب.

كما تم في العام نفسه الإتفاق بين ناسا وشركتين إحداهما لتطوير المركبة وتصنيع الأنظمة المساعدة والتجميع والفحص، والأخرى لتصميم الأنظمة البصرية.

واختارت الوكالتان مجموعة من العلماء والمختصين للإشراف على التصميم والتشغيل الأولي للمشروع، والإعداد لتشكيل إدارة علمية مسؤولة عن عمليات تشغيل المقراب وإعداد المعلومات المستلمة وحفظها.

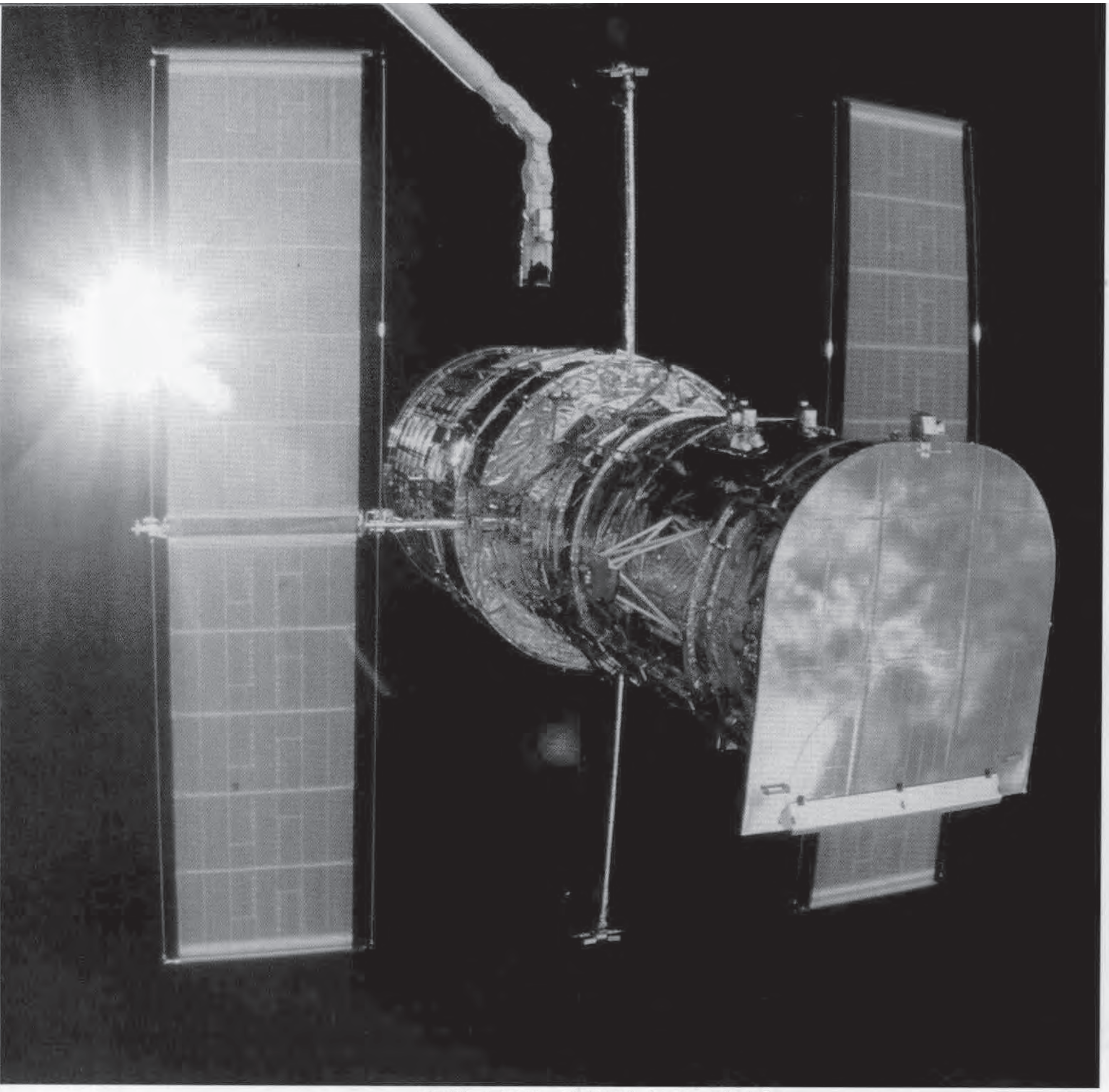
وفي نهاية عام ١٩٨٣م تم إعادة تسمية المركبة باسم العالم الفلكي الأمريكي أدوين ب. هابل (١٨٨٩-١٩٥٣م) تقديراً لبحوثه وإنجازاته في علم الفلك.

وتم تأجيل إطلاق المركبة عدة مرات؛ نتيجة مشكلات في أنظمتها أو بسبب تأخير في برنامج المكوك انتهت مؤخراً بإطلاقه في ٢٥ أبريل ١٩٩٠م بوساطة مكوك الفضاء ديسكفري، ولكن خلال الصور الأولى ظهر أن هناك تشوهاً في المرآة الرئيسية أدى إلى ضعف الصور بمقدار النصف.

وكان تصميم المركبة قد وُضِعَ لكي تعمر ١٥ عاماً من خلال استبدال معداتها وأجهزتها العلمية أو المساعدة التي وضعت على شكل أدراج يتم سحبها واستبدالها بوساطة رواد المكوك، أو استبدال أجنحتها الشمسية، أو ملء خزان الوقود الخاص بحفظ استقرار واتزان وإجراء عملية توجيه المقراب هابل، فقد سهل ذلك إعداد الخطط لإصلاحه في الفضاء.

من يستخدم التلسكوب؟

معظم البحوث والتجارب



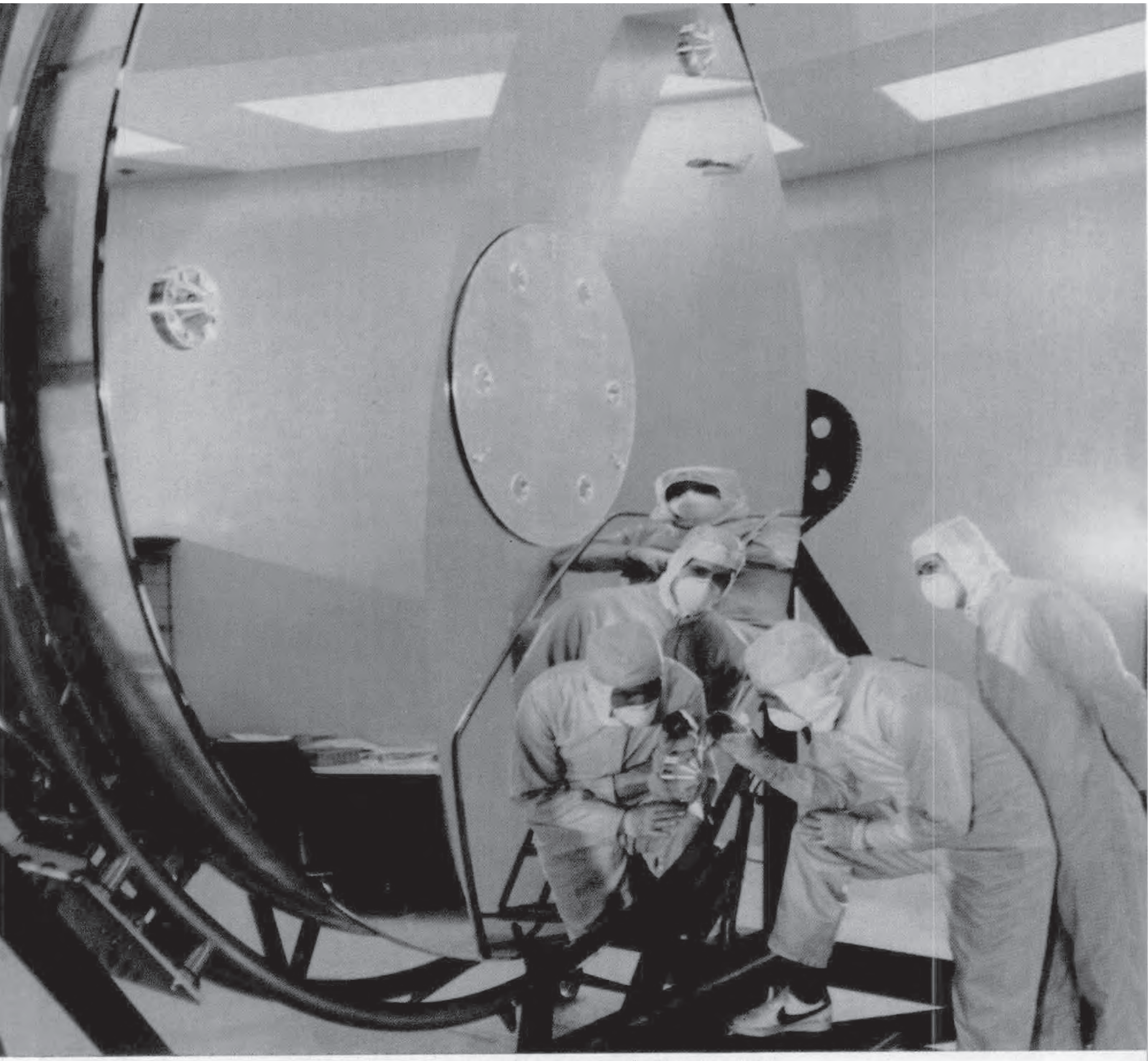
الذراع الآلي يمتد للإمساك بالمركبة التلسكوب هابل (المصدر NASA)

الفضائية تكون مقصورة عادة على فريق من الباحثين القائمين على تطوير الأجهزة، وبالنسبة للمركبات الحاملة لأجهزة فلكية فتكون المعلومات المستقاة مقصورة على مجموعة من الباحثين في مجال علم الفلك، الا أن التلسكوب الفضائي هابل، ورغبة من وكالة الفضاء الأمريكية في الاستفادة المثلى منه فإنها تعلن أنها تفسح المجال لجميع الباحثين في معظم أنحاء العالم لتقديم طلباتهم لمراقبة الأجسام السماوية مع إيضاح الهدف من هذه الدراسة، وأسباب عدم التمكن من تحقيقها من المراصد الفلكية الأرضية؛ وعند الموافقة عليها يخصص لها الوقت اللازم ويكون الباحث مسؤولاً عن تقديم نتائج الدراسة بعد عام.

كيفية الرصد

تحمل المركبة حاسوبًا يسيطر على عملية التحكم بوضعه وتوجيهه في الفضاء، بالإضافة إلى تحكمه في خزن المعلومات الملتقطة من كل جهاز من أجهزته الخمسة، لكن المدار الذي يدور فيه هابل على ارتفاع ٥٩٥ كيلو متراً يجعله يكمل دورة حول الأرض كل ٩٥ دقيقة؛ مما يجعل الجسم السماوي المطلوب رصده يُرْصَد خلال فترة زمنية قصيرة.

لذلك تستخدم عدة برامج حاسوب لإطالة تلك الفترة من خلال التحكم بوضع المركبة. ومع ذلك فإن الكثير من الأرصاد لا يمكن استيفائها إلا بعد عدة دورات للمركبة حول الأرض، أي عدة فسحات من الرصد.



المرآة الرئيسة العملاقة للتلسكوب هابل ذات الخلل البصري (المصدر Perkin Elmer)

نظام التلسكوب البصري

التلسكوب في شكله الأسطواني البالغ طوله ١٣,١ مترًا ووزنه البالغ ١١ طنًا، يحتوي في مقدمته النظام البصري ويتألف من فتحة لدخول الضوء محمية ببوابة تغلق عند تغيير اتجاه الرصد ومروره باتجاه الشمس؛ لأن دخول أشعة الشمس إليه سيسبب تعطل الأجهزة الحساسة، وبواجهت ٥ مرآة مقعرة بقطر ٢.٤ مترًا تزن ٨٢٦ كيلو جرامًا تعكس الإشعاع إلى مرآة أخرى، تعكسه بدورها ليدخل إلى المستوى البؤري عبر فتحة في المرآة الكبيرة.

أجهزة التلسكوب البصرية

١- جهاز التصوير الكوكبي ذو المجال الواسع

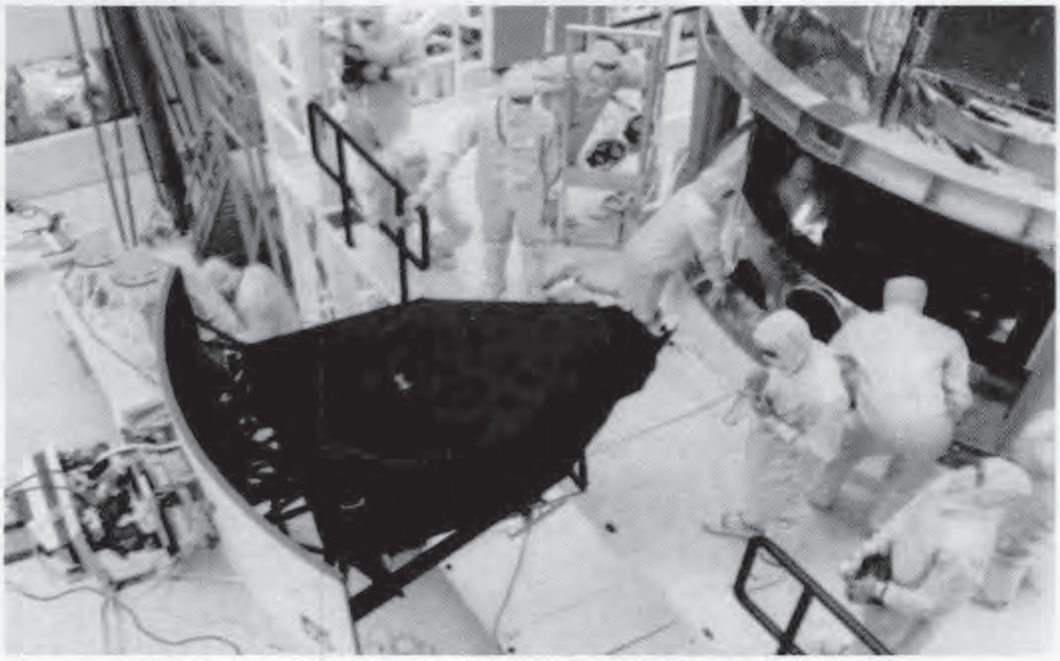
هو عبارة عن جهازي تصوير في جهاز واحد وبإمكانه التقاط صورة لمنطقة مربعة ضلعها يساوي عُشر قطر القمر، وبإمكانه عند تصوير الأجسام البعيدة تصغير زاوية التصوير بمقدار مرتين ونصف، وبدرجة تمييز أفضل من الطريقة الأولى، ويمكن تصوير شريط من السماء بهذا الجهاز تظهر فيه المجرات البعيدة والكوازارء، كما يمكن التقاط صور أكثر وضوحًا من الصور الملتقطة بأفضل المراصد الأرضية للكواكب السيارة ماعدا عطارد الأكثر قربًا من الشمس لاحتمال أن تؤدي أشعة الشمس إلى تخريب التلسكوب.

ويقوم هذا الجهاز باستشعار الضوء المُجَمَّع بوساطة المقراب إلى شكل هرمي من أربع مرايا ثم يوجه هذا الهرم الضوء إلى مجموعة من دوائر CCD (دوائر ألكترونية من السليكون تحول الضوء إلى إشارات كهربائية حسب تردد الضوء المُسْتَلَم) كما يحوي ٥٠ مرشحة

ضوئية لتساعد في تحليل الضوء المستلم.

٢- جهاز تصوير الأجسام الباهتة

وتم تطويره من قبل وكالة الفضاء الأوربية، وهذا الجهاز أكثر حساسية وسرعة التقاط من الجهاز الأول في مدى الطيف المحصور بين الأزرق وفوق البنفسجي وهو بطول موجي أقصر من ٤٥٠٠ أنجستروم لذلك فهو أفضل أجهزة التلسكوب تمييزًا، إذ يستطيع تصوير أجسام سماوية باهتة ذات ضوء أضعف ٢٤مرة من تلك التي تستطيع التقاطها أفضل



جهاز التصوير ذو المجال الواسع الجديد أثناء تركيبه في نموذج للمركبة هابل قبل الإطلاق (المصدر Lockheed)

المراصد الأرضية.

ويعمل الجهاز على تحويل الفوتونات إلى حزمة ألكترونية يتم إسقاطها على شاشة فسفورية (بمبدأ مشابه لمبدأ شاشة التلفزيون) تجعل الصور أكثر سطوعًا ١٠٠,٠٠٠مرة مما تستقبله من ضوء، ثم يتم مسح هذه الصور الفوسفورية بوساطة جهاز تصوير تلفزيوني.

أما الضوء الأكثر شدة فيتم منعه بوساطة مرشحات ليتم تصوير الأجسام السماوية ذات الضوء الضعيف فقط.

٣- مطياف الأجسام الباهتة

هو جهاز لتحليل طيف الضوء المتجمع من التلسكوب، وتفيد هذه المعلومات في التعرف على خواص المركبات الكيميائية للأجسام السماوية ودرجة حرارتها وسرعة دورانها حول نفسها ومجالها المغناطيسي، وهو يحلل الطيف للأجسام الأصغر من تلك التي يحللها المطياف عالي التمييز.

٤- مطياف جودارد عالي التمييز

يقوم بتحليل الضوء إلى مركباته الطيفية، ومنها يتم تحديد مركبات الجسم السماوي ودرجة حرارته وحركته وخواصه الكيميائية والفيزيائية الأخرى، ويختلف عن مطياف الأجسام الباهتة في أنه يركز على مدى الأشعة فوق البنفسجية ويمتاز من سابقه بدقة فصل وتحليل المركبات الطيفية في هذا المدى وهو غير حساس للضوء المرئي.

٥- متحسس التوجيه الصحيح

يؤدي هذا الجهاز دورين معًا فبالإضافة إلى دقة التوجيه المطلوب للتلسكوب التي يحققها فإن هذه الخاصية تمكنه من قياس المواقع بين النجوم بدقة كبيرة تقارب التوجيه على قطعة نقدية من فئة ربع الريال من بعد ٦٥٠ كيلو مترًا.

عملية الإصلاح

انتهت البحوث عن السبل المفضلة لمعالجة الخلل في النظام البصري في أن ذلك يتم من خلال استبدال اثنين من الأجهزة العلمية الخمسة، فجهاز التصوير ذو المجال الواسع سيُستَبدلُ بجهاز آخر مشابه من ناحية التصميم وبدقة أكبر وتم تحوير النظام البصري له لتعويض الخلل في المرآة الرئيسة. أما الأجهزة الثلاثة الباقية فسوف تستفيد من تركيب جهاز CO-STAR الذي سيأخذ مكان جهاز مقياس الجسيمات الضوئية عالية السرعة. ويرمي الجهاز الذي يحتوي مجموعة من مرايا التصحيح في مدخل الأجهزة الثلاثة إلى تعويض الخلل البصري في المرآة الرئيسة قبل دخول الضوء إلى هذه الأجهزة.

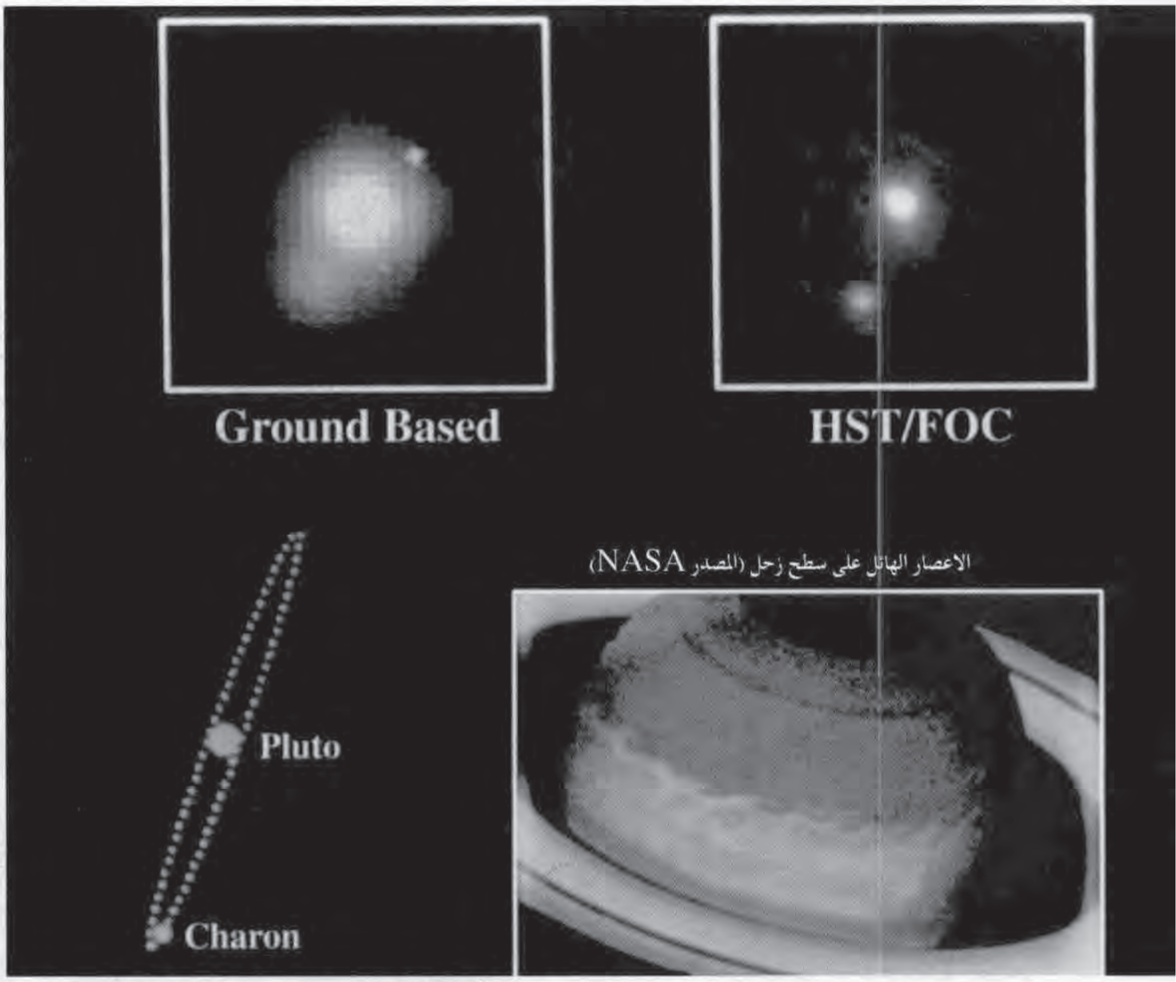
وتم تحديد بداية شهر ديسمبر ١٩٩٣م لقيام مكوك الفضاء برحلة لالتقاط التلسكوب في الفضاء، وبعد سلسلة مناورات مدارية تمكن رواد المكوك من الإمساك به بوساطة الذراع الآلي ووُضعَ التلسكوب في وضع عمودي في عنبر شحن المكوك، الذي تحول إلى ورشة عمل فضائية استبدلت فيه - إضافة إلى الأجهزة أعلاه - الأجنحة الشمسية وجهازا جيروسكوب وأحد الألواح الألكترونية ، واحتاجت عملية الصيانة إلى خروج رواد المكوك إلى الفضاء مدة ثلاثين ساعة.

وأكمل رواد المكوك الرحلة التي استمرت ١١ يومًا، وعاد المكوك بمؤشرات تدل على أن العملية قد تمت بنجاح ، لكن كان على مسؤولي ناسا الانتظار ما يزيد على ٦ أسابيع من ذلك التاريخ لكي يكون التلسكوب قادرًا على التقاط الصور الفلكية ومن ثم تقويمها والتوصل إلى النتائج الدالّة على مدى نجاح العملية.

وبعد أكثر من شهر وفي بداية العام الحالي عرضت وكالة الفضاء الأمريكية أول الصور الملتقطة بعد عملية الصيانة وقد أظهرت الصور نجاح عملية التصحيح ووضوح صور الأجسام السماوية.

إنجازات التلسكوب هابل قبل الصيانة

برغم الخلل في المرآة الرئيسة وما ذكر عن عدم الدقة المطلوبة في جهازي الجيروسكوب، فقد حقق هابل الكثير من الأرصاد، إذ حقق أول معلومة مفصلة عن المذنب المتوقع اصطدامه بالمشتري في يوليو



الاعصار الهائل على سطح زحل (المصدر NASA)

صورة توضح الفرق بين صورة هابل والصورة الملتقطة من المراصد الأرضية لكوكب بلوتو وتابعه جارون (المصدر NASA)

١٩٩٤م، فمن خلال صور التلسكوب تم تمييز ٢٠ جسمًا يتألف منها مذنب (شوميكر - ليفي ٩) تجعله يظهر كسلسلة من اللآلىء. وظهر أنه أصغر بكثير مما كان متوقعًا من خلال الصور الملتقطة من التلسكوبات الأرضية، وهذا يعني أنه سيحرر عُشر الطاقة المتوقعة سابقًا. فقد أشارت الصور الأرضية أن المذنب مكون من عدد من الأجسام على شكل عقد لؤلؤ قطر كل قطعة ٩ أميال محاطة بغبار نجمي، بينما أكدت صور هابل الأكثر دقة أن قطر كل قطعة هو ٣ أميال فقط، وتم التعرف على الغاز المحيط بالأجسام من خلال جهاز مطياف الأجسام الباهتة الذي أوضح وجود جزيئات هيدروكسيل.

ويتوقع الباحثون أن يؤدي اصطدام المذنب بالمشتري إلى انفجار يعادل ١٠٠ مليون ميجاطن من مادة تي - إن - تي وليس عشرة أضعاف هذا المقدار كما كان متوقعًا حسب الصور الأرضية؛ لذلك يتوقع الباحثون عدم تأثر الأرض بذلك. ومن المؤمل أن يقوم هابل بتصوير اصطدام المذنب بجو كوكب المشتري.

ومن خلال مراقبة المشتري بوساطة هابل لاحظ الباحثون تغيرات محسوسة عن المعلومات المرسلة من فوياجير (١ و ٢) عام ١٩٨٠ و ١٩٨١م وأظهرت الصور أن البقعة الحمراء الكبيرة التي جعلت الكوكب مشهورًا هي عبارة عن إعصار دائم يبلغ ضعف قطر الكرة الأرضية قد تحول إلى اللون البرتقالي - البني المعتم.

ومن خلال رحلة فوياجير التي مرت قرب المشتري تم التعرف على وجود نشاط بركاني على (أيو) أحد أقمار (توابع) المشتري وسمحت صور هابل باستمرار المراقبة له والتعرف على تفاصيل الانفجارات وكيميائية السطح وغلافه الجوي.

وأوضحت الصور للباحثين منطقة القطب الشمالي لكوكب زحل، والإعصار الهائل في الجو المضطرب للكوكب كما أوضحت نقاطًا بيضاء لامعة يعتقد أنها غيوم هائلة الحجم من بلورات النشادر رُفِعَتْ إلى أعلى بوساطة الريح العنيفة.

كما سمحت الفترة الماضية بمتابعة رصد الكوكب الأحمر (المريخ)، ومراقبة العواصف الترابية في جوه والتغيرات المناخية فيه. ودراسة كهذه مهمة في ترتيبات هبوط المركبات على سطح المريخ في القرن القادم إن شاء الله.

وأضاف هابل إلى المعلومات المتوافرة عن الكواكب البعيدة مثل أورانوس ونبتون وبلوتو، فمثلاً بلوتو الكوكب المعتم الذي يبعد عن الشمس ٣ بلايين ميل يظهر مع تابعه الكبير نسبيًا (جارون) الذي يدور حوله بمدار صغير نسبيًا هو (١١٨٠٠) كيلو متر فقط، بينما أظهرته الصور الملتقطة من أفضل المراصد الأرضية كجسم واحد بشكل مصباح التنجستن. ومن خلال جهاز تصوير الأجسام الباهتة المحمول على هابل التقطت أول صورة واضحة له ولتابعه. وهناك الكثير من الأرصاد التي تهم المختصين لامجال لذكرها في هذا المقال، ومن المؤمل أن يشهد عام ١٩٩٧م رحلة أخرى لصيانة المركبة هابل.

• الكوازار : أحد الأجسام السماوية الباهتة، ويعتقد أنها أبعد الأجسام السماوية وأكثرها إضاءة في السماء، وتبعد أكثر من ١٢ مليون سنة ضوئية، وذات إضاءة تصل إلى إضاءة ١٠٠ مجرة متجمعة.

المصادر

١- نشرة متخصصة صادرة عن NASA بعنوان STS - 61 Press Kit بتاريخ نوفمبر ١٩٩٣م.
٢- نشرة متخصصة صادرة عن NASA بعنوان First HST Servicing Systems بتاريخ أغسطس ١٩٩٣م.
٣- نشرة متخصصة صادرة عن NASA بعنوان Servicing History بتاريخ يونيو ١٩٩٣م.
٤- نشرة متخصصة صادرة عن Space Telescope Sciene Institute بعنوان Exploring the Universe With Hubble Space Telescope. دون تاريخ.
٥- نشرة متخصصة صادرة عن Lockheed بعنوان HST First Servicing Mission بتاريخ ديسمبر ١٩٩٣م.

الرّواية الأمريكية

نشأتها، وتطورها، واتجاهاتها

د. سميحة محمود كامل

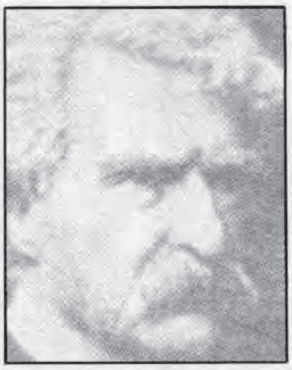
ازدهرت الرواية الأمريكية في القرن العشرين، إلا أنه ظهرت قبل ذلك عدة أعمال ذات قيمة، فكانت أول رواية أمريكية هي رواية (قوة التعاطف) التي كتبها وليم براون عام ١٧٨٩ م. إلا أن البعض يعد تشارلز براون (١٧٨٩ ــ ١٨١٥ م) هو أول روائي أمريكي، ثم جاء بعده جيمس كوبر، ثم جاء هوثورن (١٨٠٤ ــ ١٨٦٢ م) الذي أسس الرواية السيكولوجية حين كتب (الرسالة القرمزية) ورواية (المنزل ذو السبعة أسقف) ثم جاءت هاريت بيتشرستو بروايتها الشهيرة (كوخ العم توم) التي صدرت عام ١٨٥٢ م، وكانت صرخة لتحرير العبيد وساهمت في تأجيج نيران الحرب الأهلية . . .

ثم جاء في القرن التاسع عشر أيضا عدة أسماء لروائيين كبار مثل هيرمان ميلفيل (١٨١٩ ـ ١٨٩١ م) وكذلك مارك توين وهنري جيمس وهويل وفرانس هاريس. ثم ظهر قبل الحرب العالمية الأولى اسم أوبتون سنكلير ككاتب لرواية المشكلات الاجتماعية، إلا أنه كان دعائيا يهاجم مساوئ الرأسمالية من وجهة نظر اشتراكية مثلما فعل في روايته (الغابة) سنة ١٩٠٦ م. وظهر أيضا في تلك الفترة جاك لندن الذي كتب هو الآخر عن الصراع الطبقي. . ثم ازدهرت الرواية الأمريكية في العقد الثاني من القرن العشرين، أي بعد الحرب العالمية الأولى التي أحدثت هزة هائلة تصدع لها العالم القديم القائم على القيم الأخلاقية والروحية، وذلك تحت وطأة المادية والآلية في العالم الصناعي الجديد، وتفسخت العلاقات الإنسانية، وعرف الغرب الحرية الفردية التي وصلت إلى حد الانحلال الجنسي الذي وجدوا تبريرا له في كتابات فرويد، كما وجدوا في كتابات ثورو تمجيدا للحرية الفردية. . ووسط هذا الجو نشأ الجيل الضائع الذي عبر عنه كتاب الرواية الأمريكية وهم: أرنست هيمنجواي، وسنكلير لويس، وتيودور دريزر، وسكوت فيتز جرالد، وجون دوس باسوس، ووليم فوكنر، وتوماس وولف، وقبلهم كان شيروود أندرسون . . . والملاحظ على كتابات هؤلاء جميعا أنها كانت صيحة من أجل الحرية، حرية الفرد في التعبير عن نفسه . . . والملاحظ أيضا أن فرويد هو الذي أسهم في تشكيل القاعدة الفكرية لسنوات ما بعد الحرب، أي في العشرينيات؛ لأن كتابات فرويد عن الجنس والتحليل النفسي قدمت التفسير العلمي لما يريد أن يقوله الروائي من تحليلات نفسية للشخصيات التي يصورها. . أما العقد الثالث من القرن العشرين فقد كان فترة الكساد الاقتصادي، وهنا ظهر اسم آخر في سماء الرواية الأمريكية هو جون شتاينبك الذي استطاع أن يصور بصدق فترة الثلاثينيات هذه، والتي تراجع فيها تأثير فرويد، ليبرز مكانه تأثير كارل ماركس في الفكر والأدب. . .

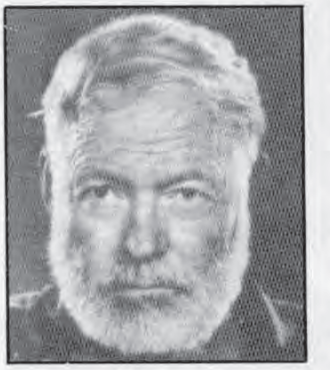
شيروود أندرسون

امتدت حياة شيروود أندرسون في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أي في فترة تحول أمريكا من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي، وقد شب في إحدى المدن الصغيرة في أوهايو، ومن هنا تعكس قصصه الحياة في المدينة الأمريكية الصغيرة. . وقد كانت شهرته واسعة وتأثيره كبيرا في العشرينيات. وأشهر رواياته هي **(واينسبرج أوهايو)**، وله أيضا **(ابن وندي ماكفرسون)** التي ظهرت عام ١٩١٦ م، وكذلك **(الضحك القاتم)** التي ظهرت عام ١٩٢٥ م، وأخيرا **(كيت براندون)** التي ظهرت عام ١٩٣٦ م . . . وله أيضا عدة مجموعات قصصية مثل **(انتصار بيضة)** التي ظهرت عام ١٩٢١ م، وكذلك **(جياد ورجال)** التي ظهرت عام ١٩٢٣ م. . كما ترجم لحياته في قصة: **(قصاص)** التي ظهرت عام ١٩٢٤ م.

الرواية الأمريكية
نشأتها، وتطورها، واتجاهاتها


مارك توين


وليم فوكنر


إرنست هيمنجواي

إنّ شيروود أندرسون في روايته (واينسبرج أوهايو) لم يَدّع أنه يرسم صورة تاريخية موضوعية، وإنما كان يكتب معبرا عن تجربته الخاصة بكل ما فيها من عمق وألم.. ولم يكن أندرسون في قصصه يصور لحظة معينة من لحظات النمو التاريخي في أمريكا، وإنما تعكس قصصه إحساسا عاما يشيع فيه الضياع.. وإن رواية (واينسبرج) ليست واقعية بمعنى نقل أوضاع اجتماعية على نحو ما نراه في قصص دريزر أو سنكلير لويس وإنما نجد هذه الرواية بمثابة تنويعات على موضوع الحقيقة والمظهر، أحداثها حول الفشل في الحب، وهي مجموعة من القصص أو الاسكتشات عن مدينة صغيرة فيها الشيوخ، وفيها الشباب القلق الذين لا يفهم بعضهم بعضا، ويبحثون عن الحب والفهم المتبادل، وتلفهم خيالاتهم المحبطة، ويلفظون أفكارا لا يصغي إليها أحد، والجميع تضمهم المدينة (واينسبرج)، تماما مثل المقبرة التي ضمت أبطال الشاعر ادجار لي ماسترز في مجموعته الشعرية (الموتى يتكلمون).. ونجد الدكتور برسيفال يعلن في تلك الرواية: أن كل واحد في هذا العالم هو المسيح وأن الجميع مصلوبون...

إرنست هيمنجواي

شارك إرنست هيمنجواي نفسه في الحرب العالمية الأولى، وصوّر النماذج الضائعة التي رآها بعينه في تلك الحرب، وذلك في عدة روايات، أهمها رواية (وداعا للسلاح) التي يصور فيها بطله الذي يهرب من الحرب ليأخذ حبيبته المرضة بعيدا عن الموت، لكن الموت يواجهه ويختطف منه حبيبته تلك وهي تضع مولودها، ويعود هو في نهاية الرواية إلى الفندق وحيدا وسط الأمطار... وهكذا يصور لنا إرنست هيمنجواي في هذه الرواية الإحساس بالضياع والهزيمة، وهذا الإحساس نجده أيضا في رواياته الأخرى وبخاصة روايته (الشيخ والبحر) التي يصور فيها الصراع بين صياد شيخ وسمكة هائلة يطاردها في البحر بزورقه، وفي النهاية عندما يمسك بها عائدا إلى الشاطئ لا يجد سوى هيكل عظمي لها، وهكذا يتحطم الإنسان في لحظة انتصاره.

وكتب هيمنجواي أيضا رواية (والشمس تشرق أيضا) التي يصور فيها الجيل الضائع، وهم هنا حفنة من الرفاق المهاجرين الذين ترتمي.. في أحضانهم واحدا بعد الآخر، ويدور جو الرواية في أسبانيا ومصارعة الثيران، وكأنه هنا يوحي بالمشابهة بين الثيران وأبطال روايته الضائعين.. وقد كتب هيمنجواي عن الحرب الأهلية في أسبانيا روايته (لمن تقرع الأجراس) وقد كان هيمنجواي يتميز بأسلوبه اللغوي الذي يميل إلى البساطة وذلك على العكس من فوكنر.

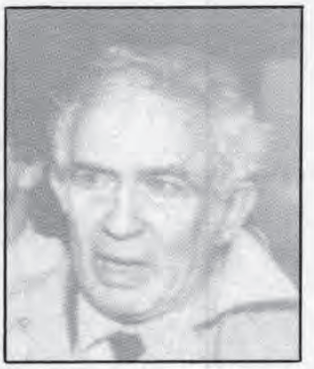
فوكنر

كان فوكنر يميل في أسلوبه إلى التعقيد وطول الجمل، بل إن التعقيد لازمه في النهج أو التركيب (التكنيك) الفني أيضا حين لجأ إلى طريقة تيار الوعي التي أخذها عن جيمس جويس، وفرجينيا وولف.. وقد تأثر هؤلاء الروائيون بكتابات فرويد عن اللاشعور، وكتابات برجسون عن الزمان الداخلي، وكتابات وليم جيمس عن مجرى الشعور.. وإن طريقة تيار الوعي هذه لا تعتمد على وصف حدث خارجيّ، وإنما تعتمد على وصف حدث نفسي، أي (المنولوج) الداخلي.. فلا نجد أمامنا وقائع متسلسلة زمنيا ومنطقيا للحدث الروائي، وإنما نجد مجرد خواطر ومشاعر تتداعى في عقل البطل بلا رابط منطقي أو زمني، وإنما هناك تداخل في الأزمنة، وهذا ما يسبب الغموض والتعقيد.. وقد تعلم فوكنر من جيمس جويس أن يكون للرواية مستويان: مستوى سطحي ومستوى داخلي موازٍ لهذا السطح.. فنجد جيمس جويس في روايته (أوليس) يستخدم الأسطورة الإغريقية المعروفة ويجعلها خلفية موازية لأحداث معاصرة يصورها في قصته تلك... وكذلك كان فوكنر في روايته (الصخب والعنف) يشير إلى المسيح في أيامه الأخيرة.. وهو في المستوى السطحي لهذه الرواية يصور حياة أسرة تتكون من المستر كومبسون وزوجته وابنتهما كادي وأولادهما الثلاثة بنيامين وكونتين وجاسون.. ويعيش الأبناء الأربعة حياة تملؤها المأساة والضياع، حيث نجد أحدهم ينتحر غرقا وهو لا يزال طالبا بالسنة الأولى بجامعة هارفارد، وذلك لأنه لم يحتمل سقوط أخته كادي إلى هاوية الدعارة الأمر الذي منعها من العودة إلى أسرتها... والفصول الثلاثة في بداية الرواية هي عبارة عن نجوى (منولوجات) داخلية للإخوة الثلاثة لكل منهم فصل خاص... وقد كانت العلاقة بين أوليس في رواية جويس وبين بطل روايته هذه علاقة عكسية.. فإن أوليس في الأسطورة بطل عظيم، أما ليوبولد بلوم في قصة جويس فشخص هزيل، وتدور القصة في بيت للدعارة في دبلن مما يعمق إحساسنا بموقف بلوم.

كذلك نجد في رواية فوكنر هذه أن العلاقة بين المسيح وأسرة كومبسون هي علاقة توازٍ عكسي، لأن الأيام الأخيرة للمسيح تؤكد معنى الحب للبشرية، بينما الأيام الأخيرة لهذه الأسرة تنفي معنى الحب تماما.. وهذا التوازي العكسي الساخر يعمق


جون شتاينبك


سكوت فيتزجرالد


نورمان ميللر

في نفوسنا الإحساس بمأساة أسرة كومبسون التي انتهت بالأنانية والإحباط والهزيمة والفشل . . . **وقد كتب فوكنر عدة روايات أخرى منها رواية (سارتوريس) ورواية (المأوى) ورواية (ضوء في أغسطس) وكذلك رواية (الذي لم يقهر) ورواية (في النزع الأخير) ورواية (أبشلوم أبشلوم) وغيرها . . .** وإن الإحساس السائد في روايات فوكنر هو الموت والقدرية . . . كما تجد في أعماله مزيجا من العنف والجنس مما يجعل بعض أعماله أدبا مكشوفا . . وإذا كانت شخصيات **هيمنجواي** شخصيات ضائعة ومهزومة، فإن شخصيات **فوكنر** كذلك تعكس تجربة الهزيمة . .

توماس وولف

إن أجمل أعمال **توماس وولف** هي روايته **(انظر إلى الوطن أيها الملاك)**. وفيها يصور لنا مأساة أسرة تتكون من الأم المتسلطة التي تحلم بالثروة وشراء الأرض بمساعدة شقيقها سمسار الأراضي، وهناك أيضا الأب الغارق في الخمر، والابن الأكبر الذي يعمل في دار صحفية، ويعاني المرض، ويحلم بالزواج من سيدة نزيلة بالفندق الذي يعيشون فيه، والذي تديره أمه؛ لكن الموت يعاجله ويقضي على أحلامه . . أما الابنة فتعمل هي وزوجها في مطبخ هذا الفندق وتحلم بأن تخرج منه، وأن يكون لهم بيت مستقل ذات يوم . . وأما الابن الأصغر فيفشل في دراسته ولا يكملها، وكذلك يفشل في تجربة حب مع إحدى نزيلات الفندق. وربما كانت شخصية هذا الابن الأصغر هي نفسها شخصية الكاتب **توماس وولف**، لأن وولف يصور في رواياته تجربته الذاتية . . **وقد كتب عدة روايات أخرى مثل (الزمن والنهر)**، وكذلك **(لن تستطيع أن تعود إلى البيت بعد الآن)**، وكان **وولف** يرى أن الوحدة هي قدر الإنسان، وأن التغيير والزمن والموت هي العوامل التي تحبط أشواق الإنسان في الوصول إلى الأرض السعيدة . . **وهكذا تعكس قصص وولف الإحساس بالضياع والوحدة.**

سكوت فيتز جيرالد

يصور سكوت فيتز جيرالد في قصصه أحاسيس الضياع واليأس نفسها التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، ولعل أجمل رواياته هي (جاتسبي العظيم)

وله أيضا روايات أخرى مثل **(الجميل والقبيح)** ورواية **(ما أرق الليل)** ورواية **(هذا الجانب من الفردوس)**.

أما روايته جاتسبي العظيم فيصور فيها البطل جاتسبي على استعداد لأن يلقي بثروته وحياته حين تحطم ديزي إيمانه بها باعتبارها التجسيد الحي لأحلامه . . إذ إنه عندما يفشل الإنسان في تحقيق خياله وأحلامه فإنه يصبح لا معنى عنده للثروة ولا للحياة نفسها . . .

سنكلير لويس

إن أهم أعمال **سنكلير لويس** هي رواية **(الشارع الرئيسي)** وكذلك رواية **(بابيت)**. وقد كان كاتبا واقعيا ينتقد معايب المجتمع الأمريكي . . وهو في (الشارع الرئيسي) يصور لنا حياة فتاة رومانسية متوسطة التعليم غارقة في تطلعاتها وأحلامها، ثم تتزوج من طبيب في مدينة صغيرة . . وهنا تصطدم أحلامها بالواقع مثل **(مدام بوفاري)** التي وصفها **جوستاف فلوبير** في فرنسا، ومثل **(أنا كارنينا)** التي كتبها **تولستوي** في الأدب الروسي . . ولكن مدام بوفاري ينتهي أمرها بالانتحار بالسم، وأنا كارنينا تنتهي بالموت تحت عجلات القطار، أما أختها الأمريكية كارول بطلة الشارع الرئيسي فإنها تثور في البداية على الواقع الذي يخنقها بما فيه من ملل ورتابة، لكنها في النهاية تستسلم وتتكيف مع زوجها وقدرها . . . وقد كان **سنكلير لويس** متأثرا **بهنري ثورو**، وذلك في تصويره لفكرة ثورو عن دافع الفرد إلى الحرية وتعمّد المجتمع إحباط ذلك . . . فكأن رواية الشارع الرئيسي هي بمثابة تنويعات على اللحن الأساسي في كتاب والدن . . . وهكذا تتعلم البطلة كارول كيف ترضى بواقع عالم لا تستطيع فيه تحقيق مثلها العليا التي تحلم بها، **وهنا نجد أن سنكلير لويس إنما ينتقد الحياة الأمريكية ونوع حضارتها المادية التي لم تستطع إشباع أحلام كارول . . .**

تيودور دريزر

هو رائد الواقعية الأمريكية، وقد صدرت له عدة روايات منها (الأخت كاري) . . لكن أعظم أعماله هي رواية (مأساة أمريكية) التي صدرت عام ١٩٢٥ م، وفيها يصور لنا كلايد الشاب المصاب بالتطلع الطبقي، ونجده يحب عاملة فقيرة بالمصنع الذي يعمل فيه هي روبرتا التي تبادله الحب وتحمل منه جنينا في بطنها . . ثم يقابل سوندرا الثرية التي تحبه وتفتح له الطريق أمام تطلعاته الطبقية، لكن روبرتا هي الصخرة التي تقف في طريق زواجه بمن يحلم بثرائها، فيتخلص من روبرتا وجنينها بإغراقها وينتهي أمره بالإعدام . . . وهكذا نجد أنفسنا أمام مشكلة اجتماعية، **لأن دريزر يهتم بنقد المجتمع، ولذلك يصور الجوانب السلبية من الحياة الأمريكية في شكل درامي مؤثر، ولذلك يطلق على هذا الاتجاه في الرواية اسم الواقعية النقدية تمييزا لها من الواقعية الاشتراكية . . .**

جون دوس باسوس

كان جون دوس باسوس من رواد التجديد الذين استعملوا طريقة تيار الوعي، كما استعمل وسائل فنية (تكنيكية) جديدة في الرواية مثل شريط

الرواية الأمريكية
نشأتها، وتطورها، واتجاهاتها

الأنباء وعدسة آلة التصوير (الكاميرا) . . . أما شريط الأنباء فمعناه أنه كان يملأ خلفية قصته بمقتطفات من أخبار الصحف والمقالات والإعلانات والأغاني الشعبية والسير الشعبية ليهيّئ لكل ذلك الجو والزمن الخاص بقصته . . . أما عدسة المصوّرة (الكاميرا) فهي لقطات سريعة لذكرياته وخواطره . هذا عن الشكل الفني (التكنيك) أما عن المضمون ورؤيته للحياة والمجتمع **فقد كانت قصصه ترجمة ذاتية لحياته ومأساة جيله ومجتمعه وعصره** . . . فقد كان يصور في قصصه فشل شاب وإخفاقه وإحساسه بالوحدة والغربة والعزلة، تماما مثلما فعل **توماس وولف** وسائر كتاب هذا الجيل الضائع . . . فإن مأساة **باسوس** كانت هي الإحساس بعدم الانتماء، وكان لهذه المأساة بُعدان : أولهما بُعدٌ اجتماعي في جيله وعصره، وثانيهما بُعد ذاتي في حياته الشخصية إذ إنه ولد ابنا غير شرعيّ، غريبًا في أحد الفنادق، ثم جاء موت والدته صدمة ضخمت إحساسه بالوحدة . . . وهذا ما ينعكس في تصويره لمشاهد الحرب في قصته **(ثلاثة جنود) التي هاجم فيها الحرب وعقمها، وصوّر لنا فيها ثلاثة شبان يقذف بهم مجتمع ظالم يحطم جهودهم ويخيب آمالهم** . . .

ونجد باسوس يهاجم في قصصه القيم الأمريكية التي أصابها الجمود عن الحرية والسعادة مثلما فعل في **(شوارع الليل)**، وفي قصته **(محطة منهاتن)** التي يصوّر فيها حتميّة فشل الفنان في مجتمع آلي ماديّ . . . كانت هذه هي أهم خصائص الشكل الفني (التكنيك) والمضمون عند باسوس، والتي تتجلى في رائعته الثلاثية **(الولايات المتحدة)** التي تتكون من ثلاث قصص هي **(خط العرض ٤٢)** ثم **(١٩١٩)** ثم **(المال الكثير)** . . . ويربط بين هذه الأجزاء الثلاثة موضوع واحد هو المجتمع الأمريكي وما ساده من انحلال خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين، وسيطرة الآلية والاحتكار عليه . . .

جون شتاينبك

عبّر جون شتاينبك في رواياته عن فترة الكساد الاقتصادية في الثلاثينيات . . وقد عاش في كاليفورنيا، وعن أهلها كتب أغلب قصصه وما عاناه سكان مزارعها أثناء الكساد . . **وأهم رواياته رواية (رجال وفئران) وكذلك رواية (أعناب الغضب)، إلى جانب العديد من القصص القصيرة**. إن مساوئ المجتمع الصناعي وعيوبه كانت موضوعا للكثير من القصص الأمريكية منذ أكثر من قرن، وكذلك حياة المناجم، لكن لم يكن هناك في أية فترة من التاريخ الأمريكي احتجاج يماثل الاحتجاج الذي انعكس في القصة الأمريكية في سنوات الكساد، أي في الثلاثينيات . . وقد ظهر هذا الاحتجاج الاجتماعي واضحا في القصص التي كتبها **جون شتاينبك وأرسكين كولدويل وجيمس فاريل ووليم ساروريان وآخرون ممن هم أقل قيمة** بسبب ميولهم الفكرية (الأيديولوجية) التي جعلتهم يكتبون مجرد أعمال دعائية ينقصها الفن . . .

الرواية بعد الحرب العالمية الثانية

كان فوكنر على رأس جيل الرواية الحديثة، أي رواية تيار الوعي، وهذا هو اتجاه الحداثة (المودرنيزم) أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد ظهر اتجاه آخر مضاد هو ما بعد الحداثة وفيه عاد بعض الروائيين منذ الخمسينيات والستينيات وحتى الآن إلى البساطة وإلى طريقة السرد المعتاد لحدث خارجي منطقي له حبكة وله بداية ووسط ونهاية، وتخلصوا تماما من طريقه (المونولوج) الداخلي التي تصف حدثا نفسيا . . أي إن الرواية بدأت تخرج من قوقعة الذات وتعود إلى تصوير العالم الخارجي، وربما كان سبب ذلك هو أن التقنية (التكنولوجيا) قد تضخمت في السنوات الأخيرة وتضاءلت أمامها ذاتية الإنسان . . ومن أهم كتاب ما بعد الحداثة الروائي **هوكيز** الذي صدر له رواية **(أكل لحوم البشر)** عام ١٩٤٩م وكذلك رواية **(جلد ثان)** عام ١٩٦٤م . . ولكن آثار (المودرنيزم) لا تزال باقية عند **ستايرون**، وكذلك آثار اللارواية عند **نورمان ميللر** الذي كتب رواية **(العاري والميت)** عام ١٩٤٨ م، ورواية **(جيوش الليل)** ١٩٦٨ م، وقبلها رواية **(حلم أمريكي)** عام ١٩٦٥ م . . . **وعموما هناك الآن ثلاثة اتجاهات جديدة في الرواية الأمريكية هي :**

أولا: رواية الجنوب الأمريكي عند فلانري أوكنر ورينولدز برايس وترومان كابوت .

وثانيا : الرواية اليهودية عند ستايرون وسول بيلو وبرنارد مالامود .

وثالثا : الرواية الأكاديمية عند روبي ماكولي وماي سارتون وغيرهما كثير . .

أما **روايات الجنوب الأمريكي** فهي تهتم بعرض مناظر الجنوب ومشكلاته، فهي روايات محلية، لكنها في الوقت نفسه عالمية . وأما **الروايات اليهودية** فهي التي يتعرض فيها كتابها لمشكلات اليهود في أمريكا؛ لأنهم أدباء يهود يكتبون عن شخصيات وموضوعات يهودية . . وأما **الروايات الأكاديمية** فمن أمثلتها رواية (الثياب التنكرية للحب) التي كتبها روبي ماكولي عام ١٩٥٢ م وهي تحكي قصة الحب الخفي بين أستاذ جامعي وتلميذته، وكذلك رواية (ف) التي كتبها بيكون عام ١٩٦٣ م وكذلك روايات فونجات التي تصور إحداها مدرّسا جامعيا وعلاقته الغرامية بزوجة أحد زملائه . . .

وخلاصة القول هي أنه مع نهاية الحرب العالمية الأولى ظهر جيل هيمنجواي وفوكنر وباسوس، ولاحظنا في أعمالهم من حيث التكنيك استمرار الشكل التقليدي للرواية كما وضعه بلزاك وفلوبير، إلى جانب ظهور حركة الحداثة وتيار الوعي . أما من حيث المضمون فقد لاحظنا أن هذا الجيل قد عبر عن الحرية وعن أزمة الجيل الضائع . . ثم لاحظنا أنه بعد الحرب العالمية الثانية وحتى الآن استمرت موجة الحداثة في الرواية أي المودرنيزم إلى جانب ظهور حركة ما بعد الحداثة، هذا من حيث التكنيك والشكل أما من حيث المضمون والموضوعات فقد لاحظنا ظهور الرواية اليهودية والرواية الأكاديمية ورواية الجنوب الأمريكي . . وعموما فقد تفوقت الرواية في أمريكا على الرواية في بريطانيا الوطن الأم بدليل حصول الكثيرين من كتابها على جائزة نوبل .

آفاق اجتماعية

تراثنا الاجتماعي مَــن يحميه؟

منذ أيـام قليلة عمدت إحـدى قنوات التلفزيـون إلى عرض مشاهـد متنوعـة من احتفالات شعب من شعـوب جنوبي شرق آسيـا في مناسبـات الزواج والأعيـاد والأفراح، واتسمت تلك المشـاهد بـالطرافـة، كما انطوت في الوقت نفسـه على الأصالة. ومشاهد الاحتفـالات بالعرس استأثرت بـاهتمامي وشدتني إليها، لا لأنها مفعمـة بالفـرح والحيـويـة وحسن الأداء وجمال وروعـة العرض فحسب، بل لأن خيـالي انطلق بعيـداً يستعرض شريط ذكـريات أختـزنه في نفسي وعقلي، حفر في ذاكـرتي هالات زاهية فـاتنة حلـوة، إنه شريط ذكريات احتفالات العرس في قريتي الصغيرة القابعة في أقصى شمال سورية.

كنت أرى أهل القـرية يتـدفقون على الـدار العربيـة المكشوفـة، يحاول كل منهم أن يتلمس مكانـاً في صحنها الـواسع، الرجـال يغدون ويروحـون وقد اتخذوا سمتهم الـلائق؛ فالشوارب مفتـولة، والصـايات البلورية تتلألأ وتلمع، والشالات العجمية بديعة الصنع أنيقة المنظر، والطرابيش الحمراء صنعت بكل عناية ودقة، والأحذية الـلامعة جديدة لم تمس من قبل. والنساء مثل الرجـال تدافعن على دار العروس وكل منهن ارتدت أثمن وأجمل ما تملك من ثياب وحلي.

المضيفـون يـروحون ويغـدون، بصـوان من الفضـة رُصّت فيها قطـع الراحـة المحشـوة بقلب الفستق الحلبي، وإلى جانبها رصت قطع مربى الكباد ومربى الجوز، وسط التهاليل والأهازيج والزغاريد التي تتردد بصوت جماعي واحد: «صلّوا على محمد، زين الـزين، كحيل العين، واللي يعادينا الله عليه». وتُدار قماقم ماء الورد وماء الـزهر بين الحضور لِيُرش عطرها على الأكف والوجـوه فيعبق جو الحفل بأطيب الأنسام، ولا تلبث أن تدور الصواني التي رُصت عليها بعناية أكواب عصير اللوز تتلقفها أيدي الحاضرين ويرشفون منها بكل نشوة.

العـروس في خلوتها تحيط بها ثلـة من الصـديقات يتبـارين في جلـوها ويتلمسن أطـراف ثـوب زفافهـا الفاتن، وكل منهن تتمنى أن يـأتي النصيب في القريب العاجل، وتنطلق بين الفينـة والفينة زغاريـد النسوة مليئة بالفرحة والبهجة.

ويشتد الهرج والمرج لـدى الرجال الـذين يقومون (بتلبيسة) العـريس الذي يشرع بخلع ملابسـه قطعة قطعة ويستبدلها بأخرى جديدة وسط تهليل وأهـازيج وغناء الأصدقاء والأقارب وأهل الحي. وما إن تنتهي تلبيسة العريس حتى يصطحبه موكب حافل يخترق أزقة القريـة قاصداً منزل العريس في هرج وطرب وغناء ورقص بالسيف والعصي، ويهتز الجميع طـرباً للمواويل التي تدغدغ أوتـار القلوب: (ياأبا. . ياأبا. . ياعيني. . ياليلي)، ويتباطأ الركب قليلاً هنا وهناك لاستعراض رقصة جميلة يؤديها شباب القرية.

ويصل الموكب الـدار ويتحلّق الشباب حـول العريـس وتشتبك الأيدي وتعقـد الدبكـة وتخبط الأرجل الأرض وتعلو القـامات وتهبط وتقفز في الهواء، ويتوسط الحلقـة الطبّال الذي ينتشي بقـرع الطبل ويقفز مع قرعـاته في الهواء لاهياً فرحـاً، وتعانق أهازيج الـرجال خارج المنزل زغـاريد النساء داخلها، ويـدخل والد العـريس متأبطـاً ذراع ولـده، وتقـوم والـدة العـريس بتأبط ذراع العـروس ويقترب العـروسـان من بعضهما بخطوات بطيئة وعيـون النساء شاخصة تتفحص هذا المشهد المحبب، ويقـوم الأب بتشبيك يدي العروس والعريس وسط الزغـاريد والأهازيج وقرع الطبل ورقصات الراقصين، وينظـر العروسان لبعضهما وتتحدث العيون وتحمرّ الخدود، ويصطحب العريس عروسه لدارهما وأعين الفضوليين وراءهما.

هذا النمط من الأفراح انـدثر من ديارنا، واستعيض عنه بنمط غربي منقول مُتَكَلَّـف بعيد عن ثقافتنا، بعيد عن أحاسيسنا.

كم أشعر بـالحزن تجاه ثقافات غـريبة هجينة هـاجمت حياتنا وأخـذت تطغى رويداً رويداً على هـويتنا وتضيع ذاتنا.

د. تماضر حسون

أهمية الدراسات الإنسانية في الحياة العصرية

د. عبد الرحمن عيسوي

تمتاز الحضارة الحديثة بالتعقيد من ناحية، وبالشمول والترابط من ناحية أخرى بحيث يتطلب التقدم فيها أن يشمل جميع جوانبها المادية والمعنوية والإنسانية. أما الزعم بأن التقانة (التكنولوجيا) الحديثة هي صاحبة الأهمية القصوى وحدها فإنه زعمٌ لا ينتج عنه إلا حضارة عرجاء ناقصة.

والأمة العربية وهي في حركة يقظتها ونهضتها المعاصرة لا ينبغي أن تقع فيما وقعت فيه أوربا من أخطاء حين وجهت جلّ اهتمامها للتقدم المادي التقني (التكنولوجي) وأهملت الجوانب الإنسانية، فكانت النتيجة انهيار القيم الخلقية، وضعف الوازع الروحي والشعور الديني، وتدهور الروابط الأسرية وانتشار الانحلال الخلقي، فأصبح الفرد هناك يعيش في فراغ عاطفي ووجداني بل في صراع محتدم بين القديم والجديد.

وبالرغم من الرخاء المادي الذي يتمتع به الفرد في أوربا إلا أنه فقد حياته الروحية وإحساسه بالسعادة والرضا، وكل شعوره بالتضامن والتكافل.

إن الإنسان بطبيعته في حاجة إلى القيم الإنسانية بقدر حاجته إلى الأمور المادية. إذ لا نستطيع أن نزعم أن الآلة أفضل من العقل أو الضمير الذي يحرك هذه الآلة.. إن عقل الإنسان هو أسمى ما فيه. ومن ثم وجبت تغذيته وتنميته حتى ترتفع القيم الإنسانية النبيلة وتسمو فوق القيم المادية العمياء. إننا في دعوتنا للاهتمام بالدراسات الإنسانية لا نبالغ ولا نطالب بإهمال التقدم التقني ولكننا نطالب بضرورة حدوث التوازن بينهما بحيث يسير التقدم فيهما كليهما جنبًا إلى جنب حتى تكون نهضتنا شاملة ومتكاملة ومتناسقة.

إن للدراسات الإنسانية وظيفة إنتاجية مهمة، فنحن لا نستطيع أن نقيم المصانع والشركات والمؤسسات دون عقول تخطط وترسم الأهداف، وتضع الوسائل الموصلة لهذه الأهداف ودون توافر الخبرات التي تتولى الإدارة والقيادة والإشراف. إن المصنع لا يتكون من آلات صماء، وإنما العنصر الإنساني هو الذي يمثل العمود الفقري وسط التنظيمات الصناعية.

وقد يزعم البعض أن الدراسات الإنسانية عملية سهلة، وإعداد الفرد فيها لا يحتاج إلى جهد كبير، ولكن الواقع هو على خلاف ذلك، إن بناء المصانع سهل يسير، ولكن بناء النفوس صعب عسير. إننا نستطيع أن نستورد الآلات الحديثة ولكننا لا نستطيع أن نستورد ضمائر للمواطنين.

العلوم الإنسانية وتكوين شخصية الفرد

إننا نستطيع أن نوجد المواطن الصالح المنشود عن طريق الاهتمام بالدراسات الإنسانية التي تصقل شخصيته، وتنمّي عقله، وتدربه على التفكير العلمي والمنطقي المنظم، وتزيد من إيمانه باتباع **المنهج العلمي القائم على أساس الملاحظة والتجربة والاستدلال الصائب**، والبعد عن الخرافة والتعميمات الجزافية. إن الدراسات الإنسانية كالاقتصاد والاجتماع والفلسفة وعلم النفس والأخلاق والسياسة والتاريخ والجغرافيا، تتناول حياة الإنسان مباشرة وتمس كيانه الذاتي وتوسع من مداركه وآفاقه.

وينبغي الاهتمام بتنمية ضمائر الأجيال الصاعدة من أبناء الأمة العربية، وغرس العادات الطيبة والصفات الحميدة في نفوسهم، وهي نفس **العادات الإسلامية** التي اتصفت بها **الحضارة** الإسلامية العريقة، لا بد من تربية النشء على تحمل المسؤولية والإيجابية، واحترام القانون وحب النظام، والطاعة والولاء، وحب التعاون والإخاء واحترام الأسرة، واحترام الكبار، وحب الوطن، والتضحية والإيثار وتقدير المصلحة العامة.

هذه بعض الوظائف والأدوار التي يمكن للدراسات الإنسانية أن تؤديها في حركة نهوض الأمة العربية. ولكن كيف يمكن تحقيق النهوض في العلوم الإنسانية؟ إن لذلك خطوات نجملها فيما يلي:

وسائل النهوض بالدراسات الإنسانية

(١) ضرورة إحياء خير ما في التراث العربي الإسلامي القديم العظيم.

(٢) ربط التراث التاريخي بحاضر المواطن العربي المعاصر مع إبراز البطولات والأمجاد الخالدة التي حققتها الأمة العربية، وتقوية الشعور بالفخر والاعتزاز والشعور بالولاء والانتماء للأمة العربية والإسلامية.

(٣) دراسة أسباب تقدم الأمة العربية قديما ودراسة الوضع الراهن فيها لمعرفة كيف كنا وكيف أصبحنا؟ ووضع الخطط الكفيلة بتبوّؤ الأمة العربية والإسلامية مكانتها بين الأمم المعاصرة.

(٤) العودة إلى حظيرة الدين الإسلامي الحنيف والتمسك بالقيم العربية الأصيلة في سلوك الفرد والجماعة.

(٥) **القيام بحركة علمية واسعة وشاملة** ـ تشبه حركة الترجمة ونقل التراث التي تمت في العهد العباسي ـ لنقل التراث العالمي الخيّر المعاصر إلى العالم العربي، ودعوة الدول العربية مجتمعة للقيام بهذه الحركة بصورة جماعية وتعاونية.

(٦) استلهام الهمة والقدرة في **البحث العلمي** من الدين الإسلامي نفسه الذي يحارب الجمود والتأخر، ويدعو للتقدم والبحث والتأمل والمعرفة والتنقيب، كما أنه يحض الناس على العمل الجاد المتواصل، مع ضرورة ربط العلم بالأخلاق ووضع ميثاق خلقي للعلماء العرب.

(٧) **ضرورة إنشاء الدبلومات العالية المتخصصة في العلوم الإنسانية** لخلق فئة من المتخصصين على أعلى المستويات في مجالات العلوم الإنسانية.

(٨) إدخال مبادئ العلوم الإنسانية في جميع المراحل التعليمية كمبادئ الاقتصاد والقانون، والفلسفة والأخلاق والمنطق وعلم النفس والسياسة، بحيث نضع قاعدة فكرية راسخة لتفهم هذه المعارف الإنسانية، وبحيث تحقق هذه القاعدة الفكرية التوازن بين الاتجاهات المادية والاتجاهات الإنسانية لدى الفرد.

(٩) **القيام بحركة نشر واسعة** عن طريق تكوين لجان متخصصة على مستوى العالم العربي كله لوضع الكتب المبسطة في العلوم الإنسانية، بحيث تُنقل المعارف الإنسانية بأسعار زهيدة إلى عقل المواطن العربي وإلى وجدانه. كما ينبغي أن تكون هناك دوريات عربية تصدر في مختلف تخصصات العلوم الإنسانية تتناول أحدث ما وصل إليه العلم في هذه المجالات.

(١٠) ضرورة اهتمام **أجهزة الإعلام** من إذاعة وتلفاز وصحافة بنشر القضايا الحيوية ومناقشتها.

(١١) التوسع في **عقد المؤتمرات والندوات وحلقات الدراسة والبحث والمناقشة** وتخصيص المكافآت التي تشجع الشباب على القراءة والبحث والاطلاع والكتابة في العلوم الإنسانية.

(١٢) عمل المسابقات التي تتناول أعلام العرب ونتاجهم، وقضايا التعليم والحرية، ومشكلات الشباب والدين والأخلاق والفلسفة والتنمية والتخطيط في العالم العربي.

(١٣) إقامة **المعارض والمتاحف** التي تتناول بالعرض والتحليل بالكلمة والصورة معا أهم قضايا العالم العربي المعاصر، وإبراز معالمه ومظاهره الجغرافية والاقتصادية والتاريخية القديمة والحديثة.

(١٤) الاهتمام بأرباب الدراسات الإنسانية ورفع مستواهم المادي والمعنوي، وتشجيع أكبر عدد من الأفراد على التخصص في هذه المجالات وإتاحة فرص التوظيف أمامهم في مجالات تخصصهم مع ضرورة الأخذ بمبدأ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

(١٥) إدخال مقررات من العلوم الإنسانية في الكليات والمعاهد العملية للربط بين القيم الإنسانية النبيلة والقيم المادية؛ وذلك لإيجاد المواطن المثقف الواعي المؤمن بربه ووطنه وعروبته وبنفسه، والقادر على الإسهام في عجلة الإنتاج المثمر.

(١٦) التوسع في **إنشاء كليات ومعاهد للدراسات الإنسانية** المتخصصة.

(١٧) **الاهتمام بتطبيق العلوم الإنسانية في جميع مجالات الحياة العملية**، وتوظيف اكتشافاتها وحقائقها ونظرياتها في حياة الأفراد. **إن الأمة العربية، وهي في حركة السباق السريع مع التطور العالمي، لا تقوى على أن تكون الجهود العلمية فيها لمجرد الترف أو من أجل المعرفة لذاتها أو كما يقولون العلم للعلم، وإنما لا بد أن يكون العلم للحياة.**

وهناك مجالات كثيرة يمكن أن تطبق فيها العلوم الإنسانية، ومن أبرز هذه العلوم **علم النفس الحديث** الذي يسهم إسهامًا كبيرًا في معارك الإنتاج والتعليم والحرب والاقتصاد وعلاج الإنسان المعاصر وتحريره مما يكبل طاقاته من المشكلات النفسية.

وعلم النفس المهني أصبح من الدعامات القوية في المجالات الإنتاجية عن طريق دراساته المتخصصة في الاختبار والتوجيه والتدريب والتأهيل المهني، وفي دراسة الظروف الطبيعية المحيطة بالعمل والأمن الصناعي وحوادث العمل والهندسة البشرية والعلاقات الإنسانية والروح المعنوية والتحليل العملي، وعن طريق دراسة أسباب الصراع الصناعي، والعمل على تخفيف حدته ودراسة الخطط الملائمة لحسن (سيكولوجية) الإدارة والإشراف، وطرق إعداد القادة والمشرفين، ووسائل التسويق والاستهلاك.

(١٨) التوسع في **إيفاد البعثات للتخصص في الدراسات الإنسانية** للوقوف على أحدث التطورات العالمية فيها.

(١٩) استقدام **الخبراء وكبار العلماء في المجالات الإنسانية** لنقل خبراتهم إلى أبناء الوطن العربي.

(٢٠) إنشاء **مكتبات صغيرة في كل قرية، وفي كل حي، وفي كل تجمع إنساني** كالمصنع والمدرسة والجيش وتزويدها بالكتب المبسطة في العلوم الإنسانية.

(٢١) التوسع في القيام بالدراسات الحقلية العملية التجريبية والميدانية في المجالات الإنسانية؛ وذلك للتعرف على مشكلات العالم العربي الاجتماعية والنفسية والخلقية والفكرية والعقائدية والاقتصادية والتربوية.. ووضع الخطط الواعية والبرامج اللازمة للوقاية والعلاج من هذه المشكلات.

(٢٢) التوسع في **إقامة المنظمات التي ترعى الفنون والآداب والعلوم الإنسانية** على مختلف المستويات المحلية والإقليمية والوطنية والقومية.

(٢٣) تشجيع **المنظمات الصناعية والتجارية،** وكذلك الهيئات والوزارات على التبرع لمراكز البحث العلمي نظير قيام هذه المراكز ببحث ما يوجد لدى هذه المنظمات من مشكلات، ورسم الحلول المناسبة لها.

العِلمُ والأدبُ
اثنان في واحد

د. فوزي عبد القادر الفيشاوي

الفكرة الشائعة في الناس عن ثقافة العلم والأدب، هي أنهما ثقافتان مختلفتان، بينهما برزخ لا يبغيان، وأنهما متمايزتان متضادتان، بمقدار ما بين وعي الإنسان ولا وعيه من تمايز، وما بين موضوعيته وذاتيته من تضاد. ويشيع في أصحاب ثقافة العلم، أن الأدب خليط من هواجس النفس وشطحاتها، ومن الخزعبلات التي لا أثر لها في حياة الناس، ولا يرجى لهم من ورائها نفع ولا رجاء. أما العلم، فهو - في ظنهم - الأعظم والأحكم، وهو الذي لا يتم فهم الحياة واتصالها على أوفق حال إلا به. وكثيرًا ما ينظر أصحاب ثقافة الأدب إلى العلم بوصفه كيانًا ماديًا جامدًا، لا روحانية فيه. وهو - عندهم - منهج دون مغزى، وحكمة دون رحمة، وفهم دون تعاطف، وصدق دون فضيلة، وهو وإن كان اليوم حاكمًا، إلا أنه الحاكم السفيه، الذي لا يُؤْمَنُ الناس من نزقه وتجاوزاته. ذلكم هو الازدواج الثقافي، الذي تقطعت به أسباب التفاهم بين الفريقين، وهو الانفصام النكد، الذي تمزقت عنه كل وشائج الاتصال.

ولعل المرء يتساءل ملحًا عن حقيقة هذا الانفصام، ولِمَ كان، وما السبيل لإعادة ما بين الثقافتين من ترابط ووئام، وما بين العقل والوجدان من توافق وانسجام؟

كانت المعرفة واحدة ثم تقسمت

المعرفة الإنسانية كانت منذ حضارات الإنسانية القديمة واحدة، لا تعرف التجزئة أو التقسيم. وكان الاعتقاد السائد بين الناس، أن فهم الحياة فهمًا صحيحًا شاملاً، لا يتحقق بالاقتصار على علم واحد من العلوم. وكان الفيلسوف والعالم والأديب يكاد يكون شخصًا واحدًا. وإننا نقرأ أن «أرسطو» وهو من أساطين الفكر الإغريقي القديم، قد جمع إلى الفلسفة صنوفًا أخرى من العلوم الطبيعية. ونعرف كذلك أن أسلافنا من مفكري العرب والمسلمين، كانوا موسوعيين أيضًا. وأمثال هؤلاء في تاريخنا كثيرون. نذكر منهم الشيخ الرئيس «ابن سينا» (ت: ٤٢٨ هـ)، الذي أحاط بمعارف عصره في الطب والأدب والدين والفلك والهندسة والجغرافيا والموسيقى. ونذكر الطبيب الأديب العالم الأندلسي «أمية بن عبد العزيز الداني» (ت: ٥٢٩ هـ)، والطبيب الحكيم الفيلسوف الشاعر «ابن الشبل البغدادي» (ت: ٤٧٣ هـ). وقد جمع «البديع الاسطرلابي» (ت: ٥٣٤ هـ)، بين الطب والفلسفة وعلم الكلام والفلك والأدب والشعر. ويجيء معاصرًا له طبيب بغدادي اشتهر بالأدب ونظم الشعر، هو «هبة الله بن صاعد البغدادي» المعروف «بابن التلميذ» (ت: ٥٦٠ هـ)، وكان «هبة الله بن الفضل» (ت: ٥٥٨ هـ) طبيبًا وشاعرًا رقيقًا. وغير هؤلاء، كان أولاد «زهر» في الأندلس: عبد الملك بن زهر (ت: ٥٥٧ هـ)، ومحمد بن عبد الملك بن زهر (ت: ٥٩٥ هـ)، وزهر بن عبد الملك بن زهر (ت: ٥٢٥ هـ)، منهم من جمع بين الطب في أشق مسالكه، والشعر في أروع مجالاته. وإذا ذكر «ابن رشد» (ت: ٥٩٥ هـ) حار المرء في وصفه، فهو العالم والفقيه وقطب الفلسفة الذي أخذت عنه أوربا ونهلت من فيض علمه الغزير. ولا ننسى العلامة الأديب «الجاحظ» (ت: ٢٥٥ هـ) الذي كان له علم بأطراف شتى من المعرفة، حتى إنه كتب في علم الحيوان كتابه الشهير، كما كان «الرازي» (ت: ٣١٣ هـ) عالمًا وطبيبًا وأديبًا أريبًا. أما «الدينوري» (ت: ٢٨٢ هـ)، فقد كان فقيهًا لغويًا ومؤرخًا، ويُعَدُّ بحق شيخ العلماء العرب في علم النبات. وأنك لو استرسلت في سرد هؤلاء الأعلام، ما انتهيت إلى غاية، وحسبك أن

تقول إنهم كانوا نماذج حية على وحدة المعرفة. ويمضي الزمان حثيثًا، ويأتي على الناس عصر تتعقد فيه فروع المعرفة وتصل إلى أعماق بعيدة الغور، وتنشأ في أوربا حركة تدعو إلى فصل العلوم الطبيعية عن العلوم الإنسانية؛ وهكذا يتخذ كل فرع منها لنفسه ـ منذ عهد **نيوتن**، بل ربما قبله ـ مسارًا خاصًا به يختلف تمامًا عن الاتجاه الذي سار فيه قرينه. وبمرور الزمن ازداد التباعد بينهما حتى **انقسم المثقفون إلى طائفتين: طائفة ثقافتها علمية**، وهم مَن يعنون بالعلوم الطبيعية كالكيمياء والفيزياء وعلم الأحياء والرياضيات ونحوها، **وطائفة ثقافتها أدبية**، وهم مَن يعنون بالآداب واللغات والفلسفة والفنون والتاريخ وعلم النفس والاجتماع والإدارة وما شابهها. وعلى هذا التقسيم للمعارف الإنسانية، بُنيت نظم التعليم في معظم البلاد، فتشعب التعليم في المرحلة الثانوية ـ بوجه عام ـ إلى شعبتين إحداهما أدبية وأخرى علمية. وتوزعت الدراسات في الكليات الجامعية كذلك على هذا النحو، فصار لكليات العلوم والزراعة والطب والصيدلة والهندسة وأضراب لها نهج واحد، هو النهج العلمي. بينما نهجت كليات أخرى كالآداب والحقوق والتجارة والاقتصاد وأضراب لها نهجًا آخر هو العلوم الإنسانية. وهكذا شقت مناهج التعليم المثقفين ورجال الفكر والرأي شقين، إذا اجتمع أحدهما بالآخر، فكأنما اجتمع غريب من الناس بغريب.

وقالوا: إنهما ثقافتان

لقد قالوا: إن الأدب والعلم ثقافتان مختلفتان في المنهج، وفي الموضوع، وليس بينهما ما يتفقان عليه. يرى «**ألدوس هكسلي**» في كتابه المسمى **(الأدب والعلم)** أن موضوع العلم الأساسي هو دراسة **(الحياة المادية)** للموجودات، بينما يُعنَى الأدب بدراسة **(الحياة النفسية)**. أي إن موضوع العلم متعلق بالإدراك، ويتجه أساسًا إلى العقل الواعي، بينما يتجه الأدب كثيرًا إلى اللاوعي ويتأثر به. ويرى **هكسلي**، أن العلم يدرس السنن والنواميس العامة، أما الأدب فيختص بدراسة ما هو فردي وخاص. والعلم موضُوعي بينما الأدب والفن ذاتيان. والعلم تعميم وتجميع، والأدب تخصيص وتفريد. والعلم يلاحظ جوانب الاتفاق بين الجزئيات التي تبدو مفككة متفرقة، ليستخلص منها قانونًا واحدًا ينظمها. وهذا غير الأدب، الذي يلاحظ كل جزئية بمفردها، ويقف عندها ليحلل خصائصها. وكأنما العلم يستبعد نفس الخصائص التي يستبقيها الأدب. وما ليس يقبله العلم في مجاله، لغياب الشروط التي يقتضيها منهجه، قد يكون مقبولاً في الأدب. فالعالِم النباتي حينما يتحدث عن الزهر، يكون حديثه مجردًا موضوعيًا، فهو لا يقصد زهرة بعينها، ولكنه يقصد فصيلة كاملة من النبات، لها خصائص مشتركة. ولكن الأديب حينما يتحدث عن الزهر، فهو حديث عن زهرة بعينها، زهرة شاهدها في هذه اللحظة دون سواها، فانفعل بجمالها، وراح يصورها شعرًا أو نثرًا رقراقًا، يثير في النفوس الشجن، أو يبعث فيها الحبور.

أجل، إن فكرة العلم عن الموجودات غير فكرة الأدب. فالفكرة المجردة ـ التي يتبناها العلم ـ هي فكرة عامة، لا تصدق على فرد واحد، أو موقف جزئي واحد، بل تصدق على مجموعة من الأفراد أو مجموعة من المواقف المتجانسة. وتقتضي النظرة العلمية لأيّ ظاهرة تجريدها من كل الجوانب الذاتية التي تخلقها الحواس البشرية من عندياتها، لتستبقي منها جوانب الظاهرة الموضوعية التي يمكن إخضاعها للقياس الكمّي فقط. والنظرة الأدبية أو الفنية للظاهرة، على خلاف ذلك، إذ تتحدد قيمة العمل الإبداعي بمدى ما يتركه من انطباع لدى الناظر إليه، أو لدى الدارس له. وهي نظرة ـ كما نرى ـ ذاتية، تعتمد أساسًا على الإحساس الشخصي. ونضيف إلى ما سبق أن نظرة العلم التجريدية والموضوعية تقتضي التخلّي عن الوجدانيات عند التعبير عن موضوعات العلم، وتقتضي عدم الالتفات إلى مسألة «الخير» و«الشر» في شؤون العلم. إذ لا يجوز لعالم في الفيزياء ـ مثلا ـ من حيث هو عالم، أن يعلن في الناس أنه ليس من «الخير» للإنسانية أن تفجّر الذرة؟ إن مسألة «الخير» و«الشر» ليست من مسائل العلم، وليست من مقتضيات النظرة العلمية المجردة. وهكذا. وفي ضوء كل هذه المقتضيات كان لا بد أن تختلف النظرتان، **وتتسع الهوة بين أصحاب الثقافتين**، حتى ظن أصحاب ثقافة الطبيعيات أن منهجهم هو المنهج، وما دونه ظنون وخيالات وخزعبلات. ويقوم أصحاب ثقافة الإنسانيات فيسخرون من نظرة الطبيعيين إلى الحياة، تلك النظرة الباردة التي سدت على الإنسان نوافذ كان ينظر منها إلى أعماق نفسه، فيرى فيها من آلامها وآمالها، ومن شرها وخيرها، ومن كل ما هو حقيقي أصيل، لا ما هو زائف دخيل. وتظل الهوة بين الفريقين تزداد عمقًا مع كل يوم، ومع كل نصر للعلم جديد. وما تقدم هذا القرن الذي نعيش فيه، حتى **رجحت كفة العلم الطبيعي على الإنسانيات رجحانًا كبيرًا، وزادت القطيعة وتقطعت سبل الحوار**.

عودة «وحدة المعرفة»

يعلمنا التاريخ، أن الفكر الإنساني كثيرًا ما يتبع قانون الحركة التذبذبية. لقد بدأت المعرفة الإنسانية واحدة، ثم جار الزمن على وحدتها فتقسمت وتجزأت، وكان من وراء ذلك ما كان. ولكن، ها هي ذي فكرة **«وحدة المعرفة»** تعود مرة أخرى إلى الظهور. لقد عادت بفضل جهود طائفة من مفكري هذا العصر، آلمهم ما جرّته تلك القطيعة المصطنعة على إنسانية الإنسان، وعلى بيئته التي يعيش فيها، من أضرار وأخطار. **لقد نظر هؤلاء فوجدوا أن القطيعة المفتعلة بين العلم الطبيعي والإنسانيات، قد جارت على «الشخصية الإنسانية»** لرجل العلم المتخصص، حتى لم تترك فيه إلا جزءًا من إنسان، مستغرقًا في جزء من المعرفة، وجزءًا من العناية بالعالم الذي يحيط به، مما أفقده نظرته الشاملة للحياة. وهذا حق، إذ ليس من المجدي أن يعرف العالم مترًا واحدًا من هذه الكرة الأرضية إلى أعمق أعماق التخصص، ثم يظل غافلاً عن بقية الكرة الضخمة، جاهلاً بحركتها، وبطبيعتها، وبمن يدب فوقها من مخلوقات. **لقد عزلت هذه القطيعة الباحث العلمي عن جوانب المعرفة الأخرى كافة، وعملت في الوقت ذاته على تحويله إلى ما يشبه الإنسان الآلي الخالي من العواطف**

العلم والأدب

والأحاسيس. ويستيقظ هـؤلاء المفكرون على ان الـدنيا وإن كـانت قد امتـلأت بمنجزات العلم الطبيعي امتلاءً كبيرًا، إلا أنها قد امتلأت إلى جانب ذلك بكثير من الكوارث والمعضـلات. فنظرًا لأن التجريـد المطلق كان سمـة الانتصارات العلمية، فإن تطبيقـاتها اتسمت بنفس أسلوبها، **فصارت حقائق العلم تطبق لأداء غـرض معين، دونما نظر إلى مـردود ذلك التطبيق وأثره في ظـواهر الطبيعـة الأخـرى، أو حتى أثره في الإنسـان ذاته، المستفيـد الأساسي من هـذا التطبيق. وهكـذا تنبـه العاقلـون، إلى أن مـا سببتـه بعض تطبيقـات العلم الطبيعي من كوارث ومعضلات يعاني منها الإنسـان وتعاني منها البيئة، لم يكن إلا بسبب أنها تفتقت عن العقول التي لا قلوب لها.**

المسؤولية الإنسانية للعلم

حينما أُخبر عالم الفيزياء النووية «ماكس بورن» بأن تلامذته من العلماء، قد فجروا القنبلـة الذريـة، التي تسببت في وفاة أكثر من ١٥٠,٠٠٠ شخص في مدينتي هيروشيما ونـاجازاكي اليـابانيتين، علّق على هذا الحدث المروع بقـوله: «**يـؤسفني أنني قـد علمتهم العلم، ولم أعلمهم الأخـلاق!**». مثل هـذا القول ينطبق على كثير من العلماء، الـذين لا يلتزمـون الجوانب الإنسانيـة والأخلاقيـة والروحية في تطبيق نتائج بحوثهم. فالعالم الذي يطبق نتائج تجاربه واكتشافاته، لإبادة محاصيل الشعوب الأخـرى، ينطبق عليه هذا القول. والعـالم الذي يطور سلاحًا جديدًا، وهو يعلم تمامًا أن بلاده ليست في حاجة إليه، وليست مضطرةً لاستخدامـه، ينطبق عليه هـذا القول. والعـالم الذي يـدرس تأثير ميكروب أو مواد كيماوية لاستخدامها كوسـائل إبادة جماعية، بغرض السيطرة وفرض الإرادة على المغلوبين، ينطبق عليـه هذا القول. والعالم الذي يطـور تقنيات تتسبب في تلويث بيئة الأرض واستنزاف الثروات الطبيعية للدول الفقيرة، ينطبق عليه هذا القول.

لكن السـؤال الـذي يحير الكثيرين هـو: لماذا لا يفكـر هـؤلاء العلماء، وهم يجرون بحـوثهم، فيما سيجلبه عملهمَ على الإنسـانية من أضرار وأخطـار؟ ولماذا يعملون أصـلاً في مثل هذه البحـوث التي يعلمون جيدًا أنها سـوف توجَّـه ضد الإنسان؟ أهل الرأي يرون أن النظـام التعليمي الانفصالي، الذي يغفل الجوانب الإنسـانية والأخـلاقية فيما يـدرسه دارسـو العلوم الطبيعيـة، هو المسـؤول الأول والأساسي. إذن لا بد مـن وجود «مرشد» يهدي هـؤلاء الباحثين الطبيعيين سواء السبيل. مرشـد يجعل الباحث يفكـر في نتائج بحثه، وربما يجعلـه يمتنع أصلاً عن مواصلة البحث إذا بـان له بأن نتائجه سوف تُستَغل في حماقـاتٍ تنزلق إليها البشرية. **وهذا يقتضي ضرورة إعداد المشتغلين بـالعلوم الطبيعية إعدادًا إنسـانيًا أخلاقيًا جنبًـا إلى جنب مع إعدادهم الفني الدقيق**. لقد وجب رتق مـا أصاب نسيج المعرفـة الإنسـانيـة مـن تمزق وفتق، ووجب ردم الفجـوة المصطنعـة بين الثقافتين.

العلم والأدب صديقان لا غريبان

إنّ فكـرة دعـوة المفكـرين وأهل الـرأي ورجـال التربيـة، التي تلف محافل المثقفين ومـؤتمرات تطويـر التعليم، هي **الـدعـوة إلى نظـام تعليمي في المدارس والجامعات يعيد إلى المعـرفة وحدتها**. إنهم يـدعون إلى تطعيـم العقول العلميـة التجريدية بشيء من أدب، وشيء من فن، يلين من عرائكها، ويرد إليها بعض الأحاسيـس الإنسانية التـي فقدتها. **وهم يـدعون للـربط بين العلوم الطبيعيـة والعلوم الإنسـانية، والـربط بين القيمة الإنسـانية والنتائج المتحصـل عليها من العلم الطبيعي**. والـربط الذي يـرجونـه، لا يعني أن تختلط العلوم فيما بينهـا، وتضيع معالم كـل منها، إذ سيظل التجريـد سمة المنهج العلمي، ولكـن لا بد من النظر إلى حقائق العلـم وتطبيقاته داخل إطار إنساني عـام. إطار من القيم والمثل والأخلاقيات. تلك هي النظرة الجديـدة التي يبشرون بها، ويدعون إليها في منتديـاتهم وفيما يخطونه بأقلامهم من أبحـاث ودراسات. **وفي هذا الضوء، رأينا بعض الجامعـات الغربية تختط في سياستهـا التعليمية خطة جديـدة، تقوم على تلقيح العلوم الطبيعية الجامدة، بطـراوة من العلوم الإنسانية**. فالطالب إذا اختار الأدب فـرعًا أساسيًا للـدراسة، يمكنه أن يختـار إلى جانبه فرعًـا آخر من فروع العلم الطبيعي. وكذا يفعل الطالب إذا اتخذ الكيميـاء مثلاً كفرع أساسي للدراسة، يضم إليه فرعًـا قريبًا نسبيًا كالفيزياء والرياضـة ونحوها، مضافًا إلى ذلك أحـد فروع الإنسـانيات كـالأدب أو الفلسفـة أو علم الاجتماع ونحوهـا. وهكـذا لا يتخـرج المتعلم وهو لا يعلم مـن دنياه غير تخصصـه الـدقيق علمًا، ويظل على مدى السنين متقوقعًـا فيه، بل هو يضم إلى جانب تخصصـه علومًا أخرى مما يحرك فكره أو يحرك العاطفـة. ونظام كهذا من شأنه أن يكشف أقوى ما لـدى الطالب من مواهب، لا أضعـف ما هو محروم منـه من قدرات. ومن شأنه أن يقيم الجسور بين أصحاب التخصصـات المختلفة حتى تكون مواصلة بين طوائف المجتمع جميعًا. وفوق ذلك، فهو يساهم في إلغاء الحاجز المصطنع الذي يفصل العلم عن الأدب، ويسـاهم في القضاء على تلك النظـرة الخاطئة التي تعتبر الأدب شيئًا غريبًا عن العلم. والعلم شيئًا غريبًا عن الأدب.

الإبداع قرين الوحدة

لعل مما يلفت نظر الدارسين في سير كبار علماء العالم، أنهم جميعًا من ذوي الثقافة الموسوعية الشاملة. أقول كبار العلماء، لا هؤلاء العلماء العاديين ضيقي الأفق، من سجنـاء المعـادلات والأرقـام، الـذين يظلـون على نتـائج أبحـاثهم متجمدين، لا يرون لها بعدًا إنسانيًـا أرحب، ولا مدلولاً كونيًا أعم وأشمل. إن هذا الطراز من العلماء الفنيين غير ما نقصـده بلفظ العالم القيادي الكبير. وهو العالم المطبوع، الذي أوتي بجـانب نظرته العلمية الفاحصـة للظاهرة الطبيعية، نظرة أخرى شاملة تسع كل جوانبها الإنسانية. والحقّ أنّ هؤلاء الأفذاذ، لم يؤتوا

تلك القدرة إلا لأنهم أبقوا على روابط قـوية تصل ما بين علومهم وفـروع المعرفة الإنسانية الأخرى. وهي مهمة - ولا شك - تبدو عسيرة على الكثيرين، لذا كان هـذا النفـر المتميز قلـة في كل مجتمع علمي. إن أمثـال هـؤلاء العلماء، الـذين يحرصـون على أن تظل لديهم هـذه النافـذة المفتوحـة المطلة على عـالم الأدب أو الشعـر أو الموسيقى أو الفلسفة، هم أصحـاب النظـريات العلميـة الثوريـة، والإنجازات العلميـة الباهـرة في تاريخ العلم. وكأنما الإنجـاز العلمي العظيم سيظل وقفًا على أمثال تلك العقول، التي حلت أسرار العلاقة الحميمة الدافئة بين العلم والأدب. إنك إذا راقبت واحـدًا من أصحاب هـذه العقول العلميـة الكبيرة، وراقبت أديبًا ألمعيًا أريبًا في أثناء عملهما، لرأيت أنهما يبدوان أكثر شبهًا الواحد بـالآخر من أيّ شخص عامل آخر. فـالأديب الحق هو رجل تجربة غير متهـاون، وعملـه الأدبي هو اختصـاص دقيق وصـارم، كما هي الحال تمامًـا في البحث العلمي. وعملية الإبداع عنده برمتها بحث واستكشاف ومحاولة دائبة في إطار الاحتمالات، وليست مجرد قدرة مطمورة في الـوجدان. وعلى نحو آخر، فإن البعض يظن أن الـذهن العلمي ليس إلا مطحنة منطقيـة لتجهيز الحقـائق بكل دقـة وصرامة. ولكنـه ليس كذلك في الـواقع؛ فالـذهن العلمي يتحسس دائمًا طـريقـه مستعينًـا بـومضـات من التبصر، فهـو يصل حـدسيًـا إلى هـدف حدسي. وبالرغم من قيمة التجربة العلمية في أعمال البحث العلمي، إلا أن ما يتم فحصه هو حـدس وإلهام وحلم، بل إننا نستطيع القول بأن **كل النظريات العلمية الكبرى ما هي إلا أعمال بطولية خيالية، وكل عمل علمي خلاق ما هو إلا ثمرة من ثمار الخيال**. لقد كان «آينشتين» محقًا، حينما قال: «**إن الخيال أهم من المعرفة**». والخيال الخصب يبقى بـاستمرار أداة العالم المبدع في إبـداعه، بينما يعيق الخيال المحدود، العالم العادي عن تطوير أفكاره، أو إبداع جديد وثوريّ في مجاله. إذن دَعُـونَا نـذكر أن العلم ليس معرفـة فحسب، إنه إبـداع كذلك، وإذا كانت المعـرفة ذاتها موضـوعية، فإن الإبـداع ذاتي؛ لأنه لا يكتفي بعكس صـورة العـالم الموضوعـي فقط، وإنما يلج العالم الـداخلي للعـالم. ولهذا كـانت الطـريقة التـي تظهر بها النظـريـة العلمية الأصيلـة والكشف الجديـد في ذهن العـالم، قـريبة كل القـرب من تلك التي تظهـر بها فكـرة العمل الأدبي في ذهن المبدع الأديب. **لا فـرق إذن بين المنبع الذي ينبثق منـه الكشف العلمي، والمنبع الذي يتـولد عنه الإبداع الفني، بل هـو منبع واحد**. وقصارى القول: إنّ العالم الذي يحرص على أن تظل لـديه نوافـذ مفتوحة مطلة على الآداب والفنـون، هو وحـده الـذي عـرف كيف ينمي ملكـة الخيـال، التي هي سبب جـوهـريّ من أسباب إبداعـه العلمي. ولا عجب إذن أن نجد أساطين العلم وعبـاقرته ذَوِي نزعة أدبية وفنية بارزة، وذوي عقلية موسوعية شاملة.

آينشتين وآخرون

إن المتأمل في قصـة حياة آينشتين - عالم الـرياضيات الأشهر - سوف يجد دليلاً قاطعًا على أن النبـوغ في العلم مرتبط أشد الارتباط باتسـاع أفكار الإنسان وتنوع ثقافته، **وأن الأدب والفن هما من أكبر مصادر الإلهام العلمي لدى العلماء**.

لقد كان **آينشتين** مولعًـا بالأدب، وكان عازفًـا ممتازًا على البيانـو والكمان، وكان يُقبل بنهم على كتب الفلسفة؛ لحبه العميق لهذا الفرع من فروع المعرفة، ولإيمانه بأن الفلسفـة تسـاعد العَـالم على تفهم طبيعـة مبادئ العلـم العامـة، ولا سيما علاقتها المنطقية بالنواميس التي تعبر عن الملاحظات المباشرة. أما العالم الروسي الكبير «**مندلييف**»، فقـد كان مهتمًا بـالدراسـات الأدبية والفنيـة، وكان يـؤلف مقالات في الفن. وكان عالم الحيوان الشهير «**هالود كوفسكي**» على اتصال وثيق بأدبيات اللغة، حتى إنه كان مترجمًا بـارعًا. وهذا عالم الذرة المعاصر «**نيلز بور**» الذي ربط نظـريته في فيزياء الـذرة بالبيولوجيـا، وبعلم الأنثروبولوجيـا. ومثله كان الفيزيائي الكبير «**جيمس جينز**»، الذي ربط الفيزياء بـالفلسفة، وكذلك «**آرثر آدنجتون**» الذي ربط علوم الفلك بالميتافيزيقا، وأيضًا «**برتراند راسل**» عالم الرياضيـات المعروف، الذي اقتحم الفلسفة والأدب من خـلال منطقه العلمي الصارم وتطبيقه للمنهج العلمـي. وهكذا كان «**هيجل**» و«**ديكارت**»و «**ألدوس هكسلي**»و «**لايبتز**» وغيرهم.

ولعل المعنى الكبير المستفاد من هذه الشخصيـات الموسوعية الكبيرة، هي أن العبقرية العلميـة لا تزدهر ولا تثمر أعظم الثمار إذا مـا عاشت ضمن أسوار حديـدية صلبـة من الحقائق العلمية المجـردة، فمثل هذه الحقـائق مهما كانت كثرتها وقيمتها لا تكفي للنفاذ إلى الحقيقة الشاملة. ومرة أخرى نقول: إن أمثال هؤلاء العلماء الـذين يحتفظون بتعلقهم بـالميادين الإنسـانية والأدبية هـم الدليل القـاطع على وحـدة المعـرفة، ووحـدة المنبع الـذي ينبثق منـه كل نشـاط عقلي وروحي للإنسان.

أدباء في محراب العلم

العلماء يخسرون كثيرًا بسبب افتقارهم إلى الثقـافة الأدبيـة؛ هذا حق. ولكن هل يخسر الأدبـاء شيئًـا إذا افتقدوا العلم في أعمالهم الإبـداعيـة؟ ربما يحسن أن نستدعي رأيًـا جريئًا للكـاتب الإنجليزي «**مايكل ستيوارت**» أدلى به لصحيفـة «ذي صنـداي تايمـز» الإنجليزيـة، يقـول فيه: «إذا كـان العلم مادة الحيـاة، وكانت الحياة مادة الفن القصصي، فلماذا إذن هذا النقص الفاضح في المحتوى العلمي، فيما تنتجـه قرائح الأدبـاء من فن قصصي؟». ونحن نتسـاءل: أليس من واجب الأديب القصصي أن يقتحم أبواب معامل البحث، وصوامع العلماء المملوءة بالأسرار وأن يروي ظمأ الناس إلى معرفـة ما يدور خلف هذه الأبواب؟ إن العلم كما أنه يلهم العلماء بمزيد من العمل والبحث، فهو كذلك يمكنه أن يلهم الأدبـاء والفنـانين والفلاسفـة، فينـوعون إنجـازاتهم ويـزيـدونها جاذبيـة وعمقًـا. فـالأديب الموهـوب، يمكنـه أن ينتفع بـالعلم، حينما يجعل العلماء شخوصًـا وأنماطًا روائية وقصصيـة، وحينما يستثمر مغـامرات الكشف العلمي وأحداثـه في سياق العمل الأدبي، وحينما يقدم حقائق العلم ومنجـزات التقنية (التكنولوجيا) محبـوكة بأحداث درامية في خيال رومانسي غنـي بالألوان. هكذا فعل الموهـوبـون من الأدبـاء، أمثـال «هــ. ج. **ويلـز**» في الأدب الإنجليـزي الحديث، حينما كتب قصة (الـرجل الخفيّ) و(ماكينة الـزمن) وغيرهما. وهكذا

العلم والأدب

فعل غيره من كتاب قصص الخيال العلمي. هكذا فعل «**جورج برنارد شو**» في بعض مسرحياته، مثل (الإنسان والسوبرمان) و(الفتاة السوداء تبحث عن الله) و(عود إلى ميتشولح). وهكذا فعل بعض الفلاسفة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، حينما أقاموا نظرياتهم الفلسفية على معطيات العلم الطبيعي. فلقد صاغ «**سبينوزا**» نظريته الفلسفية بطرق هندسية، كما أن «**هوبز**» درس التفكير على شكل عمليات رياضية. وفي القرن التاسع عشر، ولجت المكتشفات العلمية من طريق مختلف المنافذ إلى علم الجمال، فبرز منهج «**بلزاك**» ونظريته في الجمال متأثرًا بحقائق العلم الطبيعي، كما تأثر مفهوم «**ستندال**» الجمالي، بفحوى النظريات (السيكلوجية) في عصره. وفي القرن العشرين، صيغت بعض النظريات الفلسفية متأثرة بنظريات فيزيائية. فعلى سبيل المثال، مبدأ عدم الحتمية، الذي وضعه العالم الفيزيائي الألماني «**هايزنبرج**» في بداية الربع الثاني من القرن الحالي، ليصف سلوك الجسيمات الدقيقة أثناء إجراء التجارب العلمية. هذا المبدأ قد تطور حديثًا إلى مذهب فلسفي، وتبناه عدد من كبار الفلاسفة، ومؤداه أنه لا يوجد سلوك حتمي سواء للجسيمات أو للبشر، إنما يخضع كل عمل من الأعمال لقانون الاحتمال، وهو القانون المستمد من علم ميكانيكا الكم. ونعود فنقول، إنه على الرغم من كم الأعمال الأدبية والفنية والفلسفية التي أفادت من معطيات العلم، فمازال ذلك المنجم الثريّ مهملاً، خاصة في أدبنا العربي، إذ يحجم الكثير من أدبائنا عن اقتحامه أو ولوجه. وهنا لا يسعنا إلا أن نتساءل. ترى هل ثمة علاقة بين تراث الثقافتين المنفصلتين، الذي نشأنا عليه، وهذا الإحجام؟

إن القرآن الكريم كتابنا الأدبي الأول توجه إلى أصحاب الفكر والعقول المتفتحة، وجعل السموات والأرض مجالاً لتفكير المفكرين، وجعل ذلك طريقًا لمعرفة الله. وفي القرآن ذكر للجبال والبحار والمعادن وصنعة الدروع، ووصف للسدّ الذي بناه ذو القرنين. وفي كل ذلك يتعانق العلم والأدب والجسم والروح، فلماذا وقع الانفصال في ثقافتنا؟ أظنك تعرف الإجابة!

المعرفة.. لا تتجزأ

يقول «آينشتين»: «إن شعوري بجمال الطبيعة، وكل ميولي الفنية نشأت نشوءًا منسجمًا مع الميل إلى البحث العلمي، وأنا أعتقد أن وجود أحدهما من دون الآخر متعذر، إنني وجدت الواحد متحدًا بالآخر في أصحاب العقول المبدعة الذين عرفتهم». ويرى «سبنسر» أن العلم خادم للفن والأدب. تلك هي النظرة الشاملة للمعرفة، التي يبدو فيها **العلم والأدب وجهان لعملة واحدة**. وهي النظرة التي لا تقول بعقل علمي وعقل أدبي، بل ترى العقل في جوهره واحدًا، وهو كما ابتكر العلم، فقد ابتكر الأدب. وإذا كان العلم يجسد منجزات العصر المادية، فإن الأدب يبلور ملامح العصر الروحية، ونحن لا نستطيع فصل الجسد عن الروح، وإلا سقط الجسد جثة هامدة لا حياة فيها ولا حركة. **وإن أية ثقافة تفصل بين العلم والأدب هي ثقافة مشوهة، واهية، ضيقة الأفق، ومصابة بانفصام الشخصية**. وأعود فأردد بأن الحكمة كل الحكمة، وفهم الدهر والدنيا فهمًا يكون أقرب ما يكون إلى الصواب، لا يتأتى للانسان إلا بالفوز بالنصيب الأكبر من المعرفة، والإحاطة بأكثر صنوفها. تلك هي حكمة الدهر، **وخلاصة التجربة الإنسانية التي وجب على العقل العربي أن يعيها، ووجب على رجال التربية والتعليم في بلادنا، أن يراجعوا - في ضوئها - خططهم وبرامجهم الحاضرة والمستقبلة، لئلا تكون لنا ثقافتان متمايزتان تفرق صفوف الدارسين وتباعد بينهم، ووجب كذلك على مفكري هذه الأمة ومثقفيها النابهين، أن يدعموا هذه الدعوة في كل مجالات المعرفة، التي أثبتت على مرّ عصور الحضارة البشرية أنها وحدة لا تتجزأ.**

المراجع:

١ - الحسن، جاسم - الخولي، اسامة (١٩٨٩ م): ندوة العلوم الطبيعية والإنسانية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت.

٢ - التميمي، عبد المالك (١٩٩٠ م): العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية، عالم الفكر، المجلد ٢٠، العدد ٤، وزارة الإعلام، الكويت.

٣ - السيد، السيد نصر الدين (١٩٩١ م): الثقافة والتكنولوجيا، الهلال، نوفمبر، دار الهلال، القاهرة.

٤ - السيد، السيد نصر الدين (١٩٩٣ م): ثقوب في نسيج الثقافة المصرية، الهلال، يونيو، دار الهلال، القاهرة.

٥ - الفولي، محمد مصطفى (١٩٧٥ م): بعض مظاهر التقدم في العلوم البيولوجية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٦ - أيستود، دبليو (١٩٩٠ م): في العلاقة بين العلم والشعر، ترجمة (جبار هاشم حبيب)، الثقافة الأجنبية، السنة ١٠، العدد ١، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

٧ - جمعة، حسين (١٩٨٩ م): تداخل العلم والفن، الفيصل، العدد ١٤٥، الرياض.

٨ - ديكنسون، جون (١٩٨٧ م): العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث، عالم المعرفة، ترجمة شعبة الترجمة باليونسكو، ١١٢، المجلس الوطني للثقافة، الكويت.

٩ - راغب، نبيل (١٩٩٢ م): زواج العلم والأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

١٠ - زكريا، فؤاد (١٩٧٨ م): التفكير العلمي، عالم المعرفة، ٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

١١ - زكي، أحمد (١٩٨٤ م): الحرية، كتاب العربي، العدد ١، وزارة الإعلام، الكويت.

١٢ - سالم، سعيد (١٩٩٠ م): حوار مع أديب، المنهل، ٤٧٩، مارس، جدة.

١٣ - سعيدان، أحمد سليم (١٩٨٨ م): مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام، عالم المعرفة، نوفمبر، المجلس الوطني للثقافة، الكويت.

١٤ - سعيدان، أحمد سليم (١٩٩٠ م): العلوم الطبيعية والإنسانية ودور المؤسسات العلمية في التفاعل بينها، عالم الفكر، المجلد ٢٠، العدد ٤، وزارة الإعلام، الكويت.

١٥ - سعيدان، أحمد سليم (١٩٩٠ م): الأمية العلمية أيضًا، آفاق علمية، العدد ٢٥، مايو، عمان.

١٦ - عوض الله، محمد فتحي (١٩٧٨ م): الفضاء في خيال الأدباء، دار المعارف، القاهرة.

١٧ - عوض، رمسيس (١٩٨١ م): س. ب. سنو والثورة العلمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

١٨ - محمود، زكي نجيب (١٩٥٦ م): الأدب العلمي، الفصول، يونيو، القاهرة.

١٩ - محمود، زكي نجيب (١٩٧٧): أسس التفكير العلمي، دار المعارف، القاهرة.

٢٠ - محمود، محمود (١٩٨٠ م): في الطريق إلى الثقافة الثالثة، العربي، ٢٥٨، وزارة الإعلام، الكويت.

٢١ - محمود، محمود (١٩٨٢ م): بين العالم والأديب، العربي، ٢٨٠، وزارة الإعلام، الكويت.

٢٢ - مولر، هربرت (١٩٩٠ م): إنسانية العلم وصلتها بالأدب، ترجمة سعيد أحمد الحكيم، الثقافة الأجنبية، السنة ١٠، العدد ١، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

٢٣ - نويه، عثمان (١٩٦٩ م): حيرة الأدب في عصر العلم، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

24 - Huxley, Aldous. 1963. Literature and Science. chatto Windus, London. PP. 7 - 35.

كتاب "البديع" لعبد الله بن المعتز رأي في المَنْهج

د. ربيع محمد عبد العزيز

مدخل

يحتل عبد الله بن المعتز «٢٤٧-٢٩٦هـ» مكانة بارزة بين أعلام النقد العربي؛ لا لأنه عاش في ظرف تاريخي احتدم فيه الصراع بين القدامى والمحدثين فحسب، بل لأنه - أيضا - جمع بين الإبداع الشعري والدرس النقدي والبلاغي، فكان مثالاً للناقد المبدع، الذي تعتمد مقولاته النقدية والبلاغية على ذوق رهيف، وخبرة مكتسبة، وبصر ثاقب بأسرار القصيدة ودقائقها.

وأما كتاب البديع فقد ألفه عام «٢٧٦هـ» مدفوعا برغبة صادقة في إنصاف القدامى، وإثبات سَبْقِهم إلى فنون البديع التي يتيه بها المحدثون من أمثال: مسلم بن الوليد، وبشار بن برد، وأبي نواس، وأبي تمام، ومن تقيلهم وذهب في البديع مذهبهم. ويشير إلى باعثه على تأليف كتاب البديع بقوله:

«وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع»(١).

وبهذا الغرض انحصر جهده في مجال الدرس البلاغي، فمضى يقيم الدليل على أن بديع المحدثين يرجع إلى بديع أسبق منه عند المتقدمين، ولم تشغله عن هذا الهدف أخبار الأدباء وطُرَفُهم كما شغلت سلفه الجاحظ «ت٢٥٥هـ» عندما شرع يؤلف كتاب «البيان والتبيين».

وقد بلور ابن المعتز جانباً من منهجه في عنوان كتابه «البديع»، وهو عنوان إن يكن وثيق الصلة بمعنى الطرافة والجدة، فإنه يتآزر مع مضمون الكتاب في الكشف عن وعي المؤلف بخرافة القول بمطلق التجديد، وبأنه ما من جديد إلا ويولد من رحم القديم، وإلا كان نبتاً شيطانياً لا أصول له. أي إن الفرق بين بديع المحدثين وبديع القدامى فرق في الكم وليس فرقا في النوع؛ لأن القدامى لم يكلفوا بالبديع، «وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع»(٢). أما المحدثون فقد كانوا يكلفون بالبديع أشد الكلف، ويسرفون في طلبه كل الإسراف، حتى إذا جاء أبو تمام، جعل منه مذهباً يتشيع له، وينافح عنه، بحيث غدا الشعر عنده عملا من أعمال العقل قبل أن يكون فيضاً من فيوض العاطفة، أو على حد تعبيره(٣):

ولكنه صَوْبُ العقول إذا انجلتْ ... سحائبُ منه أُعقِبَتْ بسحائب

وبدهي أن ابن المعتز لا يصادر حق المحدثين من الشعراء في تجديد الشعر، لكنه يؤكد أن أبا تمام حين تشيع لمذهب البديع، واشتط في طلبه، جاء بديعه وسطاً بين الجودة والرداءة، وتلك عقبى الإفراط.

وهكذا بدا ابن المعتز واعياً بأن ولاء الشاعر لفنه ينبغي أن يُقَدّم على ولائه لأي مذهب؛ لأن الولاء المذهبي من شأنه أن يستعبد طاقات الشاعر، وأن ينال من حريته في الحس، والتعبير عنه، وأن يجعل شعره في منزلة وسطى بين الجودة والرداءة. ولعله بهذا الوعي يسبق الكثيرين ممن حذروا من خطر الولاء المذهبي في إبداع الشعر.

قسَّم ابن المعتز كتابه قسمين: عالج في القسم الأول خمسة من أبواب البديع هي: الاستعارة، التجنيس، المطابقة، رد الأعجاز على ما تقدمها، والمذهب الكلامي. وعالج في القسم الثاني ثلاثة عشر نوعاً من محاسن الكلام وهي: الالتفات، الاعتراض، الرجوع، حسن الخروج، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تجاهل العارف، الهزل يراد به الجد، حسن التضمين، التعريض والكناية، الإفراط في الصفة، حسن التشبيه، إعنات الشاعر نفسه في القوافي، وحسن الابتداءات.

ومما يلفت الانتباه أنه استخدم مصطلح البديع بمدلوله العام؛ فأطلقه على الاستعارة التي صُنفت فيما بعد ضمن مباحث علم البيان، ولم يطلقه على التشبيه الذي جعله من المحاسن.

ولا غرو؛ فإن مباحث علم البيان لم تكن قد تحددت آنذاك، وكان المدلول العام لمصطلح البديع هو المعتمد، لا في أوساط رواة الأدب ونقاده فحسب، بل عند الشعراء أمثال مسلم بن الوليد، والعتابي، والراعي النميري.

سمات المنهج

وثمة سمات منهجية التزمها ابن المعتز في أبواب البديع الخمسة، **الأولى**: البدء بذكر الشواهد الجيدة، والانتهاء بذكر الشواهد المعيبة، وبذلك «سنَّ

كتاب البديع لعبدالله بن المعتز

للبلاغيين من بعده أن يتحدثوا عن العيوب التي وقعت في بعض الفنون البلاغية»[٤]، وبرهن على وعيه بأن الدرس البلاغي ـ لكي يؤتي ثماره في التربية الأدبية ـ لا يمكن أن يعتمد على جيد الشواهد وحدها، وإنما لا بد أن يعتمد على رديئها أيضا؛ لأن مجاورة رديء الشواهد للجيد منها كفيلة بأن تزيد إحساسنا بجودة الجيد؛ كفيلة بأن ترهف أذواق الشداة، وأن تحبّذ لهم الجمال، وتنفرهم من القبح.

الثانية: سمة التجميع فقد عمد ابن المعتز إلى تجميع آراء بعض أسلافه ومعاصريه من النقاد والبلغاء، ويتأكد ذلك من قوله: «وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد»[٥]. وهو يعترف بأنه مسبوق إلى مصطلح البديع من الشعراء ونقاد المتأدبين[٦]، وبأنه جمع جانباً من آراء الخليل بن أحمد الفراهيدي «ت ١٧٠هـ» في المطابقة[٧]، وآراء الأصمعي «ت ٢١٦» في التجنيس[٨]، وبأنه أخذ المذهب الكلامي[٩] من الجاحظ «ت ٢٥٥هـ».

أما الثالثة فالسمة الأدبية، التي تظهر واضحة في إكثاره من الشواهد، وإقلاله من القواعد. إذ لا يعطي المصطلح البلاغي اهتماماً كبيراً، ولا يعبأ بضبطه وتحريره وأقسامه، ولا تجد في كتابه احترازاً منطقيا، أو جدلاً لفظياً، أو تعمقاً عقلياً كالذي تجده عند بلاغيّي المدرسة الكلامية ومناطقة البيان العربي، وإنما تجد اهتمامه ينصب على الشاهد قديمه وحديثه، جيده، ومعيبه. وتجده يغمر باب الاستعارة بشواهد عديدة تفوق المائة، بعضها مستمد من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الصحابة وكلام الأعراب، وبعضها مستمد من أشعار المتقدمين والمحدثين.

وأحيانا يكتفي ابن المعتز بسوق الشواهد لتكشف عن جمالها بنفسها، وأحيانا لا يكتم إعجابه بالشاهد، ويصدر أحكاما نقدية تأثرية تنأى عن التعليل.

وأما السمة المنهجية الرابعة: فالروح العلمية التي تلف الكتاب، والتي تظهر واضحة في الحرص على نسبة الشواهد إلى أصحابها، حتى إن عددَ غيرِ المنسوب من شواهده يتضاءل إلى حد كبير إذا ما قورن بالشواهد المنسوبة إلى قائليها، ومما يؤكد ذلك أنه ساق واحداً وثمانين شاهداً شعرياً في باب الاستعارة، ليس من بينها سوى نموذجين غير منسوبين.

لقد أدرك ابن المعتز أنه يتصدى لقضية حساسة، هي قضية الخصومة بين القدامى والمحدثين، ومن ثم فقد كان عليه أن يحتج بشواهد صحيحة النسبة؛ لأن الشواهد المجهولة الهوية لا قيمة لها أمام قضية بهذه الحساسية.

والسمة الخامسة والأخيرة سمة الابتكار؛ فقد قدم إلى الدرس البلاغي أربعة مصطلحات لم يسبقه إليها سابق، وهذه المصطلحات الأربعة هي:

١ ـ الاعتراض، وهو «اعتراض كلام في كلام لم يتمم معناه، ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد»[١٠]، ومن أناشيده في هذا الفن قول كُثيّر[١١]:

لَوَ انَّ الباخلين، وأنتِ منهم، رأوكِ تعلموا منك المطالا

٢ ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم. ولم يضع له حداً اكتفاء بذكر لقبه. ويفهم من شواهده أنه يقصر دلالة هذا المصطلح على عرض قيمة ممدوحة في معرض يوحي بالقدح، اعتماداً على فاعلية أداة الاستثناء، يظهر ذلك من احتجاجه بقول نابغة بني ذبيان[١٢]:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

فقد جعل النابغة فلول السيوف عيباً، وهو في المدح أوكد؛ لأن فَلّ ناشىء من كثرة النزال، وكثرة الانتصار، ولم ينشأ من ضعف أو خور في المقاتلين.

٣ ـ تجاهل العارف. ولم يضع له حداً، اكتفاءً باللقب والشاهد، ومن أناشيده في هذا الفن، قول زهير[١٣]:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

٤ ـ إعنات الشاعر نفسه في القوافي، ولم يَحُدّه بحدّ معين، بل اكتفى بذكر اللقب وسوق الشواهد، ومن بين هذه الشواهد[١٤]:

يقولون في البستان للعين لذة وفي الخمر والماء الذي غير آسن
فإن شئت أن تلقى المحاسن كلها ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

وواضح من شواهده أنه يقصد بهذا المصطلح أن الشاعر لا يلتزم في قافيته حرف الروي فحسب، بل يلتزم حرفاً آخر قبل الروي، إعرابا عن تمكنه في صنعته. ولا شك أن هذا المصطلح يمثل الأساس الذي قامت عليه فكرة اللزوميات عند أبي العلاء.

مثالب المنهج

لم يخل منهج ابن المعتز من مثالب، **المثلبة الأولى**: إطلاقه مصطلح المحدثين على شعراء العصر العباسي، وهذا الإطلاق يربط مصطلح الحداثة بالزمن، ويهدر الفروق بين حداثة أبي تمام وحداثة البحتري!

من كتاب العدد

● د. ربيع محمد عبد العزيز



ـ مواليد مصر ١٩٥١م.
ـ حصل على الماجستير عن رسالته بعنوان: «محمد مندور ونقد الشعر».
ـ نال درجة الدكتوراه من جامعة الزقازيق، وكان موضوع الرسالة «عماد الدين بن الأثير وجهوده البلاغية والنقدية».
ـ يعمل حاليا بكلية الدراسات العربية والإسلامية، جامعة القاهرة، فرع الفيوم.
ـ له كتاب «دراسات في شعر محمد ابن علي السنوسي»، «بالاشتراك».
ـ له مقالات نقدية في الصحف والمجلات العربية.

المثلبة الثانية : إن ابن المعتز كان يتذوق بديع المحدثين بذوق محافظ ، ومن ثم عاب استعارة الأخدعين للشتاء في قول أبي تمام[١٥] :

فضربت الشتاء في أخدعيه ضربة غادرته عودا ركوبا

ولم يدرك أن أبا تمام ثائر على ما أَلِفَ المتقدمون من بديع ، وأن هذه الثورة تعطيه حق التجريب ، وتمنحه شرعية المغامرة الشعرية ، وتبرر إبحاره ضد التيار . **المثلبة الثالثة** : أنه قرن المذهب الكلامي بالتكلف ورفض أن يسوق له شواهد قرآنية ، وليس لذلك تفسير سوى حساسيته نحو الفكر المعتزلي الذي نشأ هذا المذهب في أحضانِهِ . ولو تحرر ابن المعتز من هذه الحساسية لأدرك أن المذهب الكلامي ليس سوى لون من الحجاج المنطقي الذي يرمي إلى إفحام الخصم ، وبعث المعاند على التسليم ، ومن ثم فلا علاقة له بالتكلف . بل لقد كان بوسع ابن المعتز ـ لو تحرر من حساسيته تجاه المعتزلة ـ أن يجد شواهد قرآنية عديدة تندرج تحت هذا المذهب ولا سيما في المواضع التي يجادل فيها القرآن خصومه ، ويبطل حجتهم ، نحو قوله تعالى :

﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لَفَسَدَتَا﴾[١٦] ، فإن انتفاء الفساد يبطل حجة القائلين بتعدد الآلهة ، ويحملهم على التسليم بأن الله تعالى واحد لا شريك له . وأمثال ذلك كثيرة في القرآن الكريم .

المثلبة الرابعة والأخيرة : إن قدرته على حسن الاستدلال تخونه أحيانا ، ومما يؤكد ذلك أنه أدرج البيت التالي للمرار الفقعسي ضمن شواهد الاستعارة[١٧] :

والقوم قد طلحوا والعيس رازحة كأن أعينها نزح القوارير

فهذا تشبيه ذُكِرَ ركناه وأداته ، ومكانه الطبيعي شواهد التشبيه ، لا شواهد الاستعارة!

ومهما يكن من أمر فإن ظهور كتاب البديع كان حدثاً كبيرَ الخطر في تاريخ النقد العربي ؛ لأنه حدد خصائص المذهب البديعي ، وترك أثراً واضحاً فيمن جاء من النقاد بعد ابن المعتز[١٨] ، هذا إلى تأسيسه منهجاً سديداً سواء في التربية الأدبية ، أم في درس الأدب ونقده .

أما المثالب فلا تقلل من قيمة هذا الكتاب بقدر ما تؤكد إنسانية صاحبه .

الهوامش :

١ ـ ابن المعتز، كتاب البديع ص ٣ ، تحقيق اغناطيوس كراتشكوفسكي ، ط الثالثة ، دار المسيرة ، بيروت ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

٢ ـ السابق ص ١ .

٣ ـ ديوان أبي تمام ج١ ص ٢١٤ ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط دار المعارف ، مصر ١٩٦٤م .

٤ ـ د . شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ص ٧٠ ، ط الرابعة ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٧م .

٥ ـ البديع ص ٥٨ .

٦ ـ السابق ص ٥٨ .

٧ ـ نفسه ص ٣٦ .

٨ ـ نفسه ص ٢٥ .

٩ ـ نفسه ص ٥٣ .

١٠ ـ نفسه ص ٥٩ .

١١ ـ نفسه ص ٦٠ .

١٢ ـ نفسه ص ٦٢ .

١٣ ـ نفسه ص ٦٢ .

١٤ ـ نفسه ص ٧٥ .

١٦ ـ سورة الأنبياء آية ٢٢ .

١٧ ـ البديع ص ١٢ ، وانظر «تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري» لأستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام ص ١١٧ ، ط دار المعارف ١٩٦٤م .

١٨ ـ د . محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ص ٦٠ ، ط دار نهضة مصر ، القاهرة ، د ـ ت

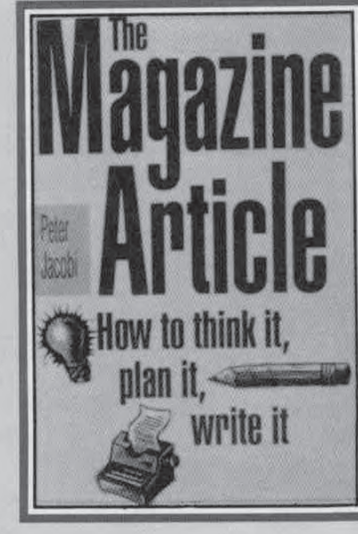
يا أيها البيت العتيق

شعر : رفعت عبد الوهاب "المرصفي"

آتٍ إليك يسوقني منّي اندفاعْ
ينساب قلبي ساعيًا بين البقاعْ
وشذا الطَّواف يهزني حتى النُّخاعْ
يافرحة الحُجَّاج في طَوْفِ الوداعْ
وقلوبهم يجتاحُهَا طُهرٌ عميقْ
يا أيها البيت الفؤادُ لديكَ ذابْ
يَسْتافُ من عبقِ الدُّعاءِ المُستجابْ
من «زمزم» يُروى بماءٍ كالرضابْ
كم خِفْتُ عمري ينقضي قبل الذّهابْ
والشَّوق لِلُّقيا حريقٌ بالعروقْ
العينُ يدفقُ دمعها ألَقُ الزحامْ
والروح تسبحُ في سنا البيت الحَرامْ
والنفس تدعو علّهُ حُسنُ الختَامْ
يا أيها البيت المُؤسّس بالسّلامْ
طرحُ السّلام على المدى نورٌ طَلِيقْ
«لبيكَ يا أللهُ» تطلقُها الحناجِرْ
فتزلزِلُ الكفّار في شتى المَنابرْ
وتعمّقُ الإيمان في كل السَّرائِرْ
يا أيها البيت المقام على الفَضائِلْ
إنّا أتينا نحتمي من كلّ ضِيقْ

كيف تُعدّ مقالة صحفية؟

نافذة على ثقافة الغرب



تأليف: بيتر جاكوبي
عرض وتقديم: ياسر الفهد

ظهر هذا الكتاب الطريف خلال عام (١٩٩١ م) في الولايات المتحدة، باللغة الإنجليزية. ومؤلفه الدكتور بيتر جاكوبي أستاذ الصحافة في جامعة إنديانا ومستشار صحفي معروف للمجلات الأمريكية والعالمية. ويدور الكتاب حول التخطيط لكتابة المقالات ونشرها في الدوريات. وهو يعلّم الكاتب كيف ينظر نظرة أعمق إلى العالم من حوله، ليكتشف المغازي الحقيقية للناس والأشياء والأمكنة والحوادث والأفكار، مما يساعده على تأليف الموضوعات المختلفة الصالحة للنشر.

إن المهمة الأساسية للكاتب هي أن يجذب قراءه ويأسر اهتمامهم، من خلال إضفاء الأهمية البالغة على ما يقدمه لهم من كتابات خلاقة. ولكن، كيف يستطيع الكاتب أن يضع نفسه في مكان القارئ ليكتشف حاجاته واهتماماته، ويبقى في الوقت نفسه محتفظًا بمنظوره الخاص، ورأيه الشخصي؟

هذا ما يشرحه لنا خبير المجلات العالمي بيتر جاكوبي في كتابه الذي يتناول بالتحليل الجوانب المختلفة لكتابة المقالة الصحفية ونشرها منذ أن تسطع الفكرة وتولد في ذهن الكاتب، إلى أن يقيّض لها النشر على صفحات المجلة.

بين الشعر والنثر

يبدأ المؤلف بإجراء بعض المقارنة بين النثر والشعر، مبيّنا أن الشعر فن كتابي عريق يشبع الغبطة في النفوس ويعمق العواطف، ويهدئ النفس ويصقل المشاعر، والأهم من ذلك كله أنه يعلّم. والشعر الجيد يسمو باللغة، ويحلق بالأفكار، ويهيئ العقول للتلقي. وهذا نفسه ينطبق على المقالة الجيدة المعدة للنشر في المجلة مع بعض الاختلافات المعينة.

ويعتقد جاكوبي أن الكاتب يستطيع أن يفيد من خبرة الشاعر ويقتفي آثاره، على الرغم من اختلاف التوجه الكتابي لكل منهما، فالشاعر يحاول أن يكسب القارئ شعورًا عاليًا بالحقيقة مستعملا مادة كتابية غير واقعية. أما كاتب المقالة الصحفية، فإنه يستخدم معلومات حقيقية ويحاول تمكين القارئ من الوعي بهذه المعلومات، عن طريق كشف النقاب عن موضوع ما بأبعاده وتفاصيله كافة، وبكل العمق والدقة بحيث يستطيع هذا القارئ أن يمتصه ويفهمه ويحس ويتأثر به ويتذكره.

مراحل الكتابة

يشرح المؤلف المراحل الأساسية التي تمر بها عملية الكتابة مبينا أن الكتابة تبدأ في الواقع من القارئ لا من الكاتب، بمعنى أن الكاتب عندما يختار موضوعا ما، فإنه يبدأ بالتساؤل عن مدى تقبل القارئ لهذا الموضوع واهتمامه به، فما يحتاجه هذا وما يريده ويقدر على فهمه هو مصدر الإيحاء الأول للكاتب.

ويرى جاكوبي أن عملية الكتابة تتضمن عمليا أربع مراحل هي:



كيف تعد مقالة صحفية؟

أ ـ الفكرة .

ب ـ جمع المعلومات .

جـ ـ التنظيم .

د ـ الكتابة .

فمن دون فكرة أساسية سيتخبط الكاتب في متاهات لا نهاية لها، إنها هي التي توجهه وترشده خلال رحلة الكتابة . وتأتي بعد ذلك عملية جمع المعلومات التي تتم بالرجوع إلى المكتبة وإجراء المقابلات . وتغدو هذه سهلة، عندما يكون هناك تحديد واضح لطبيعة المعلومات المطلوبة . ثم هناك التنظيم، وهو يتم بطريقة أيسر، حينما تقتصر المعلومات التي يتم جمعها، على ما هو ضروري وأساسي دون فائض لا لزوم له . وأخيرا تأتي الخطوة الرابعة المتمثلة في الكتابة نفسها، وهنا، كلما كانت الإنجازات في المراحل الثلاث أفضل وأكثر كمالا ودقة، أصبحت عملية الكتابة أقل صعوبة وإيلاما .

ويقدم المؤلف للكاتب عدة نصائح للعمل بها خلال مراحل الكتابة الأربع، ومنها : أن يجمع معلوماته من أكثر من مصدر واحد، وأن يعتمد على زميل موثوق ومثقف لكي يقرأ مقاله المخطوط وينقده، كما ينصحه بأن يترك مسودة مقالته لفترة من الزمن ويمارس أعمالاً أخرى، ثم يعود بعد مضي فترة إلى المسودة بنظرة متجددة، وأكثر عمقًا .

وبعد أن يجمل المؤلف الحديث عن مراحل الكتابة ويلامسها ملامسة عامة، ينتقل في فصول أخرى من الكتاب ليدرس هذه المراحل بصورة متأنية وبتفصيل أكبر، مبتدئا بالتساؤل عن كيفية ورود فكرة المقال إلى ذهن الكاتب، ويجيب هو نفسه عن ذلك بأن الفكرة يمكن أن تقفز إلى عقل الكاتب في أي وقت وفي أي مكان . ويستشهد على ذلك بأقوال بعض المشهورين مثل جرانت وود الذي قال مرة : «إن الأفكار الجيدة تأتيني، عادة، في أثناء حلب البقرة!»

والفكرة الجيدة تعني بالنسبة للمحرر ازدهار المجلة واستمرار حياتها، وبالنسبة للكاتب استمرار النشر، وللقارئ الإقبال على المجلة، وبالنسبة للناشر مزيدًا من المبيعات!

وبعد ورود الفكرة الأساسية يختار الكاتب موضوعا للمقالة، وهذا الاختيار مهم، فالموضوع المُختار يجب أن يهم أكبر عدد من الناس، ويتناغم مع حاجات القراء . وعلى الكاتب أن يختار له الأسلوب المناسب، فأسلوب المقالة العلمية يختلف عن أسلوب المقالة الأدبية أو عن أسلوب الخاطرة أو أسلوب التحقيق أو الاستطلاع . . . . إلخ .

ويحدد جاكوبي بعض الموضوعات التي يهتم بها القراء في كل مكان، عادة، ومنها مثلا :

أ ـ القضايا العالمية البارزة، كالبيئة والجوع وتكاثر السكان .

ب ـ الأشياء المجهولة مثل الفضاء والأمراض المستعصية .

جـ ـ الأعلام والشخصيات المتميزة .

د ـ الموضوعات المتعلقة بالمنافسة مثل الانتخابات والمباريات الرياضية .

هـ ـ الحوادث غير المألوفة مثل حوادث طلاق المشهورين، والأمور المتعلقة بما وراء الطبيعة .

أما بالنسبة لجمع المعلومات، فيبين جاكوبي أن على الكاتب أن يفكر أولاً بنوع المعلومات التي يحتاجها، ثم بالجهة التي يحتمل أن تتوافر فيها هذه المعلومات كالمكتبات أو الوثائق أو الإحصاءات . وفي بعض الأحيان، فإن الخبرة الشخصية هي التي تمد الكاتب بالمعلومات .

وبخصوص التنظيم، فإن المؤلف يرى أن على الكاتب أن ينسق المعلومات ويربط بعضها ببعضها الآخر، وأن يجزئ الموضوع إلى وحدات وعناوين استعدادا لمرحلة الكتابة .

وفي هذا المجال ينقل المؤلف قول الكاتب المعروف رد سمث : «الكتابة عملية سهلة، كل ما على الكاتب أن يفعله، الجلوس أمام الآلة الناسخة إلى أن تتساقط قطرات الدم على جبينه!»

وهذا القول الساخر يشير ضمنا إلى مدى صعوبة الكتابة وما تستلزمه من مشاق .

ولا ينسى جاكوبي، أيضا، قول الفيلسوف جان بول سارتر : «إن على الكاتب الحقيقي أن يعرق؛ لأن طبيعة الكتابة تفرض ذلك . فالإنسان ينطق بلغته الأم، ولكنه يكتب بلغة أجنبية» .

وينصح جاكوبي الكاتب بأن يبدأ كتابة مقالته بطريقة مقنعة ومثيرة للاهتمام ومؤسسة للموضوع، لتكون البداية بمثابة دليل ومرشد، حتى يفهم القارئ مرامي الكاتب ومقاصده، فيستمر في القراءة .

تقانات صحفية

يركز المؤلف على ما يسميه بالمقالة التفسيرية (exposition article) التي يعدها من أكثر مقالات المجلات شيوعا . وهذه المقالة ينبغي ـ في رأيه ـ أن تعتمد على تسهيل المعلومات دون أن يصل الأمر إلى حد البساطة الكاملة، وعلى التخفيف من التعقيدات دون إلغائها نهائيا . أما التقانات أو الأدوات التي يستخدمها كاتب المقالة التفسيرية فكثيرة، ومن بينها الأمثلة والتشخيص والتعريف والتصنيف والمقارنة والتشبيه والتناظر والإحصاء والتحليل والتكثيف .

فالأمثلة وسيلة ناجحة لإثبات فكرة ما، أو لإكمال نقطة معينة، وهي تساعد على توضيح الأفكار وتفسير ما استغلق منها .

أما التشخيص فإنه يعني وضع الشيء ضمن قرينة معينة . وبذلك يصبح الموضوع محسوسا، وذا مغزى أكبر بالنسبة للقارئ .

وفيما يخص التعريف، فإنه عند القارئ يختلف عنه في القاموس . فالكاتب يعرّف بطريقة أدبية

جميلة، خلافا للقاموس الذي يعرّف بطريقة حرفية عادية. ويذكر مؤلف الكتاب أنه سأل مرة بوب وليامز محرر صحيفة «بنسلفانيا فارمر» الزراعية عن تعريفه البقرة. وبدلا من أن يسمع تعريفا تقليديا كالتعريف الذي يرد عادة في القواميس، أجابه المحرر بما يلي: «لو أن الله خلق مخلوقا لإنقاذ الجماهير الجائعة في العالم، فإن هذا المخلوق لابد أن يكون البقرة، فهي تستطيع أن تحوّل كل شئ تأكله، كالأعشاب، إلى أكثر الاغذية الطبيعية كمالا وقدرة على حفظ الحياة». وهذا التعريف، كما هو واضح، طريف ومقنع وبعيد عن الحرفية الروتينية. وهو ربما يجعل القارئ يغيّر رأيه في البقرة ويصبح أكثر احتراما لدورها في الأرض، بعد أن اعتاد بعض الناس على امتهانها وتشبيه الإنسان الغبي بها.

ومن التقانات الأخرى **التصنيف**، والمقصود به وضع الأشياء أو الناس أو المؤسسات أو الحوادث التي هي موضوع الدراسة، ضمن درجات وطبقات تقريبية، تسهيلا على القارئ.

وهناك أيضا **المقارنة**، أي إظهار أوجه الاختلافات بين الأشياء.

وعكسها **التشبيه** الذي يهدف إلى الكشف عن جوانب التشابه. وأقرب تقانة إلى التشبيه هي **التناظر**. ويهدف إلى التركيز على نقاط التماثل تعميقا للفكرة وتوضيحا لها. ويذكر المؤلف مثالا على التناظر قول الكاتب ي. وايت: «أحب دائما أن أبحر لوحدي، فالبحر بالنسبة لي كالحسناء، لا أريد أحدا أن يشاركني فيها».

أما **الإحصاء**، فإنه يساعد على إكساب المقالة قيمة علمية وعملية. فالأرقام تدل على الحيادية والصحة والموثوقية. وفي المقالات يجب أن ترد الإحصاءات بطريقة مشوقة، وأن تبتعد عن الجفاف الحرفي. وينقل لنا المؤلف ــ كمثال على الطريقة الجذابة في إيراد الإحصاءات العلمية ــ ما كتبه الكاتب تيموثي آيبل في عدد يوليه ١٩٨٧ م من صحيفة «كرستيان ساينس مونيتر»: «خلال الخمس عشرة دقيقة التي ستقرأ خلالها هاتين الصفحتين، سوف يُضاف إلى سكان العالم أكثر من ٢٢٠٠ نسمة. ففي كل أسبوع يزداد عدد سكان الأرض بمقدار عدد سكان مدينة هاوستون، وفي كل سنة يزدادون بمقدار سكان منطقة مكسيكو».

«الكتابة يجب أن تبدأ بطريقة مقنعة ومثيرة للاهتمام، حتى يفهم القارئ مقصد الكاتب ومراميه.»

وكمثال آخر على استخدام الإحصاءات بطريقة أدبية ممتعة، ينقل جاكوبي قول جيمس جينز، الفلكي الرياضي البريطاني الشهير: «لو وضعنا ثلاث ذرات من الرمل في قصر واسع، فإن كساء هذا القصر بالرمل سوف يكون أكبر بكثير من ترصع الفضاء اللامتناهي بالنجوم».

إن هذا الوصف الإحصائي الأدبي يعطي صورة عن مدى ضخامة الفضاء واتساعه، أوضح مما يعطيه أي إحصاء رقمي رياضي.

ويذكر المؤلف، أيضا **التحليل**، أي فحص البنية العملية والنظر في مجمل الموضوع لرؤية كيفية العمل في الداخل. ويشكل التحليل في الحقيقة لب العمل الكتابي.

وفي مجال الأسلوب هناك تقانة **التكثيف**. وفي هذا المجال ينصح المؤلفُ الكاتب بأن يعتاد في كتابته على تقديم أكبر كمية من المعلومات، بأقل قدر من الكلمات؛ لأن هذا أدعى إلى التأثير في القارئ. وحتى يكون الكاتب مؤهلا لذلك، عليه أن يكون على معرفة تامة بالموضوع، ممسكًا بزمام الناصية اللغوية. وعملية التكثيف هذه تختلف عن الإيجاز الذي يشمل المعلومات والكلمات في آن واحد؛ لأنها لا تختصر إلا الكلمات بينما تبقي على المعلومات كاملة.

وبالإضافة إلى المقالة التفسيرية، يشير الكاتب أيضا إلى نوع خاص من المقالات التي تتم كتابتها بقالب روائي. وفي هذه الحالة يبدأ الكاتب برواية حادثة تكون أشبه بمثال، ثم ينتقل بعدها إلى الشرح وربط الأمور، بعضها ببعض.

وهناك أيضا ما يسميه جاكوبي بمقالات وجهة النظر. وهي أشبه، بالنسبة للمجلة، بالبهار والسلطة للطعام. وهذه المقالات، أكثر من غيرها، تعطي صورة من نمط تفكير الكاتب وطريقته في الحكم على الأمور، وهي تشكل فرصة له كي يفصح عن فلسفته وخبرته.

وهناك طبعا أنواع أخرى من مقالات المجلات مثل الافتتاحية وغيرهما.

كلمة أخيرة

إن الكتاب الذي عرضناه يستمد مصداقيته وموثوقيته من كون مؤلفه مستشارا عالميا لقضايا المجلات. وهو مفيد للكتّاب والمحررين وجميع العاملين في مهنة الصحافة على نحو عام، ولكتّاب المجلات على نحو خاص. وذلك إذا افترضنا أن لمقالات المجلات خصوصية تميزها من باقي المقالات، كمقالة الصحيفة أو المقالة المعدة للإذاعة، مثلا.

وهذا في الواقع موضوع قابل للنقاش، فهناك عناصر مشتركة كثيرة بين المقالات. وإذا كانت بعض أنواع المقالات ذات سمات خاصة، فإن هذه الخصوصية محددة جدًا، وعنصر العمومية هو الأغلب فيها. فالصحف اليومية مثلا تحتاج إلى مقالات ذات صبغة إخبارية ومرتبطة بالأحداث الزمنية الآنية. وهذا أيضا يصدق إلى حد ما مع المجلات الأسبوعية، وبدرجة أقل مع المجلات الشهرية والفصلية التي تفتح صفحاتها للدراسات والمقالات المفصلة غير المقيدة بالعامل الزمني الدقيق. أما المقالات التي تُبثّ من الإذاعة بشكل أحاديث فينبغي أن تكون قصيرة، بقدر المستطاع، ولكن المجلات الأسبوعية والشهرية تتضمن أيضا موضوعات وخواطر قصيرة.



كيف تعد مقالة صحفية؟

نخلص إلى القول بأن المقالات الصحفية والإذاعية تغلب عليها بصورة عامة خصائص مشتركة، وإذا كان لنا أن نسبغ على مقالات المجلات خصوصية ما ـ كما يفعل مؤلف كتاب «كيف تعد مقالة صحفية؟» ـ فإن علينا أن نسلم بأن هذه الخصوصية محدودة.

إن كتاب جاكوبي لا يعلِّم الكاتب كيف يكتب، لأن الكتابة ـ كما هو معروف ـ موهبة لا يمكن تعليمها، ولكن يقدم للكاتب كثيرًا من الأفكار والإرشادات والقواعد التي تساعده على الكتابة بطريقة فنية وأصولية وجذابة، ترضي المحرر والقارئ على حد سواء. فالمحرر لا يجيز للنشر إلا المقالات التي تُكتب بأسلوب صحفي مناسب، وبمضمون يتفق مع اهتمامات المجلة وتوجهاتها، كما أن القارئ لا يُقْبل إلا على قراءة المقالات التي تنسجم مع ميوله.

وكتاب «كيف تعد مقالة صحفية؟» يعلِّم الكاتب كيف يلبي حاجات المجلات وحاجات القراء في آن واحد. وهو ليس كتابًا نظريًا جافًا، بل إنه كتاب عملي يفيض بالأمثلة التي هي عبارة عن مقتطفات من مقالات سبق أن ربحت جوائز عالمية. وقد ساق المؤلف هذه الأمثلة للمساعدة على توضيح أفكاره والبرهنة عليها.

وبعد، فإنه لكي نجمل قيمة هذا الكتاب، ربما يكفي أن نقول إنه دليل ومصدر وحي وتحفيز لكل كاتب حتى يرتقي بإنتاجه إلى مستويات أعلى ويجود بأعمال أفضل.

حنين إلى أمِّ القرى

شعر: أحمد محمود مبارك

فـؤادي يَهْفُـو لأمِّ القُـرىٰ
فهـل أبلـغُ الأمـلَ المُرْتَجىٰ
وأَنْعَـمُ بـالحجِّ . أَرْوِي صَـدَىٰ
حَنِيْنٍ بقلبـيَ قَـدْ أُجِّجـا
أيـا كعبـةً حَـوْلَها طـافَ حُلْمي
أمـا آن للنَّفْسِ أن تَبْهَجـا
وتَحْظَىٰ بنـورِ الطـوافِ الـذي
يُخَلِّصُهـا مِنْ عَنـاءٍ دَجـا
أيـا نَهْلَـةً من نَـدَىٰ زمـزمٍ
بها يـأمُلُ الصَّـدْرُ أن يُثْلَجـا
أيـا سَجْـدَةً في مقـامِ الخليلِ
تَـوَدُّ بها الـرُّوحُ أن تَـأْرَجـا
أيـا وقفـةً في رُبَىٰ عـرفـات
تُنِيْرُ بقلبـي سراجَ الـرَّجـا
مَشـوقٌ وتَمْنَعُنـي شِـدَّةٌ
رجـائي من اللـهِ أن تُفْـرَجـا
فيـاربّ يـا رازق الـلائذين
بِبَـابِكَ سُـؤْلي إليكَ الْتَجـا
أَعِنِّـي ، وَيسِّرْ بِفَضْلِـكَ أمْـري
وَهَبْنِـيَ - من شِـدَّتي - مَخْرَجـا

قراءة في رواية السنيورة

تأليف: د. عصام خوقير



بقلم: إبراهيم صحراوي

احتلت إشكالية العلاقة بين الشرق والغرب حيزًا معتبرًا في الفكر العربي الحديث. فمنذ أن ألّف رفاعة رافع الطهطاوي «الإبريز في تلخيص باريز»، في النصف الأول من القرن التاسع عشر، والمفكرون العرب يناقشون الجوانب المتعددة لهذه الإشكالية في مختلف مجالات تخصصهم وبمختلف اتجاهاتهم ورؤاهم.

د. عصام خوقير



وقد أدلت الرواية العربية الحديثة بدلوها هي الأخرى في الموضوع. فعالجها كثير من الروائيين في أعمال نالت شهرة واسعة وأثارت وما زالت تثير الجدل والنقاش. وهكذا كتب **توفيق الحكيم**: «عصفور من الشرق» وكتب **طه حسين**: «أديب» وكتب **سهيل إدريس**: «الحي اللاتيني» وكتب **الطيب صالح**: «موسم الهجرة إلى الشمال» وكتب **عمر بن سالم**: «أبو جهل الدهاش» وكتب **عمر بن قينه** «مأوى جان دولان»، وكتب كثيرون غيرهم روايات وقصصاً دارت أحداثها أو بعض أحداثها في أحد أقطار الغرب. مقدمين قراءات مختلفة للواقع الشرقي عموماً والعربي خصوصاً. بملامحه وتجلياته المتعددة على ضوء الواقع الغربي. لذلك يلاحظ قارئو هذه الروايات سخط هذا وتذمر ذاك. وأسف هذا وانبهار ذلك. إلى ما هناك من المواقف التي أبرزها المؤلفون عبر أبطال هذه الروايات وشخصياتها.

و«السنيورة» **للدكتور عصام خوقير**. رواية عربية سعودية تجعل للفن الروائي السعودي موضع قدم في هذا المجال. ظهرت عن «دار تهامة» في طبعتها الأولى سنة ١٩٨١م. وهي تحمل الرقم ٤٩ ضمن سلسلة: الكتاب العربي السعودي(*)

تقع هذه الرواية في خمسة فصول هي: «أمس القريب، فوق جبال الألب، يوم آخر، قفانبك من

قراءة في رواية: السنيورة



ذكرى، فألقت عصاها واستقر بها النوى» تُسرد علينا من خلالها قصة زواج شاب عربي سعودي بفتاة إيطالية. وقد كان هذا الشاب: «الشيخ» ـ كذلك يلقبه زملاؤه ومعارفه استناداً إلى بعض أخلاقه وصفاته ـ طالبا بإيطاليا يحضر شهادة عليا في الموسيقى.

وكانت طبيعة دراسة الشيخ تحتم عليه حضور المهرجانات واللقاءات التي تصب في هذا المجال. فكان أن شارك في مهرجان أقيم بروما «للموسيقى والشعوب»، وقدم بحثًا لفت إليه أنظار بعض المشاركين، فالتفوا حوله بعد انتهائه من إلقائه يناقشونه، ومنهم الآنسة ماريانا. ـ التي ستصبح زوجته فيما بعد ـ ومنذ تلك اللحظة بدأت صلتهما ببعضهما بعضا، ثم تطورت إلى علاقة متميزة ـ لكنها غير آثمة ـ توفرت لها فرص عديدة زادتها قوة وتثبيتا، وجعلتها حديث المدينة. الشيء الذي جعل أستاذه البروفيسور «بادوليو» يستفسر منه عمّ ينويه في هذا المجال، فلم يشعر بنفسه إلا وهو يخطبها من . . . نفسها! إلا أن الخوف من عقبة كاثوليكيتها التي قد تجعل والديها يعترضان على اقترانهما لم تزايله، سيما وأنها حددت له نهاية الأسبوع موعداً تعطيه فيه الرد. فعاش الزمن الفاصل بين اللقاء والموعد المضروب بأحاسيس مختلفة ومشاعر متعددة. زادت حبه لها وافتتانه بها. وعرف مختلف صنوف قلق الانتظار، خصوصًا لما اقترب الموعد. حتى إنه اختطف سماعة الهاتف إثر رنين هذا الأخير معتقدا أنها على الطرف الآخر من الخط، إلا أن المكالمة كانت من جدة. مفاجأة لم يكن يتوقعها. إذ كان المتحدث هو مقدم برنامج إذاعي محلي ثم والداه اللذان كان موقفهما من خطبته «ماريانا»

متباينًا. فبينما فرحت والدته بالأمر وهللت له، وتمنتها بيضاء شقراء الشعر زرقاء العينين، صدم والده بالخبر؛ لأنه في رأيه خروج عن الموروث من عادات وتقاليد. وجاء ردّ ماريانا بالإيجاب. وذهبا معا في رحلة استجمام إلى جبال الألب حيث ينتظرهما والداها. وهناك توطدت العلاقة أكثر واتضحت مواقف ورؤى الشيخ ونظرته إلى الحياة الزوجية، والشراكة بين طرفي القران سواء عبر تصرفاته أو أحاديثه ومناقشاته، مما أكسبه عطف والد خطيبته وإعجابه، وحب هذه الأخيرة واحترامها واحترام والديها. ولعل ما أوجب له هذا الاحترام هو التزامه العفة المطلقة في تعامله معها، أمام دهشتها، حينما لم يقبلها إطلاقا قبل دخوله بها إلا مرة واحدة ورغما عنه، إذ ارتمت عليه، ودهشة والدتها لما اكتشفتها عقب الليلة الأولى التي قضياها في المنتجع نائمة لوحدها. وكانت قد أعدّت [لهما] الحجرة، وارتياعها لذلك معتقدة الأسوأ. ثم دهشة والدها للأمر إثر علمه به وعجبه لخضوع الشيخ للسمو الروحي والتعاليم المثالية

> ”تميزت الرواية بخلوها من التكلف اللفظي، واتسمت بالشاعرية في مواضع عدة.“

مقابل التعفن العقائدي في الغرب. وهذا في رأينا هو سر تميز الرواية الذي سنوضحه في الأسطر القادمة.

وبعد الخطبة وإعلانها فيما بعد في المدينة في حفل دعي إليه الأقرباء والأصدقاء سافرا إلى روما لعقد القران في المركز الإسلامي وتسجيله بسفارة بلاده ليمسيا في حينها زوجاً وزوجة. لكن، وهما في غمرة السعادة، أتى ما عكّر صفوهما؛ إذ حملت إحدى الصحف المسائية صورة لهما من حفل الخطوبة بتعليقات غير لائقة، تضمنها تحقيق أعدته صحفية تعرفها. وبعنوان مثير: الحسناء والوحش. وقد كتبت هذه الصحفية تعليقها بدافع صهيونيتها ـ إذ كانت يهودية ـ مما حملها على رفع دعوى قضائية ضدها والصحيفة التي تعمل بها رغم محاولات الصلح. وحكم لها بتعويض مالي ضخم تبرعا به لفائدة جمعيات المسنين بالمدينة، ليسافرا إثر ذلك إلى إسبانيا لقضاء شهر العسل. ويفاجأ الشيخ بأن إقامتهما هناك ستكون رسمية بدعوات من جامعات مدريد وبرشلونة وقرطبة وطليطلة لإلقاء محاضرات وحضور ندوات وما إلى ذلك من الأنشطة العلمية التي استغرقت منه أربعة أشهر، تخللتها زيارات للآثار العربية هناك؛ عادت به ـ وبالقارئ معه ـ إلى ماضينا الزاهر بها، وجعلته يستعيد صوراً مشرقة من هذا الماضي وبعض رموزه في مختلف المجالات. في الوقت ذاته الذي كانت زوجته قد ابتاعت فيه من الكتب ما مكنها من الاطلاع على تاريخ العرب بإسبانيا والوقوف على مختلف محطات هذا التاريخ الحسنة والسيئة. ومكنها بالتالي من فهم سر تأوهات زوجها وتحسراته عند حديثه في الموضوع. وقبل أن يغادرا إسبانيا ـ وكانت أعراض الحمل قد بدأت تظهر عليها ـ توج إقامتهما هناك بتقديم عمل فني بعنوان: «الخروج» وهو عنوان لا تخفى دلالته ذات العلاقة بماضي العرب هناك. وكان عملاً ناجحا أشادت به الصحافة، ثم نزلا بمصر في رحلة العودة نحو الوطن وبقيا هناك أياماً قضياها في التجول عبر الآثار الفرعونية والإسلامية التي تزخر بها أرض الكنانة.

ونصل معهما في النهاية إلى جدة، موطن سكن عائلة الشيخ. وفي المطار يصطدم ببعض التصرفات التي نلاحظها في كل المطارات العربية حيث لا يتميز بها قطر دون الآخر، وأهمها بعض العقبات الجمركية، ثم تلاعب سائقي سيارات الأجرة. وصادف نزولهما أمر أظهر نقيصة تعاني منها معظم المدن العربية، ألا وهي ظاهرة البرك التي تتكون عقب نزول الأمطار لتكاثر الحفر في الشوارع والأزقة العربية كتكاثر. . . !

كان على الشيخ أن يجابه إثر ذلك موقفًا آخر، هو موقف والده من زوجته؛ لأن هذا الأخير لم يرض بـ «مخامسة» (أي مصافحة) كافرة، واشترط لذلك إسلامها. خلاف والدته وأهله وجيرته الذين استقبلوها أحسن استقبال وأعانوها على الاستقرار في البيت الذي هيأته لهما والدته؛ لأن أباه لم يستسغ إقامتها معهم. وسارت بهما الأيام، وماريانا تندمج بسرعة في مجتمعها الجديد وتكتشف خصوصياته من يوم إلى آخر، في الوقت ذاته الذي كان حملها يتقدم ويسير نحو نهايته الطبيعية: الوضع. هذا الوضع الذي تم أثناء غياب الشيخ. حيث أنجبت ولدًا سمّته «حمزة» على أمل إنجاب الآخرين: «خالد» بن الوليد و«عمرو» بن العاص، و«أبو عبيدة». وكان فرح الشيخ عظيماً، زاده إسلامها ورضى والده عنها الذي لم يدار فرحته بدوره وهو يخاطبه ملاحظا: «إنها مؤمنة عقيدة وتجربة».

هذا هو الإطار العام لأحداث رواية «السنيورة». سردت علينا من طرف الشخصية الرئيسة: الشيخ بضمير المتكلم. مما يجعلها أقرب إلى السيرة الذاتية منها إلى القصة الموضوعة. لكن هذا لا يعني بأنها سيرة ذاتية للمؤلف بالضرورة. إذ قد يكون دور هذا الأخير منحصرا في تسجيلها فقط.

هذه الصيغة في العرض السردي، تركز دائما ـ في معظم الحالات ـــ على الشخصية الراوية، خصوصاً إذا ما كانت هذه الأخيرة بطلة الرواية، بحيث لا تذكر الشخصيات الأخرى إلا بمقدار ما تتطلبه الصيغة؛ أي بمقدار قرب هذه الأخيرة من البطل وتأثرها أو تأثيرها فيما يفعله أو يصدر عنه. والشيخ في روايتنا هذه، لم يكن مجرد شاهد على الأحداث. بل كان فاعلها ومحركها الأساسي. فهو ـ ثم ماريانا ـــ العمود الفقري للرواية، لذلك كان السرد مركزًا عليهما من بدايتها إلى نهايتها. الشيء الذي حصر الرؤية في نطاق ضيق وجعلها حكرًا عليه فلم يمكن لنا ـ كقراء ـ أن نعرف إلا ما عرّفنا به الشيخ ولم يكن ممكنا لنا أن نرى إلا ما رآه هو.

أحادية الرؤية تسندها أحادية المستوى السردي. فلم تتضمن هذه القصة حكاية أخرى خلاف حكاية زواجه، وبالتالي لم يشاركه أحد في تأمين عملية السّرد. إلا أن زمن الحكاية والقصة لم يتطابقا رغم الخطية الملاحظة على أحداثها، فقد انطلق الراوي من نقطة معينة هي أول رمضان يمر به منذ زواجه، وهو ما يمثل حاضر السرد ليعود إلى الوراء إلى آخر رمضان مر به عازباً. فيقوم بتسجيل خطوات تطليق هذه العزوبية وإنهائها ثم مرحلة الزواج الأولى. بمعنى أن الفترة التي غطاها السرد هي هـــذه الفترة فقط، أي المنحصرة فيما بين الرمضانين.. آخر رمضان عزوبية وأولها زواجاً. وفترة الزواج بما يسبقه وبما يلحقه فترة مهمة في حياة الفرد أيًّا كان. وحتى ضمن هذا الإطار لم يركز سوى على الأحداث التي نحت هذا المنحى. على أن السرد على العموم كان متدفقا، خفيف الإيقاع، لا يلاحظ عليه القارئ أي بطء أو تثاقل مع كثرة المشاهد القائمة على الحوار. إذ إن هذه الأخيرة قد سيقت في الواقع بأسلوب غير مباشر. أي حوارات منقولة إن صحّ التعبير.

> «الرواية ـ بما تبرزه من قيم ـ يمكن اعتبارها نموذجًا راقيًا للأدب الإسلامي.»

وإذا كانت الأحادية سمة بعض جوانب العملية السردية في هذه الرواية فإنها لم تكن كذلك في اللغة، التي تعددت مستوياتها. فبالإضافة إلى لغة السرد وبعض المقاطع الحوارية وهي لغة بسيطة عادية. نلاحظ لجوء الكاتب إلى اللغة المنطوقة (الدارجة) أي اللهجة المحكية في المملكة العربية السعودية. **إلا أننا إذا شئنا الدقة، قلنا إن اللغة على هذا المستوى كانت مزيجاً من اللهجتين العربية السعودية والمصرية.** مقاطع حوارية أضفى بعضها طابعاً من الطرافة على جو الرواية. كسؤال الأم عن عائلة كنتها، وترجمتها لاسم هذه الأخيرة: ماريانا روزيتا: مريم رزيلة. وملاحظتها على بعض تصرفات زوجها، وترجمة «عم مراد» المصري [المتسعود] لمهنة الشيخ: المزيكاتي. ثم كنايته الطريفة عن الزوجة في معرض سؤاله عنها: «هم دول الجماعة؟» ـــ وهذا في الواقع سلوك ما زال منتشرا إلى يومنا هذا في بعض الأقطار العربية، إذ يتحرج الفرد من قوله «زوجتي» أمام الجماعة كما يتحرج من تسميتها أيضا ـــ أو تعليقه على مصافحته إياها: «نقضت وضوئي يا سنيورة».

كما نلاحظ وجود كلمات غربية وأجنبية في متن الرواية والاستشهاد المتواتر بالشعر. وقد وفق الكاتب في إدماج بعض الأبيات في السياق العام للحدث في مراحله المختلفة. بل إن عناوين بعض الفصول كانت أشطرا أو بعض أشطر من أبيات شعرية، كما هو الحال في الفصل الرابع مثلا: «قفا نبك من ذكرى» الذي غطى فترة تواجد الشيخ وماريانا في إسبانيا ومصر وهو جزء من شطر بيت امرئ القيس الذي يقول فيه:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

أو الفصل الخامس: «فألقت عصاها واستقر بها النوى» وهو شطر من بيت لـ: **معقر بن حمار،** يقول فيه:

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالإياب المسافر

واللغة عموماً خالية من التكلف والتقعر اللفظيين الملاحظين على بعض الإنتاج الفكري العربي المعاصر ـ ومنه بعض النصوص الأدبية ـ إلا أنها شاعرية في بعض المواضع سيما لحظات السمو الروحي للشيخ وهو يشرح لماريانا معنى الحب وضوابطه وتصور ديننا للصورة التي يجب أن تكون عليها العلاقة بين الرجل والمرأة.

تميزت هذه الرواية في الإطار الذي أدرجت ضمنه: العلاقة بين الشرق والغرب، بسلوك الراوي البطل تجاه مخطوبته. فعلى العكس من أبطال كثير من الروايات الأخرى، **نلاحظ تعفف**



الشيخ في علاقته بماريانا، هذا التعفف الذي شكل استثناءً أثار دهشة الجميع وعلى رأسهم المعنيون به مباشرة؛ ماريانا ووالداها. وتجاوزه هذا التعفف إلى تأسيسه شارحاً رؤيته للحب والزواج والعلاقة بين الذكر والأنثى البالغين، **اعتماداً على الفلسفة القرآنية في هذا المجال.** هذا التصرف يكون قد أثار وسيثير من دون شك دهشة كثير من القراء. ذلك أن جُلّ مهاجرينا نحو الشمال، يتحللون هناك من معظم ـ إن لم نقل من كل ـ عاداتهم وتقاليدهم من هذه الناحية. ويعتنقون فلسفة الغرب فيها. سيما وأنها تفتح الباب واسعاً ـ لمن يريد ذلك ـ لإشباع الغرائز والنزوات والسقوط في مستنقع البهيمية والتفسخ.

والرواية من هذا المنظور مجددة فعلا. فهي تؤسّس لأدب مثالي ـ في الإطار نفسه دائما ـ **يعتد فيه بالمثل والقيم الإسلامية السامية مما يكون درعاً واقية للمهاجر تقيه شر الانحراف والسقوط. بل يمكن اعتبارها «مضمونيا» نموذجاً راقيا ـ ولم لا ؟ ـ للأدب الإسلامي الذي يهدف إلى إبراز هذه المثل والقيم وتربية النفوس والأذواق شكلا ومضموناً** للابتعاد بها عن السفاسف المشجعة على الانحلال والتفسخ الذي ينتجه البعض باسم حرية التعبير والصدق الفني وأشياء أخرى ما أنزل الله بها من سلطان.

ثمة تميز آخر للرواية. فقد اختلف البطل عن أقرانه، أبطال الروايات التي دارت أحداثها في الغرب في عدم الافتتان أو الانبهار به حتى وإن كان ذلك بصورة لا واعية. كما لم يتجه إلى المقارنة أو الشكوى أو التبرم بواقعه الأصلي أو واقع بلده على ضوء ما يصادفه أو يعايشه بالمهجر. والحال أن هذا السلوك سمة تكاد تكون لازمة من لوازم الرواية العربية التي تدور أحداثها أو بعض أحداثها بالمهجر حتى وإن كانت تتم بصورة غير مباشرة أو مقصودة.

وفي لفتات سريعة **تثير الرواية قضايا أخرى كثيرة. كالعداء الصهيوني للعرب واستغلال اليهود لأية فرصة تتاح لهم للنيل منهم. أو تحسرهم (العرب) على فردوسهم الضائع (الأندلس)** كلما أتيحت لهم الفرصة للمرور من هناك والوقوف على الأطلال إحياء للسنن العربية في هذا المضمار. شجن هذا الحديث يجعل القارئ يشارك الكاتب ـ بلا ريب ـ أحاسيسه في هذا الموقف. بل تصيبه قشعريرة التأثر وهو يقرأ المقطع الذي يتحدث فيه عن ذلك. وفي إشارة ذكية يلمح إلى عدم وجود بعض المرافق الضرورية في منطقة الأهرام. المنطقة السياحية المعروفة التي تؤمها جموع غفيرة من السياح الأجانب. وهو ما أدى بماريانا أن تشير هي الأخرى بطريقة ذكية أيضا وبصورة غير مباشرة إلى هذا الأمر عبر اللوحة السريالية التي رسمتها للمنطقة وأهدتها لمسؤول السياحة هناك.

وفي الفصل الأخير نكتشف جملة من خصائص المجتمع السعودي على مستوى السلوك الاجتماعي والعلاقات بين أفراده التي هي صورة مصغرة عما هو سائد في كل أنحاء العالم العربي، سواء في إيجابياتها أم في سلبياتها مع فروق بسيطة يختص بها هؤلاء دون أولئك، إذ نرى صوراً رائعة للتكافل الاجتماعي والتعاون بين أفراده في السرّاء والضرّاء. كما توفر لنا الرواية صورة عن هندسة البيت العربي السعودي التقليدي ومكوناته وما إلى ذلك.

وتجدر بنا الإشارة في الأخير إلى أنه بالإمكان قراءة الرواية من زاوية أخرى قد يراها البعض سلبية؛ ألا وهي: الزواج المختلط أو الزواج بالأجنبيات، تلك الظاهرة التي أصبحت تشكل مصدر قلق في بعض المجتمعات العربية. وقد نفسر برودة استقبال والد الشيخ له ولزوجته على هذا الأساس. إذ يُعتقد أن ذلك هضم لحقوق الفتيات العربيات. فإذا اتجهنا إلى الزواج بالأجنبيات فإلى أين يتجهن هن؟ وماذا سيكون رد فعلهن؟ وهل تبقى طاعتهن لأولياء أمورهن واجبة عليهن في هذه الحالة؟ ساعتها من يضمن عدم سيرهن على هدي ما تُروّج له الحركات النسوية المتغربة والعلمانية؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي يطرحها الداعون والداعيات إلى وضع قيود على هذا التصرف للآثار السلبية التي قد تكون له على مستقبل المجتمعات العربية. إلا أنني شخصيا أرى أن المغالاة في طرح أسئلة من هذا القبيل ما هي في الواقع سوى تهويل لا داعي له. إذ لا تخفى إيجابية الزواج المباعد بين الأقارب، والزواج بالأجنبيات مغالاة في المباعدة ليس بين الأقارب فحسب بل بين أهل البلد الواحد. ويبقى الزواج المختلط مقبولا على أية حال شرط ألا يتجاوز حدود المعقول.

هذه بعض الجوانب من رواية «السنيورة» وغيرُها مما لم نوفها حقها من الإشارة كثير فيها رغم قصرها.

وخلاصة القول أن هذه الرواية ـ وهو رأي شخصي أرجو ألا أجانب الصواب فيه ـ رواية رائعة تستحق أن تقرأ وأن تحتذى لا سيما في موضوعها ومضمونها.

(*) لم تكن لي معرفة سابقة بالأدب العربي السعودي بمختلف أنواعه. وقد اكتشفت هذه الرواية مصادفة. إذ كلفت طلبتي في السنة الماضية بالقيام بقراءات نقدية لنصوص قصصية يختارونها، فقدم لي أحدهم هذه الرواية فاكتشفتها بإعجاب دفعني إلى تدوين هذه الملاحظات دون أن أعرف شيئا عن المؤلف والظروف التي أنتجها فيها وما إلى ذلك مما يستحسن معرفته في هذا المجال.

من كتاب العدد

○ **إبراهيم صحراوي**
ـ من مواليد سطيف بالجزائر ١٩٥٨ م.
ـ ما جستير في الأدب والنقد.
ـ أستاذ مساعد في معهد الأدب العربي، جامعة الجزائر.
ـ له مقالات نقدية في الصحف والمجلات العربية.
ـ ترجم بعض البحوث والدراسات النقدية عن الفرنسية.

أدباء تونسيون معاصرون "١"

أ

أبو القاسم الشابي

من أشهر شعراء تونس، ولد في ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٠٩م، في ضاحية الشابية بمدينة توزر الواقعة جنوب غربي تونس. كان والده من المشتغلين بالعلوم الدينية والقضاء الشرعي، لذلك تنقل الشابي مع عائلته بين مختلف المدن والجهات التونسية. وفي عام ١٩٢٠م التحق بجامع الزيتونة وتخرج فيه سنة ١٩٢٨م، ثم حصل على شهادة الحقوق التونسية في العام ١٩٣٠م، وفي الثلاثينيات بدأ في نشر قصائده في الصحف والدوريات وراسل مجلة «أبولو» المصرية ونشر فيها مجموعة من قصائده.

من مؤلفاته: ديوان «أغاني الحياة» الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٥م بالقاهرة، وأُعيدت طباعته بعد ذلك. في النثر صدر له كتاب «الخيال الشعري عند العرب»، و«يوميات الشابي» من أدب السيرة الذاتية. وله مجموعة رسائل تبادلها مع الأديب الراحل محمد الحليوي.

صدر حول شخصية الشابي وفنه الشعري العديد من الدراسات والبحوث والكتب في المشرق والمغرب، وتُرجم إنتاجه الشعري إلى بعض اللغات كالفرنسية والإنجليزية، وقد اختص الأديب التونسي أبو القاسم كروفي بنشر وتحقيق ودراسة تراثه ومؤلفاته.

أصيب بتضخم في القلب وتوفي في التاسع من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٤م، ووهو في ريعان شبابه، بالمستشفى الإيطالي في العاصمة تونس، ودفن في مسقط رأسه.

كرمته الحكومة التونسية بإقامة دارة ثقافية تقيم سنويًا «مهرجان الشابي للشعر العربي الحديث».

أحمد خير الدين

ولد في عام ١٩٠٥م في العاصمة تونس. درس في جامع الزيتونة وتخرج فيه عام ١٩٣٥م. عمل مديراً في الكلية الزيتونية خلال الفترة من ١٩٤١م إلى ١٩٦٠م، حيث أحيل إلى التقاعد. عمل بالإذاعة التونسية، وأسهم في إعداد عدد من البرامج الثقافية. شارك في نشاطات بعض الجمعيات الفنية والفرق المسرحية.

كتب أكثر من مائة عمل مسرحي وإذاعي وتلفازي. ونشر أعماله في الصحف والدوريات.

من مؤلفاته المنشورة: «ديوان أحمد خير الدين» (١٩٧٥م)، «أغاني أحمد خير الدين»، ومسرحية بعنوان «إلى مصر» أو «بدر الدجى» (١٩٧٦م).

أحمد اللغماني

من مواليد قرية الزارات جنوب شرقي تونس في عام ١٩٢٣م. عمل في حقل التعليم مدرساً في المدارس الابتدائية ثم مفتشاً. أشرف على برنامج «هواة الأدب» بالإذاعة التونسية، وقد أسهم البرنامج في تشجيع العديد من الشعراء والكتاب ورعايتهم. عُيِّن مديراً للإذاعة الوطنية في فترة السبعينيات. نشر قصائده في الصحف والمجلات التونسية.

من مؤلفاته: ديوان «قلب على شقة» (١٩٦٦م). وكتب قصصاً للأطفال نُشرت مسلسلة، منها مجموعة بعنوان «في واد غير ذي زرع».

أحمد المختار الهادي

شاعر، من مواليد قصر قفصة في ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣م، عمل بالتعليم الابتدائي منذ عام ١٩٦٤م، ومارس وظائف إدارية بوزارة الثقافة والإذاعة التونسية. من مؤسسي حركة «الشعر المنجمي» وعضو مؤسس في «نادي الفكر المنجمي» بالمتلوي في عام ١٩٦٩م.

نشر قصائده ومقالاته في عدد من الصحف والمجلات.

من مؤلفاته: ديوان «عيناك والتراب الأخضر» (١٩٧٧م)، وله تجربة في التأليف المسرحي.

أحمد المختار الوزير

شاعر، من مواليد تونس العاصمة في عام ١٩١٣م، درس في جامع الزيتونة، وحصل على شهادات في الدراسات القرآنية. التحق بدار العلوم في القاهرة.

نشر إنتاجه في الصحف والمجلات. ومن دواوينه: «المختار من شعر الوزير»، و«ينبوع لا يجف»، و«أناشيد الأطفال»، و«الأهازيج»، و«الأطفال»، ومسرحية شعرية بعنوان «عليسة».

إحميدة الصولي

من مواليـد بلدة حـامة الجريـد، بولايـة توزر التـونسية في نيسان (أبـريل) ١٩٤٦م. عمل في ميدان النشر، والتحـق بعدد من المطابـع ودور النشر. يتميز بالإنتاج الشعـري النثري الغزير والمقـالات والدراسات الأدبية. نشر إنتـاجه في مختلف الصحف والمجلات التونسية والعربية.

من مؤلفـاته: ديوان «صوتي مقلـوع الأظافر» و«الحضـور في زمن الغياب»، و«الحريق حتى الاخضرار». وصدر لـه كتاب بعنوان «دراسات نقـدية في الأدب التونسي الحديث».

ب

بشير الشرقي

من مواليد تونس العاصمة في ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٤٩م. عمل في حقل التعليم مدرساً، ثم إداريًا، وشارك في تـأليف كتاب مدرسي بعنوان «الأساس» للمرحلة الثانوية من التعليم العام. التحق بوزارة الثقافة مندوباً إقليميًا للثقافة بولاية بنزرت. حاصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨١م.

نشر بعض إنتاجه الشعري ومقالاتـه ودراساته الأدبية في عدد من الصحف والمجلات.

من مـؤلفـاتـه: ديـوان «في البحث عن مقـر» (١٩٧٨م)، و«نـوافير... وتشدو» (١٩٧٩م)، «همسات إلى الزمن الهارب» (١٩٨٥).

بلقاسم برهومي

أديب، من مـواليـد بلـدة أم العـرائس المنجمـيـة في ٦ آب (أغسطس) ١٩٦١م. التحق بالعمل في وزارة الثقافة منذ عام ١٩٨١م.

يتنـوع إنتـاجـه الأدبي بين الشعر والقصـة القصيرة والـدراسـات والمقـالات النثرية. يهتـم في كتاباته بالقضـايا العمالية، نشر إنتاجـه في عدد من الصحف والمجلات التـونسية، تـرجمت إحدى قصصـة إلى الروسيـة وذلك في كتاب جمع مختارات من القصة التونسية المعاصرة.

من أعمالـه المنشـورة: ديوان «البحث عن هـويـة»، وروايـة بعنوان «خبـز المناجم»، وله مجموعة قصصية بعنوان «عرس في قريتي».

ت

التجاني زليلة

أديب وكـاتب مسرحي، من مواليـد قـرقنة في عـام ١٩٢٨م. حصل على الإجـازة في اللغة العـربيـة من جـامعـة السربون، درس المسرح في معهـد روني سيمون للفنون المسرحيـة بباريس. عمل في الإذاعة والتلفزة الفـرنسية، ثم عاد إلى تونس وعمل أستاذاً بمعهد الفن المسرحي.

كتب مسرحيات «الطوفـان»، و«رستم بن زال» و«السنابل»، بالاشتراك مع الكاتب مصطفى الفارسي.

ج

جعفر ماجد

أديب وبـاحث، من مواليـد مدينـة القيروان في ٧ آذار (مارس) ١٩٤٠م. تخرج في مـدرسـة تـرشيـح المعلمين، التحق بـدار المعلمين العليـا وحصل على الإجازة في اللغـة العربية، وهو حـاصل على درجة الدكتـوراه في الآداب والعلوم الإنسانية. عمل بالتدريس في كلية الآداب بالجامعة التونسية.

نشر قصائده ومقـالاته ودراساتـه الفكرية في عـدد من الصحف والمجلات التونسيةوالعربية.

وأنتج للإذاعة الوطنية بعض البرامج الأدبية والثقافية.

من أعماله: ديوان «نجـوم على الطريق» (١٩٦٨م)، «غداً تطلع الشمس» (١٩٧٤م)، «الأفكار» (١٩٨١م). وفي مجال النشر له كتـاب «الصحافة الأدبية في تـونس خلال الفترة مـن ١٩٠٤م إلى ١٩٥٥م» (١٩٧٩م)، وكتاب «أغنيـة وقصيدة» (١٩٩٠م).

ح

الحبيب الهمامي

من مواليـد تونس العاصمة في ٣١ أيلـول (سبتمبر) ١٩٥٩م. يعمل بوزارة الثقافة في وحدة المجلات.

نشر بعض إنتاجـه الأدبي والشعري وكتـاباتـه النثرية في عـدد من الصحف والمجلات.

من أعمالـه: مجمـوعـة مشتركة بعنـوان «الأغصـان المختلفـة» (١٩٨٣م)، وديوان «هكذا فاتني الآتي» (١٩٩٣م).

حسن بن عبد الله

شاعر وفنان، من مواليد بلدة الرديف بولاية قفصة.

يجمع إنتـاجـه بين الشعـر والمقـالـة وفن الـرسم. نشر نماذج من قصـائده ومقالاته النثرية في عـدد من الصحف والمجلات، وأقام بعض المعارض لتقديم أعماله الفنية التشكيلية المستوحاة من نصوص شعرية.

من مـؤلفاتـه: ديـوان «العزف على ضفـاف الجرح» (١٩٨٩م)، وقد فـاز ديوانه «تسابيح» بجائزة مفدي زكريا للشعراء المغاربة.

حسين الجزيري

من أعـلام الشعـر الاجتماعي الفكـاهـي بتـونس، ينتمي إلى جماعـة «تحت السور» الأدبية، التي تأسست في أحد المقاهي الشعبية بالعاصمة تونس. أسس جريدة «النديم» الفكاهية.

من مؤلفاته: ديوان «الجزيرة» (١٩٧١م)، توفي في ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤م.

حياة الشيخ

أديبة، من مواليد تونس في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٣م.

حصلت على البكالوريا، وعملت في مجلة «المرأة» التي يصدرها الاتحاد الوطني النسائي التونسي، كما التحقت بالإذاعة والتلفاز، وعملت موظفة بوزارة الصحة.

نشرت بعض إنتاجها القصصي والشعري في الصحف والمجلات.

من أعمالها المنشورة: مجموعة قصصية بعنوان «بلا رجل» (١٩٧٩م) ومجموعة أخرى بعنوان «وغداً تشرق شمس الحرية»، وصدر لها ديوان «حبك قدري».

ر

رياض المرزوقي

من مواليد تونس العاصمة في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٤٨م. حصل على الإجازة في الأدب العربي عام ١٩٦٨م.

عمل مدرساً في المعاهد الثانوية منذ ١٩٧٣م، كما التحق بكلية الآداب في الجامعة التونسية. شارك في إعداد برامج فكرية للإذاعة الوطنية، وعين مديراً لها في عام ١٩٨٣م، ثم مديراً للدار التونسية للنشر.

تتنوع كتاباته بين الشعر والخواطر والدراسات الأدبية والمقالات، وقد نشر جزءاً كبيراً من إنتاجه في الصحف والمجلات التونسية.

من أعماله: ديوان «الرحلة في الأبيات» (١٩٧٩م).

ز

زبيدة بشير

شاعرة وإذاعية، من مواليد بلدة ساقية سيدي يوسف على الحدود التونسية الجزائرية، في ٢١ شباط (فبراير) ١٩٣٨م. التحقت بالإذاعة التونسية عام ١٩٥٧م، وعملت مذيعة ومنسقة برامج.

بدأت نشاطها الأدبي بكتابة الروايات والقصص للإذاعة والصحافة، ثم تفرغت للإنتاج الشعري.

نشرت بعض قصائدها في الصحف والمجلات.

وصدرت لها مجموعة شعرية بعنوان «حنين» (١٩٦٨م).

زهرة الجلاصي

من مواليد مدينة سوسة في ١٧ شباط (فبراير) ١٩٥٠م. حصلت على شهادة الأستاذية في اللغة العربية وآدبها عام ١٩٧٧م.

بدأت كتابة القصة عام ١٩٦٧م، ثم توقف نشاطها الأدبي زهاء عشرين عاماً وفي عام ١٩٨٧م استأنفت مشاركاتها الأدبية وأضافت إلى إنتاجها المقال الأدبي، والبحث، والمتابعات الثقافية.

من أعمالها: مجموعة قصصية بعنوان «انعكاسات عند الزاوية» (١٩٩٠م).

س

سالم الشعباني

من مواليد مدينة المتلوي في ١٠ آب (أغسطس) ١٩٥١م. يعمل بالإدارة الثقافية لشركة فوسفات قفصة.

نشر إنتاجه في عدد من الصحف والمجلات التونسية. يُعد من مؤسسي حركة «الشعر المنجمي». من أعماله ديوان «أحزان» (١٩٧٦م)، و«أغنيات منجمية» (١٩٧٧م).

سعاد قلوز

من الأديبات التونسيات اللاتي يكتبن باللغة الفرنسية. حصلت في عام ١٩٧٤م على جائزة الشعراء الفرنكوفيين.

من مؤلفاتها: روايتا «الحياة البسيطة» (١٩٧٥م)، و«حدائق الشمال» (١٩٨٣م).

سعيد أبو بكر

من مواليد مدينة المكنين في تشرين أول (أكتوبر) ١٨٩٩م.

نشر إنتاجه الشعري في عدد من الصحف والمجلات.

من مؤلفاته: ديوان «السعيديات» (١٩٣٧م)، وأُعيدت طباعته عام ١٩٨١م.

سميرة الكسراوي

من مواليد بلدة السرس بولاية الكاف في ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٧م.

بدأت نشر إنتاجها في الصحف والمجلات التونسية والعربية عام ١٩٧٤م، وتتنوع كتاباتها بين الشعر والقصة والخاطرة والمقالات.

من مؤلفاتها: ديوان «ملحمة الموت والميلاد في شعبي» (١٩٨٣م)، و«بلاغات شعرية في الرقص والحرية والرصاص» صدر في ليبيا.

سويلمي بوجمعة

شاعر وصحفي، من مواليد بلدة الرديف المنجمية في عام ١٩٤٩م. أتم تعليمه الجامعي في باريس. انخرط في العمل الصحافي، وأشرف على الملحق الثقافي لجريدة «بلادي» التونسية، ثم ترأس هيئة تحريرها.

نشر قصائده ومقالاته في عدد من الصحف والمجلات، وشارك في إعداد برامج ثقافية واجتماعية للإذاعة. يعمل الآن في وكالة التعاون الفني بتونس.

من أعماله المنشورة: ديوان «الغرباء» (١٩٨٧م).

ص

الصادق شرف

أديب، من مواليد بلدة منزل تميم في عام ١٩٤٦م. تخرج في جامعة وهران بالجزائر، وعمل في حقل التعليم. في عام ١٩٧٧م أسس مجلة «الأخلاء» في منطقة بلدة تميم، ثم واصل نشرها من تونس العاصمة. وفي الثمانينيات تم تنصيبه أميناً لتحرير مجلة «الفكر». أسس دار منشورات «الأخلاء» لتشجيع الأدباء الشباب ومساعدتهم على نشر بواكير أعمالهم.

يتنوع إنتاجه الأدبي بين الشعر والمقالة والقصة القصيرة.

من مؤلفاته: ديوان «شواطئ العطش» (١٩٧٨م)، و«الحب مع تأجيل التنفيذ» (١٩٧٩م)، و«حروف تجر الفعل الماضي»، و«بحجم الحب أكون»، و«أجهش بالغضب»، و«هروباً من الهروب» (١٩٨٤م)، وله مجموعة قصصية بعنوان «حكايات خالي عزيز».

صالح السنوسي

شاعر من مواليد القيروان في عام ١٨٧٨م. لم يتلق دراسة نظامية، خلد ذكراه في سجل الأدب التونسي، وقد تحدث عنه العلامة زين العابدين السنوسي في كتابه «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر»، وذكره العلامة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور في كتابه «أركان النهضة الأدبية في تونس».

حمل صالح السنوسي راية الشعر الإصلاحي في عصره، وله إلى جانب الإنتاج الشعري كتابات في القصة والمقالة. أصدر أول رواية في تاريخ الأدب التونسي «الهيفاء وسراج الليل» (١٩٢٤م)، ومن أعماله الأدبية: ديوان «زفرات الضمير» (١٩١٨م). توفي عام ١٩٤١م.

صالح القرمادي

من أبرز أساتذة كلية الآداب بالجامعة التونسية الذين أثروا الحياة الثقافية. عمل مشرفاً على قسم الألسنية بمركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، كما ترأس تحرير مجلة «التجديد» الأدبية التي ظهرت في الستينيات.

شارك بالكتابة في الدوريات الفكرية: «الطليعة»، و«التجديد»، و«أليف»، و«الفكر»، و«حوليات الجامعة التونسية». ترجم إلى العربية بعض أعمال عدد من الأدباء المغاربة الذين يكتبون بالفرنسية.

من مؤلفاته: ديوان «اللحمة الحية» (١٩٧٠م)، و«مع وبدون»، كما أصدر بالاشتراك مع توفيق بكار مؤلفاً بعنوان «الكتاب التونسيون».

توفي القرمادي في آذار (مارس) ١٩٨٣م.

ط

الطاهر القصَّار

من مواليد تونس العاصمة في عام ١٨٨٩م. تلقى تعليمه في جامع الزيتونة، ثم صار بعد ذلك عضوا في هيئة التدريس به.

ينتمي إلى المدرسة الكلاسيكية في الشعر. من أعماله: ديوان «القصار» (١٩٧٧م).

الطاهر قيقة

أديب ومفكر، ولد بقرية تكرونة في ٣٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٢م. حصل على الإجازة في اللغة والأدب العربي، كما حصل على الدبلوم العالي للغات والآداب اليونانية واللاتينية والفرنسية، عمل في حقل التعليم أستاذاً بالمعاهد الثانوية. التحق بوظائف مهمة في وزارتي التربية في تونس والجزائر، ترأس نادي «أبو القاسم الشابي الثقافي». عين خبيراً باليونسكو (١٩٥٤-١٩٦٥م)، وتولى الإشراف على برنامج محو الأمية وتعليم الكبار بالمنظمة العالمية، نال عضوية المجمع الدولي للغة الفرنسية.

من أعماله: «العين الحديثة» كتاب في أدب الرحلات، وروايات «دنيا الكلاب» و«سنور وضفادع»، وترجم إلى الفرنسية كتاب «من أقاصيص بني هلال» الذي ألفه والده.

الطاهر الهمامي

حصل على الإجازة في اللغة العربية والأدب العربي من الجامعة التونسية. ثم التحق بسلك التعليم مدرساً بالمعاهد الثانوية.

يُعد من الشعراء المجددين في الشكل، والمضمون، وأسس مع مجموعة من الشعراء التونسيين اتجاهاً شعريًّا أطلقوا عليه «في غير العمودي والحر».

من مؤلفاته: ديوان «الحصار» (١٩٧٣م)، و«الشمس طلعت كالخبز»، و«أرى النخل يمشي» (١٩٨٩م) و«تأبط ناراً» (١٩٩٣م). وصدر له كتاب بعنوان «كيف نعتبر الشابي مجدداً؟».

ع

عامر بوترعة

من مواليد قفصة في عام ١٩٤٨م. تخرج في مدرسة الفنون الجميلة بتونس، وفي عام ١٩٦٩م، التحق بمجال التعليم في اختصاص فن الرسم، وفي عام ١٩٧٣م انتقل إلى فرنسا وأكمل تعليمه الجامعي هناك.

نشر قصائده في عدد من الصحف والمجلات التونسية.

ردود خاصة

○ **الأخ محمــد عماد العلبي ـ دمشق ـ سورية :**

أعداد «الفيصل» التي تناولت ـ بشكل مباشر ـ الموضوعات التي ذكرتها هي على النحو التالي : [دمشق: ٣٧، ١٦٥، ١٧٢ . **الأيدز**: ١٠٧، ١٤٠، ١٥٤، ١٥٧، ١٨٩ . **السرطان**: ١٢، ٤٨، ٧٣، ٧٨، ٨٧، ٩١، ١١٩، ١٤٠، ١٤٧ . وسيوضح لك قسم الاشتراكات والتوزيع كتابيا كيفية الحصول على تلك الأعداد .

○ **الأخ رقوي شكري ـ برج بوعريريج ـ الجزائر :**

العلاقات العامة بمؤسسة الملك فيصل الخيرية ستزودك بالمعلومات التي طلبتها عن المؤسسة وعن جوائز الملك فيصل العالمية .

○ **الأخ بلال عدنان فطوم ـ الزرقاء ـ الأردن :**

نأمل إرسال نماذج من أعمالك المترجمة (النص المترجم والنص الأصلي) للاطلاع عليها ، وشكرا .

○ **الأخ عيسى صالح ناصر ـ دمشق ـ سورية :**

سنعمل على زيادة كمية النسخ المخصصة لقرائنا الكرام في سورية الشقيقة في أقرب فرصة إن شاء الله .

○ **الأخ علاء الدين يوسف محمد سالم ـ بيشة :**

اقتراحك حول باب «اسأل ونحن نجيب» وارد لدينا ، غير أننا نفكر في إخراجه بشكل لا يتكرر ــ بقدر الإمكان ــ مع الأسلوب المتبع حاليًا في صحف عديدة . والعددان المطلوبان في طريقهما إليك .

○ **الأخ بكاكشة محمد ـ الشلف ـ الجزائر :**

شكرًا على ما جاء في رسالتك ، وسيرد قسم الاشتراكات على استفساراتك .

○ **الأخ عبد الله الفقير ـ دمشق ـ سورية :**

شكرًا على اهتمامك بالمجلة ، ونأمل أن تكتب إلينا مكتبة الأسد الوطنية بشأن الأعداد التي تنقصها .

○ **الأخ عزيز الشداوي ـ القنيطرة ـ المغرب :**

سعدنا برسالتك ، ولك أن ترسل لنا إسهاماتك الإخبارية حول النشاطات الثقافية في بلدك ، مع العلم بأنه لا توجد لدينا بطاقات للصحفيين الهواة .

○ **الأخ خالد عبد الحميد شاذلي ـ أسوان ـ مصر :**

مشاعرك الكريمة محل التقدير ، وتصحيحا لمعلوماتك فإن مؤسس المجلة ليس الملك فيصل ــ رحمه الله ــ وإنما أحد أنجاله الكرام وهو سمو الأمير خالد الفيصل . أما اقتراحاتك فنحن مهتمون بها ، وسينظر قسم التوزيع في طلبك حول تزويدك بأعداد سنوات ماضية معينة وذلك حسب الإمكانات .

○ **الأخ عبـــد الله دعفس الدعفس ـ الزلفي :**

الأعداد الثلاثة الأولى نفدت منذ سنوات ، والطريقة الوحيدة للحصول عليها أو على أعداد السنوات الأولى هي اقتناء المجلدات التي تُباع مجموعةً كاملة ولا تباع مجزأة . أما العدد ١٩٨ فهو في طريقه إليك .

○ **الأخ رحاب عبد الحق ـ بوروبة ـ الجزائر :**

أسعار المجلة وضعت بشكل مدروس ، ونرى أنه مناسب في المتوسط العام ، ولا يمكن أن نجعلها متفاوتة لتناسب جميع القراء . ليست لدينا عناوين «الإخوة في الخليج العربي» لعدم وجود باب للتعارف . أما المسابقات فهي ليست «ذات أمد طويل» ، ومدتها معروفة للقراء المتابعين وهي موضحة في صفحتي المسابقة في كل عدد .

○ **الأخ نايلي فاروق بن يوسف ـ فالمة ـ الجزائر :**

قسم الاشتراكات سيوضح لك الطريقة المناسبة للاشتراك ، والعدد المطلوب أرسلناه إليك .

○ **الأخ شهاب الدين عبد الله المحمدي ـ تعز ـ اليمن :**

حدث لقراء كثيرين أن فازوا بالمسابقة أكثر من مرة وأعطيت لهم جوائزهم . والمسألة تتلخص في مدى توافر الأجوبة الصحيحة من كل بلد على حدة ، ونصيب كل بلد بحسب كمية المشاركة ، ثم القرعة في النهاية .

○ **الأخ محمــد علي الحسين العمر ـ حماه ـ سورية :**

نأسف لكونك وجدت المظروف مفتوحًا وفقدت أحد الكتب المرسلة إليك ، ولكن ماذا يمكن أن نفعل وقد أرسلنا إليك المظروف بشكل سليم؟!

○ **الأخ حسيني بن عبد الله ـ الجلفة ـ الجزائر :**

شكرًا على البطاقة البريدية وما حملته من مشاعر كريمة.

○ **الأخ ولاء الدين فتح الله الشرقاوي ـ البحيرة ـ مصر:**

واضح أن هناك خطأ مطبعيًا في رقم العدد الذي طلبته، فالعدد ٣٢١ سنطالعه معًا إن شاء الله إذا مد الله في أعمارنا جميعًا!

○ **الأخ محمد حسين العلّو ـ حماه ـ سورية:**

ليس هناك من سبيل لدراسة المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية ـ على حد علمنا ـ سوى أن يكون الدارس مقيمًا فيها. أرسلنا لك بعض الأعداد السابقة، أما الكتب المطلوبة فسنحاول إرسالها حسب الإمكانات.

○ **الأخوين: محمد عمار الصمصام ـ حائل، محمد بوراس ـ الجزائر العاصمة:**

الكشاف العام للمجلة تمت طباعته، وسيُرسل قريبًا إلى جميع الإخوة المشتركين بموجب قسائم الاشتراك حسب وعدنا السابق لهم.

○ **الأخ أحمد حمدان البلوي ـ تبوك:**

موضوعك حول «الحزن الثقافي» سينشر في أحد الأعداد المقبلة بعد التطوير الذي سيتم في صفحات بريد القراء. نرجو المتابعة.

○ **الأخت حسيبة سفروان ـ الجزائر العاصمة:**

نرحب بصداقتك للمجلة، ونحن بانتظار إسهاماتك في الموضوعات التي ذكرتها في رسالتك.

○ **الأخ أحمد حمادة نكه مي ـ حلب ـ سورية:**

يمكنك التوجه باستفسارك إلى السفارة السعودية في دمشق لعلها تزودك بالعنوان المطلوب.

○ **الإخوة: عبد القادر بن فرعية ـ غيليزان، لزهر بابوش ـ قالمة ـ الجزائر، محمد فاضل ـ العيون ـ الصحراء ـ المغرب:**

مجلتنا ليس فيها باب للتعارف لكونه لا يتناسب مع سياستها التحريرية، ويمكن لمن يرغب في التعارف مراسلة المجلات التي تهتم بذلك. وبالنسبة للأخ لزهر بابوش فالمجلة ترحب بما لديك من موضوعات، وسيرد عليك قسم الاشتراكات والتوزيع كتابيًا حول استفساراتك.

○ **الإخوة: عبد الرزاق الخالدي ـ حمص، حميدي المحمد الهلال ـ حلب، محمد القصاب محمد شاكوج ـ دمشق، علي عبد ـ دير الزور ـ سورية، مجدي عبد الشكور ـ الجيزة، علي أحمد المليجي ـ المحلة الكبرى، عبد المنعم محمد إبراهيم ـ بورسعيد ـ مصر، لعيرج عاشور ـ سيدي بلعباس، بركات جمال ـ باش حراج ـ الجزائر، عبد المؤمن إدريس ـ أكرا ـ غانا.**

طلباتكم ليست ضمن اختصاصات المجلة، ويؤسفنا عدم قدرتنا على مساعدتكم لهذا السبب، مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق.

○ **الإخوة: خالد عواد الزليباني ـ بدر ـ منطقة المدينة المنورة، مسعود الكلميمي ـ تارودانت ـ المغرب، محمد حسن دعبس ـ دمنهور ـ مصر:**

أحلنا رسالة الأخ خالد إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، أما الأخوان مسعود ومحمد حسن فيمكنهما الكتابة مباشرة إلى المركز على عنوانه الموضح في صفحة الغلاف الداخلي الأخير.

○ **الأخت فايزة مفتن علبهادي ـ المحابشة ـ حجة ـ اليمن:**

مشاركتك سترينها منشورة في «استراحة العدد» قريبا، أما الأدب اليمني فنحن مهتمون به كاهتمامنا بالأدب في جميع الدول العربية، وحبذا لو نشط الكتّاب والأدباء اليمنيون الأفاضل على صفحات مجلتهم هذه. أما الأعداد المطلوبة ففي الطريق إليك، غير أن الكتب التي ذكرتِ عناوينها والتي نشرنا عنها في «كتب وردت إلى المجلة» لا نملك سوى نسخة أو نسختين منها، ويمكنك طلبها من ناشريها أو من المكتبات التجارية في بلدك.

○ **الأخ عبد الله محمد مصطفى محمد ـ قنا ـ مصر:**

عنوان المؤسسة التي تسأل عنها هو: المؤسسة العالمية لمساعدة الطلبة العرب Arab Student Aid International P. O. Box 10 Fanwood New Jersey 07023 U. S. A. Fax: (908) 654 - 3940 Tel: (908) 654 - 5511

○ **الأخوين: مصطفى العلالي ـ جيجل، جمال بوزنة ـ الوادي ـ الجزائر:**

هذه المجلة ليس فيها ركن للتعارف، للإحاطة وشكرا.



تربية جديدة للمعلمين!

لفت انتباهي مقال الأستاذ **محمود رداوي**، في باب «**على موعد**» **العدد ٢٠٦ لشهر شعبان ١٤١٤ هـ**، وسعدت كثيرًا بهذا المقال، فقد رأيت فيه حرصًا شديدًا على الارتقاء بالمستوى التعليمي الأولي في أقطارنا العربية كي لا ندفع الثمن غاليًا.

وقد بيّن ـ جزاه الله كل خير ـ ما آلت إليه حالة التعليم الابتدائي في أقطارنا العربية، من تدني مستوى المعلم وضعف كفاءته، وضحالة ثقافته وقلة خبرته، وأزيد على كلام الأستاذ محمود عدم صلاحيته أيضًا.


موعد

حتى لا ندفع الثمن

قلت مرة لأحد كبار مسؤولي التربية والتعليم في قطر عربي، وقد أخذت ظاهرة تدني المستوى التعليمي تستشري في مدارس البلدان العربية:

«لا تستقيم عملية التربية والتعليم، ولا يرتفع المستوى التعليمي لأبنائنا إلا بمعلمي الصفوف الابتدائية الأولى الأكفاء»

ومع الأسف، ما زالت المستويات التعليمية لتلاميذنا تتدنّى يومًا بعد يوم تبعًا لهبوط مستوى المعلم الإبتدائي وكفاءاته الفنية، وما زالت كفاءات التلاميذ وقراءاتهم مجبولة بالأخطاء الشنيعة.

ولقد رسخت في أذهان مديري المدارس الابتدائية فكرة خطيرة، ظاهرة تقليدية، هي أنهم يرمون تلاميذ الصفوف الأولى بأسوأ ... أو أفشلهم، أو أحدثهم تجربة، ويختارون الأكفاء

وإني لأذكر، يوم كنت طالبًا في دار المعلمين (أهلية التعليم الابتدائي)، كيف كان أستاذ التربية وأصول التدريس، في حصة التطبيقات المسلكية، يقودنا إلى أنجح طالب من زملائنا، لنشاهده كيف يلقي درسه على الصف الأول الابتدائي، وكنا نراه بارعًا في تأديته، وشد تلاميذه بطرق عجيبة، وكأنه ممثل بارع.

ومن هنا نقول: إن العملية التعليمية للصفوف الابتدائية الأولى تستوجب اختيار الأكفاء من المعلمين المتميزين لتمنحهم الوزارة امتيازات عالية، وهذه لها طرق كثيرة: كأن تمنحهم حوافز مادية ومعنوية، تميزهم من غيرهم من المعلمين؛ على أن يكون ذلك الاختيار من خلال مسابقات واختبار، وتطبيقات ميدانية بين الصفوف، ورؤية انطباع فنهم على نفوس الصغار، ومن ثم الحكم على تلك المقدرة الإبداعية الفنية.. حيث إن تلك القدرة ... يمكن للكليات والمعاهد أن تُعدّ مثل هؤلاء المعلمين ... قادرة على إعداد المعاهد ...

واسمحوا لي أن أقول كلمة في هذا المجال أشد بها على يد الأستاذ محمود وعلى يد الحريصين من أمثاله من أجل تطور أفضل يحقق ما تصبو إليه أمتنا، عسىٰ أن تلقىٰ من القائمين على المؤسسات التعليمية آذانًا صاغية، وعقولاً مستنيرة متفهمة واعية.

ولأبدأ بما أكد عليه الأستاذ محمود: المعلم. هذا المعلم ـ أيها الأخوة ـ لِمَ تضعف كفاءته؟ لأن ليس لديه كفاءة أصلاً، ولِمَ يتدنىٰ مستواه؟ لأن المستوىٰ معدوم بالأصل. وأسأل: من أين يأتي المعلم؟ من المعاهد طبعًا، وهذه المعاهد التي كثرت في أقطارنا العربية، وجدت في زمن كانت فيه الأمية منتشرة انتشارًا فظيعًا، ولا أظن حال الأمية اليوم كحالها في السابق.

وقد يقول قائل: ما دخل المعاهد في موضوع كهذا؟ أقول بكلمات مختصرة موجزة: **نريد معلمين أكفاء متميزين ولا نريد موظفين، نريد من يتعامل مع الأطفال بذكاء وكفاءة وتميز، كفنان حين يرسم لوحاته، يضع فيها كل مشاعره وأحاسيسه، كشاعر حين ينظم قصائده، لا كموظف همّه ملء جيوبه آخر الشهر.**

وهذا حال معلمينا اليوم للأسف!

وإننا بهؤلاء المعلمين نتاجر بأطفالنا، ونلقيهم عند من لا يحسنون التعامل معهم بالشكل السليم، فعملية التعليم ليست سهلة وخصوصًا التعليم الابتدائي. ولقد أوضح الكاتب كيف هي عملية التعليم حيث قال «**عملية فنية إبداعية**»، وقد صدق في قوله، بل كان بارعًا في تشخيصه للعملية التعليمية الأولية. وفي اختصاصات الطب البشري يضعون اختصاص الأطفال بالمرتبة الأولى، فلا يسمح لأي متخرج أن يختص بالأطفال إلا إذا نال أعلى المعدلات، واستغرب كل الاستغراب كيف لا نولي هذه المرحلة الخطيرة جلّ اهتمامنا ورعايتنا، حيث إنها القاعدة الأساس والأهم في بناء مستقبل أمتنا، وأن لا نوليها الرعاية المتميزة، فذلك يعني بناء هش سرعان ما ينهار فوق رؤوسنا. فندفع بذلك الثمن غاليًا.

والآن إلى الناحية الأهم، فأن تقوم المرأة إلى جانب الرجل بعملية التعليم، فهو بلاشك أمر جيد، ولكن أن تعطى المرأة الأولوية بالتعليم الابتدائي فهذا ما لا يقبله كل حريص على مستقبل التعليم في أقطارنا العربية، بل إنني أؤكد أن مستوىٰ طلابنا لم يتدهور إلا بوجود المرأة في هذا الحقل وطغيانها عليه. وإن ساحة التعليم ويا للأسف أصبحت مهزلة ـ وعذرًا من استخدام هذا التعبير ـ بوجود المرأة.

وأجدني مضطرًا لإظهار الحقيقة المرة، التي نتجت من طغيان المرأة على الحقل التعليمي وخصوصًا الابتدائي، فهل تصدقون أن ست معلمات تناوبن خلال سنة واحدة على أحد صفوف الثالث الابتدائي؟ بالله عليكم، أي فائدة سيجنيها الطفل من جرّاء هذا الأمر؟ ومثل هذه الحوادث كثيرٌ كثير (. . . .).

وللأسف الشديد فإن مثل هذه الأمور تجري في مدارسنا العربية أمام أعين القائمين على هذه المؤسسات، وصدقوني إن وجود المرأة في هذا الحقل ضرره أكبر مِن نفعه.

وبعد، ماذا نريد؟ نريد تربية جديدة للمعلمين. . . نريد أن تتكاتف الجهود من أجل طفل عربي جديد، نريد معلمًا مثقفًا واعيًا متميزًا، والحل فيما عرضه الأستاذ محمود مشكورًا.

فهذا الطفل هو أمانة في أعناقنا، هو مستقبلنا، هو أملنا.

وفي الخاتمة اعذروني على هذه العجالة، فالمشكلة جدّ مهمة، وتحتاج لرؤية جديدة، ولتكاتف الجهود العربية كافة، من قبل المختصين في هذا المجال.

عبد الغفور الخطيب

دمشق ـ سورية



اسمُ فلسْطِين

أورد الدكتور **محمد إسماعيل علي** في مقال كتبه في **العدد ١٥٨** من مجلة «**الفيصل**» تحت عنوان «**الأصول العربية لفلسطين**» «إن ما يسمى الآن باسم فلسطين يقع ضمن بلاد الشام التي سميت حسب الرأي الراجح باسم سام بن نوح»، ولم يوضح الدكتور كيف أُطلق هذا الاسم؟ ومن أطلقه؟

وأورد كثير من العلماء المقولة التالية: «إن اسم فلسطين مشتق من كلمة ـ فلاستو ـ وهو اسم مكان في جزيرة كفتور التابعة لليونان»، وأورد آخرون أن اسم فلسطين أطلقه الرومان. وهناك نظريات وتكهنات لا تستند كتابتها على أي مستند وثائقي.

وجوابنا على ذلك ما يلي:

١ ـ لم يفرق هؤلاء العلماء أو التبس عليهم التفسير بين كلمة الفلاستو وكلمة البالاستوفا، الأولى تعني الشعب الفلسطيني والأخيرة تعني شعوب البحر الواردة ذكرها في التوراة، أو بالأحرى التبست التسمية على النص التوراتي نفسه، فمرة تعني هذه التوراة أن الفلسطينيين هم الفلاستو، ومرة أخرى تذكر أن للفلسطينيين مملكة عاصمتها جرار زارها إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

فالفلاستو مصطلح كان يطلق على شعوب البحر القاطنة في الجزر الإيجية، وهمهم مهاجمة السواحل ونهب موانئها. أما مصطلح فلاستو فكان يطلق على مملكة كنعان، عاصمتها جرار تقع جنوب غزة، وملكها حسب النص التوراتي مليكي صادق وهو والد مليكي سالم ملك أورشليم.

٢ ـ فالتوراة تقول: أول وجود للفلاستو (وتعني بهم شعوب البحر وتؤكد أنهم الفلسطينيون) في جزيرة كفتور التابعة لكريت من أعمال اليونان، وأن الرب قد دمرهم في هذه الجزيرة؛ لأنهم يريدون تدمير اليهود. ولا نعرف الحكمة التي جعلت الرب يدمرهم بكفتور. وكيف دمرهم بكفتور؟ وكيف جاءوا إلى فلسطين بعد تدميرهم؟ وكيف ظهروا بزمن موسى ويشون وشاؤول؟

وكيف خرجوا من القبور اليوم يحاربون اليهود بالحجارة غير آبهين بالمدافع والدبابات والطائرات؟

وقد أورد رعمسيس الثالث عن الفلاستو ما يلي: «إنهم قوم لا يُقهرون استولوا على أطراف العالم قهروا الأشوريين والحثيين ودمروا مدنهم وجعلوها أثرًا بعد عين. ودمروا كريت وقبرص ورأس شمرا وأوغاريت وساروا إليّ جيشين بري وآخر بحري ولكني استطعت صدهم». ولكن رعمسيس لم يذكر على حائط معبد آمون من هم الفلاستو؟

وفي القرن العشرين ظهر العلماء لودز ومورو وجورج بارتون وأولبرايت، وأجمعوا على أن أول وجود للفلاستو في كنعان كان عام ١١٩١ قبل الميلاد بعد معركتهم مع رعمسيس الثالث، ومن ثم أخذوا اسم فلسطين.

وتوضيحنا لذلك هو:

إن التوراة نفسها تقول إن إبراهيم الخليل تغرب في أرض كنعان لدى ملك الفلسطينيين أبي مالك في جرار، وقال له إبراهيم: «مبارك أنت يا إبراهيم من العلي القدير»، علمًا أن عصر إبراهيم هو القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أي حوالي عام ١٩٥٠ قبل الميلاد، ومعنى ذلك أن التوراة تناقض نفسها، أو أن المؤرخين الغربيين المتأثرين بالتوراة قد اعتمدوا النص التوراتي الأول وأهملوا


الأُصُولُ العَرَبيّةُ لفلسطِين

بقلم: د. محمد إسماعيل علي

التاريخ العربي لفلسطين

☆☆ إن ما يسمى الآن باسم (فلسطين)، يقع ضمن بلاد الشام التي سميت حسب الرأي الراجح باسم «سام بن نوح». اما تسمية الارض فلسطين فقد كان ذلك نهاية لتطورات تاريخية وجغرافية وسياسية واجتماعية فبالرغم من أن اسم (كنعان) قد ورد في العديد من كتب ... فضلاً عن الكتب المقدسة، فإن البابليين كانوا يطلقون على هذه الارض، اسم (أمورو)، كما كان المصريون القدماء يطلقون عليها اسم (...

كانت الواح (تل العمارنة ١٤٠٠ق.م) تحمل اسم (كنعان). لكن ... يرى أن كلمة (فلسطين) مشتقة من كلمة (باليستا Palista) وهو اسم ... (بيدوس) باليونان. وقد ورد ذكر الفلسطينيين في العهد القديم، ... اسمهم في نقش لرعمسيس الثالث وفي النقوش الاشورية ... (Pilishti). وهم قوم أتوا من جزيرة (كريت) حيث سكنوا في ... ثم انتشروا على الساحل وعممت تسمية فلسطين على كل

كنعان بن حام بن نوح، مستنداً في ذلك إلى التوراة ذاتها. و ... الشام على مجمل الاراضي شمال شبه الجزيرة العربية ... (سام) بن نوح. لان كلمة (سام) تنطق (شام) باللغة السا... سائدة. ويقال إن عرب الجزيرة اطلقوا على هذه المنطقة ... بمعنى اليسار أو الشمال لانها تقع في يسارهم ... والواقع أن هذه ...

النص الثاني، والفرق بين الأول والثاني هو الفرق بين التاريخ المبني على الوثائق أو على الأسطورة والخيال؛ أ فالتوراة هنا تؤكد أن وجود الفلسطينيين هنا كان قبل إبراهيم بزمن طويل، مما يجعل من التوراة رأيين متناقضين، علمًا أن عصر إبراهيم كان قبل ظهور اليهود على مسرح الأحداث بأكثر من ألف عام.

٣ ـ دوّن اسم الفلاستو في المدونات الآشورية أثناء تحرير أرض كنعان من اليهود باسم البالاستو الغرباء الذين انشقوا عن شريعة موسى، ولم تذكر المدونات الآشورية هذا الأصل إلا باسم اليهود الغرباء، والغرباء هم البالاستو، فقد ذكرت المدونات أن البالاستو استولوا على جرار وغزة وامتد نفوذهم على طول الساحل الكنعاني، ولم تتطرق هذه المدونات إلى الفلاستو سكان البلاد الذين حاربوا رعمسيس الثالث للتخلص من الحكم والاحتلال المصري، ولم تذكر معارك الفلسطينيين ضد الآشوريين بقيادة رعمسيس الثاني وتحتمس الثالث عام ١٥٨٣ قبل الميلاد الذي كانت فيه كنعان برمتها تحت السيطرة المصرية.

والسؤال المطروح: كيف تمكن هؤلاء الفلاستو من احتلال الساحل الكنعاني دون قتال واحتلال البلاد دون مقاومة؟

وكذلك لم تذكر المصادر الآشورية كيف تم انتقاء اسم فلسطين؟

سنفرو الفاتح المصري العظيم سجل مذكراته على معبد الكرنك بقوله: «لقد استوليت على أربعين دولة ومملكة في كنعان ومن جملتها جرار عاصمة الفلسطينيين (مدينة تقع على بعد ٥ كم من جنوب غزة)، وعدّد الغنائم التي أخذها من جرار ومنها عربات عجلاتها مطعمة بالذهب وخيام أوتادها من الفضة وغرف نوم من خشب الأبنوس وكمية ٤٠،٠٠٠ شوال من الحنطة»، وقد سجل مذكراته عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد، أي في خضم الهجرة الكنعانية التي ابتدأت عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، ولم يثبت التاريخ أن شعبًا آخر سكن هذه المنطقة قبل الكنعانيين، والفرق بين ٢٧٠٠ و١١٩١ عظيم جدًا، مما يدحض المزاعم السابقة. وكذلك فقد ذكرها أحموسي في مذكراته على معبد الكرنك عام ١٥٨٥ قبل الميلاد، وكذلك تحتمس عام ١٥٨٤ قبل الميلاد، ورعمسيس الثالث عام ١١٨١ قبل الميلاد، وذكرها آشور بنيبال عام ١٤٥٠ قبل الميلاد، وأن اسم فلسطين موجود لدي على مذكرات سرجون الآكادي عام ٢٣٠٠ قبل الميلاد.

كل هذا يدل على أن اسم فلسطين كان موجودًا قبل وبعد شعوب البحر، وليس لفلسطين علاقة بشعوب البحر من قريب ولا من بعيد، علمًا بأن الفلسطينيين ليس لهم أي أثر مادي أو ثقافي في الجزر اليونانية وغيرها من السواحل الأوربية الجنوبية.

إن اسم فلسطين ليس له معنى باللغة اليونانية والرومانية، ولكن له معنى باللغة الآكادية، ومعناه البيت التجاري المشهور. وإذا علمنا أن منطقة جرار تشمل سيناء والنقب، وهما الممر التجاري الوحيد بين مصر والشرق، عرفنا سبب هذه التسمية ومعناها. وأثبتنا أن الفلسطينيين هم جزء لا يتجزأ من الشعب الكنعاني.

يقول شفيق الرشيدات: «إن فلسطين ظلت تسمى كنعان حتى عام ١٢٠٠ قبل الميلاد حين غزتها القبائل الكريتية القادمة من جزيرة كفتور التابعة لكريت، علمًا أن التاريخ لم يذكر أي أثر للفلسطينيين في كريت ماديًا كان أو فنيًا أو حضاريًا».

إن كل ما ذكره التاريخ أن شعوب البحر الإيجية كانت تهاجم السواحل وتنهب الممتلكات وتستولي على الغنائم ومن ثم تنسحب إلى الجزر الإيجية بعد تحقيق أهدافها من الغزو، فكان شأنها شأن أهل البداوة التي كانت تهاجم الحضارة في الأراضي الصحراوية.

وزعم بعضهم أن هيرودوت أطلق اسم فلسطين على القسم الجنوبي من كنعان عام ٤٥٠ قبل الميلاد. فلماذا يطلق هيرودوت هذا الاسم الغريب وغير المعروف في اللغة اليونانية على بلد ليس بلده؟! ولم تجرِ العادة على أن مستعمرًا أطلق اسمه على بلد احتله، ولم يسجل التاريخ حادثة من هذا النوع في أي بلد من بلدان العالم.

د. حسن حدة
دمشق - سورية

الوجه الخفيّ لأبي شادي



نشرت «**الفيصل**» مشكورة موضوعا مهمًا في **العدد ٢٠٢** لشهر **ربيع الآخر ١٤١٤ هـ** عن الأديب الإصلاحي المرهف والشاعر المصري الفنّان اللامع **أحمد زكي أبو شادي، يرحمه الله**. فلقد أحسن الناقد الشهير **الدكتور علي شلش، يرحمه الله**، صنعا بإماطة اللثام عن العوامل الاجتماعية والنفسية التي دفعت بالطبيب المصري أحمد إلى الهجرة والإقامة أوّلاً في بريطانيا، وأخيرًا في أمريكا التي توفاه الله فيها يوم ١٢/ ٤/ ١٩٥٥ م، بعد أن أصبح من ألمع أدباء العرب في المهجر. أولئك الأدباء الذين كان كثير من الناس يحسبونهم جميعا من الشاميين (لبنان وسورية وفلسطين) مثل **جبران خليل جبران وإيليا أبي ماضي وإلياس فرحة وفرح أنطون وميخائيل نعيمه**، وهؤلاء نزر يسير من جمهور غزير اضطرتهم ظروف الاحتلال مع تضعضع الأحوال المادية والاجتماعية إلى الرحيل إلى القارة الأمريكية شمالا وجنوبا بحثا عن الكسب الوفير وطلبا لراحة النفس والخير العميم، فلما وجدوا بغيتهم وما يطمحون إليه من النعمة وراحة البال والأمن والاستقرار في أماكنهم الجديدة، استلحقوا عيالهم أو تزوجوا هناك وسكنت أنفسهم بالحياة الجديدة وتعاونوا على إيجاد المناخ الملائم للنشاط الفكري والإبداع الأدبي، وهزّهم الشوق والحنين إلى ربوع أوطانهم ومنشأ شبابهم وأترابهم فهاجت منهم القرائح وتوقدت العواطف وشحذت العزائم، فأسسوا الصحف والمجلات والنوادي الأدبية، واندفعوا ينشطون ويكتبون النثر وينظمون الشعر ويبدعون في ذلك أيما إبداع، فاتحين نهجًا جديدًا في الأدب العربي الحديث بقسميه، نال إعجاب الكثير من المادحين والمقتفين أثره وبخاصة من شباب الأمة العربية بشرقها وغربها والمولعين بالتجديد الفكري أينما كانوا، كما أثار كثيرًا من القادحين أو المنتقدين من كبار السنّ خاصة، وهذه ظاهرة طبيعية ومألوفة.

وعلى أية حال برز إلى الوجود أدب عربي جديد في الشكل والمضمون سُمي الأدب المهجري. **لكن الأديب المصري أحمد زكي أبو شادي امتاز عن أقرانه ورفاقه من شعراء المهجر وكتّابه بتوجه إضافي زائد عن المنحى الأدبي كهواية مفضلة أو متعة شخصية يهواها الأديب فيميل إليها بعد الكدّ والعناء من أجل حياة أفضل.**

فقد كانت له أفكار تجديديّة وكتابات إصلاحية في الفكر الإسلامي وإنقاذ المسلمين مما هم فيه من التخلف الشامل والاستعمار الظاهر والخفي. نعم، إن لأحمد زكي كتابات إسلامية أنجزها في مهجره، وبالأخص الثاني، تؤهله لأن يكون في صف زعماء الإصلاح أو ـ على الأقل ـ من مريديهم وتلاميذهم

المقرّبين، أولئك الزعماء المخلصون في مشرق العالم الإسلامي ومغربه أمثال محمد **عبده والأفغاني والكواكبي** من المشرق **والثعالبي والخضر حسين والطاهر بن عاشور وابن باديس** من المغرب العربي الكبير.

ومما كتبه قبل وفاته بأقل من شهرين جملة مقالات وبحوث توجيهية إصلاحية إسلامية جمعها صديقه الحميم الأديب التونسي **أبو القاسم محمد كرّو**، ونشرها في كتاب «**لماذا أنا مسلم؟**» ضمن سلسلته التي أنشأها وأدارها في العقد السادس من هذا القرن وهي سلسلة «كتاب البعث» التي كانت تحمل شعار «فكر حُرّ وحياة أفضل»، وقد أسهم في تحريرها نخبة طيبة من أعلام الفكر

الأليم، وفي يدها لفحة من جهنّم يتلظّى بها من يرفع صوته في وجه المتوشحين بوشاح الدين ومحترفيه زورًا وبهتانًا أو جهلا بمقاصده السنيّة وطريقته السمحة وعدوانًا على جوهره النقي».

«ومن تمام المأساة أن يصبح الدين الإسلامي سوقا مقفلة يحتكرها أناس يقومون بتحديد مصالحهم وحساب أرباحهم وخسائرهم أو الوصول إلى مآربهم داخلها ويحاربون من يريد الدين الإسلامي خالصا للجميع وباعثا لإنسانية حرة كريمة واعية ومضيئة سبيل البشرية الهادرة... ومن يقتحم عليهم هذه الساحة الكريمة المسامحة أطلقوا عليه قذائف اللعن والتكفير».



والأدب والثقافة في المغرب العربي الكبير والمشرق. وأحسب أن كتاب «**لماذا أنا مسلم؟**» يمثل نهاية النضج الديني عند أبي شادي، ربّما في منتصف هذا القرن بوجه عام، وهو يوضح نزعة الأديب الشاعر الإصلاحية واتجاهه الإنساني الرحب في التفكير الديني، بعيدًا عن القصور والتزمّت الذي كان - ولا يزال - يسلكه كثير من المتدينين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

نماذج من كتاباته الإسلامية

إقرأ معي بعض ما جاء في مقدّمة هذا الكتاب وستجد نفسك منساقا مثلي للقول بما قلتُ: «أحقا إن عهد الأديان قد ولّى وانقضى؟ أحقا أن الإنسانية مستطيعة بحاسة العلم وذكاء الفطرة أن تحمل أوزارها على ظهرها وتمضي إلى غايتها غير وانيّة ولا متعثرة أو متسائلة: أين الطريق؟

الحقيقة أن شبهًا كثيرة من السواد الذي ران على هذا الوجه الأبلج. [يعني الإسلام الحقيقي] قد تنفّر كثيرًا من الناس عن صداقته وتخوّفهم من صحبته بل وتطردهم عنه. فراحوا لا يقبلون منه عدلا ولا صرفًا ولا يرون فيه إلا قوّة إرهابية رعناء تحول دون مبتغاهم وتقف في سبيل أمانيهم شاهرة شعار الخطيئة والعذاب

ثم اسمعه وهو يتحدث عن الدولة الإسلامية المرتقبة فيقول:

«يتوهم كثيرون أن الدولة الإسلامية هي دولة ثيوقراطية أي دينية ويجب أن تبقى كذلك. أما الواقع فهو أنها دولة فكرية إنسانية تنهض على الديمقراطية الاشتراكية... لا ينقض ذلك أن دستورها الأساسي ذو حرمة دينية ما دامت قداسته لا تحول دون تفسير الناس إياه والتشريع على ضوئه بما يلائم مختلف البيئات والعصور وبما يتفق تماما والصالح العام. فالدولة الإسلامية لا تعرف القومية بمعناها الضيق...».

وبعد، فقد أردت أن أقول من وراء هذا: إن هناك كثيرًا من موجات الفكر الإصلاحي النيّر الرامي لانتشال العرب والمسلمين مما تردوا فيه والسير بهم في طريق الخير والتقدم والعدل والحريّة ليعودوا كما كان أسلافهم أسيادًا في ديارهم وديار غيرهم، لكن هذه الموجات بل قل الومضات النورانيّة مدفونة في ركام الأدب، بشعره ونثره، قديمه وحديثه، تنتظر البعث والنشور. فهل من سبيل؟

صالح بن عبد الجليل
مساكن - تونس

العدل أقوى

كتب أحد الولاة إلى الخليفة عمر ابن عبدالعزيز يطلب منه مالاً يعينه على بناء سور حول عاصمة الولاية، فأجابه عمر: وماذا تنفع الأسوار؟ حصِّنها بالعدل، ونقِّ طريقها من الظلم.

نصيحة

نصح الخليفة العباسي هارون الرشيد - يوماً - ولده المأمون، فقال له: يا بني إن الملك والعدل أخوان، لا غنى لأحدهما عن الآخر، فالملك أسّ، والعدل حارس، والبناء ما لم يكن له أسّ فمهدوم، والملك ما لم يكن له حارس فضائع. اجعل حديثك مع أهل المراتب، وعطيتك لأهل الجهاد، وبِشْرك لأهل الدين، وسرّك لمن عناه من ذوي العقول.

مرآة النفس

قيل: حق على العاقل أن يتخذ مرآتين ينظر في إحداهما إلى مساوئ نفسه، فيتصاغر، ويصلح ما استطاع منها. وينظر في الأخرى إلى محاسن الناس، فيحتذيهم فيها، ويأخذ منها ما استطاع.

الشعبي والأعرابي

يروى أن الشعبي مر يوماً بإبل قد فشا فيها الجرب، فقال لأعرابي كان يحرسها: ألا تداوي إبلك يا أخا العرب؟! قال الأعرابي: إن لنا عجوزاً مؤمنة تتكل على دعائها! قال الشعبي: لو جعلت مع دعائها شيئاً من القطران كان ذلك أرجى!

ويأتيك بالأمثال

يَحْمِلُ شَنٌّ وَيُفَدَّى لُكَيْزٌ

يضرب للرجلين يهان أحدهما ويكرم الآخر، ويضرب أيضا في وضع الشيء في غير موضعه.

قال المفضَّل: شن، ولكيز، هما ابنا أقصى بن عبدالقيس، وكانا مع أمهما في سفر - وهي ليلى بنت قُرَّان بن بَلِيّ - حتى نزلت ذا طُوًى، فلما أرادت الرحيل فدَّت لكيزاً ودعت شنّاً ليحملها، فحملها وهو غضبان، حتى إذا كانوا في الثنيَّة رَمَى بها عن بعيرها فماتت، فقال: «يَحْمِلُ شَنٌّ وَيُفَدَّى لُكَيْزٌ» فأرسلها مثلاً، ثم قال عليك بجعرات أمك يا لكيز، فأرسلها مثلاً.

ومثل هذا قول الشاعر:

وإذَا تكون كَريهة أُدْعَى لها

الصمت أوجز

إذا كنت عن أن تحسن الصمت عاجزاً
فأنت عن الإبلاغ في القول أعجز

يخوض الناس في المقال ليوجزوا
وللصمت عن بعض المقالات أوجز

المستحيل

سأل أحدهم الشاعر محمد إمام العبد (وكان الأخير أسود اللون): لماذا لم تتزوج؟ فقال العبد:

يا خليلي وأنت خير خليل
لا تلم راهباً بغير دليل
أنا ليل وكل حسناء شمس
فاجتماعي بها من المستحيل

أحكم من لقمان

يروى أن لقمان الحكيم أعطى خادمه شاة وأمره أن يذبحها، ويأتيه بأخبث ما فيها. فذبحها الخادم وجاءه بقلبها ولسانها. ثم أعطاه شاة أخرى، وطلب منه أن يأتيه بأطيب ما فيها. فذبحها وجاء بقلبها ولسانها. فقال لقمان لخادمه: كيف فعلت هذا؟ قال: ليس أخبث من القلب واللسان إذا خبثا، ولا أطيب منهما إذا طابا. قال لقمان: كدت تكون أحكم من لقمان.



مقطع من منتصف شارع الثميري بمدينة الرياض، ويبدو إلى اليمين اصطبل خيل الأمير سعود الكبير، ومسجد الامام تركي بن عبد الله، وفي أقصى اليمين يظهر مبنى الأشعة ١٣٦٢ هـ/ ١٩٤٣ م

أدب الأدباء

كـانت تجاور دار الأديب ابن المقفـع دار صغيرة لأحـد الـورّاقين ورغب ابن المقفع في شرائها لضمها إلى داره، إلا أن الورّاق رفض وامتنع، ثم أصاب الأخير دين كبير اضطره إلى عرض داره للبيع، فجـاء بعضهم إلى ابن المقفع يعرضونها عليه، فقال لهم: ليس بي حاجة إليها. فقيـل له: لكنك طلبتها قبلاً! قال: ما رعيت إذن حرمـة الجوار إن رغبت في ابتياعها بعـد اضطراره لبيعها معـدماً. ثم حمل إلى جاره ثمن الدار، وقال له: ابق دارك لك، واقض بهذا المبلغ دينك.

اسأل الله

قال حكيم لابنه: يا بني، أكلت الحنظل، وذقت الصبر، فلم أر شيئاً أمرَّ من الفقر، فإن افتقرت فلا تحدث بـه النـاس كيـلا ينتقصـوك، ولكن اسأل الله تعـالى مـن فضلـه، فمَنْ ذا سأل الله فلم يعطـه، أو دعـاه فلم يجبه، أو تضرّع إليـه فلم يكشف ما به؟

ثلاثة تورث ثلاثة!

قال حكيم: ثلاثة تورث ثلاثة: النشاط يورث الغنى، والكسل يورث الفقر، والشراهة تورث المرض.

عليه دين

رأى أحـد الصـالحين رجـلاً متقنعاً، فقال لـه: كان لقمان الحكيم يقـول: القنـاع ريبـة بـالليل، وذل بالنهار. فأجاب الرجل: إلا أن لقمان الحكيم لم يكن عليه دين.

أحـــــلام

استضـاف الزعيم المصري سعـد زغلـول في مصيفـه بعض أصـدقـائه وكـان فيهم شـاعـر النيل حـافظ إبـراهيم، والسيـاسي د. محجـوب ثـابت. فأصبـح د. محجـوب يـومـاً يروي لهم حلماً رآه ليلته، فسأله سعد زغلـول عن الحلم، فقـال: رأيتني راكبـاً جملاً كبيراً، ومن خلفـه عـدد كبير من الحمير، ثم جاءني رجل معه رسـالـة مـن شخص عظيم وأعطـاني إياها.

فنظـر سعد زغلـول إلى حـافظ، وقـال لـه: فَسِّر لنـا هـذا الحلـم يـا حافظ.

قـال حـافظ: أمـا الجمل الـذي يركبه فهو كرسي مجلس النواب، وأما الـرسـالـة فهي تكليف بتـوليـه وزارة الصحة - وكان د. محجـوب يتطلع إليها - وأما الحمير فهم الذين انتخبوه في مجلس النواب!

عائد الكلب

مرض عبدالله بن مصعب أحد ولاة المدينـة المنورة في عهد الخليفـة العباسي هارون الرشيد يوما، فلم يهتم أحد من دار الخلافة بالسؤال عنه فقال:

مـــالي مـــرضت فلـم يعـــدني عـــائد
منكـم ويمـــــرض كلبكم فـأعـــــود!

«الفيصل»



اشتبكت الثقافـة مع الأدب فكادت أن تقضي عليه، واصطبغت الثقافة بالمعاصرة فأصاب الوهن التراث فيها. ومع أن القـراء بحاجة إلى ثقـافة وإلى ثقـافة معـاصرة، إلا أن أجمل مـا في الثقـافـة هـو الأدب، وهـو ما نـرجـو أن تحافظ «الفيصل» على جريان نهره بقوة فيها.

لقد تتبعت بعض الدواوين الشعرية، وآخرهـا المجموعة الكاملة لمحمد عبد القـادر فقيه، وهـو مكسب كبير للوسط الأدبي لم ينل حقـه من الاهتمام الذي هو خليق بـه. وتتبعت المجموعة الكاملة لديـوان حسين عرب، وهذا الديوان منسي أيضا ومظلوم كسـابقه. وفي المجموعتين يجد القارئ ومضات عن سيرة حياة كثير من القصائد، والمناسبات التي قيلت فيها.

ومن الأسف أن هناك حملـة على قضية المناسبات، كأنما لا يجوز لشـاعـر أن يرثي شاعرًا أصابته المنون، فـذلك شعر مناسبات، فإن شئنا رثاءً فليكن عند الميـلاد! أو إذا قلنا قصيدة عن العيد ـ مثلاً ـ فلننتظر حتى شهـر صفر بعد انتهاء كل عيد!

وعلى اختـلاف مضمار الشـاعـرين الكبيريـن عـرب وفقيـه، فقـد ضم ديوانهما ومضات «معرفية» هي جزء من تاريخ مكة المكرمة المعاصر. والقارئ حين يطـالع أحد الـديـوانين سينجذب بـلا شك بـالسطر أو السطـرين في مقدمـة بعض القصائد، فيعـرف كيف بدأت حفلة الميـلاد وما هي منـاسبة العواطف الثرة التي أملت على الشاعر قول تلك القصيدة.

ولمُحَمَّـد عبـد القـادر فقيـه أشـدُّ اهتمامًا بهذه النـاحيـة، بل إن بعض قصائده عبارة عن قصة قصيرة، تبقى في الذاكرة حتى بعد أن تغيب كلمات القصيـدة عنهـا. أما قصـائد حسين عـرب فهي ثـروة أدبية لا تعـادلها ثـروة الدرهم والدينار.

والمجـلات الثقافيـة الأدبية في المملكـة وعلى رأسها مجلـة «الفيصل» هي السيرة الذاتيـة التسجيلية لتـاريخ الأدب في الجزيرة العـربيـة. فلتعط الأدب نصيبه غير منقوص، وليكن للتراث المزيد من الاهتمام، إذ إن الشعر الحديث لم يستطع بعد أن يرسخ أقدامه في تربة ثقافية خصيبة.

هذا ما نظن، وفوق كل ذي علم عليم.

محمد علي الجفري

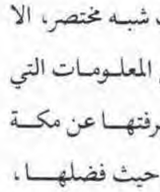
فضل مكة وحرمة البيت الحرام



قام عاتق ابن غيث البلادي بدراسة ما ورد في أمهات الكتب عن فضائل مكة المكرمة، وجمع المتفرقات التي تزخر بها مجلدات عديدة، بين دفتي هذا الكتاب الذي أعده للتيسير على القارئ، وليكفيه مشقة البحث في المراجع التي لا تكون متاحة للجميع في كل وقت، وإن أُتيحت فإن استخلاص الموضوع من المتن والهوامش يتطلب وقتًا طويلاً.

على أن الكتاب شبه مختصر، الا أنه حوى كثيرًا من المعلومات التي يهتم القارئ بمعرفتها عن مكة المكرمة، من حيث فضلها، وحرمتها، والمجاورة فيها، وما لأهلها من فضل، وما فيها من الخير للمحسن، ووبال على المسيء، وقد تمت تغطية الموضوع من خلال ثلاثة مباحث في ٢٥٤ صفحة من القطع المتوسط. وقد صدر الكتاب عن دار مكة للنشر هذا العام ١٤١٤ هـ.

النقد الأدبي في القرن العشرين



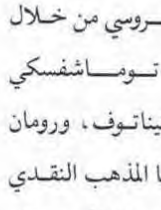
من تأليف الفرنسي جان إيف تادييه وترجمة الدكتور منذر عياشي.

يذهب المؤلف إلى أن النقد أصبح «مساويًا للأعمال التي يحللها»، وبذلك نشأ ما يعرف بـ «الكتابة في مواجهة الكتابة» كجوهر للعملية النقدية.

يستعرض الكتاب الحركات النقدية المهمة التي أنتجها الغرب في القرن العشرين. قام الناشر بتقديم الكتاب مجزءًا، تناول الجزء الأول - الذي نحن بصدده - النقد في المدرستين الروسية والألمانية، ويقدم المذهب النقدي الروسي من خلال تجربة كل من: توماشفسكي وشكلوفسكي، وتيناتوف، ورومان جاكبسون. أما المذهب النقدي الألماني فيعرض له بتناول تجربة كل من: كيرتيوس، وأيرباخ، وسيتزز وفريديرنج.

يقع الكتاب في ١٠٦ صفحات من القطع الصغير، من إصدار مركز الاتحاد الحضاري بسوريا، ١٩٩٣ م.

من تجربة إذاعة المملكة العربية السعودية



عبارة عن ثلاث دراسات وصفية تاريخية عن تجربة الإذاعة السعودية في التنسيق مع التربويين، وبرامج الأطفال، والبث المباشر. وهذه الدراسات - في الأصل - كان قد قدمها الدكتور عائض الردادي في ندوات إعلامية متخصصة في أزمنة متباعدة، وهي مستقاة من واقع تجربته في العمل الإذاعي، التي امتدت ثلاثة وعشرين عامًا، ومتابعته لتطور مستويات الأداء. ذيّل دراساته بمقترحات ومرئيات تقويمية. الكتاب هو الجزء الأول ضمن سلسلة دراسات إعلامية يقع في ٨٠ صفحة من القطع المتوسط، تمت طباعته في مطابع الشريف، ١٤١٤ هـ.

التنمية والبيئة



يقول المؤلف إن المخاطر التي تتعرض لها البيئة من جراء العملية التنموية لا تعني فقط الدول المتقدمة، بل هي قضية حيوية تهم العالم أجمع، وأشد التصاقًا بالدول المتخلفة؛ لأن ما تستهدفه هذه الدول من تنمية بحاجة إلى المزيد من الوعي البيئي ولذلك فهو يقدم في هذا الكتاب دراسة مقارنة تلقي الضوء على موقف الإسلام من قضية حماية البيئة، وطبيعة علاقة التنمية بمفهومها الإسلامي بموضوع البيئة. ويعرض الكتاب جوانب من مواقف الفكر الوضعي إزاء القضية موضوع الدراسة.

الكتاب من تأليف الدكتور شوقي أحمد دنيا، يقع في ١٢١ صفحة من القطع الصغير، صدر عن رابطة العالم الإسلامي ضمن سلسلة دعوة الحق، ١٤١٤ هـ.

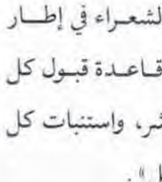
النظرة النبوية في نقد الشعر



كتاب يقدم فيه الدكتور وليد قصاب رؤية للتصور النبوي لنقد الشعر، من خلال دراسة ما يزيد على ١٣٠ من أقواله ﷺ ومواقفه. وقد عالج المؤلف موضوع الكتاب في تمهيد وقسمين اثنين. وكخطوة في طريق التنظير للأدب الإسلامي بالعودة إلى المنابع الأولى، ناقش المؤلف موقف النبي ﷺ من الشعر والشعراء في إطار التصور التالي: «قاعدة قبول كل خير، ورفض كل شر، واستنبات كل حق، ووأد كل باطل».

يقع الكتاب في ١٠١ صفحة من القطع المتوسط، إصدار دار المنار في الإمارات العربية المتحدة - دبي، ١٩٩٢ م.

منهج الإسلام في السلم والحرب



كتاب من تأليف العقيد الركن محمد مهنا العلي، ناقش فيه منهج الإسلام في تحديد معالم الطريق للإنسانية للوصول إلى النظم التي تحقق لها الأهداف التي تسعى إليها، كالنظم

الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعسكرية والسياسية والإدارية . .

وتناول المؤلف استخدام القوة كخيار في الصراع البشري، وعالج في ثلاثة أبواب وسبعة فصول، أبجديات الحرب وعمومياتها، النظم الوضعية والحرب، موقف الإسلام من قضايا الحرب والسلام وحقوق الإنسان .

وأفرد فصلاً عن آيات الجهاد في القرآن الكريم، كما ناقش الدروس المستفادة من الغزوات، والسرايا والحياة العسكرية في عهد الرسول ﷺ .

صدر الكتاب عن دار أمية للنشر والتوزيع، ١٤١٢ هـ، ويقع في ٤٧٣ صفحة من القطع المتوسط .

إسلام شاعر



يتناول فيه محمود رداوي بالشرح والتقديم تجربة الشاعر اللبناني المهجري «أبو الفضل الوليد» من خلال آخر دواوينه الشعرية «نفحات الصور» الذي وضعه بعد اهتدائه إلى الإسلام في مهجره بالبرازيل، وتغيير اسمه من إليـاس طعمة إلى «أبو الفضل الوليد» . سباعيات الديوان متنوعة القوافي، ومتسلسلة أبجديًا من الألف إلى الياء، تكاد تكون قصيدة واحدة في الوزن والإيقاع، تتناول في ما يشبه الملحمة تاريخ العروبة والإسلام .

ويطرح فيه الشاعر الجهاد كحل لا بد منه لاستعادة الأمجاد واسترداد الحقوق المسلوبة ؛ ولذلك تُبرز أبيات السباعيات الـ ١٩٦ مفردات القوة والشجاعة .

الكتاب يقع في ٨٠ صفحة من القطع الصغير، صدر عن دار المعمر للطباعة والنشر، ١٤١٤ هـ .

الحوار



بحث في الأصول المنهجية والآداب السلوكية للحوار، تناول فيه المؤلف أحمد بن عبد الرحمن الصويان أساسيات الحوار المفيد الجاد، مؤكدًا أن المحاورة هي سنة الأنبياء مع أقوامهم ؛ ولذلك يورد بعض المناظرات الشهيرة في التاريخ الإسلامي، ويستنبط منها عناصر الحوار الناجح ؛ «كضرورة لكسر طوق الرتابة والارتجال في العمل الإسلامي، ووسائله الدعوية، وإعادة النظر في مناهج التفكير المطروحة» . ويشمل الكتاب جملة من الأدلة والتفسيرات العلمية والتاريخية، ويصف الأدوات الضرورية التي من شأنها أن تبعد المحاور عن الشطط، وسوء الفهم، وإهدار الوقت سدى .

يقع البحث في ١٢٦ صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن دار الوطن، الرياض .

أساسيات علم المناخ



ينتهج فيه الدكتور علي حسن موسى أسلوبًا تحليليًا جغرافيًا ؛ لتوضيح مضامين الدراسات المناخية . وشرح العلاقة بين علم المناخ وعلم الأرصاد الجوية «الميتيورولوجيا»، منطلقا من تفسير مفاهيم علم الأرصاد المتداخلة مع أهداف المعالجة المناخية وأساليبها، مستخدمًا في ذلك، الصور والرسومات، والخرائط، والجداول، والأشكال التوضيحية .

الكتاب تعليمي، يتوجه به المؤلف للطلبة الجامعيين، صدر عن دار الفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر في بيروت، ١٤١٤ هـ . ويقع في ٢٦٤ صفحة من القطع المتوسط .

قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي



يتناول فيه المؤلف الدكتور أكرم ضياء العمري الخطأ العلمي والمنهجي والديني والتربوي الكامن في اقتصار التاريخ على الجانب السياسي وتغييب تاريخ المجددين والمصلحين، ويربط ذلك بخطأ آخر هو ــ كما يرى المؤلف ــ التستر على إخفاقات المجتمع الإسلامي وجنوحه، وانحرافاته، ومحاولة تبرير الأخطاء والانحرافات ؛ وذلك نتيجة لشيوع الانحياز العاطفي الذي يحد من دراسة التاريخ وتقويمه بأمانة وشجاعة وموضوعية، لتبين الرؤية الكافية لقوانين السقوط والنهوض .

الكتاب صدر عن سلسلة كتاب الأمة، وهو الجزء الأول، ويقع في ١٥٨ صفحة من القطع المتوسط .

يزيد بن معاوية الخليفة المفترىٰ عليه



كتاب من إعداد هزاع بن عيد الشمري، تقصّى فيه الحقائق الواردة عن يزيد بن معاوية، وعالج الطريقة التي كُتِبَ بها تاريخ هذا الخليفة الأموي، وردَّ على خصومه الذين تعمدوا النيل من سمعته وأدبه ودينه وسياسته، واستند في ذلك إلى آراء العلماء والرواة من السلف الصالح الذين شهدوا عصر يزيد . كما تناول ــ في سياق الحجج التي أوردها لاستكمال جوانب الموضوع ــ صفات يزيد بن معاوية ومناقبه وأخلاقه، وتصديه للفتن والقلاقل التي أُثيرت في عصره .

الكتاب صدر عن دار أجأ، ١٤١٣ هـ، ويقع في ١٥٩ صفحة من القطع الكبير .

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي :

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً).

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص. ب. ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

• أجوبة مسابقة العدد (٢٠٧) •

ج ١ : عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : «كان الرجل يُطلّق امرأته ما شاء أن يُطلّقها، وهي امرأته إذا راجعها وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة، أو أكثر، حتى قال رجل لامرأته : والله لا أطلقك فتبيني مني، ولا آويك أبدًا، قالت : كيف ذلك؟ قال : أطلقك، فكلما همّت عدتك أن تنقضي راجعتك. فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة، فأخبرتها، فسكتت حتى جاء النبي ﷺ فأخبرته، فسكت النبي ﷺ حتى نزل القرآن : ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ البقرة ـ ٢٢٩. قالت عائشة : فاستأنف الناس الطلاق مستقبلاً، من كان طلّق، ومن لم يكن طلق». رواه الترمذي.

■■■

ج ٢ : وردت أحاديث كثيرة في فضل المجاهدين، نذكر منها :

١ ـ «سُئل النبي ﷺ : أي الناس أفضل؟ قال : مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله. قالوا : ثم من؟ قال : مؤمن في شِعْب من الشعاب يتقي الله، ويدع الناس من شره».

٢ ـ قوله ﷺ : «... مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يَفْتُر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله».

■■■

ج ٣ : أول من استأنس الخيل في العرب، هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

■■■

ج ٤ : هو صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي. ولد في صفد بفلسطين ـ وإليها نسبته ـ سنة ٦٩٦ هـ. تعلّم في دمشق، وأولع بالأدب وتراجم الأعيان. تولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، وتوفي فيها سنة ٧٦٤ هـ. له مصنفات كثيرة منها : «الوافي بالوفيات»، و«نكت الهميان في نكت العميان»، و«ألحان السواجع»، و«نصرة الثائر في نقد المثل السائر»، و«تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون»، وغيرها.

■■■

ج ٥ : الأكسجين والنتروجين، عنصران من العناصر اللازمة لحياة الكائنات فوق الأرض، لكن النتروجين أكثر أهمية لنمو الكائنات، فالنتروجين عبارة عن غاز يُكوّن أربعة أخماس الهواء، ويوجد في كل الكائنات الحية من نبات وحيوان، وهو أحد المكونات الرئيسة للخلية. وهو جزء ضروري من مادة البروتين التي تبني الجسم البشري، فمن دون هذه المادة، لا يمكن للأجساد أن تنمو، أو تعوّض أنسجة تالفة. وهو غاز عديم اللون والرائحة والطعم.



• نتائج مسابقة العدد (٢٠٧) •

أ ـ فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، **عمر محمد العبسو ابن عيسى**، حلب ـ سورية.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، **آمال إبراهيم محمد**، ودمدني ـ السودان.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، **إبراهيم حمود مبارك الزبيدي**، ينبع البحر ـ المملكة العربية السعودية.

■■■

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١ ـ **كريمة بنت عبد الرحمن الجمالي**، الوردانين ـ تونس.

٢ ـ **محمود عبد المقصود علي أبو دراع**، المحلة الكبرى ـ مصر.

٣ ـ **سعيدو توري**، باماكو ـ مالي.

٤ ـ **ربحي عبد الرحمن خضر المشاعلة**، عمّان ـ الأردن.

٥ ـ **سميّة عبد القادر لحجوجي**، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

■■■

ج ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١ ـ **محمد حسن عباس المهدي**، الشارقة ـ الإمارات العربية المتحدة.

٢ ـ **يمينة وفاء سيد علي**، المسيلة ـ الجزائر.

٣ ـ **ربيع ركابي حسين محمود**، أسوان ـ مصر.

٤ ـ **سهام محمد أمنزوي**، مراكش ـ المغرب.

٥ ـ **عبد العزيز هشام القاضي**، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٦ ـ **الرسالة محمد محمد سعيد**، ودمدني ـ السودان.

٧ ـ **مرزوق عودة محمود** ـ الزرقاء ـ الأردن.

٨ ـ **غانية عبد المعين السباعي**، حمص ـ سورية.

٩ ـ **محمد عبد السلام عطية**، الزقازيق ـ مصر.

١٠ ـ **مصطفى لحكيم بن أحمد**، مكناس ـ المغرب.

■■■

د ـ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من:

١ ـ **محمد السيد محمد الرفاعي**، نجران ـ المملكة العربية السعودية.

٢ ـ **بلقاسم بن مولدي بن بلقاسم برهومي**، قفصة ـ تونس.

٣ ـ **منى وحيد منّاع**، الكويت ـ الكويت.

٤ ـ **قاسم كمال الدين**، المسيلة ـ الجزائر.

٥ ـ **رتيبة عيد عرّوق**، صنعاء ـ اليمن.

• أسئلة مسابقة العدد (٢١٠) •

السؤال الأول:

جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنه قال: «أنا بريءٌ ممن بريءَ منه رسول الله ﷺ. إن رسول الله ﷺ بريءَ من الصالقة والحالقة والشَّاقَّة». ما معاني الألفاظ الواردة في الحديث؟

■■■

السؤال الثاني:

أباح الإسلام العارية بين الناس، وجعل لها شروطًا. ما تعريف العارية، وشروطها؟

■■■

السؤال الثالث:

كانت جوامع «الأزهر، والزيتونة، والقرويين»، ـ ولا تزال ـ منارات للعلم، امتد أثرها إلى بلدان العالم الإسلامي. أي هذه الجوامع بُني أولاً؟

■■■

السؤال الرابع:

يعرف الناس «إلياذة» الشاعر الأعمى «هوميروس». لكن هناك شاعرًا آخر ألّف «الإلياذة الإسلامية». فمن هو؟

■■■

السؤال الخامس:

تقول العرب في أمثالها: «**الصيف ضيّعت اللبن**». ما أصل المثل، ومن قائله؟

نتيجة مسابقة أرامكو السعودية السّنويّة الخامسة عشرة لرسوم الأطفال



تتقدّم أرامكو السّعوديّة، ممثّلة في إدارة العلاقات العامّة فيها، بخالص الشكر والتقدير لجميع الأطفال الذين شاركوا في مسابقتها السّنويّة الخامسة عشرة لرسوم الأطفال، وبأحرّ التهاني للأطفال الذين فازوا في هذه المسابقة. وهذه التّهاني تشمل أولياء أمور هؤلاء الأطفال ومدرسيهم وجميع من حثّهم وشجّعهم على المشاركة.

لقد سعدت إدارة العلاقات العامّة بتلقّي قرابة سبعة آلاف لوحة جاءت من كلّ أرجاء المملكة وكانت دلالة على ماتلقاه المسابقة من إقبال متزايد.

وتقديرًا من إدارة العلاقات العامّة لهذا الإقبال، واحتفاءً بمرور خمس عشرة سنة على بدء هذه المسابقة قرّرت الإدارة زيادة عدد الجوائز المخصّصة للفائزين إلى مائتي جائزة بدلاً من المائة والخمسين جائزة التي كانت قد أعلنت عنها في مستهلّ هذه المسابقة.

إن أرامكو السّعوديّة إذ تكرّر شكرها وتهانيها، لتوجّه الدعوة إلى جميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيعلن عنها مع بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله تعالى.

أسماء الأطفال الفائزين بالمسابقة

إبراهيم أحمد عبد الله زعبري علواني
مدرسة الراحة - جيزان
إبراهيم عبد الله أحمد مهدلي
معهد النور للمكفوفين - مكة المكرمة
أحمد حسن الجزار
مدرسة الفنائير الابتدائية - الجبيل الصناعية
أحمد خالد السماعيل
مدرسة الأنصار الابتدائية - الدمام
أحمد حسن عدوها
مدارس الأبناء الابتدائية - السليل
أحمد خالد عبيد الشهري
مدرسة المصيف الأهلية - الطائف
أحمد رأفت أحمد عبد العزيز
مدرسة المصيف الأهلية - الطائف
أحمد أسامة محمد عمران حسن مرزبان الشريف
مدرسة المصيف الأهلية - الطائف
أحمد حليم حامد
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران
أحمد الفارابي الشريف علي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران
أحمد عبد الله الحواج
مدرسة الشاطئ الابتدائية - القطيف
أحمد محمد يحيى الغامدي
مدارس دار الفكر - جدة
أحمد عملية عباس عسكر
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر
أحمد عثمان علوب
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر
أحمد علي حسين
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر
أحمد يعقوب ثاني
مدرسة بلال بن رباح المتوسطة - مكة المكرمة

إسلام عبد الجواد بدير حامد
- الجبيل الصناعية
الهنوف عبد الله دهش العمر
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
الهنوف عبد الرحمن السليطين
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض
آمنة هشام علي عبد القادر حافظ
مدارس دار الفكر - جدة
أمير يوسف الحملي
مدرسة طارق بن زياد - الدمام
أميرة حسن إسحاق قاري
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
أنس عايد غصاب الضنويحي
مدرسة عبد الله بن مسعود - طريف
أوزما جاويد
أكاديمية رحيمة - رحيمة
آية زهير عبدو حكيم
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
آية عبد الله محمد علي رضا
مدارس دار الفكر - جدة
إيمان محمد برأت التركستاني
المدرسة الابتدائية الخامسة - الطائف
بتلا محمد عبد الله المهنا
المدرسة الابتدائية الثامنة عشرة - الدمام
بدر صالح عبد الله آل مسلم
مدرسة مجاهد الابتدائية المتوسطة - سبت العلايا
بلال غالب عبد الحكيم حسن قنديل
- القطيف
بندر سعيد رشيد أبو سعيد
مدرسة الحريق الثانية - الحريق
بيان خليل طاهر عناية
- الدمام

ثامر عدنان أحمد النابلسي
مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الابتدائية - عرعر
جمال عبد الستار إبراهيم
مدارس الظهران الأهلية - الظهران
جميل عيضة عثمان الزايدي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف
جميل فريد أحمد أبو الخير
مدرسة عتاب بن أسيد المتوسطة - مكة المكرمة
حسن جبران غزواني
مدرسة فلسطين الابتدائية - الدمام
حسين حسن علي المحمد صالح
مدرسة هجر المتوسطة - الأحساء
حسين عبد الله الكريمي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران
حسين علي باقر العوامي
مدرسة الشاطئ الابتدائية - القطيف
حسين جبران أحمد دارسي
مدرسة الراحة - جيزان
حنان راضي مرجي العنزي
المدرسة الابتدائية الرابعة - عرعر
خالد عبد الله حمد الهويمل
المعهد العلمي - القويعية
دانه محمد تقي الدين
أكاديمية الظهران - الظهران
دانية صلاح محمد عبد الجواد قريوتي
المدرسة الفيصلية الإسلامية - الخبر
دانية عدنان عبد الصمد عزت
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
ديما أحمد عبد العزيز عزاوي
مدارس الحصان النموذجية - الدمام
ديما قاسم الأنصاري
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

ديمة بدر عبيد سعد السعد
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض
دينا عبد الإله عايض الجعيد
مدارس نجد الأهلية - الرياض
راشد مطلق راشد القحطاني
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
راشد عوض راشد العنزي
مدرسة طارق بن زياد الابتدائية - عرعر
راكان منيف حمد علي المنيف
المدارس النموذجية الأهلية - الدمام
رامي محمد الجشي
مدرسة الشاطئ الابتدائية - القطيف
رحاب أحمد شعبان فرج
المدرسة الفيصلية الإسلامية - الخبر
رزان حبيب أسعد نيازي
- الدمام
رزان محمد محمود
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران
رنا أحمد الحنجل
المدرسة الفيصلية الإسلامية - الخبر
روزان أسامة عقيل محمد المدني
مدرسة دار الذكر الحكيم - جدة
رويدا عبد الوهاب ظفر
مدرسة الروضة الأهلية - الطائف
ريم رياض فؤاد يوسف تالك
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض
ريم غازي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران
زكي بشير زكي محمود
مدرسة النعمان بن مقرن المتوسطة - عرعر
زياد محمد عبد الجواد
روضة جمعية موظفي سكة الحديد - الخبر

زياد عبد المحسن السليم
مدرسة روضة جدة - جدة

زينب عبد العزيز يوسف السراء
مدارس الحصان النموذجية - الدمام

سارة سمير عبد الرحمن الطويرقي
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض

سارة عبد الله عودة العودة
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

سالم مهيدي سعود المهيدي
مدرسة الحريق الثانية - الحريق

سالم محمد سالم الصائغ
مدرسة ثمامة الحنفي المتوسطة - الرياض

سالي رأفت أحمد عبد العزيز
- الطائف

سامية ماجد الدين حميد الدين قاضي
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض

سعد عبد الله سعد الرواف
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

سعد عبد الله الحبشان
مدرسة اسكان القوات الجوية - الرياض

سعد معيض عواض الزهراني
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

سعود عبد العزيز المويجد
مدرسة جنوبية سدير - سدير

سفانة حسن عبد الله محمد عمر ناظر
مدارس دار الفكر - جدة

سلطان جار الله ناصر الجار الله
مدرسة عبد الله بن المقفع المتوسطة - الرياض

سلطان محمد الفالح
المدرسة السديرية - سكاكا

سلطان صالح الغانم
مدرسة صلاح الدين الأيوبي المتوسطة - سكاكا

سلوى عزومي
مدارس الظهران الأهلية - الظهران

سليمى إبراهيم بابوش سيد أحمد
- أم الساهك

سهى سامي أحمد عارف
المدرسة الفيصلية الإسلامية للبنات - الخبر

سهيل شنيف
مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع - الخبر

سوسن فارس عبد الرحمن الفارس
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

سيف مساعد سيف الدين الشيشكلي
مدارس نجد الأهلية - الرياض

شروق أحمد محمد حسن بكر
المدرسة الرابعة الابتدائية - الخفجي

شريفة عبد الله محمد فائع
المدرسة العشرون الابتدائية - أبها

صالح ناصر العقيل
مدرسة طارق بن زياد الابتدائية - الدمام

طارق حمدان رشيد
مدرسة علي بن أبي طالب المتوسطة - طريف

طلال عبيد عبد الله بالعبيد
مدرسة اليرموك الابتدائية - نجران

طه نبيل محمد أمجد كتبي
مدرسة روضة جدة - جدة

عادل نايف النفيعي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

عادل عبد الرحمن محمد المطلقة
مدرسة اليرموك الابتدائية - نجران

عامر فارس عبد الرحيم صالح
مدارس نجد الأهلية - الرياض

عبد الحليم عامر النهدي
مدرسة طارق بن زياد - الدمام

عبد الرحمن عمر عين الدين
مدرسة حراء الابتدائية - الجبيل الصناعية

عبد الرحمن ابراهيم محمد الهلال
مدرسة الحريق الثانية - الحريق

عبد الرحمن وليد عبد الله السويح
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

عبد الرحمن محمد علي
مدرسة المثنى بن حارثة الابتدائية - رفحاء

عبد الرحمن حصمد يسير الفهمي
معهد النور للمكفوفين - مكة المكرمة

عبد العزيز عبد الله محمد الحذيفة
مدرسة ابن الهيثم الابتدائية - الخبر

عبد العزيز إبراهيم محمد العطا الله
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

عبد العزيز عبد الله صالح العباد
مدارس نجد الأهلية - الرياض

عبد العزيز أحمد عبد القادر باعشن
مدارس دار الفكر - جدة

عبد الغني عابد عبد الغني
مدرسة صلاح الدين الأيوبي المتوسطة - سكاكا

عبد الله صالح الذويخ
مدرسة الفنار الابتدائية - الجبيل الصناعية

عبد الله راشد علي الجدوع الشبانات
مدرسة الحريق الثانية - الحريق

عبد الله سعد عبد الله العميرة
مدرسة الحريق الثانية - الحريق

عبد الله عبد الرحمن الراشد الحميد
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

عبد الله صالح آل الشيخ
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

عبد الله بن خالد بن بندر آل سعود
مدارس نجد الأهلية - الرياض

عبد الله شتين عبد الله
مدارس الأبناء الابتدائية - السليل

عبد الله إبراهيم المقبل
مدرسة جنوبية سدير - سدير

عبد الله ظاهر غنام
المدرسة العزيزية الابتدائية - عرعر

عبد الله مصطفى محمد السيد
مدرسة أسامة بن زيد الابتدائية - عرعر

عبيدة محمد عصام علوش
مدرسة الحويلات الابتدائية - الجبيل الصناعية

عصام أحمد كريزان
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

عُلا كمال عبد الهادي كامل حبشي
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض

علاء عبد العزيز خلاف
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع البحر

علاء الدين محمد الفقيه
مدرسة الحويلات الابتدائية - الجبيل الصناعية

علي أحمد الريعان
مدرسة فلسطين الابتدائية - الدمام

علي عبد الله أحمد الحواج
مدرسة الشاطئ الابتدائية - القطيف

عماد أسعد محمد علي هاشم
مدارس نجد الأهلية - الرياض

عماد محمد سامي محمد حمتوجاها
مدرسة البيهقي الابتدائية - جدة

عمر سعود سالم الطويرقي
مدرسة عبد الرحمن بن عوف الابتدائية - مكة المكرمة

غيث يس خصيفان
مدارس دار الفكر - جدة

فاطمة حسن الفرا
المدرسة الابتدائية الخامسة - عرعر

فايزة الحسيني
مدارس الظهران الأهلية - الظهران

فراس فريد رشيد الشعراوي
مدارس نجد الأهلية - الرياض

فهد علي القرني
مدرسة تحفيظ القرآن الكريم - الجبيل الصناعية

فهد معيض الحارثي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

فهد مفلح صالح الدوسري
مدرسة تمرة الابتدائية - تمرة

فهد رعد أحمد لؤي الغالب
مدرسة روضة جدة - جدة

فؤاد خان
المدرسة العالمية - الرياض

فيصل عبد الله سعد الشبانات
مدرسة الحريق الثانية - الحريق

فيصل عبد الله عبد العزيز التويجري
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فيصل سهيل عبد العزيز الفارس
مدارس الظهران الأهلية - الظهران

فيصل عوض البلوي
مدرسة الإمام نافع لتحفيظ القرآن - ينبع الصناعية

كنانة محمد الجراح
مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع - الخبر

لؤي سميح محمد الصوص
مدرسة روضة جدة - جدة

لجين كامل محمد
مدارس منارة الشرقية للبنات - الدمام

لمى ياسر الشلبي
المدرسة الفيصلية الإسلامية - الخبر

لميس فاروق عبد الله الوطبان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

لينا فيصل محمد خالد إدريس
مدارس دار الفكر - جدة

ماجد طلعت بدر
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

مؤمن صبحي عبد المنعم عبد العال
مدرسة عتاب بن أسيد - أبها

مبارك محمد سيف الخاطر
مدرسة الفنار الابتدائية - الجبيل الصناعية

محمد صبحي عبد المنعم عبد العال
مدرسة عتاب بن أسيد - أبها

محمد توفيق أحمد أنجيم
مدرسة حراء الابتدائية - الجبيل الصناعية

محمد فهد إبراهيم السجا
مدارس نجد الأهلية - الرياض

محمد عبد الحميد باقر
مدارس الظهران الأهلية - الظهران

محمد منير عبد العظيم أبو السعود
مدرسة الشاطئ الابتدائية - القطيف

محمد عادل علي فؤاد
مدرسة منارات القصيم - بريدة

محمد يماني
مدارس دار الفكر - جدة

محمد ابراهيم لصوى
مدرسة روضة جدة - جدة

محمد حرشو البرازي
مدرسة روضة جدة - جدة

محمد عبد العزيز الغامدي
مدرسة روضة جدة - جدة

محمد السيد فهمي
مدرسة روضة جدة - جدة

محمد عبد الله البراهيم
مدرسة جنوبية سدير الابتدائية - سدير

محمد نعيم
مدرسة الفارابي الابتدائية - ينبع الصناعية

محمود محمد حلال
مدرسة اسحق بن سعد الابتدائية - الخبر

مروة حسام خليفة عمر
المدرسة الثالثة والستون/ب - جدة

مريوم صلاح بولس
أكاديمية رحيمة - رحيمة

مشاري طارق صالح الغامدي
مدارس الظهران الأهلية - الظهران

مشاعل أحمد سعد الحقباني
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض

مشاعل عبد الله إبراهيم
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

مشالي سعود طه
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

مشعل عبد الرحمن أبو دنقر
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع البحر

مصطفى حسن عبد الله صالح السنان
مدرسة الأوجام الابتدائية - القطيف

معتز فهد محمد الدرعان
مدرسة التربية الاسلامية - الرياض

مفلح فارس صالح العمور الدوسري
مدرسة اليرموك الابتدائية - تمره

منى سالم سعيد الغامدي
معهد الأمل للصم والبكم للبنات - جدة

منيرة محمد عبد الله الخلف
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

مهند شعيب
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

موضي محمد الصالح الميهان
مدارس دار الحنان - جدة

مياس عبد القادر الحبيلي
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع البحر

نايف مطرد عبد الله الرويلي
مدرسة علي بن أبي طالب المتوسطة - طريف

ندى عبد الله منصور الهويشل
المدرسة الابتدائية السادسة والثلاثون - الدمام

ندى رأفت أحمد عبد العزيز محمد
- الطائف

نغم رضوان الجرف
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

نواف رده ردود الزايدي
مدرسة قرعة الزود الابتدائية - الطائف

نور عصمت قوندوخ زاده
مدرسة التربية الإسلامية - الرياض

هادية محمد بشير عبد الكريم دردونه
مدارس دار الفكر - جدة

هاني عبيد الله عبد الرحيم العوفي
مدرسة عبد الله بن مسعود الابتدائية - الطائف

هبة فريد يوسف خاشقجي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

هبة أحمد نظيم عبد الرحمن محمد سليمان
المدرسة المتوسطة السادسة - الطائف

هدى محمد يوسف محمد ناغي
مدارس دار الفكر - جدة

هلا عبد العزيز عباس السليماني
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

هناء عبد الرحمن عبده السعيد
المدرسة الابتدائية الأولى - أبها

هناء محمد مسفر علي الغامدي
الروضة الرابعة - الدمام

هيثم محمد بدر كُلّاب
مدرسة هارون الرشيد الابتدائية - رفحاء

هيثم سليمان الهندي
مدرسة الإمام نافع لتحفيظ القرآن - ينبع الصناعية

وائل عبد الخليل عبد الجليل عبد الله بخاري
مدرسة روضة جدة - جدة

ود عصام عبد الله قطان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

وسام عبد الواحد المسلم
مدرسة الشاطئ الابتدائية - القطيف

وليد بابكر أحمد
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

يحيى أحمد عطية
مدرسة المساعدية الابتدائية - عرعر

يوسف مطر الثبيتي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

يوسف منصور عبد الله الحازمي
معهد النور للمكفوفين - مكة المكرمة



SAUDI ARAMCO

السعودية

بحضور الأمير سلطان بن عبد العزيز:

منح جائزة الملك فيصل العالمية للفائزين بها



سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز يسلم الشيخ سيد سابق جائزته، وإلى جواره سمو الأمير خالد الفيصل

خالد الفيصل: الجائزة تنحاز - دائما - إلى ما ينفع البشرية.



الشيخ سيد سابق



د. القرضاوي



د. بنت الشاطئ

أكد صاحب السمو الملكي الأمير **خالد الفيصل** المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية أن الجائزة تسعى دومًا لتحافظ على مصداقيتها بالانحياز إلى ما ينفع الناس دون تمييز أو تعصب للمصدر والهوية، وتحاول - جاهدة - أن تشجع وتستنفر جهود النابغين لخدمة البشرية، وتعيد خلاصة جهود المبدعين لبؤرة الاهتمام وتحث السير لمزيد من جسور التواصل بين المنارة ومؤسسات الفكر في العالم.

جاء ذلك في كلمة ألقاها سموه في حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام، رعاه في الثاني والعشرين من شهر شوال الماضي - نيابة عن خادم الحرمين الشريفين - صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام.

وقد قام صاحب السمو الملكي **الأمير سلطان بن عبد العزيز** بتسليم الفائزين جوائزهم، وألقى كل فائز كلمة بهذه المناسبة.

فقال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (جائزة خدمة الإسلام) في كلمته التي ألقاها نيابة عنه القاضي فهد بن سليمان: لقد كان لأهل الطول والغنى من المسلمين اليوم منشآت شتى لتحقيق التعاون على البر والتقوى من بناء المساجد وإقامة المدارس وطبع الكتب العلمية المفيدة وإعانة الضعفاء وإغاثة الملهوفين وسدّ حاجة المحتاجين ومن جملة هذه

الحركة الثقافية في شهر

☐ مجمع اللغة العربية يؤكد على تعريب التعليم الجامعي.

☐ مؤتمر في دبي لحماية حقوق الملكية الفكرية والنشر.

☐ إحداث جائزتين للبيئة وتجميل المدن العربية.

☐ العربية لغة إجبارية في مدارس البوسنة.

☐ معرض في فيينا عن الاتجاهات الفنية الحديثة.

☐ مجلة للمقالات الميتة!

ابن عثيمين : مؤسسة الملك فيصل امتداد للنشاطات الإسلامية الخيِّرة .

سيد سابق : المملكة احتضنت رسالة الإسلام ونهضت بها .

د. القرضاوي : منحي الجائزة تكريم لاتجاه الوسطية الإسلامية .

د. بنت الشاطئ : ثلاث مراحل متميزة لحياتي العملية والعلمية .



د. وداد قاضي



د. أندرسن

د. وداد قاضي : انصب اهتمامي على مسألة البنية وعلاقتها اللغوية والأسلوبية .

د. اندرسن : الجائزة دافع لي ولزملائي لخدمة الإنسانية .

د. وليمز : منحي الجائزة شرف لي ولكل من عملت معهم .

د. سوليفان : ابن رشد وابن سينا سبقا ديكارت بستمائة عام .



د. وليمسن



د. سوليفان

المنشآت **مؤسسة الملك فيصل الخيرية**، فإن لها نشاطًا خاصًا وعامًا في الإسهام في أبواب الخير.

وأكد فضيلة الشيخ **سيد سابق** (جائزة الدراسات الإسلامية) أن المملكة احتضنت رسالة الإسلام ونهضت بها علمًا وعملاً ودعوة، ومن مظاهر ذلك العمل المبارك قيام مؤسسة الملك فيصل الخيرية بجانب غيرها من المؤسسات الإسلامية التي تعمل على إعلاء كلمة الله ورفع راية الحق.

أما فضيلة الشيخ د. **يوسف القرضاوي** (جائزة الدراسات الإسلامية) فقال: إني لا اعتبر هذه الجائزة مجرد تكريم شخصي، بل هي في الواقع تكريم لاتجاه، **وتقدير لتيار أؤمن به وأدعو إليه، وهو اتجاه الوسطية الإسلامية**، الذي يجمع بين السلفية والتجديد، ويوازن بين ثوابت الإسلام ومتغيرات العصر، يشد في الأصول، وييسر في الفروع، ينهل من الماضي، ولا يهمل الحاضر، ولا يغفل عن المستقبل.

وتحدثت د. **عائشة عبد الرحمن** (جائزة الأدب العربي) عن حياتها العملية والعلمية التي مرت بثلاث مراحل متميزة، الأولى المرحلة الأساس التي تلقت فيها العلوم العربية والإسلامية، حفظًا ورواية، ثم المرحلة الجامعية حيث تلقت العلم عن دراية على المنهج الأصولي، ثم كانت حركة التحول الكبرى حين انتقلت للعمل في المغرب.

وعبّرت د. **وداد قاضي** (جائزة الأدب العربي) عن غبطتها لتشريفها بالجائزة، مشيرة إلى أنها قد قامت خلال العقود الثلاثة الماضية بمتابعة بحوث في العوالم الفكرية للنثر الفني العربي، وقرأت أصوله وتطوراته، وعالجت مشكلات مهمة في سياقه، وحققت أمهات من الكتب في هذا المجال، وانصب اهتمامها على مسألة البنية وعلاقتها اللغوية والأسلوبية والاجتماعية والسياسية.

وشكر د. **فرنش أندرسن** (جائزة الطب) لمؤسسة الملك فيصل الخيرية تشريفه بمنحه الجائزة، مؤكدًا أن هذا التقدير لجهوده في تطوير أسلوب العلاج بالمورثات، سوف يُمكّنه ويُمكّن زملاءه من مواصلة المسيرة نحو خدمة الإنسانية.

وفي المعنى نفسه قال د. روبرت وليمسن (جائزة الطب): إن منحه الجائزة أمر يشرفه من نواح عدة، وإنه يعتبره شرفًا لكل من عمل معه على مدى الثلاثين عامًا. وأشاد بالنهضة الشاملة التي استطاعت المملكة تحقيقها في زمن قياسي.

واعتبر د. **دنيس بارنل سوليفان** (جائزة العلوم) نفسه محظوظًا لنيله هذه الجائزة العالمية، وأضاف قائلاً: حين كنت أعد العدة لرحلتي إلى المملكة العربية السعودية طفقت أفكر في أهم إنجازات العلماء العرب والمسلمين لحضارتنا الحديثة، فقبل ديكارت بنحو ستمائة عام قام ابن رشد وابن سينا بتطبيق المحور الثلاثي على الفضاء مستعيرين فكرة الأبعاد الثلاثية، أي الارتفاع والعرض والعمق وأبعاد الجسم البشري، وهي الفكرة التي كان لها نتائجها المؤثرة على العلوم الكمية عمومًا.

الحركة الثقافية

جائزة أبها الثقافية

ترأس صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير ورئيس اللجنة العليا لجائزة أبها الثقافية اجتماعًا لهيئة الجائزة في شهر ذي القعدة الماضي، اطلع خلاله على مسار تحكيم الجائزة، واستعدادات اللجان لتقديم النتائج.

وكانت الأمانة العامة للجائزة قد أصدرت في وقت سابق بيانًا أعلنت من خلاله عن تمديد قبول المشاركات في مجالات الجائزة المختلفة (الشعر الشعبي، والدراسات الأدبية، والدراسات العلمية، والدراسات التطبيقية، والفنون) إلى السابع عشر من شهر ذي الحجة الجاري ١٤١٤ هـ لإتاحة الفرصة للمزيد من المتقدمين.

طبعة سادسة لديوان خالد الفيصل

صدرت ـ مؤخرًا ـ الطبعة السادسة من «**الديوان الثاني**» لصاحب السمو الملكي الأمير **خالد الفيصل**.

وكان الديوان قد وجد صدى طيبًا في الأوساط الثقافية، وإقبالا من القراء أدى إلى صدور الطبعة السادسة بعد زمن قصير من صدور الديوان في طبعته الأولى.

تحذير من افتراءات مؤلف إنجليزي

أهابت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بدور النشر وشركات التوزيع إلى الانتباه لبعض الكتب التي تدس للإسلام، وتتجاوز الحدود بهجومها عليه، في إطار الهجمات الثقافية على الإسلام التي يروج لها الحاقدون.

وأشارت الرابطة إلى كتاب نشر في لندن وأكسفورد تحت عنوان «تاريخ الشعوب الإسلامية»، منبهة إلى ما احتوى عليه هذا الكتاب من تدليس وافتراءات ومغالطات على الإسلام والمسلمين، في محاولة رخيصة للتشكيك بعقائد المسلمين.

من ناحية أخرى كشفت الرابطة عن وجود **أخطاء في بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في المسابقة الدولية الثالثة لفن الخط التي** نظمها في إسطنبول مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، حيث قام بعض المشاركين بتغيير رسم المصحف العثماني إلى الرسم الإملائي بقصد تسهيل القراءة، مخالفة بذلك قرار هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية الخاص بعدم جواز تغيير رسم المصحف العثماني.

وفاة محمد عمر توفيق وعبد الله الجار الله


محمد عمر توفيق

توفي ـ مؤخرًا ـ كل من الأديب والوزير السابق الأستاذ محمد عمر توفيق (٧٧ عامًا) والداعية الشيخ عبد الله بن جار الله الجار الله (٦٠ عامًا).

وُلد الأستاذ محمد عمر توفيق ـ رحمه الله ـ في مكة المكرمة عام ١٣٣٧ هـ، وتلقى تعليمه في القسم العالي بمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة، حيث عمل عقب تخرجه عام ١٣٥٥ هـ مدرسًا بدار الأيتام في مكة المكرمة.

بعد ذلك انتقل إلى العمل بجريدة «أم القرى» فإدارة البرق والبريد والهاتف، ومنها انتقل إلى مطابع الحكومة، فديوان نائب الملك في مكة المكرمة، حتى تقاعد عام ١٣٧٨ هـ بناءً على طلبه للعمل في التجارة والصحافة مديرًا لمكتب جريدة «البلاد» في العاصمة المقدسة.

وفي عام ١٣٨٢ هـ عُيِّن وزيرًا للمواصلات، وكُلِّف بأعمال وزارة الحج والأوقاف حتى عام ١٣٩٢ هـ في حين استمر وزيرًا للمواصلات إلى أن تقاعد عام ١٣٩٦ م.

ويعد محمد عمر توفيق من أدباء مرحلة **التجديد التقليدية، وهو شاعر وناثر، وله العديد من المقالات التي نشرت في الصحف، إضافة إلى بعض الكتب منها: «من ذكريات مسافر»، و«طه حسين والشيخان»، و«أيام في المستشفى» و«الزوجة والصديق».**

أما الشيخ **الجار الله** فهو من مواليد مدينة المذنب عام ١٣٥٤ هـ، ودرس في كتاتيبها على يد الشيخ عبد الرحمن الصالح المطلق، وقام والده بتحفيظه القرآن الكريم، وانتقل إلى الرياض حيث أتيحت له فرصة الدراسة وتخرج في كلية الشريعة عام ١٩٨٤ م، ونال درجة الماجستير من المعهد العالي للقضاء عام ١٣٩٩ هـ، وعمل منذ تخرجه إلى أن تقاعد في التدريس بالمدارس.

وللفقيد نحو **مائة وخمسين كتابًا ورسالة** ما بين مؤلف ومحقق، منها ما هو مطبوع ومنها ماهو تحت الطبع.

نشرتا «أخبار الثقافة» و«أفكار»

أضيفت ـ مؤخرًا ـ نشرتان جديدتان إلى سلسلة النشرات الإخبارية المتخصصة، إذ أصدرت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون العدد صفر من نشرتها «**أخبار الثقافة**»، وأصدرت الجمعية السعودية للعلوم الرياضية العدد الأول من رسالتها الدورية «**أفكار**».

احتوى العدد صفر من «**أخبار الثقافة**» على موضوعات متنوعة، تعكس الجهد الذي بذله رئيس الجمعية **محمد أحمد الشدي** ومستشار تحرير النشرة د. **محمد بن سليمان الأحمد** وهيئة التحرير كي تخرج النشرة بالصورة التي ترضي المثقف وتلبي احتياجاته.

أما «**أفكار**» فيشرف عليها د. **فوزي الذكير**، ويرأس تحريرها د. **سليمان عبد الرحمن السلمان**.

الجنادرية ٩:

• أوبريت «التوحيد» جسّد مشاعر أبناء الوطن
• المثقفون يطالبون بتقديم شخصية سعودية من خلال المهرجان

كانت الثقافة والمثقفون على موعد في الثامن عشر من شهر شوال الماضي مع تظاهرة ثقافية استمرت أسبوعين، رعى افتتاحها ــ نيابة عن **خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ــ صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز** ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني.

تلك كانت المهرجان الوطني التاسع للتراث والثقافة الذي أقيم في الجنادرية بمشاركة مفكرين ومثقفين وأدباء عرب وسعوديين زاد عددهم على ثلاثمائة مفكر وأديب.

نشاطات متنوعة

جاء المهرجان ملبيًا جوانب نادى بها كثير من المثقفين والمهتمين في سنوات سابقة، إذ حوى إلى جانب سباق الهجن والمسابقات الرياضية الأخرى، معرضين تشكيليين ضما ١٣١ عملاً فنيًا، وعروضًا مسرحية، ومعرضا للكتاب شاركت فيه ٥٥ دار نشر وجهة حكومية وأهلية عرضت ما يقارب ١٤ ألف عنوان، إضافة إلى الفنون والألعاب الشعبية، والصناعات والحرف التقليدية، وسهرة خليجية مشتركة تم تصويرها، وقرى تراثية أبرزها جناح متميز للمدينة المنورة تضمن أنموذجًا شاملاً للحياة والتجارة فيها، وقرية عسير التراثية التي جذبت الزوار إليها، كما أقيمت مسابقة لتحفيظ القرآن الكريم.

«أوبريت التوحيد»

وأشادت وسائل الإعلام بأوبريت «التوحيد» الذي قُدِّم في حفل الافتتاح، ووضع كلماته الشاعر الأمير خالد الفيصل، ولحّنه سراج عمر، وأداه كل من طلال مداح ومحمد عبده وعبد المجيد عبد الله وعبد الله رشاد وراشد الماجد. وكان الأوبريت معبرًا عن مشاعر أبناء الوطن ومترجمًا لها، وامتزج فيه التاريخ بالفعل والفكرة بالعاطفة والتجربة المتراكمة بالحاضر المتحرك نحو المجد، وذلك على حد تعبير مؤلفه الأمير خالد الفيصل في تصريح صحفي نشر بعد افتتاح المهرجان.

النشاط الثقافي

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب ونائب رئيس اللجنة العليا للمهرجان برامج النشاط الثقافي يوم الخميس ٢٠ شوال، بكلمة أكد فيها أن المملكة أولت الثقافة جل اهتمامها حتى اعتبرتها أحد محاور التنمية.

غلب على ندوات المهرجان ومحاضراته هذا العام الطابع الفكري، فكان موضوع الندوة الرئيسية «الوطن العربي في خضم التحولات السياسية الجديدة» وألقاها د. عثمان ياسين الرواف، وعلق عليها الأساتذة: إياد مدني، تركي السديري، بسام العسلي، سعيد بن سعيد، كما ألقيت عدة محاضرات أبرزها محاضرة الشيخ صالح بن حميد وعنوانها «أدب الحوار في الإسلام». وأقيمت أمسيات شعرية وقصصية منها: أمسية شارك فيها القاصون خليل الفزيع وعبد العزيز المشري ومحمد الشقحاء وحسن الحازمي، وأمسية شعرية شارك فيها كل من محمد التهامي ويحيى السماوي ومحمد هاشم رشيد.



تطلعات المثقفين

دعا المشاركون في ختام النشاطات الثقافية إلى تقديم شخصية ثقافية سعودية من خلال المهرجان والتعريف بنتاجها وأعمالها وتجربتها الثقافية، وتوجيه الدعوات لحضور المهرجان مستقبلاً إلى عدد من الشخصيات البارزة غير العربية ممن لهم اهتمام بالتراث الإسلامي والعربي، وأكدوا في بيان أصدروه على أهمية التزام وسائل الإعلام في العالم العربي بالهوية الثقافية للأمة، وتنقيتها من آثار التبعية والتغريب الفكري، وضرورة العناية بالتراث والاستفادة من معطياته.

الحركة الثقافية

الفائـزون بجائزة علي وعثمان حافظ

أعلنت في الثـالـث عشر من شهر ذي القعدة الماضي أسماء الفـائزين **بجائزة علي وعثمان حافظ الصحفية** .



د . أحمد كمال أبو المجد

حصـــل على جائزة مفكر العام د . **أحمد كمال أبو المجد** ، تقديرًا لأعماله وإسهامـاتـه في الحركـة العلميـة والفكـريـة في العـالمين العـربي والإسـلامي . ونـال **الصحـافي عبـد الرحمن الـراشـد جـائزة العمـود الصحفي**، عن عمـوده اليومي «رؤيـة عـربيـة» الـذي ينشر في صحيفـة «الشرق الأوسط» . وفاز الكاتب **عوني بشير بجائزة المقـال الصحفي** عن مقـالاتـه التي نشرت في مجلـة «المجلة» وجـريدة «الاقتصـادية» . وتقـاسم **جائزة التحقيقات الصحفية** كل مـن : **فاطمة الصاعدي** عن تحقيقـاتها في جـريدة «المدينـة» ، **ووحيد جميل الحمدي** عن تحقيقـه «حـديث صحـافي مع الجن» الـذي نشر في مجلة «سيـدتي» . ونـال **جائزة الحوار الصحـافي عبـد اللطيف المنـاوي** عن مقـابلتـه مع المتهمين بتفجير الطـائرة الأمريكيـة فـوق لوكربي ، التي نشرتها مجلـة «المجلـة» . وحصل على **جائزة الكاريكاتير** الرسام **عبد الـوهاب العـوضي**، عـن أعماله التي نشرت في صحيفة «القبس» فيما حجبت جائزة التصـوير الصحـافي لكون الأعمال المقـدمة لم ترقَ للمستوى المنشـود ، وخصصت قيمتها للحوار الصحفي .



عبد الرحمن الراشد



عوني بشير

الإمارات

جائـزتـان للبيئـــة وتجميل المدن العربية

قررت منظمـة المدن العربية في مؤتمرهـا العاشر الـذي أقيـم ـ مـؤخـرًا ـ في دبي إنشـاء **جائزتين جديدتين ، أولاهما للبيئـة ، والأخرى لتجميل المدن العربية** .

تتكـون جـائزة البيئـة من ثـلاثـة فـروع هي : الصحيـة والتوعيـة والأمان ، وتنقسم جـائزة تجميل المدن أيضـا إلى ثـلاثـة فـروع هي : التشجير، والتجميل ، وجهود الأفراد في أحـد هذين المجالين السابقين .

يمنح الفـائزون في أي من المسـابقتين دروعًـا ذهبية ، ودروعًـا فضية ودروعًـا برونـزية إلى جـانب شهادات تقدير .

ويأتي إنشـاء الجائزتين امتـدادًا لجائزة العمارة التي بدأت عام ١٩٨٣ م .

مؤتمـــر حمايـــة حقوق الملكية الفكرية

تستضيف دبي يـومـي ١٩ و٢٠ من شهـر ذي الحجـة الجاري (٢٩ ، ٣٠ مـايـو ١٩٩٤ م) **مؤتمر حمايـة حقوق الملكيـة الفكـريـة والنشر والعلامـات التجارية** في دول مجلس التعـاون لـدول الخليج العربية .

يناقش المؤتمر العـديد من الموضوعـات المتعلقة بحقوق الملكية الفكريـة ، ويستعرض القوانين التي أصـدرتها دولـة الإمارات بهذا الخصـوص في العـام الماضي .

تسليم جوائز العويس

أقامت **مـؤسسة سلطـان العـويس الثقافيـة** ـ مؤخرًا ـ حفلاً في دبي في منتصف شهر شوال الماضي بمناسبة توزيع جـوائز المؤسسة على الفائزين بها في دورتها الثالثة .

وكـانت المؤسسة قـد أعلنت في شهـر ينـايـر الماضي أسماء الفـائزين ، حيث حصل الشاعر **نزار قباني** ، على جائزة الإنجاز الثقافي ، والشاعر **عبد الله**



عبد الله البردوني

محاضرات وندوات

● شارك الشاعران **علي آل عمر عسيري ومحمود سعيـد الحليبي** في أمسية شعرية في نادي مكة الثقافي الأدبي .

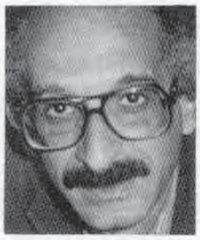
● **«دور مـؤسسـة الكـويت للتقدم العلمي في دعم علـوم الأرض»** عنوان محاضرة ألقاها في جامعة القاهرة ، د . **علي عبد الله الشملان** .

● **«النتائج المرتقبة لمحادثات السلام في الشرق الأوسط»** موضوع ندوة نظمها مركـز البحوث والدراسات السيـاسية في جامعة القـاهرة ، شارك فيهـا عـدد من المتخصصين في الشؤون السيـاسيـة منهم د . **علي الـدين هلال ، د . مصطفى الفقي ، ووليم كوانت** .

● **«الطاقة الشمسية ومستقبل الطـاقة البديلة»** عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقـافي التابع للسفارة المصرية في الـرياض ، د . **يوسف أحمد الجندي** .

● **«دبلومـاسية صلاح الدين مع بيـزنطة»** عنوان محاضرة ألقـاها في نادي المدينة المنورة الأدبي ، د . **حسين محمد ربيع** .

● **«القيم الإسـلاميـة والنشـاط الاقتصـادي»** عنـوان ندوة نظمتهـا مجموعة دلة البركة بالتعاون مع الغرفة التجارية الصناعية في جدة ، شارك فيهـا كل من الشيخ د . **يوسف القـرضاوي وإسماعيل أبـو داود وصالح كامل** .


صنع الله إبراهيم

البردوني على جائزة الشعر، ومنح د. **عبد الله عبد الدائم** جائزة الدراسات الإنسانية والمستقبلية، وتقاسم الناقد **فاروق عبد القادر** والناقدة **يمنى العيد** جائزة الدراسات الأدبية والنقدية، كما تقاسم الأديبان **صنع الله إبراهيم وسليمان فياض** جائزة القصة والرواية.

تضمن الاحتفال بالجائزة مجموعة من الندوات والمحاضرات والأمسيات الشعرية والثقافية.

البحرين
مهرجان للتراث ومعرض دولي للكتاب


الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة

افتتح ولي العهد البحريني والقائد العام لقوة الدفاع **الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة** في العاشر من شهر ذي القعدة الماضي **المهرجان الثالث للتراث.**

ويهدف المهرجان إلى غرس بذور الاهتمام بالتراث والعادات والتقاليد البحرينية العريقة.

من ناحية أخرى شاركت نحو ٢٥٠ دار نشر تنتمي إلى ١٥ دولة عربية وأجنبية في **معرض البحرين الدولي للكتاب** الذي اختتم نشاطه - مؤخرًا - بعرض قرابة مليون وربع المليون كتاب.

صاحب المعرض تنظيم العديد من المحاضرات والندوات والأمسيات الشعرية والقصصية بمشاركة مبدعين ومفكرين من مختلف البلدان العربية.

الكويت
مهرجان كتب الأطفال ولعبهم


الشيخ سعود ناصر الصباح

أقيم - مؤخرًا - في الكويت **المهرجان الثالث عشر للكتب ولعب الأطفال**، الذي رعاه **الشيخ سعود ناصر الصباح وزير الإعلام ورئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.**

شارك في المعرض ٢٤ مكتبة ودارًا للنشر قدمت ١١ ألفا و٥٦٨ كتابًا، منها ١٠ آلاف و١٩٨ كتابًا باللغة العربية، والباقي بلغات أخرى، وبلغ عدد الكتب الجديدة ٢١٥ كتابًا عربيًا وأجنبيًا، كما شاركت تسع شركات للعب الأطفال وشركة لأجهزة الحاسوب وبرامجه التعليمية، إضافة إلى إدارة العلاقات العامة بوزارة الداخلية، ومكتب الشهيد، والجمعية الحرفية للسدو، ويوم البحار الكويتي، ورابطة الحرف اليدوية.

مصر
توصية بإنشاء مركز معلومات للدراسات الأندلسية

اختتمت في مدينة الإسكندرية في مطلع شهر ذي القعدة ١٤١٤ هـ أعمال ندوة **«الأندلس: الدرس والتاريخ».**


د. عبد الله التركي

دعا المشاركون في الندوة إلى توفير الدعم المعنوي والمادي للبحوث العلمية المتصلة بتاريخ الأندلس، وإنشاء مركز يعنى بدراسة الجوانب الحضارية والاجتماعية والأثرية والسكانية واللغوية المتصلة بها، إضافة إلى مركز معلومات للدراسات الأندلسية.

كما تضمنت التوصيات توصية بعقد ندوات عن صقلية الإسلامية وجزر البحر المتوسط الغربية، وغيرها من المواقع التي عرفت الحضارة الإسلامية، مع إنصاف الأدب الأندلسي، نظرًا لتمثيله فترة زمنية ذات قيمة وإشعاعات حضارية ولغوية وفنية، وتوصيات أخرى.

يذكر أن الندوة أقيمت بالتعاون بين رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الإسكندرية، واستمرت ثلاثة أيام.

تكريم شوقي ضيف


د. شوقي ضيف

أقامت كلية الآداب بجامعة القاهرة صباح الأربعاء التاسع من ذي القعدة ١٤١٤ هـ

- شارك الشاعر الكويتي **طلال السعيد في أمسية شعرية** نظمتها، في قاعة المدينة بمبنى البلدية، ندوة الثقافة والعلوم بدبي.
- **«هموم الساحة الثقافية في الإمارات»** عنوان ندوة أقيمت في مسرح رأس الخيمة الوطني، شارك فيها مجموعة من الأدباء والمثقفين منهم: **عبد الله الطابور ونواف يونس وثابت ملكاوي و إبراهيم الخطيب**. أدار الندوة د. **إبراهيم الوحش.**
- **«تطور الحركة الثقافية في دولة الإمارات العربية المتحدة»** عنوان محاضرة ألقاها في قسم الاجتماع بجامعة الإمارات د. **سعيد حارب.**
- **«نحو نظرية إسلامية للتربية»** عنوان محاضرة ألقاها في كلية المعلمين بأبها د. **حسن إبراهيم عبد العال.**
- **«حركة النشر في الإمارات»** موضوع محاضرة ألقاها في مقر اتحاد كتاب الإمارات وأدبائها في الشارقة د. **محمد ياسر شرف.**
- **«توجه وزارة الإعلام والثقافة بدولة الإمارات إلى تعديل قانون المطبوعات والنشر في ضوء تطورات تكنولوجيا الإعلام والاتصال»** موضوع ندوة نظمها اتحاد كتّاب الإمارات وأدبائها في الشارقة، شارك فيها **عبد الرحمن المدفع** وكيل وزارة الإعلام والثقافة ومجموعة من المفكرين والإعلاميين.
- **«شخصية مصر من خلال آيات القرآن الكريم»** عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي بالسفارة المصرية في الرياض د. **صلاح عبد الجابر عيسى.**

الحركة الثقافية

(٢٠/ ٤/ ١٩٩٤ م) حفلاً تكريميًا لعميد مؤرخي الأدب العربي د. **شوقي ضيف**، نائب رئيس مجمع اللغة العربية، بمناسبة صدور الكتاب التذكاري **شوقي ضيف**: **سيرة وتحية** الذي أعده وأشرف عليه تلميذه الناقد د. **طه وادي**.

شارك في الحفل مجموعة كبيرة من الأكاديميين والنقاد والمبدعين، من بينهم د. **إبراهيم مدكور**، د. **حمدي إبراهيم** عميد الكلية، د. **طه وادي**، د. **أحمد هيكل**، د. **الطاهر مكي**، **أنيس منصور**، **فاروق جويدة**، **أحمد سويلم**، **محمد أبو سنة**، وآخرون.

يُذكر أن د. **ضيف** قدم للمكتبة العربية خمسين كتابًا في مجالات النحو والبلاغة والنقد والشعر وتاريخ الأدب، مما أهله لأن ينال **جائزة الدولة التقديرية في الآداب** عام ١٩٨٠ م، و**جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي** عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م).

الفائـــزون بجوائز مصطفى وعلي أمين

أعلنـــت **جمعية مصطفى وعلي أمين لجوائز الصحافة** - مؤخرًا - أسماء الفائزين بجوائزها وهم:



إبراهيم نافع



صلاح منتصر

فاز بخمسة آلاف جنيه كل من: **إبراهيم نافع** رئيس مجلس إدارة مؤسسة الأهرام لمشروعاته الصحفية، و**صلاح منتصر** رئيس مجلس إدارة دار المعارف ورئيس تحرير مجلة «أكتوبر» سابقًا، والدكتور **صليب بطرس**، لأبحاثه عن اقتصاديات الصحافة، و**سمير عبد القادر** نائب رئيس تحرير صحيفة «الأخبار»، و**محمد مصطفى غنيم** عن أبحاثه في تاريخ الصحافة، ود. **صلاح قبضايا** مدير التحرير بصحيفة الشرق الأوسط، و**حامد دنيا** لأبحاثه عن التعليم في مجلة «أكتوبر» ود. **حسن رجب** ليومياته في جريدة «الأخبار»، ود. **عمرو عبد السميع** مدير تحرير مجلة «الوسط»، و**إسماعيل النقيب** لمقالاته الساخرة، و**مي شاهين** أقدم محررة في «أخبار اليوم» عن كتابها «شارع الصحافة».

كما منح أوائل أقسام الصحافة والإعلام ببعض الجامعات العربية مبلغ ألف جنيه.

وفاة د. الحلو

توفي - مؤخرًا - بالقاهرة د. **عبد الفتاح محمد الحلو** عن (٦٥ عامًا).

والدكتور الحلو أحد رواد التحقيق والفهرسة وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة وأستاذ سابق

في ختام اجتماعات دورته الستين:

مجمع اللغة العربية يؤكد على ضرورة تعريب التعليم الجامعي

القاهرة - مراسل «الفيصل»:

أكد مجمع اللغة العربية في ختام اجتماعات دورته الستين التي عقدت في القاهرة خلال شهر شوال الماضي على **ضرورة تعريب تدريس العلوم في المرحلة الجامعية الأولى** باعتباره مطلبًا علميًا ولغويًا، فضلاً عن كونه واجبًا قوميًا واجتماعيًا، مشيرًا إلى أن التعريب لا يعني بأية حال من الأحوال التهاون في مجال تعليم اللغات الأجنبية.

وتضمنت التوصيات حث المجامع اللغوية على **إنشاء جوائز سخية للكتب المؤلفة أو المترجمة في العلوم البحتة أو التطبيقية المناسبة لمستوى التعليم الجامعي**.

وأوصى المؤتمرون بإلزام القائمين على التدريس في الجامعات العربية ومؤسسات التعليم العالي كافة **باستخدام الفصحى في التدريس**، وكذا بالنسبة لوسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة والمسارح، مع توجيه العناية للخط العربي والإملاء.

ودعوا إلى إنشاء **هيئة عليا للترجمة** تضع خطة قومية، وتحدد الأولويات في مجال ترجمة العلوم والتقنية، وإنشاء معهد ملحق بها لتخريج المترجمين الأكفاء.

وحث المؤتمرون المجامع اللغوية على أن يشكل كل منها لجنة دائمة من بين أعضائه للإعلام والنشر تناط بها مهمة الإعلام عن النشاط المجمعي: اللغوي والعلمي، والتعريف بالقرارات والمنشورات.

وكان وزير التربية والتعليم د. **حسين كامل بهاء الدين** قد افتتح جلسات الدورة بحضور رئيس المجمع د. **إبراهيم مدكور**، حيث عقدت **ثلاث عشرة جلسة**، أربع منها علنية منها جلسة الافتتاح.

وخصصت الجلسات العلنية التالية لمحاضرات عامة: الأولى «بين الثقافة والفكر» للدكتور **كمال بشر**، والثانية «الأسس النفسية والفكرية لتعريب الطب» للدكتور **محمد عماد فضلي**، واختتمت المحاضرات العامة بمحاضرة عنوانها «العربية لغة علم راسخة» للدكتور **شوقي ضيف**.

أما الجلسات التسع المغلقة فقد نظر فيها المؤتمر في مصطلحات لجان الطب والكيمياء والصيدلة والفيزياء والهندسة والرياضيات والنفط

بالجامعات المصرية والعربية .

ومن أهم كتبه التي حققها : **طبقات الشافعية الكبرى** (بالاشتراك) **والمغني لابن قدامة** (بالاشتراك) **والطبقات السنية في تراجم الحنفية**. وقد حقق أخيرًا كتاب «**الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة**» وله مجموعة من الكتب المؤلفة .

مصر القديمة والحماية الدولية للآثار

تقدمت مصر بطلب إلى منظمة اليونسكو العالمية لوضع منطقة مصر القديمة في جنوب القاهرة ضمن مظلة خطة اليونسكو لحماية الآثار.

ويذكر أن هذه المنطقة تضم آثارًا للأديان السماوية الثلاثة مثل **مسجد عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ في الفسطاط**، **والكنيسة المعلقة**، **ومعبد ابن عزرا اليهودي**، وقد تعرضت لأضرار شديدة منذ الزلزال الذي أصاب القاهرة عام ١٩٩٢ م .

صورة اليهودي في الآداب العالمية والعبرية

نظم قسم اللغة العبرية بكلية الآداب، جامعة عين شمس ـ مؤخرًا ـ ندوة عنوانها «**صورة اليهودي في الآداب العالمية والأدب العبري**» .



د. عبد الوهاب المسيري



د. محمود فهمي حجازي

شارك في الندوة مجموعة من الأكاديميين والمتخصصين في الدراسات الأدبية واللغة العبرية، منهم **د. عبد الوهاب المسيري**، **د. محمود فهمي حجازي**، **د. محمد ضيف**، **د. عصام بهي**، والكاتبة **آمال ربيع** .

عبرت الندوة من خلال مناقشاتها عن بروز تيار ينبه بإلحاح إلى أهمية التعرف على جوانب الشخصية اليهودية وفهم كيفية تفكيرها، ووضع المعايير الموضوعية للدارسين في هذا المجال، إضافة إلى تقديم نماذج لتناول الآداب العالمية للشخصية اليهودية، للتعرف على نظرة الرأي العام العالمي لها .

الأردن

حصر الآثار وبرمجتها في الحاسوب

تنفذ دائرة الآثار العامة بالتعاون مع مشروع إدارة المصادر الثقافية الدولية بتمويل من المركز الأمريكي للأبحاث الشرقية **أول مشروع من نوعه في الشرق الأوسط لتسجيل المواقع الأثرية في الحاسوب**.

يُعنى المشروع الذي يستغرق إنجازه عدة سنوات بتسجيل جميع المواقع الأثرية ونوعياتها وتاريخها وجغرافيتها عن طريق الاستعانة برموز وملء بطاقات تدخل في الحاسوب .

والجغرافيا والقانون وألفاظ الحضارة، وأقرها، كما أقر ما عرضته لجنة الألفاظ والأساليب وهي : (ممنون وممتن وامتنان)، (استقل) الطائرة أو السيارة، (استهتر بفلان)، وهو (مستهتر به)، طعام (نِيء)، تكملة مادة «نغم»، (عبوة وعُبوة)، أفعال مبنية للمجهول والمعلوم بدلالة واحدة .

كما أقر المؤتمر تقرير لجنة تطوير المنهجية في المصطلح العربي، وكذلك ما عرضته لجنة اللهجات، وهي : تكملة مصطلحات «الفصائل اللغوية» للدكتور **محمود فهمي حجازي** و«دراسة لغوية في أسماء بعض المدن المصرية» للدكتور **عبد العزيز صالح**، و«مسالك العامية المصرية في صوغ الأفعال» و«استعمالات تركية في العامية المصرية» وهما للدكتور **عبد الصبور شاهين** .

وأقر المؤتمر ما عرضته لجنة المعجم الكبير من مادة (ح ن ط ب) إلى (ح و ل). أما أعمال لجنة أصول اللغة فقد رأى المؤتمر إرجاء عرضها إلى المؤتمر المقبل ليستوفي أعضاء المؤتمر دراستها، لاتصالها بأمور نحوية تحتاج إلى مراجعة متأنية، وإلى رجوع إلى كتب النحو واللغة، مما يقتضي إرسال أعمال اللجان اللغوية إلى الزملاء من الأشقاء العرب قبل انعقاد المؤتمر بنحو شهرين، أسوة بما هو متبع في مواد المعجم الكبير. وقد عالجت الموضوع المقترح للبحث وهو (تعريب العلوم) الأبحاث الآتية :

«طريقة تعريب العلوم عند الأقدمين» للدكتور **عبد الهادي التازي**، «الترجمة بين الماضي والحاضر ودورها في نقل العلوم إلى اللغة العربية» للدكتور **محمود حافظ**، «دور النحت في تيسير الأداء العلمي بالعربية» للدكتور **محمد يوسف حسن**، اشتقاق الأفعال من أسماء الأعيان العربية والمعربة للدكتور **شوقي ضيف**، «العربية والتعريب في العلوم الإنسانية» للدكتور **عبد العزيز صالح**، «التعريب بين التفكير والتعبير» للدكتور **كمال بشر**، «تعريب التعليم الجامعي» للدكتور **عبد الحافظ حلمي**، «أثر العوامل النفسية في تعريب العلوم والإبداع» للدكتور **يوسف عز الدين**، «لا بد من الإعراب للتعريب» للدكتور **عبد الله الطيب**، «تعريب العلوم» للدكتور **أحمد شفيق الخطيب** .

كما ألقيت بحوث أخرى هي : «تلك أمة تقدس لغتها» للدكتور **عدنان الخطيب**، «ألفاظ يمنية» للدكتور **إبراهيم السامرائي**، «الجملة في كتاب سيبويه» للدكتور **عبد الرحمن الحاج صالح**، «خطأ مشهور وصواب مهجور» **لسعيد الأفغاني**، «تأليف المتون الدراسية مبرمجة بالعربية» للدكتور **كمال محمد دسوقي**، «الترجمات والمترجمون في كتاب الفهرست» للدكتور **بدوي طبانة**، «نماذج من تعارض مضعف الثلاثي ومضعف الرباعي» للدكتور **أمين السيد**، «حجر اليمامة» **لعبد الله بن محمد بن خميس**، «علم دراسة المستقبل» للدكتور **أحمد صدقي الدجاني**، «إعجاز القرآن الكريم والمقامات في حوار إسلامي مسيحي بالأندلس» للدكتور **محمود علي مكي** .

الحركة الثقافية

ومن شأن المشروع بعد إتمامه أن يسهم في تلبية الاحتياجات المعلوماتية للباحثين في مجال الآثار، فضلاً عن حماية التراث الأثري من أي عبث .

فلسطين — مساء البلد

وافقت سلطات الاحتلال على صدور صحيفة «مساء البلد» في مدينة البيرة بالضفة الغربية، وناشرها هو الصحافي الفلسطيني هاني عرفات .

وكان عرفات يصدر في السابق صحيفة باسم **«أخبار البلد»** أوقفتها سلطات الاحتلال .

سورية — ندوة دولية

تقام في مدينة حلب خلال الفترة من ٢٦ إلى ٣٠ سبتمبر ١٩٩٤ م ندوة دولية بعنوان **«حلب وطريق الحرير»** ضمن برامج العقد العالمي للتنمية الثقافية الذي ترعاه منظمة اليونسكو .

يشارك في الندوة **خمسون باحثًا ومختصًا ومؤرخًا**، وترافقها نشاطات فنية وثقافية تعرّف بتاريخ حلب عبر العصور.

تدور محاور الندوة حول عدة موضوعات يأتي في مقدمتها : معطيات الوسط الطبيعي لمنطقة حلب، والتجارة عبر العصور، وعرض تاريخي عن العصور المختلفة للتاريخ .

جوائز للشعراء والقاصين الشباب

أعلن فرع اتحاد الكُتّاب العرب في اللاذقية - مؤخرًا - أسماء الفائزين في مسابقة مهرجان الشعر والقصة للأدباء الشباب .

فاز بالمركز الأول في مجال القصة **أديب حسن** عن قصته «الموت خارج الزمن»، تلاه **بسّام يونس محمد** عن قصته «غزة - أريحا»، ثم **روزا حسن** عن قصتها «عتمة» .

تقاسم المركز الأول في مجال الشعر كل من : **رولا حسن** بقصيدتها «شتاءات قصيرة»، و**عاصم دبية** بقصيدته «صور من قزحيتي»، ونال المركز الثاني مناصفة كل من **فاطمة قنجراوي** عن قصيدتها «تمتد آلاء جنابا»، و**علي أحمد الخطيب** عن قصيدته «مهرجان خريف»، وجاء في المركز الثالث **أيمن معروق** بقصيدته «مدارات في صعود العاشق» .

معرض للتراث الفلسطيني

افتتحت وزيرة الثقافة د. **نجاح العطار** في الرابع والعشرين من شهر شوال الماضي ١٤١٤ هـ **معرض التراث الفلسطيني** .

ضم المعرض نماذج مختلفة ومنتخبة من الأزياء الفلسطينية التراثية الشعبية والصناعات الحرفية، تمثل مختلف مدن فلسطين وقراها .

لبنان — بحث تجارب التعليم في الجامعات العربية

شارك ممثلون لنحو **ثمانين جامعة عربية** في اجتماعات الدورة السابعة والعشرين لمجلس اتحاد الجامعات العربية التي أقيمت - مؤخرًا - في بيروت .

استمرت الدورة ثلاثة أيام، نوقشت خلالها عدة موضوعات تتعلق بتجارب التعليم في الجامعات العربية، أبرزها دراسة لجامعة البحرين حول «شبكة المعلومات للجامعات العربية»، وأخرى لجامعتي القاهرة والقدس عن «تجربة التعليم المفتوح»، وثالثة لجامعة الإسكندرية عن تجربة «التطوير المهني لأعضاء هيئات التدريس» .

يذكر أن التقديرات تقول بأن عدد الطلاب الجامعيين في العالم العربي سيصل عام ٢٠٠٠ م إلى ١٢ مليون طالب .

مجلة «لبنان المواطن»

صدر - مؤخرًا - في بيروت العدد التجريبي «صفر» من مجلة **«لبنان المواطن»** وهي مجلة ثقافية فصلية جديدة .

ضم العدد ٢١ موضوعًا مختلفًا، ويتولى إدارة المجلة **أنطوان شدياق** .

الأردن — مجلة الأدب الإسلامي



صدر - مؤخرًا - **العدد الأول** من **«مجلة الأدب الإسلامي»** الفصلية عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

تهدف الرابطة من خلال إصدار المجلة إلى تحقيق جملة من الطموحات، منها تأصيل نظرية الأدب الإسلامي وإظهار ملامحه، وتحقيق توازن بين التنظير والإبداع، والتعريف بآداب الشعوب الإسلامية، وغير ذلك .

يتولى الإشراف العام على المجلة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، ويرأس تحريرها د. عبد القدوس أبو صالح، ويعاونه كل من د. **عبده زايد** نائب رئيس التحرير و د. **مرعي مدكور** مدير التحرير.

تونس — معرض فني أفريقي

افتتح وزير الثقافة **المنجي بوسنينة** ووزير الشباب والطفولة **عبد الرحيم الزوادي** معرضًا فنيًا أفريقيًا .

شارك في المعرض أكثر من **ثلاثين فنانًا** من مختلف بلدان القارة الأفريقية، حيث عرضوا نحو مائة عمل فني، تمثل الاتجاهات الفنية السائدة في بلدانهم .

الجزائر — معرض للكتاب الإسلامي

احتضن المركز الثقافي الإسلامي في مدينة

الجزائر – مؤخرًا – **معرضًا للكتب والمخطوطات الإسلامية**.

ضم المعرض مجموعة من المجلات الإسلامية والكتب النادرة، من أبرزها كتب الشروح والتفسير والسنة والحديث الشريف والفتوى.

المغرب

جائزة الحسن الثاني لأندريه شديد

مُنحت الأديبة الفرنسية الجنسية، المصرية الميلاد، اللبنانية الأصل، **أندريه شديد جائزة الملك الحسن الثاني الأدبية**.


أندريه شديد

وقام **محمد علال سيناصر** وزير الشؤون الثقافية المغربي بتسليم **أندريه شديد** الجائزة في حفل حضره **كريم العمراني** رئيس الوزراء ومجموعة من المفكرين والمثقفين.

و**أندريه شديد** شاعرة وقاصة وكاتبة مسرحية، لها أحد عشر ديوانًا، ومجموعة من القصص والمسرحيات، وآخر كتبها بعنوان «**زوجة أيوب**».

البوسنة والهرسك

العربية لغة إجبارية في المدارس

قررت الحكومة البوسنية **تدريس اللغة العربية في مدارسها** بصفة إجبارية باعتبارها لغة القرآن الكريم.

كما اتخذت الحكومة قرارًا بتغيير مسميات الشوارع التي تحمل أسماء صربية في الأجزاء القديمة من العاصمة سراييفو إلى مسميات جديدة ذات أصل تركي.

فرنسا

جائزة الحرية لشاعر بوسني

مُنح الشاعر البوسني **عبدالله سيدران «جائزة الحرية»** عن ديوانه «**نعش سراييفو**».

ويعد **عبدالله سيدران** أحد أبرز شعراء يوغسلافيا السابقة، كما عُرف أيضا ككاتب سيناريو.

ويمنح الجائزة التي كان يرأس هيئتها الكاتب المسرحي الراحل **يوجين يونيسكو، مركز «بن كلوب»**، وهي تمنح للكاتب الأجنبي الذي يدافع رغم المحن عن حرية الفكر والتعبير.

الفائزون بجائزة المتوسط


الطاهر بن جلون

مُنح الكاتب المغربي **الطاهر بن جلون جائزة المتوسط** لعام ١٩٩٤م للكتب المكتوبة باللغة الفرنسية وتعالج موضوعاً متوسطياً، عن كتابيه **«الرجل المكسور» و«الالتحام الأخوي»**.

ويُذكر أن ابن جلون يكتب دائماً بالفرنسية، وهو من دعاة تغريب المغرب العربي، وتتسم كتاباته بطابع غربي التفكير.

كما فاز الإسباني **خوان غويتيسو لو بجائزة المتوسط الأجنبية** للكتب التي تكتب عن الحوض المتوسطي وتترجم إلى اللغة الفرنسية، وذلك عن

رسائل جامعية

● «**المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر: من أول الكتاب إلى نهاية أبواب الأصول: دراسة وتحقيق**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **إبراهيم سعيد الدوسري**.

● «**الاتجاهات النقدية عند شرّاح المتنبي حتى القرن السابع الهجري**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بالجامعة الأردنية، تقدم بها **عدنان عزّام عبيدات**.

● «**الوقف وأثره في التفسير**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض تقدم بها **مساعد سليمان الطيار**.

● «**دراسة تحليلية مقارنة لشعر المنفى عند عبد الوهاب البياتي ورفائيل ألبرتي**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة مدريد، تقدم بها خالد سالم.

● «**منطقة تبوك: دراسة في الجغرافيا الإقليمية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم الاجتماعية في الرياض، تقدم بها **سليمان صالح عبد العزيز الخضيري**.

● «**خصائص لغة التلاميذ الشفهية والكتابية في الصفوف الأخيرة من مرحلة التعليم الإبتدائي في المنطقة الغربية بالمملكة**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم المناهج بكلية التربية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها **دخيل الله محمد الدهماني**.

● «**القيود على حرية الرأي في النشر الأدبي في عهد عبد الناصر والسادات**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم الدراسات الشرقية في جامعة ستوكهولم في السويد، تقدمت بها **مارينا ستاج**.

● «**فن الغناء في العصر الجاهلي**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدم بها **حمدي جبر عدل القريشي**.

● «**أزمة الخليج العربي الثانية وانعكاساتها العالمية والإقليمية**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التجارة في بورسعيد بمصر، تقدم بها **محمود وهيب**.

● «**مفهوم الشاعر ويلفريد أوين للحرب**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة حلوان، تقدمت بها **سحر عبد الخالق**.

● «**تطور الفكر العلماني في مصر**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدم بها **صابر حسن**.

الحركة الثقافية

كتابيه «بارزاخ» و«سرايبفو».

ومنحت الجزائرية مليكه مقدم جائزة المتوسط للشباب عن روايتها «المحظورة».

اكتشاف نص غير منشور لأمبيدو كليس

أثبت الباحث البلجيكي آن مارتين أن **قطعاً من ورق البردي** موجودة في المكتبة الوطنية والجامعية في سترا سبورج - شرقي فرنسا - تحمل نصاً غير منشور للفيلسوف الإغريقي **أمبيدو كليس** الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد.

تتألف الأوراق من **٣٠ قطعة** أكبرها أقل من عشرة سنتيمرات مربعة، وتتضمن أبياتاً شعرية معروفة من قصيدة فلسفية **لأمبيدو كليس** باللغة اليونانية، ويعود تاريخ كتابتها إلى الحقبة الرومانية في الفترة بين القرنين الثاني والرابع الميلاديين.

وكانت هذه الأوراق قد نقلت من مصر عام ١٩٠٥م وبقيت محفوظة في أدراج المكتبة لسوء حالتها.

ويُذكر أن أغلب نصوص الكتّاب الإغريق القدامى لم تُعرف إلا من خلال مخطوطات تعود إلى القرون الوسطى، ونادراً ما ترقى إلى أبعد من القرن التاسع الميلادي.

مجلة «المتوسط»

صدرت في تولوز في مطلع شهر شوال الماضي مجلة **«ميديتيرانية» أي المتوسط**، وهي مجلة تصدر كل شهرين تخصص موضوعاتها لتاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط وشعوبه، وحضاراته، وثقافاته، وأدبه.

تصدر المجلة عن مجموعة ميلان برس التولوزية، وتضمن عددها الأول موضوعات متنوعة من أبرزها موضوع عن **جزيرة صقلية** وصيادي المرجان، وآخر بعنوان **«المدينة الزرقاء»** عن المغرب، وثالث عن **ملحمة قناة السويس**، ورابع عن مدينة **ملقا** الأندلسية في إسبانيا.

موسوعة معلوماتية عن السوق الأوربية

صدرت - مؤخراً - عن إحدى دور النشر موسوعة معرفية جديدة تحت عنوان **«خمسة آلاف معلومة عن أوربا»**.

ضمت الموسوعة معلومات مهمة حول البلدان الأعضاء في السوق الأوربية المشتركة مثل: مستوى المعيشة، الفنادق، الأماكن السياحية، أهم المدن، ميادين الاستثمار، القوانين، وغير ذلك من المعلومات التي تهم السائح أو المستثمر.

بريطانيا

مجلة سعودية في لندن

أصدر المكتب الثقافي السعودي في بريطانيا العدد الأول من مجلة **«الثقافية»** التي تهتم بشؤون الثقافة والتعليم والابتعاث.

يشرف على المجلة الملحق الثقافي السعودي **عبدالله الناصر**، وتضمن العدد الأول كلمة لوزير التعليم العالي السعودي د. **خالد العنقري**، والسفير السعودي في بريطانيا د. **غازي عبدالرحمن القصيبي**، إضافة إلى ملف عن مسيرة التعليم في المملكة، وتغطيات إخبارية وثقافية متنوعة.

الأمير تشارلز يطرق عالم الصحافة



الأمير تشارلز

أضاف ولي العهد البريطاني **الأمير تشارلز** المجال الصحافي إلى سلسلة اهتماماته، حيث أصدر عبر **«معهد أمير ويلز للعمارة»** مجلة شهرية تعنى بشؤون العمارة والمحافظة على جمالياتها تحت اسم **«منظورات في العمارة»**.

صدر العدد الأول - مؤخراً - بالتعاون مع مؤسسة وورد سيرتش ليمتد، ومؤسسة بيرفكت هارموني، ويتولى إدارة تحريرها **كولن إيمري**.

وتصدر العدد مقالة **للأمير تشارلز** بعنوان **«السلطة للناس»**.

هذه هي المرة الأولى التي يُقدِمُ فيها أحد أفراد الأسرة البريطانية المالكة على إصدار مجلة.

جائزة للرواية النسائية العربية

قررت مجلة **«الكاتبة»** التي تصدر في لندن إنشاء **جائزة عربية للرواية التي تكتبها المرأة**.

وقد تقرر أن تمنح الجائزة دورياً كل عامين لرواية واحدة تختارها لجنة التحكيم.

إيطاليا

معرض «ميراث الإسلام»

احتضن قصر الدوقات بمدينة البندقية - مؤخراً - تظاهرة ثقافية فنية إسلامية تحت عنوان **«ميراث الإسلام»**.

ضمت المعروضات ٣٥٠ قطعة تم اختيارها بعناية من بين آلاف القطع المعبرة عن الفن الإسلامي، وزعت وفقاً لترتيب زمني على ١٦ قاعة، في عرض تدرجي تربوي، يبين بتسلسل المؤثرات الداخلة في تكوين الفن الإسلامي، وصولا إلى أثر هذا الفن في إيطاليا.

ألمانيا

جائزة «بوشنر» لموشج

مُنح الأديب السويسري الذي يكتب بالألمانية **أدولف موشج «جائزة بوشنر الأدبية»**، التي تقدمها جمعية الآداب والعلوم الألمانية، وتعد أرفع جائزة أدبية في ألمانيا، وتبلغ قيمتها ٤٠ ألف دولار أمريكي.

وكان موشج - البالغ من العمر ٥٩ عاماً - قد بدأ في نشر أعماله في الستينيات الميلادية، وحملت روايته الأولى التي صدرت عام ١٩٦٥م عنوان **«صيف الأرانب»**.

وإلى جانب الرواية والقصة القصيرة كتب موشج النصوص الإذاعية والمسرحية، إضافة إلى مقالات في النقد الأدبي والفني.

وأثارت قصته الطويلة «**الفارس الأحمر**» التي نشرها في ألف صفحة في العام الماضي ضجة كبيرة .

وفاة جولد مان

توفي - مؤخراً - الأديب الألماني **جولد مان** بعد صراع طويل مع مرض السرطان عن عمر يناهز ٨٥ عاماً .


جولد مان

وُلد **جولد مان** عام ١٩٠٩م، وهو ابن الأديب **توماس مان**، الحائز على جائزة نوبل للأدب، كما أن عمه الأديب **هانريتش مان**، فكان لوالده وعمه تأثير كبير في اتجاهه إلى الأدب، رغم أن والده لم يشجعه على الكتابة .

ونال **جولد مان** في مطلع الثلاثينيات الميلادية درجة الدكتوراه في الفلسفة، ثم اضطره النظام النازي إلى الهجرة، وبعد تنقل في عدة دول أوربية استقر به الحال في الولايات المتحدة الامريكية .

وفي عام ١٩٤٧م نشر كتابه عن السياسي النمساوي **فريدريش فون جنتسي** الذي حارب **نابوليون بونابرت** في فيينا فجاء الكتاب دراسة تاريخية عميقة ذات طابع أدبي، إلا أن شهرته ذاعت بصدور كتابه الضخم «**التاريخ الألماني خلال القرنين : التاسع عشر والعشرين**» عام ١٩٥٨م .

من أشهر مؤلفاته «**أشعار تاسيتوس**»، وقد كان يعد قبل وفاته لحضور الاحتفال بمرور عام على افتتاح مركز هانريتش وتوماس مان في لوبيك بألمانيا .

النمسا

معرض للاتجاهات الفنية

يقام حالياً في متحف الفنون في فيينا معرض بعنوان «**الاتجاهات الفنية في القرن العشرين**» .

يضم المعرض سبعين لوحة منتقاة تعبر عن مختلف المدارس الفنية الرئيسية في القرن العشرين، ومن المقرر أن يستمر حتى بداية شهر محرم ١٤١٥هـ .

الولايات المتحدة

توصية بإحداث جائزة لتشجيع الدراسات الإسلامية

اختتم **الملتقى العلمي للدراسات الإسلامية وتعليم اللغة العربية** الذي نظمه - مؤخراً - في واشنطن معهد العلوم الإسلامية والعربية بإصدار عدة توصيات من أبرزها المطالبة بإحداث جائزة علمية سنوية لتشجيع أبحاث الدراسات الإسلامية وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في أمريكا الشمالية .

وأكد المؤتمرون على أهمية أقسام الدراسات الإسلامية وتعليم اللغة العربية والمتخصصين فيها في إقامة جسور التفاهم بين الإسلام والغرب، ودعوا إلى إيجاد مناهج نموذجية مرجعية لمواد الدراسات الإسلامية في الجامعات الأمريكية، وتوصيات أخرى .

ويذكر أن الملتقى كان قد عقد في منتصف شهر شوال الماضي ندوتين، أولاهما بعنوان «تاريخ وحاضر الدراسات الإسلامية في الجامعات الأمريكية»، والأخرى عنوانها «تدريب معلمي اللغة العربية في الجامعات الأمريكية» .

أغرب مجلة!

ينتظر أن تصدر - قريباً - مجلة فريدة في بابها، حيث تختص بنشر المقالات المعمّرة، أي تلك التي طُلبت في وقت من الأوقات من محرري الصحف، ولكنها - لسبب ما - وضعت على الرف ولم تجد طريقها إلى النشر.

تحمل المجلة اسم (Kill Fee) أي «**أجرة المقال المقتول**»، وتعود هذه التسمية لكون المجلة لن تدفع أية أجور لأصحاب هذه المقالات، معتبرة أن مكافأة الكاتب بنشر موضوعه أمر كافٍ .

يعود فضل التفكير في إنشاء «كيل في» إلى الناقد **ماكس روبنس**، وترأس تحريرها **ماري بيلارو**، وتضم هيئتها التحريرية عدداً من أشهر رؤساء تحرير الصحف في الولايات المتحدة .

معرض لفنانة سعودية


الأمير بندر بن سلطان

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير **بندر ابن سلطان بن عبدالعزيز** سفير المملكة العربية السعودية في الولايات المتحدة - مؤخراً - معرض الفنانة التشكيلية السعودية **منى صلاح الدين المنجد**، الذي أقيم في المبنى الجديد لصندوق النقد الدولي في واشنطن .

ضم المعرض ٢٨ لوحة تجريدية على الحرير، مستوحاة من التراث العربي، وبخاصة البيئة الاجتماعية والطبيعية السعودية، وكانت أبرز اللوحات تحمل العناوين التالية : «البيوت الفضية»، «ليالي عربية»، و«القمر فوق الرياض» .

يذكر أن الفنانة منى المنجد قد سبق لها أن أقامت معارض شخصية وشاركت في أكثر من معرض جماعي في القاهرة والجزائر وبعض المدن السعودية والأوربية .

وفاة أليسون وبوكوفسكي

توفي - مؤخراً - الكاتب الأمريكي **رالف أليسون**، بعد إصابته بمرض السرطان عن عمر يناهز ٨٠ عاماً، كما توفي الكاتب الشاعر **تشارلز بوكوفسكي**، متأثراً بمرض الرئة عن عمر يناهز ٧٣ عاماً .

عُرف أليسون بروايته الشهيرة «**الرجل الخفي**» التي نشرت عام ١٩٥٢م، ونال بفضلها جائزة «ناشيونال بوك آوورد»، وقد نشر بعدها كتابين هما : «**الظل والحركة**» عام ١٩٦٤م، و«**الذهاب إلى الأرض**» عام ١٩٨٦م .

ويعد **بوكوفسكي** المولود عام ١٩٢٠م في ألمانيا أحد أبرز الكُتّاب الأمريكيين، إلا أن أعماله التي بلغت أكثر من أربعين مؤلفاً نثراً وشعراً تمحورت حول الكحول والمخدرات والجنس .

ونشر بوكوفسكي أول قصة له وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وكانت له زاوية في صحيفة لوس أنجلوس يكتبها بانتظام تحت عنوان «**مذكرات عجوز قذر**» .

على موعد

الحضارة المجنونة!

مرت عصور كان المسلمون فيها يسيرون في الأرض مجاهدين في سبيل الله، تحت لواء التوحيد، ينشرون كلمة الله، ويبلّغون رسالة الإسلام... لقد ذهبوا في الأرض شرقًا وغربًا، وحكموا شعوبًا وأممًا، وفتح الله عليهم دنيا الأكاسرة والقياصرة، وغدوا في الدنيا هم القادة السادة، غير أن المنهج الإسلامي كان دستورهم في الحرب والسلم، يحاربون لله، ويهادنون إذا عَلَتْ كلمة الله، ويسجّلون أحداثًا إذا سمعها الناس هذه الأيام حسبوها ضربًا من الخيال.

روى البلاذري في كتابه «فتوح البلدان» (ص ١٨٧) أن المسلمين حينما دخلوا حمص وأخذوا الجزية وجمعوا الخراج من أهلها، سمعوا أن هرقل عظيم الروم يجمع لهم الجموع، ويُحكم التدبير للقضاء على الإسلام وأهله، فاضطروا إلى مغادرة حمص ليلتحقوا بجيوش المسلمين في اليرموك، وأعادوا إلى أهلها ما كانوا أخذوه من أموال، وقالوا لهم: لقد شَغَلَنا ما نحن فيه عن نصرتكم والدفاع عنكم في مقابل ما دفعتم من مالٍ لم يعد لنا فيه حق. وعجب أهل حمص مما سمعوا، ورأوا الأموال الهائلة تُلقى بين أيديهم فقالوا: والله لَحكمكم أحبُّ إلينا مما كنّا فيه، ولن نكون حربًا عليكم، ولندفَعَنَّ جند هرقل معكم، ولَنَقِفَنَّ في وجهه مع عاملكم.

وروى البلاذريّ أيضًا (ص ١٣ ـ ١٥) أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما استُخلف أتاه وفد من أهل سمرقند، وشكوا إليه قائد المسلمين في تلك الديار قتيبة بن مسلم الباهلي؛ لأنه دخل مدينتهم غدرًا دون إنذار، فغضب عمر رضي الله عنه وأرسل إلى عامله أنْ أَجْلِس لهم القاضي، فنصب لهم جُمَيْعًا الباجي قاضيا. سمع القاضي كلام قتيبة، وسمع كلام أهل سمرقند، ثم أطرق متفكرًا والدنيا كلها تنتظر حكم الله، ورفع رأسه وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وإمّا تخافَنَّ من قوم خيانةً فانْبِذ إليهم على سواء إنَّ الله لا يُحبّ الخائنينَ﴾ (سورة الأنفال: ٥٨)، وأصدر حكمه بإخراج المسلمين من البلدة. لم يصدّق أهل سمرقند ما سمعوه: جيش يسير مجاهدًا، يدخل المدينة المحصّنة ليتابع سيره، وليأمن الغدر من خلفه، يأمره القاضي بالخروج لأنه لم يحرز نصره الكبير على النهج الذي أمر به الله؛ فالحرب في نظر الإسلام ليست قوةً وجبروتًا ومغانم، ولكنها إزالة لفساد، ودعوة إلى خير، وإشاعة لمُثُل وقيم تزكو بها الدنيا، وتسمو بها النفوس.. وسمع القادة الحكم فلم يعترض معترض، فكره أهل سمرقند أن يحاربوا قومًا هذا حالهم، وهذه شريعتهم وأخلاقهم، وأقرّوا المسلمين على ما هم عليه، وعاشوا بينهم، وعلت هناك كلمة الحق ومازالت، برغم المحن والنوائب وكيد الكائدين.

وتمرّ أمامي صورة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو يوصي المسلمين قبل سيرهم إلى الجهاد، وينهاهم أن يقطعوا شجرة، أو يفسدوا زرعًا، أو يهدموا دارا، أو يقتلوا طفلا أو امرأة أو شيخًا لا يستطيع الدفع عن نفسه، وأمرهم ألا يزعجوا من حبسوا أنفسهم في الصوامع للعبادة.

ويردّني صوت المذيع في التلفاز إلى دنيا الناس الآن، ويمر شريط طويل من صور المآسي في فلسطين والبوسنة والهرسك والصومال وكشمير... وأحسّ بأن الشيطان قد أوقد في كل مكان نيران فتنة تحرق الأخضر واليابس، وأن الأرض تهتز بتأثير هدير المدافع، وأزيز الطائرات، وفعل وسائل الدمار التي تذهب بالديار والأعمار... لقد أسلمت الدنيا قيادها للشيطان يقودها، فانتُهكت حُرمات كانت مصونة، وسُلبت أموال كانت محفوظة، وخُرّبت ديار كانت عامرة... وقامت الدول الباغية الظالمة ترمي المسلمين في كل مكان عن قوس واحدة، بوحشيةٍ يرى إبليس الرجيم نفسه عاجزا عن إدراك مداها.

لقد تاهوا على الدنيا بحضارتهم، ونظروا إلى الأمم الممزقة المستضعفة بسببهم نظرة زراية ومهانة، وتناسوا أن الحضارة الحقيقية هي حضارة الحق والعدل والخير، وسموّ النفس الإنسانية، وإرادة السلام والطمأنينة للناس جميعًا.

هذه دولة كبرى تشنّ على الصين حربًا ضروسًا؛ لأن امبراطورها الشاب رفض أن تسمّم شركة الهند الشرقية (الإنجليزية) شعبه بما تحمله من أفيون، إنها «حرب الأفيون» التي أوقدت نيرانها بريطانيا (المتحضرة).

وهذه لافتات توضع في مكان بارز من المطاعم والمقاهي وقد كتب عليها بخطٍ عريض: «ممنوع دخول الكلاب والسود»... إنها أمريكا (المتحضّرة). وهاتان دولتان عظميان تكتسحان بلاد المسلمين في الشرق والشمال الإفريقي، وتحاولان أن تغيّرا ثيابها، وتستأصلا جذورها، وتنسياها لغتها ودينها بكل وسيلة... إنهما بريطانيا وفرنسا (المتحضرتان).

وهذه أعظم بل أعتى دولة على وجه الأرض تمد إسرائيل بالمال والسلاح والتأييد في المحافل الدولية لتجعل من شعب مسالم عريق كريم شراذم من اللاجئين، وبقايا شعب كانت له أرض وكان له وطن.

كيف يرضون عن الإسلام وهو لا يقبل ظلمًا لأحد، وهم أسرى شهوتين هما دستور حياتهم: المال والتسلط على الناس جميعا.

كيف لا يُقرّون كل ما ينزل بالإسلام والمسلمين من كوارث، وهذا الدين يضع في كل شيء معنى إلهيا ساميا، وهم يضعون في كل شيء معنى شيطانيا شريرًا.

إن العالم «المتحضّر» اليوم مريض يحتاج إلى علاج نفسي يردّه إلى إنسانيته. إن كانت حال هذه الدول هي الحضارة فهي دون شك حضارة شريعة الغاب، إنها، وبكل تأكيد، حضارة مجنونة.

عاصم محمد بهجة البيطار